معاني القرآن وإعرابه

للزجاج

أبي إسحاق إبراهيم بن السري

شرح وتحقيق

دكتور عبد الجليل عبده شلبي

مَعَانِي القُرآنِ وإِعرابُهُ

مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ

لِلزَّجَّاج
أبي إسحق إبراهيم بن السَّرِي
المتوفى سنة ٣١١ هـ

شرحُ وتحقيق
دكتور عبد الجليل عبده شلبي

خرج أحاديثه
الأستاذ/ على جمال الدين محمد
وزيد فيه، ونقحت شواهده

الجزءُ الثالث

دَارُ الحديث

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

دار الحديث
طبع. نشر. توزيع

١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر تليفون ٩٢٦٥٠٨ ، ٩١٨٧١٩ ٩١٩٦٩٧ فاكس ٩١٩٦٩٧ تلكس ٩٢٩١٥

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ﴾.

قد بيَّنا في أول البقرةِ ما قيل من ﴿الٓر﴾ وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ﴾.

أي الآياتِ التي جرى ذِكرُها هِيَ آياتُ الكِتاب الحكيم.

وقوله: ﴿أَكَانَ للنَّاسِ عَجَباً أن أوْحَيْنَا إلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾.

يعنى بالناس ههنا أهل مكة، ويروى أنهم قالوا: العجب أن اللَّهَ لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلَّا يتيمَ أبي طالب[1]، وجائز - واللَّه أعلم - أنهم عجبوا من أن النبي ﷺ أنذرهم وبَشَّر الذين آمنوا، والإنذار والبِشَارَةُ مُتَّصِلَان بالبعث والنشور، فعجبوا أنْ أعْلَمَهُمْ أنهم يبعثون. ويجازَوْنَ بالحسنة والسَّيئةِ. فقال: ﴿أَكَانَ للنَّاسِ عَجَباً أنْ أوْحَيْنَا إلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أن أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنوا أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

فموضع «أنْ» الأولى رفع، المعنى: أكان للناس عَجباً وَحْيُنَا وموضعُ «أن» الثَّانِيَة نصبٌ بـأوْحَيْنَا[2]، وموضع «أنَّ»[3] المشددة نصب بِبَشِّرْ، والقراءة

---

(١) كان النبي (ﷺ) يسمى يتيم أبي طالب لأنه تربى في حجره بعد وفاة جدّه - وظل هذا الاسم يطلق عليه حتى بعد بلوغه سن الرشد ودرجة الرجولة.

(٢) أي أوحينا إليه إنذار الناس.

(٣) يعني «أن» من: ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق...﴾.

الفتح، ويجوز كسرها: «وبشر الذين آمنوا إنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ»، لأنَّ البِشارة قول، فالمعنى: قُلْ لَهُمْ إنَّ لهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِهِّمْ ولكنَّه لا يُقْرأُ بهَا إلا أن تثْبُتَ بها روايةٌ لأن القراءةَ سنةٌ[1].

وَالقَدَمُ الصِّدْقُ: المنزلة الرفيعة.

﴿قال الكَافِرُونَ إنَّ هَذَا لَسِحْر مُبينٌ ﴾ - وَ ﴿لَسَاحِرٌ مبِينٌ﴾ - جميعاً[2].

وإنما قالوا «لسحر مبين» لَمَّا أنذرهم بالبعث والنشور.

وقوله: ﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّموات والأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ آسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ يُدَبِّر الأَمْرَ﴾.

أعلمهم أنَّ الَّذِي خَلَق السَّمٰواتِ والأَرْضَ وَقُدْرَتُه هـذه القُدرَةُ قـادِرٌ على بَعْثِهِمْ بعْدَ مَوْتِهم.

وقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إلاَّ مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ﴾.

ولم يجر للشفيع ذكر قبل هـذا، ولكن الذِينَ خُوطِبُوا كـانوا يقـولون إنَّ الأصنامَ شُفَعَاؤُنا عندَ اللَّهِ، فالذِّكْرُ جرى بعدُ في الشُّفَعَاء. فقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إلاَّ مِنْ بَعْـدِ إذْنِهِ﴾، أي لَا يَشفَـعُ شَفِيـعٌ إلاَّ لِمَنْ ارْتَضى اللَّهُ. قـال اللَّه - جـلَّ وعزَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[3] ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾.

أي فاعبدوه وحده.

وقوله: ﴿إلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَميعاً﴾.

---

(١) الأولى أن تكون كسرها لأن الجملة مستأنفة، ويكون المبشر به غير مذكور والتقدير قدم البشارة للمؤمنين، لا ريب أن لهم قدم صدق عند ربهم وحذف المبشر به يؤذن بعمومه، ويجعل النفس تذهب فيه كل مذهب.

(٢) أي قرىء بهما جميعاً. وقراءة حفص عن عاصم لساحر.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٨.

يـدُلّ على أنَّ الأمْـرَ في العَجَبِ كـان في البَعْثِ والنُّشُـورِ. ﴿جَميعـاً﴾ منصوب على الحال.

وقوله: ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾.

﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ منصوبٌ على معنى وَعَدَكُم اللَّهُ وَعداً، لأن قوله: ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ معناه الوعدُ بالرُّجوع، وَحَقاً منصوب على أُحُقُّ ذلك حَقًّا [1].

ويجوز من غير القراءة وَعْدُ اللَّهِ حقٌّ.

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.

قرئت ﴿إِنَّه يبدأ الخلق ثم يُعيدُه﴾، وقرئت أنَّه ـ بفتـح الألف وكسرهـا، جميعاً [2]. كثيرتان في القراءة، فمن فتح فالمعنى: إليـه مَرْجِعُكم جميعـاً لأنه يبـدأ الخلق، ومَنْ كَسرَ كَسـرَ على الاسْتِئْنَافِ والابْتِدَاءِ. ﴿لِيَجْزِيَ الَّـذِينَ آمَنُـوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالقِسْطِ﴾.

أي بالعدل.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً والقَمَر نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾.

وقدَّره يَعْنِي القَمَرَ، لأنـه المقدَّرُ لِعِلْمِ السِّنين والحسـاب، وقد يجـوز أن يكـون المعنى وقدّرهمـا منازل فحـذف أحدهمـا اختصـاراً وإيجازاً كما قـال الشاعر [3]:

نحن بمـا عنـدنـا وأنت بمـا ... عندك راض والـرأي مختلف

---

(١) يقتضي هذا الشرح أن هناك وجهين في نصب «حقـاً» ـ أن يكون منصـوباً بـوعد ـ على أنه صفـة للمصدر المحذوف، والتقدير وعدكم وعداً حقاً، أو أن يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره أحق ـ فيكون «حقاً» هو المفعول وليس صفة له.

(٢) وعلى الفتح هي بدل من الوعد الحق وعلى الكسر تكون الجملة مستأنفة.

(٣) تقدم جـ ٢ ٤٤٥.

وقوله: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾.

معنى ﴿دعواهم﴾ دعاؤهم، يعني إن دعاء أهلِ الجنة تنزيه اللَّه وتعظيمه.

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾.

جائز أن يكون ما يُحَيِّي به بعضهم بعضاً سلام، وجائز أن يكون اللَّه يحييهم منها بالسلام.

﴿وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أعلم اللَّه أنهم يبتدئون بتعظيم اللَّه رب العالمين.

وَ﴿أَنِ الحمدِ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ - بالتخفيف - على حذف أَنَّ الشديدة[1] والهاء، والمعنى أنه الحمد للَّه رب العالمين.

وقوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ﴾.

يُرْوَى أنهم لَوْ أُجِيبُوا في الدُّعَاءِ على أنفسهم وأهليهم، كقول الرَّجُلِ لابنه وحميمه: أماتَكَ اللَّهُ، وفعل بك كذا وكذا. وجائز أن يكون عنى قوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[2]، وما أَشْبَهَ ذلِكَ فلو عجل اللَّه ذلك كما يُعجِّلُ لَهُم الخيرَ لأَهْلَكَهُمْ بِه.

ونصب ﴿استعجالهم﴾ على مثل[3] استعجالهم بالخير، [أي] على نعت مصدرٍ محذوف. والمعنى وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ للنَّاسِ الشَّرَّ تَعْجيلاً مثل استعجالهم بالخير، ﴿لَقُضِيَ إِلَيهِمْ أَجَلُهُمْ﴾.

وَيقرأ: لقَضَى إليهم أَجَلَهم جميعاً، جَيِّدتَانِ[4]، وَلَقُضِيَ أحسنهما، لأن

---

(١) أي على تخفيفها وحذف اسمها.

(٢) سورة الأنفال الآية ٣٢.

(٣) أي على تقدير مثل محذوفة.

(٤) أي هما قراءتان جيدتان.

قوله: ﴿ولو يعجل اللّه للناس الشر﴾ يتصل به ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهم﴾[1].

﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

الطغيان في كل شيء ارتفاعه وعُلوُّه. والعَمَهُ التَّحَيُّر، المعنى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في غُلُوِّهِمْ وكُفْرِهِمْ يتحيَّرُونَ.

وقوله:﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً ﴾.

المعنى ـ واللّه أعلم ـ : وإذا مسَّ الإنسـانَ الضرُّ من حـال من الأحـوال فجائز أن يكون دعانا لجنبه، ودعانا وهو سَطِيح[2]، أو دَعَانَا قَائِماً.

ويجوز أن يكون: وإذا مس الإنسانَ الضر لجنبه أو مَسَّهُ قاعداً، أوْ مَسَّـهُ قائِماً، دَعَانَا[3].

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾.

المعنى مَـرَّ في العافيـة على ما كان عليه قبـل أن يُبْتَلَى، ولم يتعظ بمـا نَالَه.

وقوله:﴿كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُـوا يَعْمَلُونَ ﴾.

ويجوز زَيَّن للمسرفين.

مـوضـع الكـاف نصب على مفعـول مـا لم يسم فـاعله المعنى زُيِّنَ لِلْمُسْرِفين عملُهم كذلك أي مثل ذلك، أي جعل جَزَاءَهم الاضلالَ بـإسرافهم بكفرهم.

---

(١) أي لو استجاب اللّه دعاءهم في هذا لانتهى أجلهم تلقائياً؛ فالفعل المبنى للمجهول أولى.

(٢) أي ملقى منسطحا. ولعله يريد جالساً ليستوفي الحالات الثلاث المذكورة.

(٣) أي أن «لجنبه» يجوز أن يكون متعلقاً بمس وبدعا.

وقوله :﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبيناتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾.

المعنى كالمعنى من قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾[1]. أعلم اللَّه - جل ثناؤه أنهم لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْ أبْقَاهُمْ أبداً. فجائز أن يكون جَعَلَ جَزاءَهُمْ الطَّبْعَ عَلَى قُلُوبِهم، وَجَائزٌ أن يكون أعلم ما قَدْ عَلِمَ مِنْهُمْ[2]. والدَّليلُ عَلَى أنه طبع على قلوبهم جَزَاءً لهم قولُه: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ﴾.

قوله:﴿كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّه﴾.

[كأن] مخففة من الشديدة، المعنى كأنَّه لَم يَدْعُنَا. قالت الخنساء:

كأنْ لم يكونُوا حِمًى يُتَّقَى   إذْ النَاسُ إذاكَ من عزَّ بزَّا[3]

أي كأنهم لم يكونوا.

وقوله:﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

موضع ﴿كَيْفَ﴾ نَصْبٌ بقوله ﴿تَعْمَلُونَ﴾ لأنها حرف استفهام، ولاَ يعملُ فيها ﴿لِنَنظُرَ﴾ لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام. ولو قلت: لننظر أخيْراً تعمَلُونَ أمْ شَرًّا كان العاملُ في خيرٍ وشَيءٍ تَعْمَلُونَ[4].

وقوله:﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾.

منصوب على الحال[5].

﴿قَالَ الذينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٠١.

(٢) أي طبع على قلوبهم فلن يؤمنوا مهما عاشوا، أو هو سبحانه علم ذلك منهم وأخبر به.

(٣) تقدم جـ٢/١٢١.

(٤) الفعل ينظر معلق عن العمل بالاستفهام، والاستفهام له الصَّدارة في جملته، فما بعد كيف هو العامل فيها.

(٥) أي «بينات» حال.

لا يؤمنون بالبعث والنشور.

﴿إِئْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾[1].

أي إيت بقرآنٍ لَيس فيهِ ذكـرُ البعْثِ والنُّشُور وليس فيـه عَيْبُ آلِهَتِنَا. . أو «بَدِّلْه» أي أو بدل منه ذكر البعث والنشور.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي، إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ تأويله: إنَّ الَّذِي أَتَيْتُ به مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لا مِنْ عِنْدِي فأبدله.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُـهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَـدْ لَبِثْـتُ فِيكُمْ عُمُراً [مِنْ قَبْلِهِ]﴾.

ويجوز ﴿عُمْراً﴾ بإسكان الميم، أي قد لبثت فيكم من قبل أن يُوحَى إليَّ لا أَتْلُو كِتَاباً ولا أَخُطُّه بيميني، وهذا دليل على أنه أوحي إليَّ؛ إذْ كنتم تعـرفونني بينكم، نَشأْتُ لا أقرأ كتـاباً، وإخْبـارِي إيَّاكُم أقَـاصِيصَ الأولين مِنْ غيرِ كِتـابٍ ولا تلقينٍ يَدُلُّ عَلَى أنَّ مَا أتيتُ به من عند اللَّه وَحْيٌ.

وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ﴾.

المعنى: ما لا يَضرهم إن لم يعبدوه، ولا ينفعهم إن عبدوه.

﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَـاؤُنَا عِنْـدَ اللَّهِ، قُـلْ أَتُنَبِّئُـونَ اللَّه بِمَـا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ [وَلاَ فِي الأَرْضِ]﴾.

أي أتعبدون مَا لاَ يسمـعُ ولاَ يُبصِرُ ولا يُميِّزُ، وتزْعُمـون أنها تَشْفـعُ عندَ اللَّه، فتُخْبِرونَ بالكَذِبِ[2].

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾.

---

(١) أي إيتِ بقرآن آخر أو عدل في هذا القرآن بترك ما تكرهه منه.

(٢) في الأصل فتختبرون.

قيل يعنى بالناس ههنا العرب الذين كانوا على الشرك.

اختلفوا: آمن بعضٌ وكفر بعضٌ.

وقيل: ما كانَ الناسُ إلا أُمَّـةً واحدةً، أي وُلِـدُوا على الفطرة، واختلفـوا بعد الفطرة.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِكَ لَقُضِيَ بينَهُمْ﴾.

ويجـوز لقَضَى بينهم، أي لولا أنَّ اللّه ـ جـل وعزّ ـ جعـل لهم أجلاً في القضاء بينهم، لفَصَلَ بينهم في وقت اختلافهم(١).

وبَيْنَ منصوبة لأنها ظرف.

وقوله :﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ ﴾.

يُعنَى بالناس ههنا الكافرونَ.

وقوله :﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾.

جواب الجزاء، وهو كقوله:﴿وَإِنْ تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أيْـدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ. ﴾(٢) المعنى وإن تصبهم سيئة قنـطوا، وإذا أذقنـا النـــاس [رحمة](٣) مكروا. فإذا تنـوب عن جواب الشرط كما ينوب الفعل(٤).

وقوله: ﴿هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ﴾.

ويجوز هو الذي يَسِيرُكُمْ، ولا أعلم أحَداً قَرأَ بِها(٥).

---

(١) أي في هذه الدنيا.

(٢) سورة الروم الآية ٣٦.

(٣) زيادة يقتضيها السياق وليست بالأصول.

(٤) إذا الفجائية تقع في جواب الشرط تسد مسد الفعل الذي هو جواب الشرط.

(٥) يسيركم بمعنى يسير بكم ويسيِّركم، وسار فعل لازم فوصله بالمجرور على وجه التوسع.

﴿حَتَّى إِذَا كُنتُم فِي الفُلْكِ﴾.

الفُلك يكون واحداً ويكون جمعاً، كما أن فُعْلاً في قَوْلك أُسْـدٌ، جمع أَسَـدٍ، وفُعْلٌ وفَعَل من باب واحد، جاز أَنْ يَكُونَ جَمعُ الفَلَكِ فُلُكاً.

﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾.

ابتداءُ الكَلام خطابٌ، وبعد ذلك إخبارٌ عن غـائبٍ لأن من أقام الغـائبَ مقام مَنْ يُخَاطِبُه جاز أنْ يردَّه إلى الغائب، قال الشاعر(١):

شـطت مـزار العـاشقين فـأصبحت   عســراً على طـلابـك ابْنـةَ مَخْـرَمِ

ومثل الآية قول كثير(٢).

أسـيئي بـنـا أو أحسـني لا مـلومـةً   لـديـنـا، ولا مـقلـتـة إنْ تـقـلَّتِ

وقرأ بعضهم: هو الذي يَنْشُرُكُمْ.

وأكثر ما جـاء في التفسير في قـوله: ﴿وَمَـا كَانَ النَّـاسُ إلاَّ أمَّةً وَاحِـدةً﴾ يعنى به آدم عليه السلام.

﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: اختلف هابيل وقابيل(٣).

وقوله: ﴿جَاءَتْها رِيحٌ عَاصِفٌ(٤) وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾.

---

(١) من معلقة عنترة ـ البيت السابع منها ـ ورواية الزوزني له:

نَـزَلَـتْ بأرض الـزائريـن فـأصبحـت

ويعني بالزائرين الأعداء جمع زائر، من زأر الأسد يزأرُ ـ أي الأعداء الأشداء. والرواية المشهورة كما هي هنا، ونبه الزوزني إلى هذا الالتفات ويستشهد به النحويون على تأنيث الفعل إذا كان الفاعل المذكر مضافاً لمؤنث، وانظر شرح العشر ٩١، ومجاز أبي عبيدة ١/٢٣.

(٢) من تائيته الشهيرة ـ انظر ديوانه ٢/٤٦ ـ وأمالي القالي ٢/١٠٩.

(٣) الأولى أن يكون المراد اختلاف الناس عامة، واختلاف ولدى آدم كان فقط بداية الخلافات.

(٤) في وصف الريح بالمذكر انظر ما سبق.

المعنى من كل أمكنة الموج.

﴿وَظَنُّو أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾.

يقـال لكل من وقـع من بلاَء[1] قـد أحيط به، أي أحـاط به البـلاء وَقيل أحاطت بهم الملائكة.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ﴾.

المعنى فلمَّا أنجاهم بغَوْا، والبغي التّرامي في الفسـاد. قال الأَصْمَعِي: يقال بغى الجَرْحُ يبغي بَغْياً إذا ترامى إلى فَسادٍ، وبغت المرأة بِغَاءً إذا فَجَرَتْ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

وتقرأ ﴿متاعُ الحياة الدنيا﴾، خبراً لقوله: ﴿بغيكم على أنْفُسِكمْ﴾. ويجوز أن يكون خبر الابتداء ﴿على أنْفُسِكم﴾. ويكون ﴿متاعُ الحياة الدنيا﴾ على إضمار هو، ومعنى الكلام أن ما تنالونه بهذا الفساد والبغي إنما تتمتعـون به في الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾.

ومن نصبَ ﴿متاعَ الحياة الدنيـا﴾ فعلى المصـدر، المعنى تتمتعـون متـاع الحياة الدنيا، لأن قوله إنما بغيكم عَلى أنفسكم يدل على أنهم يتمتعون[2].

ومعنى ﴿بغيكم على أنفسكم﴾ أي عملكم بـالظلم عليكم يـرجـع[3]، كمـا قال جل وعزَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[4].

وقوله: ﴿حَتَّى إذا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وأَزَّيَّنَتْ﴾.

ويقرأ، وأَزْيَنَتْ[5].

---

(١) في الأصول ملأ ـ ولا معين له، وما بعده يدل على ما صححناه.

(٢) الظاهر أن متاع مفعول لأجله. وهو في قراءة عصم مصرب.

(٣) لا يعود إلاّ عليكم. (٤) سورة فصلت الآية ٤٦.

(٥) فالهمزة للدخول في الوقت نحو أحصد الزرع، أو كما فسرها هو

والزخرف كمال حسن الشيء، فمن قرأ . . و «ازَّيَّنَتْ» فالمعنى وتزَيَّنَتْ فأدغمت التاء في الزاي، وسكنت الزاي فاجتلبت لها ألف الوصل، ومن قرأ: «وأزْيَنَتْ» بالتخفيف فهو على أفعلتْ أي جاءت بالزينة، وازَّيَّنَتْ بالتشديد أجود في العربية، لأن أزْيَنَتْ الأجود فيه في الكلام أزَانَتْ.

﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أنهم قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾.

أي قادرون على الانتفاع بها.

وقوله: ﴿كأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ﴾.

أي كأن لم تَعْمَرْ بالأمس، والمغاني المنازل التي يعمرها الناس بالنزول بها، يقال: غنينا بمكان كذا وكذا إذا نزلوا به.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾.

السلام هو اللَّه جلّ وعزّ - فاللَّه يدعو إلى داره، وداره الجنّة، ويجوز - واللَّه أعلم - أن يكون دار السلام الدار التي يُسْلَمُ فيها من الآفات.

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.

الحسنى الجنة، و «زيادة» في التفسير النظر إلى وجه اللَّه - جلّ وعزّ، ويجوز أن تكون الزيادة تضعيف الحسنات، لأنه قال - جلّ وعزّ: - ﴿مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1]. والقول في النظر إلى وجه اللَّه كثير في التفسير وهو مَرْوي بالأسانيد الصِّحاح، لا يُشَكُّ في ذلك.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾.

القَتَر الغَبَرة التي فيها سواد، ولا يَرْهق لا يَغْشَى.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٠.

وقوله جل وعزّ، لأهل النار: ﴿كأنّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ الليل مُظْلِماً﴾.

ويقرأ قِطْعاً من الليل مظلماً من نعت القِطْع، ومن قرأ قِطَعاً جعل مظلماً حالاً من الليل[1]. المعنى أُغْشِيَتْ وجوهُهُم قِطَعاً من الليل في حال ظُلْمته.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جميعاً﴾.

﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال

﴿ثُمَّ نَقُول للَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وشُرَكَاؤُكُمْ﴾.

مكانكم منصوب على الأمر، كأنه قيل لهم انتظروا مكانكم حتى نَفْصِلَ بينكم، والعرب تتوعد فتقول مكانك[2]، وانتَظِرْ، فهي كلمة جرت على الوعيد.

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾.

من قولك زِلْتُ الشيء عَنْ مَكانِهِ أَزِيلُه، وزَيَّلْتُ للكثْرة، ومن هذا إذا نحيته عن مكانه.

وقوله: ﴿فَكَفَى باللَّه شَهِيداً﴾.

معناه كفى اللَّه شهيداً، وشهيداً منصوب إن شئت على التمييز، وإن شئت على الحال.

﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾.

معناه: ما كنا عن عبادتكم إلاَّ غافلين[3].

وقوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ﴾.

---

(١) في الأصل: حالا من الليل مظلماً.

(٢) اسم فعل أمر.

(٣) لا مجال للقصر هنا، وإنما معناه لقد كنا. فهي «إن» المخففة في خبرها لام التوكيد.

﴿هنالك﴾ ظرف، المعنى: في ذلك الوقت تبلو، وهو منصوب بتبلو إلاّ أنه غير متمكن، واللام زائدة، والأصل هناك، وكسرت اللام لسكونها وسكون الألف، والكاف للمخاطبة.

ومعنى ﴿تبلو﴾ تُخْبَرُ، أي تعلم كل نفس ما قدمت، ومثل هنالك قول زهير

هُنالِكَ إنْ يسْتَخْبِلُوا المـال يَخْبِلوا وإن يُسْألُوا يُعطُواوإن ييسروا يُغْلوا[1]

وقرئت هنالك تَتْلو بتاءين، وفسرها الأخفش وغيره من النحويين تتلو من التلاوة، أي تقرأ كل نفس، ودليل ذلك قوله: ﴿وَكُلَّ إِنْسانٍ أَلْزَمْنَاه طَائِرَهُ في عُنُقِهِ﴾ - إلى قوله: ﴿إقرا كتابَك﴾[2].

وفسروه أيضاً: تَتْبَعُ كُلُّ نَفْس ما أسلفت، ومثله قول الشاعر:

قــد جـعلت دَلْـوِي تَسْتَتْلِيني ولا أحــب تـبـع القريــن[3]

أي تستتبعني، أي تستدعي اتباعي لها.

﴿وَرُدُّوا إِلى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الحَقِّ﴾.

القراءة «الحقِّ» من صفة اللَّه عزّ وجلّ - ويجوز الحقُّ والحقَّ. والنصب

---

(١) الديوان ١١٢، واللسان (خَوَل - خَبَل) والقرطبي ٢٥٧/١ ومجاز أبي عبيدة ١٨٨/٢، ١٨٩، ورواية فيها جميعاً إن يُستخولوا المال يخولوا وأشار أبو عبيدة إلى الرواية التي هنا أنه سمعها من يونس وفي اللسان (خبل) الإخبال أنه يعطي الرجل البعير أو الناقة ليركبها ويجتز وَبَرَها وينتفع بها - يقال: أخبلت الرجل أخبله إخبالاً. وذكر البيت، وأما أن يستخولوا - فهي من خوله الشيء أي منحة وأباحه إياه.

(٢) الآية ١٣ - ١٤ من سورة الإسراء. ونصها: ﴿وكُلَّ إنسانٍ أَلزمناهُ طَائِرَهُ في عنقه ونُخْرِجُ لَـهُ يومَ القِيامَةِ كِتاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً. إقْرأْ كِتَابَك كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.

(٣) تقدم هذا الرجز في الجزء الأول ٤٥٩.

من جهتين إحداهما رُدُّو حَقًّا، ثم أدخِلت الألف واللام[1]، ويجوز على [تقدير] هو مَوْلَاهُمُ الحقُّ، أي يحق ذلك حقاً، وفيه جهة ثالثة في النصب على المدح: [هي] اذكر مولاهم الحقَّ.

ومن قرأ «الحقُّ» - بضم القاف - فعلى هو مولاهم الحقُّ، لا من جعلوا معه من الشركاء.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ﴾.

بعد أنْ قُرِّروا فقيل لهم:

﴿قل مَنْ يَرْزُقُكُم [مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمعَ والأبْصَارَ، وَمَنْ يُخْرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمَنْ يُخْرِجُ الميِّتَ مِنَ الحَيِّ ومن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ، فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ]﴾.

لما خوطبوا بما لا يقدر عليه إلا اللَّه - جلّ وعزّ - كان فيه دليل على توحيده[2].

وقوله: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾.

الكاف في موضع نَصْب، أي مثل أفعالهم جَازَاهُمْ ربُّك.

وقوله: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي حق عليهم أنهم لا يؤمنون، فإنهم لا يؤمنون بدل من كلمة رَبِّكَ.

أعلم اللَّه أنهم بأعمالهم قد مُنِعُوا من الإيمان، وجائز أن تكون الكلمة حَقَّت عليْهم لأنهم لا يؤمنون، فأنهم لا يؤمنون بدل من كلمة ربك وتكون الكلمة ما وُعِدوا به من العقاب.

---

(١) أي ردوا الرَّدّ الحقّ.

(٢) أي بعد أن ذكر لهم أن اللَّه هو المولى الحق جيء في هذه الآية بما يثبت أنه الحقُّ وحده.

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾.

تَقُول هديت إلى الحق، وهدَيتُ الحقَّ بمعنى واحِدٍ، لأن «هَدَيْتُ» يتعدى إلى المهدِيِّين وإلى الحقّ. يتعدى بحرف جر. المعنى يهدي من يشاء للحقّ.

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّن لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ [أي] قُرِّرُوا، فقيلَ لهم: أيٌّ أولى بالاتباع؟ الذي يهدي أم الذي لا يَهْدِي إلَّا أَنْ يُهْدَى.

وجاء في التفسير أنه يعْنى به الأصنام.

وفي يهدي قراءات، قرأ بعضُهم أَمْ مَنْ لَا يَهْدِّي بإسْكان الهاءِ والدَّال، وهذه القراءة مَرْوِيَة إلا أن اللفظ بها ممتنع، فلست أدري كيف قرئ بها وهي شاذَّة. وقد حكى سيبويه أن مثلها قد يتكلم به[١].

وقرأ أبو عمرو بن العلاء أم لا يَهَدِّي - بفتح الهاء - وهذا صحيح جَيدٌ بالغٌ - الأصل يَهْتَدِي فأُدْغم التاء في الدال وطرح فتحتها على الهاء والذين جمعوا بين ساكنين. الأصل عندهم أيضاً يَهْتَدِي، فأدغمت التاء في الدال وتركت الهاء ساكنة، فاجتمع ساكنان.

وقرأ عاصم أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي، وهي في الجودة كفتح الهاء في الجودة. والهاءُ على هذه القراءة مكسورة لالتقاء الساكنين، ورويت عن عاصم أيضاً «يِهِدِّي» بكسر الهاء والياء. أتْبَعَ الكسرةَ الكسرةَ، وهي رديئة لنقل الكسر في الياء.

---

(١) انظر الجزء الأول ص ٩٥ وما ذكرناه في شرح البيت:

كأنها بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر

وقرئت أم من لا يَهْدِي بدال خفيفة.

فهذه خمسة أوجه قد قرئ بها هذا الحرفُ

وقوله: ﴿فَمَالَكُمْ، كَيْفَ تَحْكُمون﴾.

﴿ما لكم﴾ كلام تامّ، كأنه قيل لهم: أي شيء لكم في عِبادَةِ الأوثانِ، ثم قيل لهم: ﴿كيْفَ تحكُمُونَ﴾: [أي] على أي حال تحكمون، فموضع كيف نصب بتحكمون.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا القُرآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

هذا جواب لقولهم: إيتِ بِقُرآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ، وجَوَابٌ لقولهم افتراه، والمعنى وما كان هذا القرآن لأن يفترى من دون اللّه ويجوزُ أن يكون المعنى: وما كان هذا القرآن افتراءً، كما تقول: وما كان هذا الكلامُ كِذباً.

﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بيْنَ يَدَيْهِ﴾.

وفيه وجهان أحدهما أن يكون تصديق الشيء الذي القرآن بين يديه، أي الذي قبل سماعكم القرآن، أي تصديقٌ من أنباء الأمَمِ السالفة وأقاصيص أنبائِهِمْ.

ويجوز أن يكون «ولكن تصديق الذي بين يدي القرآن»، أي تصديق الشيء الذي تقدمَه القرآنُ أي يدل على البعث والنشور[1].

وقرئ ولكن تَصْدِيقُ الذي بين يديه، فمن نصب فإن المعنى ولكن كان تصديق الذي بين يديه، ومن رفع فعلى ولكن تصديق الذي هو بين يديه.

ومن رفع قال: ﴿وَتَفْصِيلُ الكِتَابِ﴾.

---

(١) ما بين يديه يجوز أن يكون الشيء الذي سبقه وتقدّم عليه كما يتقدم الرجلُ الرجُلَ، ويجوز أن يكون الذي سيأتي لأنه مستقبل بالنسبة للقرآن فهو بين يديه.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ﴾.

المعنى بل أَيَقُولُونَ افْتَراهُ[1] هذا تقرير لهم لإقامةِ الحجةِ عليهِمْ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾.

أي أتقولون النبيُّ اختلقه وأتَى به من ذَاتِ نَفْسِه، فأْتُوا بسُورةٍ من مثله، أي بسورة مثل سُوَرِةٍ منه، وإنما قيل مثله، يراد سُورةً منه لأنه إنما التمس من هذا شبه الجنس.

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾.

ممن هو في التكذيب مثلكم، وإنْ خالفكم في أشياء.

﴿إِنْ كُنْتُم صَادِقِينَ﴾: في أَنَّه اختلقه.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا يُحِيطُوا بعِلْمِه﴾.

هذا، ـ والله أعلم ـ قيل في الذين كذَّبوا، وهم شَاكُّونَ ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُه﴾.

أي لم يكن معهم عِلْمُ تَأويله، وهذا دليلٌ أن علم التأويل ينبغي أن يُنْظَرَ فِيه، ويجوز أن يكون: ﴿ولَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ لَمْ يأْتِهِمْ ما يؤول إليه أمرهم في التكذيبِ به من العقوبة، ودليل هذا القول: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

كَيْفَ فِي مَوْضِع نَصْبٍ على خبر كان، ولا يجوز أن يعمل فيها. . «انْظر» لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ومِنْهُمْ مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهِ﴾.

أي منهم من يعلم أنه حق فيصدِّق به، أويعاند فيظهر الكفر،

---

(١) أم منقطعة فلا يفارقها معنى الاستفهام، والتقدير بل أيقولون.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾: أي منهم من يشك ولا يُصَدِّقُ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾.

أي ظاهرهم ظاهر من يستمع، وهم لِشدَّةِ عَـدَاوَتِهم وبغضهم للنبي ﷺ وسوء استماعهم بمنزلة الصُّم.

﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾.

أي ولو كانوا مع ذلك جُهَّالاً، وهل مثل قول الشَّاعر.

أصـم عـمـا سـاءه سـميـعُ(١)

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾.

أَيْ يُقْبِلُ عليك بالنظر وهو كالأعمى من بُغْضه لك وكـراهته لمـا يراه من آياتك، كما قال اللَّه ـ جل ثناؤه ـ. ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾(٢).

وقوله :﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ أي قَرُب عندهم ما بين مَوْتِهِم وبَعْثِهِم، كما قال ـ عزّ وجلّ:﴿لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾(٣).

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.

يَعْرِفُ بعضهُم بعضاً، وفي معرفة بعضِهِم بعضـاً وعلم بعضهم بإضـلال بعض، التوبيخُ لهم وإثباتُ الحجَّةِ عَلَيْهِمَ.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾.

يجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون هَـذا إعْلَامـاً من اللَّه ـ جَلَّ وعَـزَّ ـ بعد أن

---

(١) تقدم في الجزء الأول. ٨٢، ٢٤٢، ٣٦٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية ١٩.

(٣) سورة الكهف الآية ١٩.

بيّن الدَلالة على أَمْرِ البَعْثِ والنُّشُورِ، أنّه من كذَّبَ بَعْدِ هذه الآية فقد خَسِرَ ويَجوزُ أن يكون ـ والله أعلم ـ بِتعارُفِهِمْ بَيْنَهُم يقولون قَدْ خَسر الَّذِينَ كَذَّبُوا بلقاء اللّه.

وقوله: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾.

يقال في التفسير إنّه يعني به وَقْعَةُ بَدْرٍ، وقيل إنَ اللّهِ ـ جلّ وعزّ ـ أعلم النبي ﷺ أنه ينتقم من بعض هذه الأُمَّةِ ولم يُعْلِمْهُ أيكونُ ذلك قبل وفاته أمْ بَعْدَهَا.

والذي تدل عليه الآية أنَّ اللّه ـ جَل وعز ـ أَعْلمَه أنه إن لم ينتقم منهم في العاجل انتقم منهم في الآجل، لأن قوله: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يدل على ذلك][(١)].

وقد أعلم كيف المجازاة على الكفر والمعاصي.

وقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

المعنى ـ والله أعلم ـ أنَّ كل رسول شاهِدٌ على أمَّته بإيمانهم وكُفْرهم. كما قال ـ جلّ وعزّ ـ . ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(٢)]، وكما قال جل وعزّ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[(٣)].

ويجوز ـ والله أعلم ـ أنَّ اللّه أعلم أنه لا يعذِّبُ قوماً إلَّا بعد الإعْذارِ إليهم والإنذار، أي لم يعذبهم حتى يجيئهم الرسول، كما قال ـ جلّ وعزّ ـ:

---

(١) ليس في الأصل خبر لأن فزدنا هذه الجملة.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٣.

(٣) سورة الفرقان الآية ٣٠.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(١)، وكَما قال: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(٢).

وقوله ـ جلّ وعزّ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُم عَذَابُه بَيَاتاً أَوْ نَهاراً﴾.

البَيَاتُ كلُّ ما كان بِلَيْلٍ، وهو منصوبٌ على الوَقْتِ.

وقوله: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

ما في موضع رفع من جهتين: إحداهما أن يكون ذَا بمعنى.. «ما الَّذِي» يستعجِلُ منه المُجرِمُونَ، ويجوز أن يكون «مَاذَا» اسماً وَاحِداً، ويكون المعنى: أي شيء يستعجل منه المجْرِمُون(٣) والهاء في منه يعود على العذاب نصب، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل المجرمون من اللّه ـ جلّ وعزّ ـ.

والأَجْوَدُ أن تكون الهاء تعود على العذاب، لقوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾.

وقوله: ﴿آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

المعنى: آلْآنَ تؤْمِنُونَ، فزعمَ القرَّاءُ أن.. «آلآن» إنما هو «أَأْنْ كَذَا وكَذَا»، وأن الألف واللام دخلت على جهة الحكاية.

وما كان على جهةِ الحكايـة نحو قـولك «قام» إذا سميت به فجعلتـه مبنياً على الفتح لم تدخله الألف واللام.

وَ «الْآنَ» عِنـد سيبـويـه مبني على الفتـح. نحـو «نحن مِنَ الآنَ نصيرُ إليك». فتفتح لأن الألف واللاَّمَ إنما تدخلُ لِعهْدٍ، و «الآنَ» لم تعهده قبل هذا

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٥.

(٢) سورة النساء الآية ١٦٥.

(٣) انظر جـ١. ١٠٥، ٢٨٧، ٢٨٨.

الوقت، فدخلت الألفُ واللَّامُ للإشارة إلى الوقتِ،ة والمعنى نحن من هذا الوقت نفعل، فلما تضمنت معنى هذا، وجب أنْ تَكُونَ موقوفة[١] ففتحت لالتقاء الساكنين، وهما الألف واللام[٢].

وقوله: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هو قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾: المعنى نعم وربي.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

أي لستم ممن يُعْجِزُ أن يُجازَى عَلَى كُفْره[٣].

﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ﴾.

هَؤُلاء الدُّعاةُ الرؤَسَاءُ الكفرة، أَسَرُّوا ندامتهم.

وقوله:﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

يعني القرآنَ.

وقوله:﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾.

اللام أصلها الكسر[٤]. و﴿فَبِذَلِك﴾بدل من قوله. .﴿بِفَضْلِ اللَّهِ وبِرَحْمتِهِ﴾.

وهو يدل على أنه يعني به القرآن أيضاً.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُم مِنْه حَرَاماً وحَلاَلاً﴾.

«مَا» في موضع نصب بأَنْزَلَ، والمعنى إنكم جعلتم البحائر والسوائب[٥] حراماً والله لم يُحَرِّمْ ذلك.

---

(١) مبنية.

(٢) الآن عنده مبنية، وهذا تعليل لبنائها، وهو غير جيد كما ترى.

(٣) لا تعجزون اللَّه أَنْ يُجَازيَكُمْ.

(٤) لام الأمر في «فَلْيَفْرَحُوا».

(٥) البحائر جمع بحيرة والسوائب جمع سائبة، وهي أنواع من الإبل كانوا يحرمون ذبحها ـ ارجع إلى الآية ١٠٣ من سورة المائدة.

وقوله: ﴿وَمَا تكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْه مِنْ قُرآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾.

أيْ أيُّ وَقْتٍ تكونُ في شأن من عبادة اللَّه، وما تلوث بهِ ـ من الشَّأنِ مِنْ قُرآنٍ.

﴿إذْ تُفيضُون فِيهَ﴾:

أي إذ تَنْتَشِرُونَ فيه، يُقال: أفاض القوم في الحديث إذَا انْتَشَرُوا فيه وخاضوا.

﴿وَمَا يَعْزَبُ عنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾.

يقرأ يَعْزُبُ ويَعْزِبُ ـ بضم الزاي وكسرها ـ ومعناه ما يبْعُد، والمثقال: والثِّقْلُ في معنىً واحدٍ.

﴿وَلاَ أصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أكْبَر﴾.

فالفتح على.. ما يعزب عن ربك من مثقال ذَرة ولا مِثْقَالٍ أصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ ولا أكبرَ، والموضع موضع جر إلا أنه فتح لأنه لا ينصرف. ومن رفع فالمعنى: ما يَعْزُبُ عن ربك مثقالُ ذرَّةٍ ولا أصْغَرُ من ذلك ولا أكبَرُ إلاَّ في كِتَابٍ مُبين.

والخبر قوله: ﴿إلاَّ في كِتَابٍ مُبينٍ﴾[(1)].

وقَولُه: ﴿لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

جاء في أكثر التفسير: البشرى، الرؤيا الصالحة يراها المؤمن في منامه، وفي الآخرة الجنة، وهو ـ واللَّه أعلم ـ أن البشرى ما بشرهم اللَّه به، وهو

(١) أي تمام معنى الجملة ـ وهو ليس خبراً لمبتدأ.

قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[1]، وهذا يدل عليه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾.

أي لا يحزنك إيعادُهُمْ[2] وتكذيبُهم وتظاهُرهُم عليكَ.

﴿إِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ﴾.

إن الغلبة لله فهو ناصِرُكَ وناصر دينه.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾.

يفعل فيهم ما يشاء.

وقوله: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾.

المعنى ما عندكم من حُجَّة بهذا.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

هذا وقف التمام، وقوله:

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾.

مَرْفُوع على معنى ذلك متاع في الدنيا، ولو كانت نصباً لجَازَتْ، إلاّ أنه لا يقرأ بها لمخالفة المصحف.

وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾.

ويقرأ. . فَاَجْمَعُوا أمرَكم وشُركاءَكُمْ.

زعم القُرَّاءُ أنَّ معناه: فَاَجْمَعُوا أمرَكم وادْعُوا شركاءكم. وهـذا غلط لأن الكلام لا فائـدة فيه، لأنهم إن كـانوا يـدعون شـركاءهم لأنْ يجمعـوا أمرهم،

---

(١) سورة التوبة الآية ٢١.

(٢) وعيدهم وتهديدهم.

فالمعنى فأجمعوا أمركم مع شركائكم[1]، كما تقول لو تَـرِكَتِ الناقَـةُ وفصِيلَها لَرَضعها، المعنى لو تُرِكَتْ مَعَ فصيلها لَرَضعَها.

ومن قرأ - «وشُرَكَاؤُكُمْ» جاز أن يعطف به على الواو، لأن المنصوب قـد قوّى الكلام[2]. لو قلت لو تُرِكْتَ اليومَ وزيدٌ لعلمت [جاز] ولو قلت لو تـركت وزيدٌ لقبح، لأنـك لا تعطف على الضميـر المرفـوع حتى تقوّىَ المـرفوع بلفظ معه.

ومن قـرأ.. «وشُركـاءَكم» في قولـه[3] فاْجْمَعُـو أمركم - بـوصل الألف. فنصبـه على ضربين أحـدهمـا العـطف على الأمـر، المعنى فـاجْمَعـوا أمـركم واجمَعُوا شُركاءكم، ويكون فاجمعوا مع شركائكم أَمْرَكُمْ[4].

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾.

أي ليكن أمركم ظاهراً منكشفاً[5]، كما قال رؤبة:

بَـلْ لَـو شَهِـدتَ النَّـاسَ إذ تُكُمُّوا
بـغمـة لــو لـم تُـفَـرَّجْ غُـمُّـوا[6]

غُمُّوا بالمكروه، بِغُمَّةٍ، أي ما يَسْتَرهم، واشتقاق ذَلكَ من الغَمَـامَةِ التي تستُر، ويجوز ثم لا يكن أمركم عليكم غُمَّةً أي غَمًّا.

---

(١) بتقدير «ادعوا» يكون «شركاءكم» مفعولاً به، ودعوة الشركاء تكون أيضاً لإجماع الأمر. فأقرب من هذا أن تكون الواو للمعية أي أجمعوا أمركم مع شركائكم. هذا كلامه، والتقدير الأول يستقيم على معنى أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ليجمعوا أمرهم.

(٢) أي وجد فاصل بين ضمير الرفع والمعطوف.

(٣) أي في القراءة التي يجعل أجمعوا من الثلاثي جمع وتنصب شركاء.

(٤) المعنى حينئذ دبروا مع شركائكم أمركم.

(٥) ليكن الرأي واضحاً وفكرتكم لا غموضَ فيها في أذهانكم.

(٦) تكُمُّوا - من الكمّ وهو غلاف الثمر والحب قبل أن يظهَر، ويقال كُمَّ الفصيلُ إذا أُشفِق عليه فَسُتِرَ حتى يقوى. والغمُّ والغُمَّةُ الكرب، وتُكمُّوا غُطُّوا بالغمّ.

والرجز في اللسان (غمم - كمم).

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾.

قرئت ثم أفضوا إلي، فمن قال: ثم اقْضُوا إليَّ فالمعنى: ثم افعلوا ما تريدون. و «ثُمَّ افْضُوا» ـ بالفاء ـ وهي قريبة المعنى منها[1].

وقوله: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾.

هذا الكلام تقريرٌ لقولهم:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ للحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾. هذا اللفظ؟ أيْ إنَّ هذا لسحر مبين. ثُمَّ قَرَّرَهُمْ فقال: ﴿«أَسِحْرٌ هَذَا»؟ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾.

والمفلح الذي يفوز بإرادته أي فكيف يكون هذا سحراً[2] وقد أفلح الذي أتى به، أي فاز، وفلح[3] في حجَّته.

﴿قالوا أجِئتنا لِتَلْفِتَنا عما وَجَدْنَا عَلَيه آباءَنَا﴾.

أيْ لتَصْرِفَنَا وَتَعْدِلَنَا، يقال لفَتُّه عن الأمر ألفِتُه لَفْتاً إذا عَدَلْتُه عنه، ومن هذا قولهم التفت إليه أي عدل وجْهَهُ إليه.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ في الأَرْضِ﴾.

الكبرياءُ المُلكُ، وإنما سُمِيَ[4] المُلْك كبرياء لأنه أكبر ما يُطلَب من أمر الدنيا.

وقوله: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ﴾.

---

(١) أي انْتَهوا إليَّ.

(٢) المفلح الذي ينال ما يريد، والسحر أوهام وشعبذة، فكيف تسمون الحق سحراً.

(٣) الفلج هو الظفر والفوز ـ يقال فَلجَ الرجُلُ على خصمه يَفْلُج ويَفْلَجُ ـ كينصر وضرب ـ فَلْجاً.

(٤) في الأصل «سُمِيتْ».

أي قال موسى: الـذي جئتم به السِّحْـرُ[1]، ويقرأ مـا جئتم به، آلسِّحرَ، والمعنى أي شيء جئتم به آلسِّحرُ. هو على جهة التوبيخ لهم.

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾.

قيل إنه مكث يدعو الآباء فلم يؤمنوا، وآمنت طائفة من أَوْلادِهم.

﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾.

جـاز أن يقال مَلَئِهِمْ لأن فـرعون ذو أصحـابٍ يأتمـرون لـه، والمـلأ من القوم الرُّؤَسَاءُ الَّذِينَ يُرْجَعُ إلىَ قولِهم[2].

وقوله:﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمينَ﴾.

أي لا تُهلكنا وتعَذِّبْنَا فَيَظُنُّ آلُ فـرعون إنا إنما عُذِّبْنَا لأنَّنَا على ضلال.

وقوله:﴿واجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾.

جـاء في التفسير: اجعلوا صـلاتكم إلى البيت الحـرام، وقيـل: اجعلوا بيوتكم قبلة أي صلوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف لأنهم آمنوا على خـوف من فرعون.

وقوله:﴿رَبَّنَا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾.

ويقرأ لِيُضِلّوا عن سَبِيلك، [أي] إنك آتيت فرعون وملأه زينةً وأَمْوَالاً في الحياة الدنيـا فأَصَـارَهم ذلك إلى الضـلال كما قـال ـ جلّ وعزّ ـ﴿ فالْتَقَـطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكـونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً﴾[3] أي فـالتَقَطُوهُ وآلَ أمـرُه أنْ صار لهم عَـدُوًّا وَحَزَناً، لا أنهم قصدوا إلى أن يكون لهم عدواً وحزناً.

﴿رَبَّنَا آطْـمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾.

---

(١) تتم الجملة بهـذا، فكلمة السحر خبر، وجملة إن الله سيبطله مستأنفة، وعلى الوجه الثاني يتم المعنى عنـد «ما جئتم بـه» فتكون استفهاماً و«آلسحر»، جملة ثانية استفهامية أيضاً.

(٢) اي على خوف منه ومن الملأ.

(٣) سـورة القصص الآية ٨.

جاء في التفسير أي اجعل سُكَّرَهُمْ حجارة(١). وتأويل تطميس الشيء إذهابُه عن صورتِه والانتفاعِ به على الحال الأولى التي كان عليها.

﴿واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

أي اطبع على قلوبهم.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

دعاءٌ أيضاً عليهم. ويجوز ـ واللّٰه أعلم ـ ما قاله محمد بن يزيد. ذكر أن قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ عطف على قوله: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ أي ربنا إنك أتيتهم ليضلوا فلا يؤمنوا.

. وقوله: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾.

يروى في التفسير أن موسى دعا، وأن هارون أَمَّنَ عَلَى دُعائِهِ. وفي الآية دليل أنهما دَعَوَا جَميعاً لأن قوله: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما﴾ يدل أن الدَّعْوةَ منهما جميعاً، والمُؤَمِّنُ على دُعاء الداعي دَاعٍ أَيْضاً لأن قوله «آمين» تأويله استجب فهو سائل كسؤال الداعي.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ [الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ]﴾.

موضع ﴿تَتبعان﴾ جزم، إلا أن النون الشديدةَ دخلت للنهي مؤكِّدةً، وكُسِرتْ لسكونها وسُكون النون التي قبلها(٢)، واختير لها الكسر لأنها بعد الألف، فشبهت بنون الاثنين.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائِيلَ البَحْرَ﴾.

---

(١) اجعل أموالهم الثمينة شيئاً تافهاً لا قيمة له.

(٢) هكذا في الأصول ـ ولعله الألف التي قبلها. إذ لا نون ونون الرفع حذفت ولم تكن ساكنة ـ والتعليل الذي ذكره يؤيد هذا. كما يقال للنسوة اكْتُبْنَانِّ.

جَعَلَه اللَّهُ يَبَساً حتى جَاوَزُوه

وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾.

﴿ننجيك ببدنك﴾ نلقيك عُرياناً[(١)] وقيل ننجيك ببدنك نلقيك على نَجْوةٍ من الأرض، وإنما كان ذلك آيةً لأنه كان يَدَّعِي أنَه إلَهٌ وكان يعبُده قومُه، فبيَّنَ اللَّه أمْرَه وأنه عَبْدٌ.

وفيه من الآية أنه غرِق القومُ وأُخْرِجَ هو مِنْ بيْنهم فكان في ذلك آية.

وقوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرأُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

هذِه آية قد كثر سُؤَالُ الناسِ عنها وخوضُهم فيها جِدًّا، وفي السورة ما يدل على بيانها وكشف حقيقتها: -

والمعنى أن اللَّه - جلّ وعزّ - خاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق فالمعنى: إن كنتم في شك فاسألوا، والدليل على ذلك قوله في آخر السورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾.

فأعلم اللَّه - جلّ وعزّ - أن نبيَّه ﷺ ليس في شَكٍّ، وأمرُه أن يَتْلُوَ عليهم ذَلِكَ.

ويروى عن الحسن أنه قال: لم يَسألْ ولم يَشُكَّ، فهذا بَيِّنٌ جداً.

والدليل على أن المخاطبة للنبي مخاطبةٌ للنَّاس قوله: ﴿ يَا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[(٢)]. فقال طَلَّقْتُم ولفظ أول الخطاب للنبي

---

(١) من نجوت الشاة أي سلختها ونجوت الرجل أي كشفت ثيابه.

(٢) أول سورة الطلاق.

وحده فهذا أحسن الأقوال وفيها قولان اخران.

فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الـذين، كما تقـول للرجل: إن كنت أبي فتعـطف عليَّ، أي إن كنت أبي فواجِبٌ أنْ تتعـطف عليَّ، ليس أنـه شك في أنه أبوه.

وفيها وجْهٌ ثَالِثٌ[١]: أن تكون «أنْ» في معنى «مَا» فَيكون المعنى مـا كنت في شكٍّ مِمَّا أنْزَلنا إلَيْكَ، فاسأل الذين يقـرأون، أي لسنا نـأمرك لأنـك شاك، ولكن لتزداد، كما قال إبراهيم: ﴿أَو لم تؤمن قـال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾[٢] فـالزيـادة في التثبيت ليست مما يبـطل صحة القَصْد ﴿فَلَوْلَا كَـانَتْ قَـرْيَـةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمَانُهَا﴾.

فهلاَّ كانت قرية، قال الشاعر[٣].

تَعُـدُّون عَقْـرَ النِّيبِ أفْضَـل مَجْـدكم بني ضَـوْطَرَى، لَـوْلاَ الكميَّ المقنَّعَا

---

(١) هذا هو الوجه الثاني من الوجهين الآخرين اللذين ذكرهما.

(٢) كما قال إبراهيم . . . ﴿أَوَلَمْ تُؤمن﴾.

(٣) هو جرير يهجو الفرزدق. وكانت حدثت مجاعة بالكوفة، حَمَلتِ الناس على الخروج إلى البادية: فذبح غالب والد الفرزدق نَاقة ـ لقومه وأهْدي سحيمَ بن وثيل منها فلم يقبل وذبح مثلها. وذبح غالب اثنين وباراه سحيم فذبح غالب مائة وعجز سحيم عن ذبح مثلها. ولكن قومه لاموه بعد ذلك فذبح ثلاثمائة وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب فنهى الناس عن الأكل منها وبقي لحمها مطروحاً. وسحيم هذا قد يلتبس بسحيم عبدبني الحسحاس. ولكنه سحيماً هذا شاعر مخضرم يمني شريف من بني يربوع له شعر جيد وصفات حميدة، يقال إنه عاش مائة عام منها ستون في الإسلام.

وانظر البيت والقصة في الخزانة ٣/١٦٤ (السلفية) الشاهد ١٦٤ وانظر العيني ١/٤٨٢، وشواهد المغني ٢٢٩، والأغاني ٨/١٥٣، وذيل الأمالي ٥٢ وبه. أشعار أخرى في هذا الحادث.

ورجل ضوطرى أي ضخم كثير الشحم. أراد جرير أن يسخر من الفرزدق بهذه التسمية.

والمعنى أن عقر النوق لا فخر فيه لكم، وإنما يفتخر بقتل الشجعان الشاكي السلاح وأنتم لا تستطيعون ذلك. وينسب البيت أيضاً لغير جرير.

أي فهلاَّ تَعُدّون الكميَّ، والكمي الداخل في السلاح، والمعنى: فهلا كان أهل قرية آمنوا.

وقوله: ﴿إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ﴾.

استثناء ليس من الأول، كأنه قال لكن قوم يونس لما آمنوا.

وقوله: ﴿فَنَفَعها إيمَانُها﴾.

معناه هلا كانت قرية آمنت في وقت ينفعهم الإيمان، وجرى هذا بعقب قول فرعون لما أدركه الغرق: ﴿آمَنْتُ أنَّه لاَ إلَهَ إلاَّ الَّذِي آمَنَتْ به بَنُو إسْرائِيلَ﴾. فأعلم اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ أن الإيمان لا ينفع عند وقوع العذاب ولا عند حُضُورِ الموت الذي لاَ يُشَكُّ فيه. قال اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوبَةُ للَّذِينَ يَعْمَلُون السَّيئَاتِ حَتَّى إذَا حَضَر أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾(١).

وقوم يونس ـ واللَّه أعلم ـ لم يقع بهم العذاب، إنما رأوا الآية التي تدل على العذاب، فلما آمنوا كُشِفَتْ عنهم.

ومثل ذلك العليل الذي يتوب في مَرَضِه وهو يرجو في مرضه العافيةَ ولا يخافُ الموتَ فتوْبته صحيحةٌ.

أما الذي يعاين(٢) فلا توبة له، قال اللَّه ـ عزّ وجلّ في قِصَّتِه: ﴿وَإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلاَّ لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾(٣).

فأمّا النصب في قوله: ﴿إلاَّ قومَ يُونسَ﴾ فمثله من الشعر قول النابغة:

---

(١) سورة النساء الآية ١٨.

(٢) يُعاينُ الموتَ ويُوقن وُقُوعَه.

(٣) سورة النساء الآية ١٥٩.

وقفت فيها أُصَيْلالاً أسائلها أَعْيت جواباً وما بالربع من أحد
إلاَّ الأواري لأياً ما أُبَيِّنُها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجَلدِ[1]

ويجوز الرفع على أن يكون على معنى فَهَلاَّ كانت قرية آمنت غيرُ قومِ يونس، فيكون.. ﴿إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ..﴾ صفة.

ويجوز أن يكون بدلاً من الأول، لأن معنى قوم يونس محمول على معنى هلاّ كان قَوْمُ قريةٍ، أو قوم نبي آمنوا إلا قوم يونس. ولا أعلم أحداً قرأ بالرفع.

وفي الرفع وجه آخر وهو البدل، وإن لم يكن الثاني من جنس الأول[2]، كما قال الشاعر[3].

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيسُ

وقوله:﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إلاَّ بِإذْنِ اللَّهِ[3]﴾.

---

(١) البيتان الثاني والثالث من قصيدته:

يا دَار مية بالعلياء فالسَّنَدِ أقوت وطال عليها سالف الأَمَد

ويروى البيت الأول ـ وقفت فيها أصيلاً كي، ووقفت فيها طويلاً.

والأواري جمع آرِي، وهو مربط الدواب، ولأياً ما أبينها، أي انطمست فلا تكاد تعرف إلا بمشقة.

والنؤي الحفرة حول الخيمة ليجتمع فيها الماء والمظلومة الأرض التي لم تمطر، والجلد الأرض الصلبة الغليظة.

انظر شرح العشر للزوزني ١٩٦ ط صبيح، والديوان من الستة ٢٤.

(٢) أي هو استثناء منقطع.

(٣) هو جران العود النميري، وهو عامر بن الحرث. وقبله:

قد ندع المنزل يا لميس يعتس فيه السبع الجروس

ولميس هي زوجته، ويعتس فيه السبع أي يجول ليلاً، والجروس من الجرس وهو الصوت، أي السبع ذو الصوت. ويروى البيت: ـ بسابسا ليس به أنيس ـ، أي ما يؤتنس به إنساناً كان أو غيره. والبيت في ابن يعيش ٢/ ٨٠ والخزانة ١٩٧/٤ والعيني ١٠٧/٣ والشاهد أن الاستثناء منقطع، ومع ذلك رفع.

معناها وما كان لنفس الوصلة إلى الإيمان إلا بمَا أعْلَمها اللّهُ منه، ويكون أيضاً إلا بتوفيق اللّه، وهو إذنه.

﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾.

والرجس العذاب، ويقال هو الرِّجزُ.

وقوله:﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِي المُؤْمِنِينَ﴾.

ونُنْجِيْ، أي إذا أهلكت قرية أنجى اللّه الأنبياء، والمؤمنين مما يَنْزِلُ بأهْلها.

فإن قال قائل: فهلّا كانت قرية آمَنَتْ، ألم يؤمن أَحَدٌ من أهل القرى؟ فالمعنى أن أهل القرى ذكر اللّه في جمهورهم الكفر، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[1].

فأما من قرأ. . «نُجِّي المُؤْمِنِينَ» فلا وجه له. وقد نجّي النجاء المؤمنين. . وهذا روي في القراءة عن عاصم في سورة الأنبياء ولا وجْهَ له.

---

(١) سورة الأعراف الآية ٦٦.

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾.

كتاب مرفوع بإضمار هذا كتابٌ، وقال بعضهم: كتابٌ خبرٌ «الر» وهَذَا غلطٌ، لأن قوله: ﴿كتابٌ أُحْكِمتْ آياتُهُ (ثم فُصِّلَتْ﴾ ليس هو «الر» وحدها. وفي التفسير أحكمت آياته)[1] بالأمر والنهي والحلال والحرام ثم فصلت بالوعد والوعيد.

والمعنى ـ والله أعلم ـ أنَّ آيَاتِه أُحْكِمتْ وَفُصِّلَت بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على التوحيد، وإثبات نبوَّة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وإقامَةِ الشرائع.

والدليل على ذلك قوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيءٍ﴾[2] وقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

ويدل على هذا قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدوا إلَّا اللَّهَ إنني لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

المعنى ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثم فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكيمٍ خَبيرٍ﴾.

---

(١) هذه الجملة ـ ساقطة من ط ـ ولا يتم المعنى بدونها.

(٢) الأنعام الآية ٣٨.

(٣) سورة يوسف الآية ١١١.

أي من عند حكيم خبير، لإنْ لا تعبدوا إلاَّ اللَّه.

وموضع أن نصب على كل حال[1].

(وقوله: ﴿إنني﴾. مقول قول مُقَدَّر، أي قل يا محمد لهم إنَّني لكم منه، أي من جهة اللَّه «نَذِيرٌ» أي مُخَوِّفٌ من عَذابِه لمنْ كفرَ، و «بَشِير» بالجنة لمن آمَنَ)[2].

وقوله :﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾.

أي وأمركم بالاستغفار.

﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً ﴾.

أي يُبْقِيكُمْ ولا يَسْتَأصِلُكُمْ بالعذاب كما استأصلَ أهل القرى الذين كفروا.

﴿ويؤتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾.

أي من كان ذا فَضْلٍ في دينه فَضَّله اللَّه بالثواب، وفَضَّله بالمنزلة (في الدنيا)[3] بالدين كما فَضَّلَ أَصْحَابَ نبيه (عليه السلام)[3].

وقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُم لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ «ألا» معناها التنبيه ولا حَظَّ لها في الاعراب، وما بَعْدَها مبتدأ.

ومعنى ﴿يَثْنُونَ صُدورَهُمْ لِيَسْتَخْفوا﴾، أي يُسِرُّون عداوة النبي ﷺ.

وقيل إن طائفة من المشركين قالت: إذَا أغْلَقْنَا أبوَابَنَا وأَرْخَيْنَا سُتُورَنا، واسْتَغْشَيْنَا ثِيَابَنَا، وثَنَيْنَا صُدُورَنَا على عداوةِ محمد ﷺ كيف يعلم بِنَا، فأَعْلَمَ

---

(١) على هذا التقدير هو في موضع نصب بعد حذف الجار، والأولى تقدير قول محذوف أو ما فيه معنى القول أي قائلاً أو منادياً فتكون أن تفسيرية.

(٢) هذه الجملة في ر فقط.

(٣) ساقط من ط.

ـ جلّ وعزّ ـ بما كتموه فقال جلّ ثناؤه: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهم يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

وقُرِئَتْ ألَا إنهم يَثْنَوْنِي صدورُهم. قرأها الأعمش ورُوِيتْ عن ابن عباس «تَثْنَوْني» صُدورُهم، عَلَى مِثال تَفْعَوْعِلُ[1] ومعناها المبالغة في الشيء، ومثل ذلك قد احْلَوْلَى الشيءُ إذَا بلغ الغايةَ في الحلاوة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾.

قِيلَ ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ مَأْواها على ظهر الأرض، ﴿وَمُسْتَوْدَعَها﴾ ما تصير إليه، وقيل أيضاً: مُسْتَقَرُّها في الأصْلاب ومستودعها من الأرحام.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

أي ذلك ثابت من علم اللَّه. فجائزٌ أن يكون في كتاب، وكذلك قوله ـ جلّ وعزّ ـ : ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرأَهَا﴾[2].

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ اللَّه قادر على أن يخلقَها في لحظة، لأنه على كل شيء قدير، وإذا خَلَقَهُمَا وقَدَّرَهُمَا هذا القَدْر العَظِيم ـ والسَّمَاءُ ليسَ بينها وبَيْنَ الأرْضِ عَمَدٌ يُرَى ـ في سِتَّة أيَّامٍ علم أنَّ مَنْ كانَتْ قُدرَتُه هذه القدرة لم يُعْجِزْه شَيءٌ. قال اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[3].

وكان المشركون يُكذِّبُونَ بأنَّهُ يَبعَثُ الموتَى، ويُقِرُّونَ أنَّه خَالِق السَّموات والأرض.

---

(1) الفعل أثْنَوْنَى، بمعنى انثنى.

(2) سورة الحديد الآية ٢٢.

(3) سورة الأحقاف الآية ٣٣.

وقوله : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ﴾.

هذا يدل على أن العرشَ والماءَ كانا قبلَ السَّمواتِ والأرضِ.

وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

معناه ليختبركم الاختبار الذي يجازيكم عليه، وهو قد علم قبل ذلك أيُّهم أحْسنُ عملاً، إلاَّ أنَّه يجازيهم على أعمالهم لاَ عَلى عِلْمِه فيهم.

﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُم مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

ويقرأ إلا ساحِرٌ مبين، والسحر باطل عندهم، فكأنهم قالوا: إنْ هَـذَا إلاّ بَاطِلٌ بَيِّنٌ.

وأعلمهم اللَّه - عزَّ وجلّ - أنَ القدرةَ عَلَى خَلْقِ السَّمَواتِ والأَرْضِ تدل على بَعْث المَوْتى. وأهلُ الكفر مُختلفون في البعث فالمشركون يقولون إنهم لا يُبْعَثُونَ البَتَّةَ ولا يرْجعُونَ بعد موتهم، واليهود والنصارى يَـزْعُمُ أن[1] لا أَكْلَ ولا شُربَ ولاَ غَشْياً للنساءِ في الجنة وكلٌّ كافرٌ بالبعث على جهته[2].

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾.

معناه إلى أجل وحين معلوم، كما قال اللَّه تعالى ﴿. . وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[3]. أي بعد حين.

وقوله :﴿أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾.

﴿يَوْمَ يَأْتيهم﴾ منصوبٌ بمصروف، المعنى ليس العذاب مصروفاً عَنْهُمْ يَوْمَ يأْتيهمْ.

---

(١) ر - يزعم.

(٢) ر - وكلهم كافرٌ.

(٣) سورة يوسف الآية ٤٥.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

كما تقول أحاط بفلان عَمَلُه، وأهلَكَهُ كَسْبُه، أي أهلكه جزاءُ كسبِه وعاقبتُه.

وقوله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُم نَزَعْنَاهَا مِنْه إِنَّه لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾.

يعني الكافر، والرَّحْمَةُ الرِّزقُ، ههنا، والإنسانُ اسم للجنس في معنى الناس.

وقوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾.

استثناء ليس من الأول(١)، المعنى لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾.

يُرْوَى أنّ المشركين قالوا للنبيّ ﷺ لَوْ تَرَكْتَ عيْبَنا وسَبَّ آلِهتِنا لجالسناك، ومعنى أن يقولوا لَوْلاَ أُنزِلَ عليه كنزٌ معناه كراهةَ أن يَقُولُوا.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾.

أي إنما عليك أنِ تُنذِرَهُم وتَأْتِيَهُمْ من الآيات بما يُوحَى إليك وليس عليك أن تأتيهم بشهواتهم واقتراحهم الآيات. ثم أعلمهم وجه الاحتجاج عليهم فقال جلّ وعزّ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [أي] أيقولون افتراه(٢).

---

(١) منقطع.

(٢) ر ـ المعنى بل أيقولون.

﴿قُلْ فَأتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مثله﴾.

أي مثل سورة منه، أيّ سورة منها[١].

﴿وادْعُوامَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أي اطلبوا أن يعاونكم على ذلك كلُّ من قدرْتُم عَليه، ورجَوْتُم مُظاهَـرَتَه ومعاوَنَتَه.

﴿فَإنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾.

ومعنى ﴿أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾، أي أُنْزِلَ واللَّه عَالِم بإنْزَاله، وعـالم أنه حقٌّ من عنده.

ويجوز أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ أي بما أَنْبأَ اللَّه فِيهِ من غَيْب وَدَلَّ على ما سَيكُونُ وما سلف مما لم يَقْرأ به النبي ﷺ كتـابـاً[٢] وهـذا دليل على أنه من عند اللَّه.

وقوله تعـالى: ﴿مَنْ كَانَ يُـرِيدُ الحَيَـاةَ الدُّنْيَـا وَزِينَتَهَا نُـوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمَالَهُم فِيهَا﴾.

أي نجازيهم على أعمالهم في الدُّنْيَا.

فأمَّا كان في باب حُروفِ الجزاء ففيها قولان:

قـال أبو العبـاسِ محمد بنُ يـزيدَ: جـائزٌ أن تكـون لِقُـوَّتهَـا عَلى معنى المَضِيّ عبارةً عن كل فعل مَاضٍ، فهـذا هو قـوتها، وكـذلك تـأوَّلُ قولـه ﴿إنْ كنْتُ قُلْتُه فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾[٣].

---

(١) في الأصول كل سورة.

(٢) أنزل بعلم الله اي مشتملاً عـلى علم الله ومتلبساً بغيبه من الأحداث التي لا يعلمها إلا قـارئـو الكتب والنبي لم يقرأ كتاباً.

(٣) سورة المائدة الآية ١١٦.

وحقيقها ـ والله أعلم ـ من تعلم منه هذا، فهذا على باب سائر الأفعال، إلا أنَّ معنى ﴿كان﴾ إخبارٌ عن الحالِ فيما مضى من الدهر، فإذا قلت سيكون عالماً فقد أنبأتَ أنَّ حاله ستَقع فيما يستقبل، فإنما معنى كان ويكون العبارة عن الأفعال والأحوال[١].

وقوله ـ جلّ وعزّ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾.

قيل في التفسير إنه يعني محمداً ﷺ ويتلوه شاهد منه، أي شاهد مِنْ رَبِّه، والشاهِدُ جبْريلُ، وقيل يَتْلوه البرهانُ، والذي جرى ذكر البَيِّنَةُ، لأن البينة والبرهان بمعنىً واحدٍ.

وقيل ويَتْلوه شَاهدٌ منه يعني لسان النبي ﷺ أي أفمن كان على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه، وكان معه من الفضل ما يبين تلك البينة كان[٢] هو وغيره سواء، وترك ذكر المضادِّ لَهُ لأن فيما بعده دليلاً عليه[٣] وقوله: ﴿مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى والأَصَمِّ والبَصِيرِ والسَّمِيعِ﴾[٤].

ويجوز أن يكون ـ والله أعلم ـ أفمن كان على بينة من ربه يعني به النبي ﷺ وسائر المؤمنين، ويكون معنى.. ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ يتلوه ويتبعُه، أي يتبع البيانَ شاهدٌ من ذَلِكَ البيانِ، ويكون الدليل على هذا القول: ﴿أُولئِكَ يُؤمِنُون به﴾ ويكون دليله أيضاً: ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت﴾، فاتّباع الشاهد بعد البيان كاتباع التفصيل بعد الأَحْكَامِ.

وقوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِه كِتَابُ مُوسَى إمَاماً وَرَحْمَةً﴾.

---

(١) كان تقع في الشرط تعبيراً عن حُدُوثِ أيّ شيء، فشرحها المبرد بما فصله النص ـ وهذا هو الوجه الأول فيها، والوجه الثاني ما شرحه هو من أنها على باب الأفعال الأخرى.

(٢) أي أيكون هو وغيره سواء؟

(٣) المضادّ أي أفمن كان كذلك كمن ليس له هذه الصفة.

(٤) أي في هذه الجملة دليل أيضاً على المحذوف.

أي وكـان من قبل هـذا كتابُ مـوسى دَليلاً على أمـر النبي ﷺ، ويكون كتاب موسى على العطف على قوله ويتْلُوه شاهـدٌ مِنْه ومِنْ قبله كتَـابُ موسى، أي وكـان يتلوه كتـاب مـوسى، لأن النبي بَشَّـر بـه مـوسى وعيسى في التَّـورَاةِ والإنجيل، قال اللَّه ـ جـلّ وعزّ ـ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الـرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّـذِي يَجِدُونَه مَكْتُوباً عندهم في التَّورَاةِ والإنْجِيل﴾(1).

ونصب ﴿إمَاماً﴾ على الحال، لأن كِتَابَ موسى معرفة.

﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾.

يجـوز كسر الميم في مِـرْيةٍ وضمُّهـا، وقد قُـرِئ بهما جَميعـاً في مِرْيَـةَ ومُرْية.

ويجـوز نصب ﴿كتاب موسى﴾، ويكون المعنى: ويتلوه شـاهدٌ منـه وهو الذي كان يتْلِو كتابَ موسى. والأجْودُ الرفعُ، والقِراءةُ بالرّفع لا غير.

وقوله: ﴿أولَئِكَ يُعْرَضُـونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَـادُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَـذَبُوا على رَبِّهِمْ﴾.

الأشهـاد هم الأنبيـاء والمؤمنـون، وقـال أُولئـك يعْـرضـون على رَبّهم، والخلقُ كلهم يُعْـرضون على ربهم، كمـا قال جـلّ ثناؤه ﴿إلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾(2) و ﴿إلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾(3) فذكر عرضهم على ربهم توكيداً لحالهم في الانتقام منهم.

وقوله: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ﴾.

لعنة اللَّه ابعاده من يلعنه من عفوه ورحمته.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَها عِوَجاً﴾.

---

(1) الأعراف الآية 157.

(2) سورة لقمان الآية 23.

(3) سورة مريم الآية 40. ﴿إنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

أي يَصُدُّونَ عن طريق الإيمان بالنبي ﷺ يريدون رَدَّ السبيل التي هي الإيمان والاستواء إلى الكُفرِ والاعوجاجِ عن القصد.

﴿وَهُمْ بالآخِرةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

ذكرت هم ثانية على جهة التوكيد لشَأْنِهِمْ في الكُفْر

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ في الأَرْضِ﴾.

أي الله لا يعجزه انتقامٌ من دَارِ الدنيا، ولا وَلِيَّ يمنع من انتقام الله لمن أراد به النقمة، ثم استأنف فقال: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ العَذَابُ﴾.

فوصف مضاعفة العذاب على قَدْر ما وَصَفَ من عِظَم كُفْرهم بنبيه ﷺ وبالبعث والنشور.

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾.

أي مِنْ شدَّةِ كُفْرهم وعَداوَتِهم للنبي لا يستطيعون أن يسمعوا ما يقول، ثم بيَّنَ - جلّ وعزّ - ضَرَرَ ذلك عليهم فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرونَ﴾.

وقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾.

قال المفسرون: المعنى جزاء حقاً[1]، أنَّهم في الآخرة هم الأخسرون وزعم سيبويه أنّ جرم بمعنى حَقَّ، قال الشاعر[2].

---

(١) ط قال المفسرون جزاء حقاً.

(٢) هو أبو زياد بن أسماء بن الضربة أو عطية بن عفيف، يرثي كرز ابن عامر، وكان طعن حصين بن حذيفة الفزاري طعنة مميتة يوم بني عقيل وهو يوم الحاجر - وقد ولى حصينة على بنيه عند موته ابنه عيينة، وهو حذيفة بن حصن لقب أبا عيينة لجحوظ عينه وانظر أمالي المرتضى ٤/١٦٩، والبيت في كتاب سيبويه ٣/١٣٨، والخزانة ٤/٣١٠ - واللسان (جرم) ومجاز أبي عبيدة ١/١٤٧ ومعاني الفراء والبيت طعنتَ بالخطاب لأنه يخاطب كرزاً.

ولقد طَعَنْتَ أبا عيينة طعنة جَرَمَتْ فزارَةَ بعدها أن يَغضبُوا

معناه أَحَقَّت فزَارةَ الطعنةُ بالغضب.

ومعنى «لا» نفي لما ظنُّوا أنه ينفعُهم، كأن المعنى لا ينفعهم ذلك جرَمَ أنَّهم في الآخِرةِ هُمُ الأَخْسرون، أي كَسَبَ ذلكَ الفعلُ لهم الخسرانَ ثم ضرب اللَّه مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال:

﴿مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأَعْمَى والأَصَمِّ والبَصِيرِ والسَّمِيعِ﴾.

ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم لأنهم في عداوتهم وتركهم التفهم كمن لا يسمع ولا يبصر.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إلىَ قَوْمِهِ إنّي لكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

كسر إنَّ في القراءة على معنى قال لهم إنّي لكم نذير مُبينٌ(١)، ويجوز أني لكم نذير مبينٌ على معنى: لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه بالإنذار أنْ لاَ تَعْبُدوا إلاَّ اللَّه اني أنذركم لتُوَحِّدوا اللَّهَ، وأنْ تتْركوا عبادَة غيره(٢).

﴿إنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

يجوز في غير القراءة: إني أخاف عليكم عذاب يومٍ أليماً، لأن الأليم صفة للعذاب، وإنما وصف اليوم بالألم، لأنَّ الألمَ فيه يقع، والمعنى عذاب يومٍ مُؤْلِمٍ، أي مُوجِعٍ(٣).

﴿فَقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾.

---

(١) لا داعي لهذا، لأن الجملة مستأنفة.

(٢) فتحها يكون بتقدير حرف جر.

(٣) وصف اليوم بأنه أليم يستتبع أنواعاً كثيرة من العذاب ـ مثل مشقة اليوم وشدّة حره، وإهانة الزبانية... وهكذا ـ والعذاب يصرف الذهن عادة إلى عذاب جهنم.

﴿الملأ﴾ رُؤَسَاءُ القَوْمِ وكبراؤهم الَّـذِينَ هم مُلاءٌ بـالرأي وبمـا يحتاج إليـه منهم. أي فأجابوه بهذا الجوابِ وَالْقَوْلِ.

﴿[مَا نَراكَ إلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا]﴾.

أي ما نراك إلا إنساناً مثلنا، ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾.

أي لم يتَّبِعْكَ الملأ مِنا، وإنما اتبعك أخِسَّاؤنا.

وقوله: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾.

بغير همزٍ في بادي، وأبو عَمْرٍو يهْمِزُ بَادِىءَ الرَّأْي، أي اتبعوا اتباعاً في ظـاهر مـا يُرى، هـذا فيمن لم يهْمِزْ، ويكـون التفسيـر على نـوعين في هـذا أَحَدُهمَا أن يكون اتّبعُوكَ في الظاهر، وبَـاطِنُهم عَلَى خلافِ ذلِك. ويجوز أن يكونَ اتبعوك في ظاهر الرأْي ولم يتَدَبَّرُوا مَا قُلتَ ولم يفكِّـرُوا فيه وقـراءة أبي عمـرو على هذا التفسير الثاني، [أي] اتبعـوكَ ابتداء الـرأي، أي حين ابتدأوا ينظرون وإذا فكَّروا لم يتبعوك.

فـأما نصب بَـاديَ الرأْيِ فعلى: اتبعـوك في ظاهـر الرأي، وعلى ظـاهر الرأي، كأنـه قال: الاتبـاع الذي لم يفكـروا فيه. ومن قـال باديَ الـرأي فعلى ذلك نَصَبَه(١).

﴿قَالَ يَا قَـوْمِ أَرَأَيْتُم إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَـانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْـدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

كـذا أكثر القـراءة - بفتح العين والتخفيف(٢) - وقد قرِئَتْ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ - بضـم العَيْن وتَشْدِيد الميم -

هـذا ما أجـابهم به في أن قـالـوا: إن الـذين اتَّبعُـوكَ إنَّمَـا اتبعـوكَ غيـر

(١) على هذا هو مفعول مطلق أي أتباعاً، أو هو حال، كما تقول أتبعه غافلاً أو ناسياً.

(٢) فعَميتْ - وقراءة عاصم عُمِّيتْ.

محقّقِينَ. فأعلمهم أنهم مُحَقِّقُونَ بهذا القول لأنه إذا كان على بَيِّنـةٍ، ـمن آمن به فعَالِمٌ بَصِيرٌ مَفْضُولٌ له، وأنّ من لم يفهم البيِّنَةَ فقد عَمِيَ عليه الصوابُ.

وقوله: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

أي فعَمِيتِ البينَةُ عليكم[1]

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾.

القراءة بضم الميم، ويجوز إسْكـانُها عَلَى بُعْـدٍ لِكثْرةِ الحـركات وثِقَـلِ الضَّمَةِ بعدَ الكسرة. وسيبَوَيه والخليلُ لا يُجيزَانِ إسكانَ حرف الإعراب إلا في اضطرارٍ، فأما ما رُوِيَ عن أبي عَمْرو مِن الإسْكانِ فلم يُضبْط ذلك عنه، ورواه عنه سيبويه أنه كان يخفف الحركات ويختلسها، وهذا هو الوجه[2].

وقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾.

وَإذَا لاَقُوا ربَّهُمْ جَازَى مَنْ ظَلَمهُمْ وطردَهُم، بجزائِه من العَذَاب.

وقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً﴾.

﴿تَزدَرِي﴾ تستسفِل[3] وتستخس. يقال: زرَيْتُ على الرَّجُل إذَا عِبْتَ عَلَيْه وخسَّسْتَ فِعْلَه. وأزْرَيْتُ إذَا قَصَّرتُ به وتَزْدَرِي أصله تزتَري بالتاء، إلا أن هذه التَّاءَ تبدل بعـد الزَّاي دَالاً، لأنَّ التـاء من حـروف الهمس، وحـروف الهمس خفيّـة فالتاء بعد الزاي تخفى، فأبْدِلَتْ منها الدَّالُ لِجَهْرِهَا، وكذلـك يفتعل من الزينة يَزْدَان، تقول: أنت تزدان يا هذا.

وقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً﴾.

---

(١) قراءة حفص فَعُمِّيَتْ.

(٢) تقدم هذا في الآية ﴿يكادُ البرقُ يخْطفُ أبصَارَهُمْ﴾ و ﴿فتوبوا إلى بَارِئِكُمْ﴾.

(٣) تعدُّهم سِفْلَةً أخِساءَ.

لأنهم قالوا: ﴿اتَبَعَكَ أَرَاذِلُنَا﴾.

وقوله:﴿اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي إن كنتم تزعمون أنهم إنما اتبعُوني في ظَاهِرِ الرَّأْيِ والذي أدعو إليه توحيد اللَّه، فإذا رأيت من يُوَحِّدُ اللَّه جلّ ثناؤه عملتُ على ظاهره، واللَّه أعلم بما في نفْسِه، لا يعلم الغيب إلاَّ اللَّه.

وقوله: ﴿فَأَكْثَرتَ جِدَالَنَا﴾.

ويقرأ فأكْثَرتَ جَدَلنا، والجَدَل والجِدالُ المبَالَغَةُ في الخُصُومةِ والمناظَرة، وهو مأخوذٌ مِنَ الجَدْل وهو شدة الفَتْل، والصَّقْرُ يقال له أَجْدَل لأَنَّه من أشَدِّ الطير.

وقوله: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ إِنْ يُغْوِيَكُمْ﴾.

﴿يُغْوِيَكم﴾ يُضِلكم ويهلككم.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾.

معناه بل أيقولون افتراه.

﴿قل إن افتَريتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾.

من قولك أجرم الرجل إجرَاماً، ويقال جَرَّمَ في معنى أجْرَمَ، وأكثر ما تستعمل أجرم فِي كَسْبِ الإثم خاصّةً يقال رجل مُجْرِمٌ وجَارِم. ويجوز فَعَلَيَّ أَجْرامي على جمع جُرْم وهو على نحو قوله.. ﴿واللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهم﴾[1]، وأَسْرارهم إلا أن القراءة بكسر الألف، وإجرامي على المصدَر.

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

فلذلك - واللَّه أعلم - استجارَ نوح بقوله:﴿لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ

(١) سورة القتال الآية ٢٦.

الْكَافِرِينَ دَيَّاراً. إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ﴾[1].

أعْلِمَ أَنَّهم لاَ يَلِدُون إلاَّ الكَفَرةَ. بقوله تعالى: ﴿أنه لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تبتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلونَ﴾.

مَعْناهُ لا تحزن ولا تَسْتَكِنْ.

وقوله: ﴿واصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

الفُلْكُ السفينة، والفَلَك يكون واحداً ويكونُ جمعاً كما أنهم قالوا أَسَدٌ وأُسْد، قالوا في الواحد فَلَك وفي الجمع فُلْك، لأن فَعْلا وفَعَلا جمعُهـا واحدٍ ويأتيان بمعنى كثيراً، يقال العُجْم والعَجَم، والعُرْب والعَرَبِ والفُلكْ والفَلَك. والفَلْكة يُقَالُ لكلّ شيءٍ مسْتَديرٍ أو في استدارة.

ومعنى: ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾.

أي بإبْصَارنا إلَيْكَ وحفظنا لك، وبما أوحيْنا إلَيْك

﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.

(المعنى: لا تخاطبني في إمهال الذين كفروا إنهم مغرقون)[2].

ثم أخبر اللَّه ـ جَلَّ ثناؤه ـ بعَمله الفلك فقال:

﴿وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْه مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِروا مِنْه﴾.

يقال في التفسير إنهم كانوا يَقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي مُرْسَلٌ صار نجاراً، فقال: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فإنَّا نَسْخَر مِنكُمْ كما تَسْخَرونَ﴾.

أي نحن نستجهِلُكُمْ كمـا تستجهلوننا[3]، ثم أعْلَمَهُمْ بِمَـا يَكُون عـاقبـة أمْرِهم فقال:

---

(١) سورة نوح الآية ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) ليست في ط.

(٣) في الأصل تستجهلونا وهو خطأ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

أي فسوف تعْلَمون من هو أحق بالسُّخْريِّ[1]، ومن هو أحْمدُ عاقِبةً.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾.

أعلم اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ نوحاً أنْ وَقْتَ إهلاكهم فَوْرُ التَّنُّور. وقيل في التَّنُّور أقْوالٌ. قيل إن التَّنُّورَ وجه الأرْض. ويقال إن الماء فارَ من ناحيةِ مَسْجد الكُوفَةِ ويقال إن الماء فار من تَنُّورِ الخابزَةِ، وقيل التَّنُّور تنوير الصُّبْح.

والجملة أن الماء فار من الأرض وجاءَ من السَّماء قال اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ. وفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[2].

فالماء فَوْرُه[3] من تَنُّورٍ أو من ناحية المسجد أو من وجه الأرض، أو في وقت الصبح لا يمنع أن يكون ذلك العلامةَ لإهلاكِ القوم.

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

[أي] من كل شيء، والزوج في كلام العرب واحدٌ ويجوز أن يكون معه واحد، والاثنان يقال لهما زَوْجَانِ يقول الرجل: عليَّ زوجان من الخفاف، وتقول: عِنْدي زوجان من الطير، وإنما تريد ذكر أو أنثى فقط. وتقرأ من كل زوجين ـ على الإضافة ـ والمعنى واحد في الزَّوْجين أضَفْتَ أم لم تضِفْ.

﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾.

---

(١) السخريّ ـ بضم السين وكسرها ـ يعني السخرية والاستهزاء ـ وبهما قرىء قوله تعالى: ﴿نحن قَسَمْنا بَينهم مَعِيشَتَهُم في الحياةِ الدُّنْيَا ورَفَعْنَا بَعْضَهُم فوقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بعضاً سُخْرِياً﴾. (الزخرف آية ٣٢).

(٢) سورة القمر الآيتان ١١، ١٢.

(٣) بدأ فورانه.

أي واحمل مَنْ آمن، ويقال إن الذين آمنوا معه كانوا ثمانين نفساً، فقال تعالى: . . ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قليلٌ﴾.

لأن ثمانين قليل في جُمْلَةِ أُمَّةِ قَوْمِ نوحٍ

. . ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا باسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا﴾ ـ أي بالله تجري، وبه تستقرُّ.

ومعنى قُلْنَا بِاسْمِ اللَّه أي بَاللَّه(١).

وقد قرئت على وجوه، قرئت مَجْرَاها بفتح الميم، ومُرسَاهَا بضم الميم. وقرئت مُجْراها ومُرْسَاها بضم الميمين جميعاً. ويجوز مَجْرَاها ومَرْسَاها، وكلٌّ صواب حسن.

فأما من قرأ مجراها بفتح الميم، فالمعنى جَرْيُها ومُرْسَاها المعنى وبالله يقع إرساؤها، أي إقْرارُها. ومن قرأ مُجْراها ومُرْسَاهَا. فمعنى ذلك بالله إجراؤها وبالله إرْسَاؤها يقال: أجريته مُجْرى وإجْراءً في معنى واحد. ومن قال مَجْرَاها ومَرْسَاهَا، فهو على جَرَتْ جَرْياً ومَجرًى، وَرَسَتْ رسُوًّا ومَرْسىً. والمُرسَى مستقرها.

والمعنى أن اللَّه جلَّ وعزَّ أَمَرَهُمْ أن يُسَمُّوا في وقت جريها ووقت استقرارها.

ومُرْساها في موضع جرّ على الصفة للّه ـ جلّ وعزّ ـ(٢).

ويجوز فيه شيء لم يقرأ به ولا ينبغي أن يقرأ به لأن القراءة سنة متبعة:

---

(١) راجع ما كتبه تفسيراً لبسم الله الرحمن الرحيم و «وعلم آدم الأسماء كلها». ومجاراته أبا عبيدة. في أن كلمة اسم زائدة.

(٢) لا يتأتى هذا الإعراب إلا إذا قرئت مُرْسِيها. أي باسم الله مُسَيِّرِها ومُقِرُّها ـ أما مرساها فهو اسم مكان من أرسى.

باسم اللّٰه مُجْرِيَها على وَجْهيْنِ ـ أحدهمـا الحال، المعنى مُجْـرِياً لَهَـا ومُرْسِيـاً لها. كما تقول مررت بزيدٍ ضَارِبَها على الحال. ويجوز أن يكون منصوباً على المدح، أعني مُجرِيَها ومُرْسِيَهَا. ويجوز أن يكون مُجْرِيها ومُرْسِيها في موضـع رفع على إضمار هو مجريها ومرسيها.

وقوله:﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالجِبَالِ﴾.

قيـل إنّ السَّماءَ والأرضَ التقى مـاؤهما فـطبق بينَهُمَا وجـرت السفينة في ذلك الماء، وقوله:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كالجِبَالِ﴾.

إن الموج لا يكون إلاَّ فوقِ الماء، وجاء في التفسير أن المـاء جَاوَزَ كـلَّ شيء خَمَسَـةَ عَشَر ذِرَاعـاً، قال اللّٰه ـ عـزّ وجـلّ: ﴿فالْتَقَى المـاءُ على أمْـرٍ قَـدْ قُدِرَ﴾(١).

فجـائز أن يكـون يلتقي ماء السمـاء وماء الأرض ومـا يطبق مـا بينهمـا، وجائز أن يطبق ما بينهما.

والموج تَمَوُّجُ المَـاءِ، وأكثر مـا يُعْرَفُ تكـونُه في عُلُوِّ المـاء، وجائـز أن يتموج داخل الماء.

والرواية في الـسفينة أكثر مـا قيل في طـولها أنـه كان ألفـاً ومائتي ذراع، وقيل ستمائة ذراع. وقيل إن نوحاً بعث وله أربعون سنةً ولبث في قومه كما قال اللّٰه ـ جلّ ثناؤه ـ ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إلَّا خَمْسِينَ عَاماً..﴾(٢) وعمل السفينـة في خمسين سنة ولبث بعد الطوفان ستين سنة.

---

(١) سورة القمر الآية ١٢.

(٢) سورة العنكبوت الآية ١٤.

﴿وَنَادَى نوحٌ ابْنه وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾.

يجوز أن يكون كان في معزل من دينه، أي دين أبيه ويجوز أَنْ يكون - وهو أشبه - أن يكون في معزل من السفينة.

﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾.

الكسر أجودُ القراءة أعني كسر الياء[1]، ويجوز كسرها وفتحها من جهتين، إحداهما أن الأصل بـا بُنَيّيَ، والياءُ تحذف في النداء، أعني ياء الإضافة، وتبقى الكسرة تدل عليها، ويجوز أَنْ تحذَفَ الياءُ لسكون الراء مَنَ ارْكبْ، وتقَرُّ في الكتاب على ما هي في اللفظ[2].

والفتح من جهتين، الأصل يا بُنيًّا فتبدل الألف من ياء الإضافة. العرب تقول: يا غلاما أقبل، ثم تحذف الألف لسكونها وسكون الراء، ويُقَرّ في الكتاب على حذفها في اللفظ ويجوز أن تحذف ألف النداء كما تحذف ياء الإضافة، وإنما حذفت ياء الإضافة وألف الإضافة في النداء كما يُحْذَفُ التنوين، لأن ياء الإضافة زيادة في الاسم كما أن التنوين زيادة فيه، ويجوز وجه آخر لم يقرأ به وهو إثبات الياء، يا بُنَيّي، وهذه تَثْقُل لاجتماع الياءات.

﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ﴾.

أي يمنعني من الماء، والمعنى [من] تَغْرِيقِ الماء

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾.

هذا استثناء ليس من الأول، وموضع «مَنْ» نَصْبُ المعنى لكن مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، فإنه مَعْصُوم، ويكون ﴿لَا عَاصِمَ﴾ معناه لا ذَا عِصْمَةٍ، كما قالوا: ﴿عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ﴾، مَعناه مُرْضية وجاز راضية على جهة النسب أي في عيشه ذات رضا.

---

(١) الياء من بُنَيَّ.

(٢) يريد أنها ياءان. للتصغير وياء المتكلم وحذفت ياء المتكلم والكسرة تدل عليها.

وتكون «من» على هذا التفسير في موضع رفع[1]، ويكون المعنى لا مَعْصُوم إلا المرحوم.

وقوله: ﴿وَغِيضَ المَاءُ﴾.

يقال غاض الماء يغيض إذا غاب في الأرض، ويجوز إشْمامُ الضَّم في الغين[2].

﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾: أي هلاك قوم نوح

﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ﴾.

والجوديُّ جبل بناحية آمِدَ[3].

وقوله: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ﴾.

. . ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّه لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.

قرأ الحسنُ وابنُ سيرين «عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» وكان مذهبُهمَا أنه ليس بابنه، لم يولد من صلبه، قال الحسن: واللّه ما هو بابنه، وقال ابن عباس وابن مسعود إنه ابنه، ولم يبتل اللّه نبيًّا في أهْلِه بمثلِ هَذِه البَلْوَى.

فأما من قرأ: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيرُ صَالِحٍ﴾[4].

فيجوز أن يكون يعني به أنه ذو عمل غير صالح، كما قالت الخنساء.

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار[5]

---

(١) خبر لا.

(٢) الميل إلى الضم قليلا في الغينْ.

(٣) آمد من الثغور المعروفة ينسب إليها علماء أشهرهم أبو الحسن الآمدي.

(٤) أي غير الحسن وابن سرين - وقرىء أيضاً: عَمِلَ - فعلاً ماضياً وبنصب غير.

(٥) من أبياتها السائرة في رثاء أخيها صخر وقبله:

فما عجول على بَوٍّ تطيف به قد ساعدتها على الحنان أظآرُ

أي ذات إقبال ، وقد قال الله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ونادى نوح ابنه﴾ فنسبه إليه.

وللقائل أن يقول نسبه إليه على الاستعمال، كما قال الله ـ جلّ وعزّ ـ ﴿أينَ شُرَكَائِيَ الذين كنتم تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾[1]، فنسبهم إليه على قولهم، واللَّهُ لا شريك له، ولكن الأجودَ في التفسير أن يكون: إنه ليس من أهلك الذين وَعَدْتُكَ أن أُنَجّيَهُمْ، ويجوز أن يكون ﴿إنَّهُ ليس من أهْلك﴾ إنه لَيْسَ من أهْلِ دينك.

﴿فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

ويقرأ فلا تسأَلَنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.

وقوله: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾.

المعنى وأرْسلنا إلى عادٍ أَخَاهُم هُودًا. وقيل أخاهم من جهتين، إحْدَاهُما أنه منهم وبيَّنَ[2] بلسانهم، والأخرى أنه أخوهم من ولد آدم، بشر مثلهم.

= وجواب النفي قولها:

يوماً بأوجد مني يوم فارقني ... صخرٌ، وللدهر احلاء وإمْرارُ

والعجول الثكلى ـ ويروى أم سَقْب، وهو الذكر من ولد الناقة، والبَوّ جلد ولد الناقة يحشى ليوهم الناقة أنه ابنها فتشمه وتعطف عليه وتدر اللبن، والظئر التي تعطف على وَلَدِ غَيْرِهَا. وترتع أي ترعى ويروى ترتع ما غفلت ـ أي ما نسيت ولدها فهي ترعى حتى إذا ذكرته ظلت تذهب وتجيء وجدا على ولدها ـ تريد أن وجد مثل هذه الناقة ليس بأشد من حزنها على أخيها صخر، والأيام تحلو حيناً وتمر آخر.

وهي إقبال وإدبار أي ذات إقبال وإدبار والشيخ عبد القاهر الجرجاني يجعل المصدر بمعنى اسم الفاعل ـ أي مقبلة مدبرة والمبالغة ظاهرة في كلا التقديرين.

والقصيدة في الديوان ص ٤٨، وانظر الشاهد ٧٠ من خزانة الأدب جـ١ / ٢٠٧، ٣٨٩ ط السلفية. وهو من الشواهد الشائعة.

(١) سورة النحل الآية ٢٧.

(٢) بَيَّنَ الدين الذي جاء به بلغتهم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُه﴾.

وإن شئت غَيرِه، غيرِه من نعت الإلـه، و «غَيْرُه» على معنى مـا لكم إلهٌ غَيْرُه[1].

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾.

كان أصابهم جَدْبٌ فأَعْلَمَهُم أنهم إن اسْتَغْفَرُوا ربَّهُمْ وتابوا أرسلِ السماء عليهم مدراراً.

والتوبة الندم على ما سلف، والعزمُ على ترك العَوْدِ في الذُّنوب، والإقامةِ على أداء الفرائض.

وَنَصَّبَ مِدْرَاراً على الحال، كأنه قال يرسل السماء عليكم دارّة، ومعنى مدرار المبالغة، وكان قومُ هودٍ - أعني عاداً - أهلُ بساتين وزُرُوعٍ وعَمَارَةٍ، وكانت مساكنهم الرمالَ التي هي بين الشام واليَمَن[2]، فدعاهم هودٌ إلى توحيد اللَّه واستغفاره وترك عبادة الأوثان، فلم يطيعوه وتوعدهم بالعذاب فأقاموا على كفرهم، فبعث اللَّه عليهم الريح، فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدْبَارِهم وتُقَطِّعُهمْ عُضْواً عُضْواً

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾.

أيْ يزِدْكُم قوةً في النعمةِ التي لكم.

ويجوز أن يكون: ويزدكم قوةً في أَبْدَانِكُمْ.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾.

أي ما نقول إلا مسَّك بعض أصنامنا بجنونٍ، بِسَبِّكَ إيَّاهَا فقال لهم هو:

---

(١) لأن «من زائدة» فيأتي الوصف على المعنى

(٢) منازلهم هي الأحقاف في جنوب الجزيرة.

﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ، وَٱشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونَ﴾.

وهذه من أعظم آيات الرُّسُل أن يكون الرسول وَحْدَهُ، وأمَّته متعاونة عليه، فيقول لها: كِيدُونِي ثُمَّ لاَ تُنظِرُون، فلا يستطيع وَاحدٌ مِنهم ضَرَّه. وكذلك قال نوحٌ لِقَوْمِه: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُم وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثمَّ اقْضُوا إليَّ وَلاَ تُنظِرونَ﴾[1]. ومن محمد ﷺ ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾[2].

فهذه من أعظم آيات الرسل وأدَلّها على رِسَالاَتِهِمْ.

﴿مَامِنْ دَابَّةٍ إلاَّ هُو آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾.

أي هي في قبضتِه، وَتَنَالُهَا بِمَا تَشاء قُدرَتُه، ثم قال:

﴿إِنَّ رَبِّيَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أي هو [سبحانه] وإن كانت قُدْرَتُه تنالها[3] بما شاء، فهو لا يشاء إلاَّ العَدْل.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾.

المعنى فإن تَتولَّوْا.

﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾.

فجعل ﴿فقد أبلغتكم﴾ في موضع قَدْ ثَبَتَ الحجةُ عليكم

﴿وَيَسْتَخْلِفُ ربي قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾.

وقوله: ﴿نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾.

يحتمل أن يكون بما أَرَيْنَاهُم من الهُدى والبيان الذي هو رحمة،

---

(١) سورة يونس، آية ٧١.

(٢) سورة المرسلات، آية ٣٩.

(٣) تنال كل دابَّة بما تشاء القدرة.

ويحتمل أن يكون ﴿بِرَحْمةٍ مِنا﴾ اي لا ينجو أحدٌ وإن اجتهد إلا برحمة من الله - جلّ وعزّ -

﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غلِيظٍ﴾.

أي مما عُذِّب بِهِ قوم عاد الكفار في الدنيا ومما يُعذَّبُونَ به في الآخرة.

﴿أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

«ألا» ابتداء وتنبيه. وَ ﴿بُعْداً﴾ منصوب على أَبْعَدَهُمُ الله بعْداً، ومعنى بُعْداً أي بُعْداً من رحمة الله.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾.

المعنى: وأَرْسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً. وثمود لم ينصرف لأنه اسم قبيلة، ومن جعله اسماً للحي صرفه وقد جاء في القرآن مصروفاً: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُوداً كَفَروا رَبَّهُمْ﴾(1).

﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(2).

ثم بين ما هي فقال:

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾.

يقال(3): إنّها خرجت من حَجَرٍ، وفي هذا أعظم الآيات، ويُقَال إنها كانت تَرِدُ المَاءَ، لا تَرِدَ الماء معها دَابَّةٌ، فإذا كان يومُ لا ترِد، وردَتْ الوَارِدَةُ كلُّها. وفي هذا أعظَمُ آية.

---

(1) قراءة حفص «ألا» إن ثمودًا بدون تنوين.

(2) ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ جاءت في سورة الأعراف ٧٣. أما في هذه السورة فالآية هي: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِي وآتاني مِنْهُ رَحْمَةً﴾.

(3) في الأصل قال.

ونَصْبُ آية علىَ الحَال. المعنى إن قـال هذه نَـاقَةُ اللَّهِ آيـةً أو آيةً لكُمْ، فكأنه قال: انتبهوا لها في هذه الحالة. والآية العلامة.

﴿فَذَرُوهَاتَأْكُلْ في أَرْضِ اللَّهِ﴾.

وتأكلُ من أرض اللَّهِ، فمن قرأ تَأْكُلْ بالجزم فَهُوَ جَوَابُ الأمر، وقـد بيَّنا مثله في سورة البقرة، ومن قرأ تأكلُ فمعناهُ فذروها في حال أكلها. ويجـوز في الرفع وجه آخر، على الاستئناف، المعنى فإنها تأكُل في أرض اللَّه.

﴿وَلاَتَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿فيأخذكم﴾ جواب النَّهْيِ، والمعنى عذاب يَقْرُبُ مِمَّن مَسَّها بـالسُّوءِ، أي فإن عقرتموها لم تُمْهَلُوا.

﴿فَعَقَروها فقال تَمتَّعوا في دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

فأهلكوا بَعْدَ الثَّلاثِ، وَقَدْ بيَّنا في الأعراف كيف أهلكوا[1].

وقوله: ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

معناه كان لم ينـزلوا فيهـا. قال الأَصْمعي: المَغَـانِي المَنازِل التي نـزلوا بها، يقال غَنِينَا بمكان كذَا وكَذا إذَا نَـزَلُوا به.

وقـوله - جلّ وعزّ - :﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾.

بالبشرى، بالولد.

﴿قالُواسَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ﴾.

وقَالُوا سَلاَمٌ، يُقْـرأان جميعـاً، فأمـا قوله ﴿سَلاماً﴾ فمنصوبٌ على سَلَّمْنـا سَلاَماً، وأما سَلاَمٌ فمرفوع على معنى أمري سَلاَمٌ (وَمَنْ قَرَأَ سَلامٌ فمرْفُوعٌ عَلَى أَمْري سلام)[1].

---

(١) ليست في ط.

أي لَسْتُ مُرِيداً غير السلامة والصُّلح

﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾.

أي ما أقام حتى جاء بعجل حنيذ. والحنيذ المشويُّ بالحِجَارَة وقيل: الحنيذ المشوي حَتَّى يَقْطُرَ(١). والعربُ تقولُ: احْنِذِ الفرس أي اجعل عليه الجُلَّ حَتَّى يقطرَ عَرقاً، وقيل الحنيذ المشوي فقط. وقيل: الحنيذ السَّمِيطُ، ويقال حَنَذَته الشمْسُ والنار إذا شوته.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾.

لم يأكلوا لأنهم ملائكة، ويقال إنهم كانت العلامةُ [لَدَيْهِم](٢) في الضيفان إذا قصدوا لِخَيْرٍ الأكلَ.

يقال: نكِرْتُ الشيء وأنكرت، ويقل في اللغة أنكر ويَقِل منكور، والكلام أنكر ومنكور.

و﴿أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

معناه أضمر منهم خوفاً

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

ألا تراه قال في موضع آخر: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِم حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾(٣).

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا﴾.

يروى أنها ضحِكتْ لأنها كانت قالت لإبراهيم: اضْمُمْ لوطاً ابنَ أخيك

---

(١) يسيل منه الدهن.

(٢) زيادة لا بد منها للتوضيح.

(٣) سورة والذاريات / ٣٢-٣٣.

إلَيْك، فإني أعلمُ أنه سينزل بهؤلاء القوم عذابٌ، فضحكت سروراً لمَّا أتى الأمر على ما تَوَهَمَتْ.

فأما مَن قال: ضحكت: حَاضَتْ فليس بشيء

﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوب ﴾.

يقرأ يعقوبُ ويعقوبَ ـ بالرفع والنصب

وفي هذه البشارة بشارة بالـوَلَدِ وَوَلَـد الوَلَـدِ، يقالُ هـذا ابني من الوراء، أي هذا ابن ابني.

فبشرناها بأنها تلد إسحاق وأنها تعيش حَتَّى ترى وَلَدَه.

وروينا في التفسير أن عُمْرَهَا كان تسعاً وثمانين، وأن عمر إبراهيم كـان تسعاً وتسعين في وقت البشارة.

فـأمـا من قـرأ: وَمِن وراءِ اسحقَ يعقـوبَ، فيعقـوب في مـوضـع نصب محمول على موضع فبشرناها بإسحاق، محمـول على المعنى، المعنى: وهبنا لها إسحق ووهبنا لها يعقوب.

ومن قرأ يَعْقُوبُ فرفْعُه على ضربين، أحدهمـا الابتداء مؤَخَّـراً[1]، معناه التَقـديم، والمعنى ويعقـوب مُحْـدَثٌ لهـا من وراء إسحاق. ويجـوز أن يكـون مرفوعاً بالفعلَ الذي يعمل ِفي «مِنْ وَرَاء»[2] كأنه قال وثبت لَها من وراء إسحاق يعقوب.

ومن زعم أن يعقـوب في موضـع جر فخـطأ زعمُه، ذلـك لأن الجَـارَّ لا يفصلُ بينه وبين المجرور، ولا بينه وبينَ الواو العاطفة، لا يجوز مـررت بزيـد

(١) في الأصل مؤخر بالرفع، ويستقم على أنها جملة ثانيةً.

(٢) الزجاج يجري على المذهب الكوفي في تقدير المتعلق فعلا، أي ويكون أو يأتي.

في الـدَّارِ، والبيْتِ عَمْـرٍو ولا في البيتِ عَمْـرٍو، حتى تقـولَ وَعَمْـرٍو[1] في البيت.

﴿قَالَت يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾.

المصحف فيه يا ويلتي بالياء، والْقِرَاءَةُ بالألف، إن شِئت على التضخيم، وَإِنْ شِئْتَ عَلَى الإِمَالة.

والأصل يَا وَيْلَتِي فَأُبْدِلَ من الياء والكسرةِ الألف، لأن الفتح والألف أخف من الياء والكسرة.

ويجوز الوقف عليه بغير الهاء، والاختيارُ أَنْ يوقف عليه بالهاء، يا وَيْلَتَاهُ. فأما المصحف فلا يخالف، ولا يوقف عليه [بغير الهاء][2] فإن اضطر واقف وقف بغير الهاء.

فأما الهمزتان بعد «يَا وَيْلَتَا» ففيهما ثلاثة أوجه، إن شئت حَقَّقْتَ الأولى وخَفَّفْتَ الثانيةَ، فقلتَ يا وَيلَتَا أَآلِدُ، وإن شئتَ ـ وهو الاختيارُ خَفَّفْت الأولى وخفَّفْتَ الثانية فقلت يا ويْلَتَا آلِدُ، وإن شئت حَقَّقْتَهُما جميعاً فقلت أَأَلِدُ وتحقيق الهمزتين مذهب ابن أبي إسحاق.

﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً﴾.

القراءة النصب وكذلك هي في المصحف المجمع عليه، وهو منصوب على الحال، والحال ههنا نصبها من لطيف النحو وغامضه.

وذلك أنك إذَا قلت هذا زيد قائماً، فإن كنت تقصد أن تخبر من لم يعرف زيداً أنه زيدٌ لم يجز أن تقول: هذا زيد قائماً، لأنه يكون زيداً ما دَامَ

(١) في الأصل أو.

(٢) زيادة لا بد منها لإصلاح هذه الجملة الركيكة، وفي الأصل بأن اضطر.

قائماً، فإذا زال عن القيام فليس بزيدٍ، وإنما تقول ذاك لِلَّذي يعرف زيداً: هذا زيدٌ قَائِماً فيعمَلُ في الحال التنبيه[1]، والمعنى انتبه لزيد في حال قيامه، وَأُشِيرُ لك إلى زيد حال قيامه، لأن «هذا» إشارة إلى ما حضر، فالنصب الوجْهُ كما ذكرنا ويجوز الرفع.

وزعم سيبويه والخليلُ أن النصبَ من أربعةِ أَوْجهٍ:

فوجه منها أن تقول: هذا زيد قائمٌ فترفع زيداً بهذا وترفع قائماً خبر ثانياً، كأنك قلت: هو قائمٌ أو هذا قائم.

ويجوزُ أن تجعل زَيْداً وقَائِماً جميعاً خبرين[2] عن هذا فترفعهما جميعاً خبراً بهذا، كما تقول: هذا حُلْوٌ حَامِضٌ تريد أنه جمعَ الطعمين.

ويجوز أن تجعلَ زيداً بدلاً من هذَا، كأنك قلت زيد قائم[3].

ويجوز أن تجعل زيداً مُبَيِّناً عن هذا، كأنك أردت: هذا قائم، ثم بينت من هو بقولك زيد.

فهذه أربعة أوجه[4].

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ الرَّوْعُ﴾.

الـرَّوعُ الفزعُ. يعني ارتياعُه لمّا نكرهم حين لم يأكلوا من العِجْل. والـرُّوع ـ بضم الراء ـ النفس. يقال وقع ذلك في رُوعِي، أي في نَفْسِي ومن خَلَدِي.

﴿وَجَاءَتْه الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾.

يجادلنا حكاية حال قد مضت لأن «لَمَّا» جعلت في الكلام، لِمَا قد وقعَ

---

(١) الإشارة، أي أُشير إليه حال كونه قائماً.

(٢) الأولى أن يقول خبرا، لأنه هنا غير متعدٍ.

(٣) والتقدير هذا قائم.

(٤) وليست أوجه نصب وإنما هي أوجه إعراب.

لـوُقوعِ غَيـرِه. تقول: لمـا جَاءَ زَيـدٌ جاءَ عمـروٌ، ويَجوز لمّـا جاء زيـد يتكلم وعمرو، على ضربين:

أحدُهُمَا أنَّ إنْ لمـا كانت شـرطاً للمستقبـل وقع المـاضي فيها في مَعنى المستقبـل، نحو إن جـاء زيدٌ جِئتُ. والـوجه الثـاني ـ وهو الـذي أختارُه ـ أن يكون حالاً لحكاية قـد مضت.

المعنى فلمـا ذهب عن إبـراهيـم الـروع وجـاءَتْـه البُشْـرى أخَـذَ يُجَـادِلُنـا في قــوم لـوط، وأقبـل يجـادِلُنـا. ولم يـذكـر في الكـلام أخـذ وأقبـل، لأن في كل كـلام يخاطب بـه المخاطب معنى أخَـذَ وأقْبَـلَ إذَا أرَدْتَ حكـايةَ الحَـالِ، لأنك إذَا قُلتَ: قـام زيدٌ، دللت على فعـل ماض، وإذا قلت أخَذ زَيْدٌ يَقُولُ[٢] دللت على حال ممتدة من أجلها ذكرتَ أخَذَ وأقْبَلَ. وكذلـك جعل زيد يقول كذا وكذا، وكَرَبَ[٣] يَقُول كذا وكذا.

وقـد ذكرنـا «الأوَّاه» في غير هـذا المـوضـع[٤]، وهـو المبتهـل إلى اللَّه المتخشّع في ابتهاله، الرحيم الذي يكثر من التأوّه خوفاً وإشفاقاً من الذنوب.

ويـروى أن مجادلتـه في قوم لـوط أنه قـال للملائكـة وقـد أعْلَمُـوه أنهم مُهْلِكُـوهم، فقـال أرأيتم إنْ كـانَ فِيهـا خمسُـونَ من المؤمنين أتُهلكـونَهُمْ[٥] مَعَهُمْ[٦] إلى أن بلغ خمسةً، فقالوا لا، فقال اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿فَمَا وَجَدْنا فيها غيرَ بيتٍ مِنَ المسلمين﴾[٧].

(١) ليست في ط.

(٢) ر ـ يقوم.

(٣) هي من أفعال المقاربة وعدها هنا من أفعال الشروع.

(٤) انظر ص٤٧٣ حـ ٢ سورة التوبة.

(٥) في ـ ر ـ أتهلكوهم.

(٦) ليست في ط.

(٧) خشي إبراهيم أن ينـال الهلاك المسلمين إذا كانوا قلة، فسأل عما إذا كانوا ينجون إذا كانوا خمسين،

ويروى أنهم كانوا جَمْعاً كثيراً، أكثرُ ما رُوِي فيهم أنهم كانوا أربعة آلاف(١).

﴿يا إبْرَاهِيمُ أعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾.

المعنى جَادَلْنا فقلنا يا إبراهيم أَعْرِض عن هذا.

ويروى أن إبراهيم لَمَّا جَاءته الملائكةُ كان يَعمَلُ في أرض له وكلما عمل دَبْرَةً من الدِّبَارِ وهي التي تسمىٰ المشارات(٢) غَرَّز بَالَتَهُ وصَلَّى، فقالت الملائكة حقيق على الله أن يتَّخِذَ إبراهيم خليلاً(٣).

وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ﴾.

معناه ساءَه مَجيئُهم، لأنهم استضافوه فخاف عليهِمْ قومَه، فلما مَشَى معهُمْ قليلاً قال لهنَّ: إن أهل هذه القرية شَرُّ خلقِ الله وكان قَدْ عُهِدَ إلى الرُّسُل ألَّا يهلكوهم حتى يَشْهَد عليهم لوطٌ ثلاث مرات، ثم جَازَ عليهم بعد ذلك قليلاً، وردَّ عليهم القول ثم فَعلَ ذلكَ ثالثةً ومَضَوا معه.

﴿سِيءَ بِهِمْ﴾: أصله سُوِئَ بهم، من السَّوءِ إلا أن الواو أُسْكِنتْ ونُقِلت كسرتها إلى السِّين، ومن خفَّفَ الهمزة قال: سِي بِهِمْ ﴿وضاق بهم ذَرْعاً﴾. يقال ضاق زيدٌ بأمْرِهِ ذَرْعاً إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مَخْلَصاً.

﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

= فلما أجاب الملائكة أنهم ينجون. سأل عن الأربعين والثلاثين حتى بلغ إلى خمس من المؤمنين، ولم يكن هناك غير بيت واحد من المسلمين. والآية في سورة «الذاريات» ٣٦.

(١) في ط أربعة ألف، وفي ر أربعة ألف ألف.

(٢) الدبرة القطعة من الأرض تزرع مثل ما يسمى الآن «الحوض» أي الجزء الصغير من الأرض المقسمة للزراعة ـ وأيضاً الساقية بين المزارع. وهي المشارات، واحدها مشارة. والبالة وتسمى المَرُّ هي ـ المسحاة. أي إن إبراهيم ـ كان يغرز فأسه في الأرض وينصرف إلى الصلاة.

(٣) أي يستحق أن يتخذه الله خليلاً.

أي شديد، فلما أضافهم مضت امرأته ـ عجوز السوء ـ فقالت لقومه إنه استضاف لوطاً[١] قومٌ، لم أر أحْسنَ وجُوهاً مِنْهُمْ وَلاَ أَطْيَبَ رَائِحةً، ولا أنظف ثياباً.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُه يُهرَعُونَ إلَيْه﴾.

أي يسرعون في المجيء، فراوَدُوه عن ضيفه، وحاولوا فتح بابه، فأعلمته الملائكة أنّهم رُسُلُ اللّهِ وأن قومَه الفسقَةَ لن يصلوا إليهم.

فقال لهم لوط حين رَاوَدوه: ﴿هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلاَ تُخْزُوني في ضَيْفِي﴾.

فقيل إنهم عُرِضَ عليهم التزويج، وكأنه عرضه عليهم إنْ أَسْلَمُوا

وقيل: ﴿هَؤُلاَءِ بَنَاتِي﴾: نساء أمّتي، فكأنه قال لهم التزويج أطهر لكم، فلما حاولوا فتح البابِ طمس اللّه أعْيُنَهُمْ. قال اللّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوه عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾[٢].

ولما استعجلوه بالعذاب، قالت لهم الرسل: ﴿إنَّ مَوْعِدَهُمْ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾.

القراءة بالرفع في أَطْهرُ، وقد رُوِيَتْ عن الحسن هن أطهرَ لكم، وعن عيسى بن عمر. وذكر سيبويه أن ابنَ مَرْوانَ لَحَنَ في هَذِه في نَصْبهَا.

وليس يُجيزُ أحدٌ من البصريين وأصحَابِهِمْ نصبَ أَطْهر، ويجيزها

---

(١) في الأصل لوطاً قوماً ـ ويستقيم كما هنا ـ أي سأله قوم أن يستضيفهم.

(٢) سورة القمر ٣٧.

غيرهم. والذين يجيزونها يجعلون «هُنَّ» في هذا بمنزلتها في «كان»[1] فإذا قالوا: هؤلاء بَنَاتِي أَطْهَرَ لَكُمْ، أجازوا هُنَّ أَطْهَر لَكُمْ، كما يجيزون كان زيدٌ هو أطهر مِنْ عَمْرٍو[2].

وهذا ليس بمنزلة كان. إنما يجوز أن يقع «هو» وتثنيتها وجمعُها «عماداً»[3] فيما لا يتم الكلام إلاَّ به، نحو كان زيدٌ أخاكَ[4]. لأنهم إنما أدخلوا «هُمْ» ليُعْلِمُوا أن الخَبَرَ لا بد منه، وأنه ليس بصفة للأول. وباب «هذا» يتم الكلام بخبره[5]، إذا قلت: هذا زيد فهو كلام تام. ولو جاز هذا لجاز جاء زيد هو أنْبَلُ من عمرو. وإجماع النحويين الكوفيين والبصريين أنه لا يجوز قدم زيد هو أنْبلَ مِنك حتى يرْفَعُوا فيقولوا هو أنبل منك[6].

وبعد فالذين قرأوا بالرفع هم قُرَّاءُ الأَمْصارِ، وهم الأكثر. والحسن قد قرأ «الشياطون» والشياطون ممتنع في العربيَّةِ.

وقد قال بعضهم: إن المشركين في ذلك الدهر قد كان لهم أن يتزوجوا من المسلمين[7].

وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾.

أي بظلمةٍ من الليل. يقال: معنى قِطْعٍ من الليل أي قطعةٍ صالحةٍ،

---

(١) ضمير فصل لا محل لها من الأعراب.

(٢) فيكون تقدير الجملة هؤلاء بناتي حال كونهن أطهرَ لكم - و «هن» زائدة.

(٣) العماد هو ضمير الفصل الذي لا محل له من الأعراب.

(٤) يؤتى بالضمير في الخبر الواضح - فتقول كان زيد هو أخاك - فهو ضمير فصل على هذا لا محل له من الاعراب.

(٥) يتم معنى الجملة ولا يكون هناك وهم أن الخبر صفة.

(٦) فيكون في الكلام جملتان - جاء زيد جملة، وهو ابنك منك جملة.

(٧) أي أن قول لوط لقومه المشركين: هؤلاء بناتي - كانت دعوة للزواج منهنّ وهو كان جائزاً في ذلك الوقت.

وكذلك مَضى[1] عِنْكٌ[2] من الليل، وسِعْوٌ مِنَ اللَّيْلِ[3].

ويقرأ: ﴿فَأَسْرِ﴾ بإثباتِ الهمزَةِ في اللفظ، ويقرأ: فَاسْرِ يقال أَسْرَيْت وسَرَيْتُ إذَا سِرْتُ ليلاً، قال الشاعر[4]:

سَرَيْتُ بهمْ حَتّى تكِلَّ مَطيهُّم ... وحتى الجيادُ ما يُقَدْنَ بأَرْسَانِ

وقال النابغَةُ[5]

أسرَتْ عَلَيْهِمْ من الجوزاء سارِيةٌ ... تُزْجِي الشَّمَال عليها جامدُ البَردِ

وقد رَوَوْا في هذا البيت سَرَتْ، وقال اللّه ـ جَلَّ وعزَّ ـ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[6].

وقوله: ﴿إِلاَّ ٱمْرَأَتَكَ﴾.

يجوز فيه النصب والرفعُ فمن قرأ: إلاَّ امرأَتَكَ. بالنَّصْبِ فَعَلَى معنى

---

(١) ليست في ط.

(٢) العِنْكُ سُدفةٌ من الليل من أوله إلى ثلثه أو قطعة منه مظلمة ـ أو الثلث الباقي. ويُثَلَّثُ أي حركة أوله تثلث (قاموس).

(٣) السِّعْوُ ـ بالكسر ـ الساعة أي الزمن، وسعو من الليل ساعة منه.

(٤) البيت لامرىء القيس ـ وفي اللسان (مطا):

مطوت بهم حتى يكل غَزِيُّهُمْ

وفيه (غزا) سريت بهم، والغزى جمع غاز.

يقول سريت بهم حتى وهنت قوى الفرسان وضعفت خيولهم فلا تحتاج أن تقاد برسَن.

(٥) من داليته ـ يا دار مية ـ البيت الحادي عشر. يروى سرت وأُسْرَتْ والسارية السحابة، وتزجى تسوق. يصف ثوراً وحشياً يرتع من مرعى له. أي مرت به سحابة ممطرة ودفعت ريح الشمال عليه البرد الجامد، فهو مذعور خائف انظر شرح العشر للزوزني ١٩٨ (ط صبيح) واللسان (شرى). والديوان ٦ والقرطبي ٩ / ٧٩ ومجاز أبي عبيدة ٢٩٥/١. ورواية البيت «عليه» أي على الثور ـ ويبدو أن «عليهم» سهو من الناسخ.

(٦) أول سورة الإسراء.

فاسر بأهلك إلَّا امْرأَتَكَ، ومن قرأ بالرَّفـع، حَمَلَهُ عَلَى مَعْنَى:﴿ولا يلتفِتْ منكم أحدٌ إلا امْرَأَتُك﴾[١].

وقوله: ﴿جَعَلْنَا عَالِيَها سَافِلَهَا﴾.

يقال أن جبريل جعل جناحه في أَسْفَلِهَا ثم رَفَعها إلى السماء حتَّى سمع أهلُ السَّماءِ نُباحَ الكِلابِ وصِيَاح الدَّجَاجِ، ثم قَلَبَها عَلَيْهِمْ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيها حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

وقـد قال النـاس في سِجيـلٍ أقْـوالاً، ففي[٢] التفسيـر أنَّهـا مِنْ جِـلٍّ[٣] وحِجَارَةٍ. وقال أهل اللغة: هو فارِسِيٌّ مُعرَّبٌ، والعرب لا تعرف هذا. والذي عنـدي أنـه إذَا كـان هـذا التفسيـرُ صَحيحـاً فهــو فـارِسيٌّ. أعْــرِبَ لأن اللَّــه -جلَّ وَعَزَّ- قـد ذكر هـذه الحجارة في قصـة قوم لـوط، فقال: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارةً مِنْ طِينٍ﴾[٤] فقد تبيَّن للعرب ما عُنِيَ بسجيل، وَمِنْ كلام الفـرسِ ما لا يحْصَى مما قد أعْرَبتْهُ العَـرَبُ. نحو جـاموس وديبـاج. فلا أُنْكِـرَ أنَّ هذا مِمَّـا أُعْرِبَ.

وقال أبو عبيدة معمرُ بنُ المثَّنى: تأويله كَسْيْرَة شـديدة[٥]، وقـالَ إن مثل ذلك قول الشاعر[٦]:

---

(١) بدل من أحد لأن الاستثناء تام منفى. يجوز فيه الإتباع والنصب

(٢) ط فمن التفسير.

(٣) جل: الجل يطلق على سوق الزرع الذي أخذت سنابله ـ وهو لا يناسب هنا، ولكن قيل ان الكنمة معربة من كلمتين هما سِنْك بمعنى حجارة، وكِلْ بمعنى الطين ـ فهي سِنْكِلٌ ـ حولت إلى سجيل، ونقل صاحب اللسان كلام الزجاج هـ بأكمله، وقال الأزهري أيضاً إنه معرف وانه بمعنى الطين.

(٤) سورة الذاريات الآية ٣٣.

(٥) نال هو الشديد من الحجارَة الصُّلْبُ.

(٦) رجلة جمع رجل، والبيض جمع بيضة، وهو الحديد الذي يلبس للوقاية في الحرب، والبيت في =

ورَجْلَةً يضربون البَضْ ضَاحِيَةً ضرباً تواصت به الأبطال سِجِّينَا

والبيت لابن مُقْبِل، وسِجِّين وسِجِّيل بمعنى وَاحِدٍ. وقال بعضهم: سِجِّيلٌ من أسْجَلتهُ أي أرْسَلْتَهُ فكأنها مُرْسَلَةٌ عَلَيْهِم. وقال بعضهم من سِجِّيلٍ، من أسْجَلْتُ إذا أَعْطيتُ، فجعله من السَّجْل وهو الدَّلْو.

قال الفَضْلُ بنُ عبَّاسٍ[1]:

من يُساجِلْنِي يساجِلْ ماجداً يَملأُ الدَّلْو إلى عَقْدِ الكَرِبْ

وقيل من سِجِّيلٍ كقولك مما سُجِّلَ أي مما كتب لهم، وهذا القول إذا فُسِّرَ فهُوَ أثبتها[2]. لأن في كتاب اللّه تعالى دَلِيلاً عليه، قال ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿كلاَّ إنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ. وَمَا أدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ. كِتابٌ مَرْقُومٌ﴾[3].

= اللسان (سجل) «يضربون البيض عن عُرُض»، وفي (سجن) كما هنا، وقبله

فإن فينا صَبُوحاً إن رأيت به ركبا بهيًّا وآلافاً ثَمَانِينَا

فرجلة منصوب بالعطف على «ركبا» وابن مقبل هو تميم بن أبيّ بن مقبل شاعر مخضرم عاش نحو مائة وعشرين عاماً، وهو الذي هجا النجاشي الشاعر، وهجاه النجاشي بقوله:

إذا اللّه عادى أهل لؤم ورقة فجازى بني العجلان رهطِ ابنِ مُقْبِلِ

فاستعدى عليه عمرَ بنَ الخطّاب. . وكان ابن مقبل يبكي أهل الجاهلية.

وانظر زهر الآداب جـ ١ ص ٥٥. وخزانة الأدب ٢١٤ والعمدة ٧٣.

(١) هو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب. زعم أبو الفرج أن عتبة جد الفضل هو الذي قتله الأسد بدعوة رسول اللّه (ﷺ) عليه، والذي دعا عليه رسول اللّه هو عتيبة، والفضل شاعر إسلامي حسن الشعر كان آدم به سمرة ورثها عن جدته لأمه، ولهذا جاء قيل هذا البيت:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب

وهو يعني بالخضرة سواد أديمه. والمساجلة المفاخرة، والكرب الخشبة تثبت بفم الدلو، يريد أنه يبلغ الغاية في الكرم.

وانظر ترجمة الفضل بالأغاني ١٦ / ١٧٢ وبها البيت، أيضاً ص ١٧٨، والكامل ١ / ١١٣ (تجارية) واللسان (سجل)، والخزانة.

(٢) إذا صح أن فسر به فهو أقواها.

(٣) سورة المطففين الآية ٧ ـ ٩.

سِجِّيل في معنى سِجِّين. فالمعنى إنها حِجَارَةٌ مما كتب اللّه ـ جلّ ثناؤه ـ أنه يُعَذِّبُهُمْ بها.

وهذا أحْسنُ ما مَرَّ فيها عِنْدِي.

فأمّا قوله: ﴿مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

فمعناه أن بعضها يأتي مَعَ بَعْضٍ كالمطرِ.

وأما ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فروي عن الحسن أنها مُعْلَمَةٌ ببياضٍ وحُمْرةٍ. وقال غيرُه: مُسَوَّمَةٌ بعَلامَةٍ يعلم بها أنها ليست مِنْ حِجَارةِ أهْلِ الدُّنيا، وتُعْلَم بسيماها أنها مما عذَّب اللّهُ بها.

﴿وَمَاهِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

قِيلَ إنها ما هي من ظالمي هذه الأمة بِبَعِيدٍ.

﴿وإلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعيْباً﴾.

المعنى أرسلْنا إلى أهل مَدين أَخَاهُمْ شُعَيْباً، فحذف أهل وأقام مَدْين مقامَه. ومَدْين اسمُ المَدينة أو القبيلة فلذلك لم ينصرف.

وقوله: ﴿بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ﴾.

ومعناه طاعة اللّه ﴿خيرٌ لكُمْ إن كنتم مؤمنين﴾، ويجوز أنْ يكون مَعْنَاهُ الحال التي تَبْقَى لكم من الخير خير لكم.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ﴾.

ويقرأ: أصَلَواتُك.

﴿تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾.

هذا دليل أنهم كانوا يعبدون غير اللّه ـ جل وعزّ ـ

﴿أوأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾.

المعنى إنا قَدْ تَرَاضَيْنَا بالبخس فيما بَيْنَنَا. وفي التفسير أنّه نهاهم أن يَحْذِفُوا الدَّرَاهِمَ. (أي (أن) يكسروها)(١).

﴿إِنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾.

قيل(٢) كنى بِذَا عن أَنَّهُمْ قالوا له: إنك السَّفِيهُ الجاهِل، وقيل إِنَّهُمْ قالوا له هذا على وجه السُّخرِيِّ.

وقوله:﴿قال يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً [حسنا]﴾.

وجواب الشرط ههنا متروك. المعنى إن كنت على بينَةٍ مِنْ رَبِّي أَتَّبِعُ الضَّلَالَ(٣) فترك الجواب لعلم المخَاطَبِينَ بالمعنى، وقد مرَّ ما تُرِكَ جَوَابُه لأنه مَعْلُومٌ وشرحُه في أمكنتِه.

وقوله :﴿وَرَزَقَنِي منه رِزْقاً حَسَناً﴾.

[أي] حَلالاً، وقيل: رزقاً حَسَناً ما وُفِّقَ له مِنَ الطَّاعَةِ.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إلى ما أنهاكم عَنْهُ﴾.

أي لست أنهاكم عن شيء وأَدْخُلُ فيه، وإنما أختار لكم ما أختار لنفسي، ومعنى «مَا أُخَالِفُكَ إليه»، أي ما أقصد بخلافك القَصْدَ إلى أن أَرْتَكِبَهُ(٤).

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾.

أي بقدر طاقَتِي، وَقَدْرُ طَاقَتِي إِبْلَاغُكم وإنذارُكم، ولست قادراً على إجبَاركم على الطاعةِ. ثم قال:

---

(١) ليست في ط.

(٢) في ر قال بعضهم.

(٣) أي أأتبع الضلال. فهي جملة استفهامية.

(٤) ما أريد بمخالفتك مجرد المخالفة هذا الشيء.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إلاَّ بِاللَّهِ﴾.

فاعْلَمْ أنه لا يقدر هو ولا غيرُه على الطاعة إلاّ بتوفيق اللّه، ومعنى ﴿إليه أنيب﴾ إليه أرجع.

﴿وَيَا قَوْمِ لاَيَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيَ أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾.

مَوضع أنْ نَصْبٌ، المعنى لا تكْسِبَنَّكُمْ عداوتكم إيَّايَ أنْ يُصيبكم عذابُ العاجلة ﴿مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ، وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾.

وكان إهلاك قوم لوط أقربَ الإهْلاَكات التي عرفوها، فكأنه قال لهم: العظةُ في قوم لوط قريبةٌ مِنكم.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وإنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾ - وكان ضرِيراً.

وحِمْيرُ تُسمِّي المكفوف ضعيفاً، وهذا كما قيل ضَرِيرٌ أي قد ضُرَّ بذهاب بَصَرِهِ، وكذلك قد كُفَّ عن التَصَرُّفِ بذهاب بصره.

﴿وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾.

أي لولا عشيرتك لرجمناك أي لَقَتَلْنَاك بالرَّجْم، والرجم من سَيِّء القتلات، وكان رهطه من أهل مِلَّتِهِمْ فلذلك أظهروا الميل إلَيْهِمْ والإكرام لهم.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾.

أي أنتم تزعمون أنكم تتركون قَتْلِي إكراماً لِرهْطِي - واللّه - جل وعزَّ - أولى بأن يتبعَ أمْرُه.

﴿واتَّخَذْتُمُوه وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾.

أيْ نَبَذْتُموه وَرَاءَ ظهوركم، والعرب تقول لكلّ من لا يعبأ بأَمْرٍ قد جعل فلانٌ الأمر بظهره، قال الشاعر(١):

تميم ابن قيس لا تكـونن حـاجتي　　بـظهـرٍ فـلا يعيى عليَّ جـوابهـا

وقوله ـ جلَ وعزَّ ـ: ﴿وأخَذَتِ الذِّين ظَلَمُـوا الصَّيْحَةُ فـأَصْبَحُوا فِي دِيَـارِهِمْ جاثِمينَ﴾.

يروى أنَّ جبريلَ صَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً فماتوا في أمْكِنَتِهِمْ، فأصبحوا جاثمين لا يقدرون على حركة قَدْ مَاتوا.

﴿كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

كأن لم ينزلوا فيها، يقال: غَنِينَا بِالْمَكانِ إذَا أنزَلْنَا بِهِ.

﴿ألاَ بُعْداً لِمدْيَنَ﴾(٢).

---

(١) هو الفرزدق، وقصة هذا الحادث كما رواها المبرد في كامله أن الحجاج ولى تميم بن زيد القيني السند، فدخل هذا البصرة وجعل يخرج من أهلها من شاء، وكان لامرأة عجوز بالبصرة ولد يسمى خُنيساً، فجاءت إلى الفرزدق بحصيات من قبر أبيه وقالت اني استجرت بقبر أبيك، وقالت لا قرة لعيني ولا كاسب غير هذا الولد فكتب الفرزدق إلى تميم:

تميم زَيدٍ لا تكـون حـاجتي

وهب لي خنيساً واحتسب فيه منة　　لحـاجـة أم مـا يسـوغ شـراً بهـا

أتـتني فـعـاذت يـا تميـم بـغـالب　　وبـالحفـرة الـسـافي عليهـا تـرابهـا

ولم تكن الكتابة منقوطة فلم يعرف تميم اسمه خنيس أم حبيش ووجد في عسكره ستة أشخاص أسماؤهم بين خنيس وحبيش فوجه بهم إليه.

ورواية البيت ـ تميم بن زيد ـ لا ابن قيس كما هنا.

وانظر البيت في الكامل ١/٢٩١ (تجارية) وذيل الأمالي ٧٧ والأغاني ٢١/٣٥٥، ٣٥٦.

جاء في النسخة ط بعد هذه الآية: هذه العبارة.

ثم الجزء الثاني والحمد لله وصلواته على صفوته من خلقه محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

(٢) من الآن فصاعداً يكون لدينا نسخة واحدة هي نسخة ـ ر ـ من المعهد البريطاني ـ ليس لدينا سواها ـ وفى آخرها تشويه نسأل الله تعالى أن يعيننا على التهدي لمعرفة ـ ما كتب فيه وهوامش

﴿أَلَا﴾ حرف يُبتدأ الكلام به، وهو تنبيه للمخاطب

ومعنى ﴿بُعْداً لِمَدْيَنَ﴾ أنهم قد بُعُدوا مِنْ رَحْمةِ اللّهِ، وهو منصوب على المصدر، المعنى أَبْعَدَهُم اللّه فبعُدوا بعداً، ودليل ذلك: ﴿كما بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

ويجوز بعَدَت وَبَعُدَتْ(١).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾.

أي بعلاماتنا التي تدل على صِحة نبوَّته.

﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

أي وحجة بَيِّنةٍ. والسُّلْطانُ إنما سُمِّيَ سُلْطَاناً لأَنَّه حُجةُ اللّه في أرْضِه. واشتقاق السلطان مِنَ السليط، والسليط ما يُضَاءُ بِهِ، ومن هـذا قيلَ للزَّيْت سَليطٌ.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ﴾.

مَلؤُهُ أشرافُ قَوْمِهِ، الَّذِينَ هم مِلاءٌ بالرَّأْيِ والمَقْدِرَة ﴿فاتبعوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

أي استحبُّوا العَمَى علىَ الهُدَى.

﴿يقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

يقال قَدَمْتُ القَوْم أقدُمُهُمْ قَدْماً وقُدُوما إذا تَقَدَّمتُهُمْ. أي يقدُمُهم إلى النَّارِ، ويدُل على ذلك قوله: ﴿فأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ﴾.

= هذه النسخة ـ مشحونة بتعليقات معظمها منقول من كتابي الكشاف، والنسفي ـ ولم يهتم كاتبها بالبحوث اللغوية ـ ويذكر على الهامش أحياناً كلمة نسخة وبجانبها تصحيح أو رواية ثانية ولكن هذه قليلة جداً وقد أثبتناها في أماكنها.

(١) بَعدَ يبعَدُ بمعنى هلك ومات فيكون دعاء عليهم بالهلاك كما هلكت ثمود.

وقوله: ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ﴾.

كل شيءٍ جعَلْتَه عَوْناً لِشَيْءٍ، وأسندتَ به شيئاً فقدْ رَفَدْتَه، يقال عمدتُ الحائِطَ وأسنَدْتُه ورَفَدْتُهُ بمعنى واحدٍ، والمِرْفَدُ القَدَح العظيم.

وقوله: ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾.

أي من القُرى الّتي أُهْلِكتْ قَائِمٌ قد بقيت حِيطَانُه، نحو قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾[1].

﴿وحَصِيد﴾ مخسوف به، وهي ما قَد انمحى أثَرُه.

وقوله: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾.

معناه غير تخسير، ومنه قوله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي خسِرَت.

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَه النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ فأعلم الله - عَزَّ وجلّ - أنه يحيي الخلق ويبعثهم في ذلك اليوم ويشهدوا به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بِإذْنِهِ﴾.

الذي يختاره النحويون: يوم يأتي لا تكلم نفس إلّا بإذنه. بإثبات الياء، والذي في المصحف وعليه القراء القراءات بكسر التاء [من غير ياء]. وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيراً، وقد ذكر سيبويه والخليل أن العربَ تقول لا أَدْرِ فتحذف الياء وتجتزي بالكَسْرِ، إلاّ أنّهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال. والأجود في النحو إثبات الياء والذي أراه اتباع المصحف مع اجماع القراء، لأن القراءة سنة، وقد جاء مثله في كلام العرب.

وهذه الآية فيها سؤال أكثر ما يَسْأَلُ عنه أهل الالحاد في الدّين فيقولون لم قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بِإذْنِهِ﴾، و ﴿هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ. ولا

(١) سورة الحج الآية ٤٥.

﴿يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[1]، وقال في مواضع من ذكر القيامة ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾[2]، وقال: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِها﴾[3] وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُون﴾[4]، وقال ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[5].

ونحن نفسر هذا على ما قالت العلماء المتقدِّمون في اللغة المسلمون الصحيحو الإسلامِ:

قالوا: قوله - عزّ وجلّ - :﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَسْؤولُونَ﴾: اللّٰه عالم بأعمالهم فَسُألُهُم سؤالُ توبيخ وتقرير لإيجاب الحجة عليهم، وقوله: فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جانّ-أي لا يُسْأَلُ لِيُعْلَمَ ذلك منه، لأن اللّٰه قد علم أعمالهم قبل أن يعملوها. وكذلك قوله عزّ وجلّ:﴿لا ينطقون﴾، أي لا ينطقون بحجة تجبُ لَهُم، وإنما يتكلمون بالإقْرارِ بِذُنُوبِهِمْ ولَوْمِ بعضهم بعضاً وطَرْحِ بَعضِهِم الذنوبَ على بعضٍ، فأما التكلم والنطق بحجَّة لهم فلا، وهذا كما تقول للذي يخاطبك كثيراً وخطابه فارغ من الحجة: ما تكلمت بشيء، وما نطقت بشيء فسمي من تكلم بما لا حجَّةَ له فيه، غير متكلم - كما قال عزّ وجلّ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ فَهُمْ لَا يُبصِرونَ[6] وهم يُبْصِرُون ويَسْمَعُونَ إلاَّ أنَّهم في أنَّهم لا يقبلون ولا يُفكِّرُونَ فيما يسمعون ولا يتأمّلونَ، بمنزلة الصّمِّ، قال الشاعر[7]:

---

(١) سورة المرسلات ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة ن ٣٠.

(٣) سورة النحل / ١١١،.

(٤) سورة والصافات ٢٤.

(٥) الرحمن ٣٩.

(٦) سورة البقرة الآية ١٨﴿فهم لا يَرْجِعُون﴾.

(٧) تقدم.

أصـــم عـمـا ســاءه ســمـيـع

فهذا قول حسن.

وقال قوم: ذلك اليوم طويل وله مواضع ومواطن ومـواقف، في بعضها يُمْنَعُـونَ من الكلام وفي بعضهـا يطلق لهم الكـلامُ، فهذا يـدل عليه ﴿لاَ تَكَلَّم نَفْسٌ إلاَّ بإذْنِهِ﴾ ـ وكلا القولين حسن جميل.

﴿فَأَمَّا الَّذِين شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُم فِيهَا زَفِيرٌ﴾ من شديد الأنين وقبيحه، ﴿[وشهيق]﴾ والشهيق الأنين الشديد المرتفع جدًّا. وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمـار في النهيق، والشهيق بمنزلـة آخر صـوته في النهيق.

وقوله تعالى: ﴿إلاَّ مَاشَاءَ رَبُّكَ﴾.

فيها أربعة أقوال. قولان منها لأهل اللغة البصريين والكوفيين جميعاً.

قالوا: المعنى خالدين فيها إلا ما شاء ربك بمعنى سـوى ما شـاء ربُّك، كما تقول: لـو كان معنـا رجل إلاَّ زَيْداً[١] أي رجل سوى زيدٍ ولـك عندي ألف درهم سـوى الألفين، وإلاّ الألفين اللذين لك عِنْــدِي. فـالمعنى على هـذا خـالدين فيهـا مقدار دوام السمـوات والأرض سـوى مـا شـاء ربـك من الخلود والزيادة كما قلت سوى الألفين اللتين[٢] عَليَّ.

وقالوا قولاً آخر: إلا ما شاء ربك وهـو لا يشـاء أن يخرجهـم منها، كمـا تقول أنا أفعل كذا وكذا إلا أن أشاء غيـر ذلك ثم تقيم على ذلـك الفعل وأنت قادر على غير ذلك، فتكون الفائدة في هذا الكلام أن لو شاء يخـرجهم لَقَدَرَ، ولكنه قد أعلمنا أنهم خالدون أبداً.

---

(١) في الأصل إلا زيدٌ.

(٢) في الأصل الألفان التي وهو خطأ.

فهذان المذهبان[1] من مذاهب أهل اللغة.

وقولان آخران:

قال بعضهم إذا حُشِرُوا وبُعِثُوا فهم في شُروط القِيامَةِ فالاستثناء وقع من الخلود بمقدار موقفهم للحساب. والمعنى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسَبةِ.

وفيها قول رابع: انَّ الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيراً وشهيقاً إلاَّ ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تُذْكر، وكذلك لأهل الجنَّة نعيمُ ما ذُكر[2] ولهم ما لم يذكر مما شاء ربُّكَ، ويدل عليه ـ والله أعلم ـ عَطاءً غَيرَ مَجْذُوذٍ.

أي غير مقطوع. قَالَ النّابعةُ[3]

تجدُّ السلوقي المضاعَفَ نسجُه وتوقدُ بالصُّفَّاح نارَ الحُباحِبِ

يصف السيوف وأنها تقطع الدُّرُوع

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾.

أي نوفيهم ما يصيبهم من خير أو شرٌ

وقوله: ﴿وَإِن كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ [رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ]﴾.

قرئت بتشديد النون وتخفيفها، وقرئت «لَمَّا» بتخفيف الميم ولمَّا

(١) أي فهذان هما المذهبان اللذان تقدم ذكرهما.

(٢) نعيم الخلود الذي ذكر.

(٣) من قصيدته:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وروايته المشهورة تقد، وتجذ وتقد بمعنى تقطع ـ يقول إن ضرباته تقطع الدروع وتقتل الفارس وتضرب بعد ذلك حجارة الأرض فتقدح بها ناراً كنار الحباحب، والحباحب حشرات طائرة يكون لأجنحتها لمعان كالنار وانظر القصيدة في الديوان من الستة والبيت في اللسان (سلق).

بتشـديدهـا. فأمـا تشديـد «إنْ» والنصب فعلى بـاب إنّ، وأمـا تخفيفهـا وتـرك النصب على حـاله فـلأن «أنّ» مشبهة بـالفعل فـإذا حذف منهـا التشـديـد بقي العمل على حاله، وأما تخفيف «لما» فهو الوجه والقياس، ولام لمَّا لام «إنَّ»[1] و «مَا» زَائدةٌ مؤكدة. لم تغيِّر المعنى ولا العمل. وأمَّا التشديد في «لَمَّـا» فزعم بعض النحويين أن معناه «لَمَنْ مَا» ثمَّ انْقلبتْ النون ميماً فاجتمع ثلاث ميمـات فحذفت إحداها[2] ـ وهي الوسـطى، فبقيت لمَّا ـ وهـذا القول ليس بشيء لأنَّ «مَنْ» لا يجوز حذفهـا[3]، لأنها اسم على حـرفين، ولكن التشديـد فيه قَـوْلَانِ أحـدهما يـروى عن المازني. زعم المـازنيّ أن اصْلَها لَمَـا ثم شددت الميم، وهذا القول ليس بشيء أيضـاً. لأن الحروف نحـو «رُبَّ» وما أشبههـا تخفف، ولسنا نُثَقِّلُ ما كان على حرفين فهذا مُنْتَقِضٌ.

وقـال بعضهم قـولاً لا يجـوز غيـره ـ واللَّه أعلم ـ أن «لمَّـا» في معنى: إلَّا.. كما تقول سألتك لَمَّا فعلت كذا وكذا. وَإلَّا فعلت كذا. ومثلهُ: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[4]. معناه «إلا» وتأويل اللام مع «إن» الخفيفة إنما هـو تـأويل الجُحـد والتَّحقْيِق، إلا أن «إنْ» إذا قلت إنْ زَيداً لَعَـالمٌ هي «مَا» ولكن الـلام دخلت عليها لئلا يُشْبِهَ المنفيُّ المثبتَ فتكـون المشددة بـدخـول الـلام عليها بمعنى المخففة إذَا دخلت عليهـا اللام. فعلى هـذا جاءَتْ «أنَّ» الناصبة. فجائز أن تكون «أنَّ» النَّاصِبَةُ مِنْ حيث دخلت عليها الـلام كما دخلت على إن غير الناصبة دخلت عليها «لَمَّـا» ودخلت عليها «إلَّا» فصـار الكلام في تخليص التحقيق له بمنزلة ما نفي عنه غير المذكور بعد «لما»، ووجب له ما بعـد «لَمَّا»

(١) لام التوكيد التي تأتي بعد «إنْ» المخففة لتميزها عن «إن» النافية.

(٢) في الأصل إحداهما.

(٣) لا يجوز حذف شيء منها.

(٤) سورة الطارق الآية ٤.

فتقول على هذا الحدّ إن كلهم لَمّا يُحبّني ـ معناه يؤول إلى معنى ما كلهم إلاّ يُحبُّني، وكذلك يجوز إنْ كلّاً لما يُحِبُّني، بحذاءإنْ كُلّاً لَما يُحِبُّني، فدخلت «لَمّا» محقَّقَةً كما دخلتِ اللام محَقَّقَةً وصار تأويل الجملة تأويل المنفي والمحقق.

وحكى سيبويه وجميع البصريين أن «لَمّا» تستعمل بمعنى إلاّ. ويجوز إنّ كلا «لَمّا»[1] لَيُوفينَّهم، معناه وأن كُلّاً لَيُوفِّيَنَّهم جَمْعاً. لأنَّ معنى اللَّمّ الجمع يقال لممت الشيء ألُمُّهُ لماً إذا جَمَّعْتُه، فَأَمَّا قولهم: لَمَّ اللَّه شَعَثَك، وفتأويله جمع اللَّه لك ما يُذْهِبُ شَعَثَك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَي النَّهار وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ فَطَرفا النهار غُدُوُّه وعَشِيُّه، وصلاة طرفي النَّهارِ الغَدَاة والظهر والعصرُ.

﴿وَزُلَفاً مِنَ اللّيل﴾.

ويجوز وزُلُفاً من الليل ـ بضم الزاي واللام ـ وهو منصوب على الظرف كما تقول حَيِّنَا طَرفي النَّهارِ وأولَّ الليل ـ ومعنى زُلَفاً من الليل الصلاة القريبة من أول الليل، وزلَفاً جمع زُلْفة، يعنى بالزلف من الليل المغرب وعشاء الآخرة.

﴿إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيئات﴾.

أي إن هذه الصلَوات تكفِّر ما بينها من الذنوب. وهذا يُصَدِّقُ ما في الخبر مِنْ تكفير الصَّلَواتِ الذنوبَ.

والزُّلُف واحدٌ مثل الحُلُم. وجائز أنْ يكونَ جَمْعاً ـ على زَليف مِنَ الليل فيكون مثلَ القَريبِ والقُرُب، ولكن الزُّلَف أجودُ في الجمع. وما علمت أنَّ زَليفاً يستعملُ في اللَّيْل.

---

(١) منونة.

وقوله: ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾.

معناه أولو تمييز، ويجوز أن يكون معناه «أولو» طاعة.

ومعنى البقية إذَا قلتَ فلانٌ في بَقِيةٍ، معناه[1] فيه فضل فيما يمدح به.

﴿إلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.

استثنــاء منقـطع، المعنى لكنَّ قليــلاً ممَّن أنجينــا منهم ممن نهى عـن الفساد.

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾.

معناه اتبعوا الشيء الذي به تـدوم لهم التُّرْفَـةُ والنعيم، وركنوا إلى الـدنيا فلم يقبلوا ما ينقص تُرْفَتَهُمْ في كسب أو عمل.

﴿وَمَا كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وأَهْلُها مُصْلِحُونَ﴾.

يجوز أن يكون وَمَا كَانَ ربُّكَ ليهلك أحداً وهوَ يظلمهُ ـ كما قال: ﴿إِنَّ اللَّه لَا يَظْلِمُ النَّاس شَيْئاً﴾[2]. وجائز أن يكون معناه: وما كـان ربك لِيهلِك القـرى ـ ومعناه أهل القرى ـ بظلم وأهلها يتَعاطَوْن فيما بينهم بالنصفة.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أي لو شاء لجمعهم على هدايته، كمـا قال ـ عـزّ وجلّ ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُم عَلَى الهُدَى﴾[3].

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾.

«مَنْ» استثناء، على معنى: لكن من رحم ربك فإنه غير مخالف.

---

(١) في الأصل فمعناه، وحذفنا الفاء لتكون هذه الجملة هي الخبر عن معنى.

(٢) سورة يونس الآية ٤٤.

(٣) سورة الأنعام الآية ٣٥.

وقوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

أي خَلَقَهُمْ للسعادة والشقاء، فاختلافهم في الدّين يؤدي بهم إلى سعادة أو شَقَاء. وقيل: ولذلك خَلَقَهُمْ أي لرحمته خَلَقَهم، لقوله إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، والقَوْلُ الأول يدل عليه.

﴿وتَمَّتْ كلمةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ﴾.

لأملأنَّ لَفْظُ القَسمِ، أيْ فتمَّ قَولُه لأملأنَّ جهنم[1]

﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

«كُلاًّ» منصوب بنَقُصُّ، المعنى وكلَّ الذي يُحتاجُ إليه من أنباء الرسل نقُصُّ عليْكَ. و «ما» منصوبة بدل من كل.

المعنى: نقص عليك ما نُثبتُ به فؤادك. ومعنى تَثْبِيْتُ الفؤادِ تسكين القلب، [وهو] ههنا ليس للشك، ولكن كلما كان الدّلالة والبرهان أكثر كان القلب أثبت كما قال إبراهيم: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[2].

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلمُؤْمِنِينَ﴾.

يجوز أن يكون وجاءك في هذه السُّورة، لأن فيها أقاصيص الأنبياء ومواعظ وذكر مَا فِي الجنَّةِ والنَّارِ.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿وجاءك في هذه الحق﴾.

أي في ذكري هذه الآيات التي ذُكِرَتْ قبل هذا الموضع.

أي جاءك الحق في أن الخَلقَ يُجَازَوْنَ بأَنْصِبَائِهِمْ في قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾، وَفِي قوله: ﴿وَإِنَّ كُلاًّ لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾.

---

(١) أي لأملأن بدل من كلمة، أي تم ما أقسم الله عليه.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٠.

وقد جاءَهُ في القرآن كُلِّهِ الحقُّ، ولكنه ذكرها هنا توكيداً، وليس إذا قيل قـد جاءك في هـذه الحق وجب أن يكون لم يـأتك الحق إلا في هـذه، ولكن بعض الحق أوكدُ من بَعضٍ في ظهوره عندنا وخفـائه علينـا، لا في عينه. إذَا قُلْتَ: فُـلانٌ في الحق وأنت تريـد أنه يجـود بنفسـه، فليس هـو في غيـر تلك الحـال في باطـل، ولكنه ذِكْـرُ الحقِّ ههنا أغنَى عَنْ ذكـر الموتِ لعـظمه وأنـه يحصل عنده على الحق.

سورة يوسف
مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾.

المعنى هذه الآيات، تلك الآيات. ﴿المُبِينُ﴾ الذي وعدتم به في التوراة[1] كما قال: ﴿الٓمٓ ذلك الكتاب﴾.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً﴾.

هذه الهاء تصلح لشيئين، أحدهما أن تكون للكتاب، المعنى إنا أنزلنا الكتاب قرآناً عربياً. ومعنى «قُرْآن» مجموع[2]، ويجوز أن يكون إنّا أنْـزَلنَاهُ أي أنزلنا خَبَرَ يُوسُفَ وقِصَّتَهُ.

ويروى أن علماءَ اليهود قالوا لِكُبَراءِ المُشْرِكين: سَلُوا محمداً لم انتقل آلُ يعقوبَ من الشّام إلى مصر، وعن قصة يُوسُفَ فقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِيًّا﴾.

ودليل هذا القول قولُه - عزّ وجلّ - : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِه آياتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾.

وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾.

---

(١) أي الكتاب المبين الحجة والدلالة الذي وُعِدْتم به.

(٢) تقدم شرح قرآن في الجزء الأول.

أي نبين لك أحْسَن البَيَانِ[1] والقاصُّ الذي يأتي بالقِصَّةِ على حقيقتها.

﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرآنَ﴾.

أي بِوَحْيِنَا[2] إلَيْكَ هذا القرآنَ. القراءةُ نصبُ القرآنِ ويجوز الجرُّ والرَّفْعُ جميعاً، ولا أعلم أحداً قَرأ بهما. فأما الجرُّ فعلى البدل من قوله: ﴿بِمَا أوحينا إليك﴾، فيكون المعنى نحن نقص عليك أحسن القصص بهذا القرآن، ولا تَقْرأَنَّ بها. والرفع على ترجمة[3] مَا أَوْحَيْنا إليك، كأن قائلاً قال: ما هو؟ وما هذا فقيل هذا القرآن، ولا تقرأن بها أيضاً.

﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ﴾.

أي من الغافلين عن قصة يوسف وإخوته، لأنهُ عليه السلام إنما عَلِمَ ذلك بالوحي.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ﴾.

يجوز أن يكون موضع «إذْ» نَصْباً[4]. المعنى نَقُصُّ عليك إذْ قال يوسف لأبيه ويجوز أن يكون على معنى اذكر إذ قال يوسف لأبيه.

﴿يا أَبَتِ إِنِّي﴾.

في قوله: ﴿يَا أبتِ إنّي﴾ قراءتان: يَا أَبَتِ إنِّي، ويَا أَبَتَ إني - بالخفض والنصب[5]. وأجاز بعض أهل العربية يا أبةُ إنّي.

فمن قرأ ﴿يا أَبتِ إني﴾ - بكسر التاء - فعلى الإضافة إلى نفسه وحذف الياء، لأنّ ياء الإضافةِ تحذف في النداء، وقد ذُكِرَ ذَلِكَ فيما سلف من

---

(١) القصص مصدر، بمعنى الحديث والرواية.

(٢) «ما» إذن مَصْدرية.

(٣) أي على توضيحه وبيانه - فهي جملة مستانفة مبتدأ وخبر.

(٤) هي نصب على أي حال والاختلاف في تقدير العامل.

(٥) في تاء «أبت».

الكتاب، وأما إدْخَالُ التَّأنِيثِ في الأب فإنما دخلت في النداء خاصة، والمذكر قد سمّي باسمٍ لِمؤنَثٍ فِيه عَلاَمَةُ التَّأنِيثِ، وَيُوصَفُ بما فيه هاء التأنيث. فأما المذكر الذي يسمى بِمُؤنَّثٍ فقولهم عين ونفس يراد به الرجل(١)، وأما الصِّفة فقولهم غلام يَفَعَةٌ(٢)، ورَجُل رَبْعَةٌ(٣). والتاء كثرت ولزمت في الأب عوضاً من تاء الإضافة. والوقف عليها يا أَبَهْ وإن كانت في المصحف بالتاء، وزعم الفراء أنك إذا كسرت وقفت بالتاء لا غير، وإذا فتحت وقفت بالتاء والهاء،

وَلاَ فرق بين الكسر والفتح(٤).

وزعم قطرب أن الفتح على جهات إحْداها(٥) أنك أردت يا أبةً ثم حذفت التّنوينَ، وعلى يَا أَبْتاه(٦) وَعَلَى قولِ قولُ الطرماح(٧).

يا دارَ أقوت بعدَ أَصْرَامها عاماً وما يَعْنِيكَ مِنْ عَامِها(٨)

وهذا الذي قاله قطرب خطأ كله. التنوين لا يحذف من المنادى

---

(١) يسمّى الرجل بذلك ـ أو يوصف به مثل رجل عين، أي جاسوس.

(٢) ناشيء حديث.

(٣) لا بالطويل ولا بالقصير.

(٤) أي الفراء مخطىء في هذه التفرقة.

(٥) في الأصل أحدهما.

(٦) نادى «يَا أبتاه» فحذف الهاء.

(٧) الطرماح بن حكيم بن الحكم من طيىء شاعر إسلامي فحل، ولد ونشأ بالشام، ثم انتقل إلى الكوفة فكان معلماً وخارجياً من الشراة، وكان متصلاً بخالد بن عبد الله القسري، وكان خالد يكرمه ويستجيد شعره، وكان من أصدقاء الكميت لا يكادان يفترقان ـ والكميت شيعي والطرماح خارجي ـ وهو من الهجائين والشجعان. قيل لو تقدمت أيامه قليلاً لفضل على جرير والفرزدق.
انظر الأغاني ١٠/٤١٨ (بولاق)، والبيان والتبيين ١/٢٧، والخزانة ٣/٤١٨، وانظر شرح التبريزي على الحماسة ١/٢٢٥. ت محمد محيي الدين، وسيبويه ٢/٢٠١.

(٨) الأصرام بفتح الهمزة جمع صِرْم ـ بكسر أوله ـ وهو الفرقة والجماعة من الناس ـ أي أقفرت بعد أن كانت مأهولة ـ ورواية اللسان (صرم): «وما يبكيك» ثم يقول: وما الذي يعنيني أو يبكيني من شأنها ـ ينكر على نفسه هذا العمل، أي انه خليق أن يتصرف إلى شيء أهم.

المنصوب، لأن النصب إعرابُ المنادى، ولا يجوز معرَبٌ منصرف غير منون في حال النصب[1] وأما قوله: يا دارَ أقوت، بنصب الدَّارِ فلم يَرْوِه أَحَدٌ من أصحابنا ولا أعْرِفُ له وجهاً. أنشد سيبويه والخليل وجميع البصريين يَا دَارُ أَقْوتْ، بضَم الراء، وأما يا أبتاه، فَالنُّدبة ههنا لا معنى لها.

ولكنَّ الفَتْحَ يجوزُ على أَنَّه أَبْدَلَ من تَاء الإضافة أَلفاً ثم حذف الألف وبقيت الفتحة، كما تحذف بالإضافة[2].

وَأَمَّا «يَا أبةُ إني» بالرفع فلا يجوز إلاّ على ضعف، لأن الهاء ههنا جعلت بدلاً من ياء الإضافة.

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً﴾.

القراءة بفتح العين وفتح جميع الحروف في أَحَدَ عَشَر. وقد روي بتسكين العين في القراءة: «أَحَدَ عْشْرَ كوكَباً» قرأ بها بَعْضُ أهلِ المدينة وهي غير منكرة مَا كَانَ قبل العين حرف متحرك لكثرة الحركات في قوله أَحَد عَشَر فأما اثنا عَشَر فلا يجوز فيها الإسكَان في العين. وقد رويت لغة أخرى [وهي] أحد اعْشَرَ وهذه الرواية في الرداءة وتَرْكِ الاستعمال بمنزلة الحمدِ للَّه، لا يلتفت إليها.

فأما التسكين في العين[3] فقراءة صحيحة كثيرة ولكنَّ سيبويه والخليلَ وجميعَ أصحابهم لا يجيزون إلاّ فتح العين، إلاّ أنَّ قُطْرُباً قد روى إسكان العين ورواه الفراء أيضاً، وقد قُرِئَ به. فأما ما لا اختلاف فيه ففتح العين.

و ﴿كوكباً﴾ منصوب على التمييز.

---

(١) لا يجوز حذف التنوين من الاسم المنصرف.

(٢) الأصل يا دارا بمعنى يا داري.

(٣) العين من عَشَرَ وهي الشّين.

﴿والشَّمْسَ والْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

فكرر رأيتهم توكيداً، المعنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقَمَرَ لِي سَاجدين فكرر «رأيتهم» لَمَّا طال الكلام.

فأمّا قوله ﴿سَاجِدِينَ﴾ فحقيقته[1] فِعْلُ كُلِّ ما يعقل، وجَمعُه وجمعُ ضميرِه بالواو والنون في الرفع، والياء والنون في النصب والجر. فإذا وصف غير الناس والملائكة بأنه يعبد ويتكلم فقد دخل في المُمَيِّزين وصار الإخْبَارُ عنه كالإخبَارِ عنهم.

فمن ذلك قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يا أيُّها النَّمْل ادْخلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[2] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَه كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[3] وقال: ﴿وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[4].

فَالوَاوُ والنّونُ دَخَلَتَا لِمَا وَصَفْنَا مِنْ دخولهم في التمييز[5]، والألف والتاء والنون لكل مؤنث ولكل مَوَاتٍ لا يَعقل غَيْرِ المميزين، فإذا جَعَلَ اللّه عزّ وجلّ غير المميزة كالمميزَةِ فكذلك تكون أفعالُها والأنْباء عنها.

وقوله:﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾.

معناه يختارك ويصطفيك، وهو مشتق مِنْ جَبَيْتَ الشَّيءَ إذَا حَصَّلْتَه لنفسِكَ، ومنه جَبَيْتُ الماءَ في الحوض. وموضع الكاف في قوله «كذَلِكَ» نصبٌ، المعنى ومثلَ ما رأيتَ تأويلَه، ﴿يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل

---

(١) حقيقة السجود.

(٢) سورة النمل الآية ١٨.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٦٣.

(٤) سورة يس الآية ٤٠، وسورة الأنبياء ٣٣.

(٥) دخول هذه الأصناف غير المميزة في جنس الأصناف المميزة حيث أسند إليها فعلهم. والأولى أن يقول: «من دخولها».

الأحـاديث﴾ قيل يعلمك تأويل الرؤيـا وقيـل يعلمـك تـأويـل أحـادِيثِ الأنبيـاء والأمَم ، يعني الكتب وكلاهما جائز ـ والله أعلم ـ.

﴿وَيُتِمُّ نعمَتَه عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وإِسْحَقَ﴾.

المعنى يتمها كما أتمها على أبويك، فقد فَسَّر لَهُ يَعْقوبُ الرؤيا، والتأويل أنه لما قال له إني رأيت أحد عشر كوكباً والشَّمْس والقَمَرَ رَأَيْتُهمْ لي سَاجِدين، فتأَوَّلَ الأَحَدَ عَشَرَ كوكباً أَحَدَ عَشَرَ نفْساً لَهُمْ فَضْلٌ وأنهم يُسْتَضَاءُ بهِمْ، لأَنَّ الكَواكِبَ لاَ شَيْءَ أَضْوأُ مِنْهَا وبها يُهْتَدَىَ. قال الله جلّ وعز: ﴿وبالنَّجْمِ هُمْ يَهتَدُونَ﴾[1]. فتأول الشَمسَ والقَمَرَ أَبَوَيْه. فالقمرُ الأبُ والشمسُ الأمُّ والأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً إِخْوَتُه، فتأوّل له أنه يكون نَبِيًّا، وأن إخوته يكونون أنبياء لأنه أعْلَمَهُ أن الله يُتمُّ بنعمته عَلَيْه وَعَلَى إِخْوَته كما أتَمّها على أَبَوَيْهِ إبراهيمَ وإسحاقَ فإتمام النِّعمَةِ عَلَيْهِم أن يكونوا أَنْبِيَاءَ، إذ قال: ﴿كمَا أتمها عَلَى أبويكَ مِنْ قَبْلُ إبراهيمَ وإسحَقَ﴾.

وقوله: ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾.

الرؤيا فيها أربعُ لغاتٍ. رُؤْيَا بالهمز، ورُوْيا بالواو بلا همز، وهاتان يُقْرأُ بِهِمَا. ورُيَّاك بالإدغام، ورِيَّاك بكسر الرَّاء ـ وَلاَ تَقْرأْ بِهَاتَيْنِ.

ويوسف فيه لغتان، يوسُفُ بضم السِّينِ ويوسف بكسر السِّينِ وكذلك يُونُس، ويُونِس. وحَكَوْا يُونَسَ بفتح النُّونِ، حكاها قطرب وهي شاذَّة.

وقوله عز وجل: ﴿آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾.

وَقُرِئَتْ آيةٌ. ومعناه عِبْرَةٌ، وقَدْ رُويت في غير هذا المصحف عِبْرَةٌ للسائلين، وهذا معنى الآية. ويجوز أن تكون «آيةٌ» بَصِيراً للسائلين الذين

---

(١) سورة النحل الاية ١٦.

سألوا النبي ﷺ فَأَنْباهُم بقصَّةِ يُوسُفَ. وهو عنها غافل لم يقْرأ كتاباً ولم يأته إلاّ من جهة الوحي جَوَاباً لهم حين سألوه.

وقوله:﴿إِذْقَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحن عُصْبَةٌ﴾أي إنّ أبَانَا قَدَّمَ اثنين صَغِيريْن في المَحبَّةِ عَلَيْنا، ونحن عُصْبَةٌ، أي جماعةٌ نفعنا أكثـر من نفع هذين.

﴿إِنَّ أَبانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾.

هذا موضع ينبغي أن يُتَفَهَّمَ، إنما عَنَـوْا أن أبَاهُمْ ضَـالٌّ في محبَّة هـذين ولَوْ وَصَفُوه بالضلالة في الدين كانوا كُفَّاراً. والعُصْبةُ في كـلام العرب العَشِيـرةُ ونحوهم.

وقوله عز وجل:﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ﴾.

أي تَتُوبونَ من بعد قتله.

وقوله: ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً﴾.

معناه ـ واللّه أعلم ـ أرضاً يَبْعـدُ بها عن أَبِيـه لأنَّه لن يَخْلُوَ مِن أَنْ يكـونَ في أرضٍ.

قوله:﴿يَخْلُ لَكُم وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾.

يدل علي أنَّهم تآمروا في أن يَطْرحُوه في أَرض لا يَقْدِرُ عليه فيها أبـوه[1] وأرضـاً منصوب على إسقـاط في وإفْضَـاءِ الفِعْـل إليهـا، لأن أَرْضـاً لَيْسَتْ من الظروف المبْهمة.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ﴾.

الغَيابَةُ كلُّ مَا غَابَ أو غَيَّبَ عَنْكَ شيئاً، قال المنخل[2].

---

(١) لا يقدر على إرجاعه أو الوصول إليه.

(٢) هو المنخل بن سُبَيْع بن معاوية، روى له الآمدي في المؤتلف أبياتاً قالها في أخويه حين هـاجرا من =

وإن أنا يَوْماً غيبتني منيَّتي		فسيري بسيري في العشيرة والأَصْلِ

والجب البئر التي ليست بمطويَّةٍ، وسُمِّيتْ جُبًّا من أنها قُطِعَتْ قَطْعاً، ولم يحدث فيها غير القطع، مِنْ طيٍّ وما أَشْبَهَهُ.

ورووْا أن اسم الذي أشارَ عَليهم بِأَلاَّ يَقْتُلوهُ يَهُوذَا، وَكانَ مِنْ أَشَدِّهم[1].

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾.

هذا أكثر القراءة - باليا - وقرأ الحسن تلتقطه بالتاء، وأجاز ذلك جميع النحويين، وزعموا أن ذلك إنما جاز لأن بعض السّيارة سيَّارةٌ، فكأنه قال: تلتقطه سَيَّارةُ بعض السَّيارَةِ، وأنشدوا:

وتشرقُ بالقول الذي قد أذعَتَهُ		كما شرِقتْ صدرُ القناة من الدم[2].

وقوله عز وجل: ﴿مَالَكَ لاَ تَأْمَنَّنا عَلَى يُوسُفَ﴾.

قرئت على أربعة أوجُهٍ، على إشْمَامِ الميم الضَّمَّ[3] - تأمنُّنا، وعلى الإدغام وترك الإشمام، ﴿تأمَنَّا﴾، وقرئت ﴿تأمَنُنا﴾ بنونَين وضمة بينهما، وقرأ يحيى ابن وَثَّابٍ تِيْمَنَّا. وقراءة يحيى تخالف المصحفَ، وهي في العَرَبيَّةِ جَائزةٌ بكسر التاء في كل ما ماضيه على فَعِلَ نحو أَمِنَ - يا هذا - والإدغام لأن الحرفين من جنسٍ واحدٍ.

= جِلْتِه، وهو غير المُنخل اليَشْكُري، وهما غير المتَخَنِّل الهذلي والسعدي، انظر المؤتلف ٢٧١، ٢٧٢، والبيت في شواهد الكشاف ٩٦، والقرطبي ١٣٢/٩، ومجاز أبي عبيدة ٣٠٢/١.

(١) يهوذا الابن الرابع ليعقوب، وإليه ينتسب اليهود.

(٢) البيت للأعشى، وشرق بالقول غص به؛ كما يغص الشارب بالماء، وشبهه بالقناة التي يتلوث صدرها بالدّم. ولا يجف لتوالي الضرب. انظر الديوان ٩٤، وشواهد المغني ٢٩٨، واللسان (شرق). والشاهد فيه تأنيث تشرق وفاعله صدر مؤنث.

(٣) لعله إشمام النون.

والإشمام يدل على الضَّمَّة المحذوفة، وترك الإشمام جَيِّدٌ، لأن الميم مفتوحةٌ فلا تُغَيَّر، والإظهار في ﴿تأمَنّنا﴾ جيِّدٌ، لأن النونين من كلمتين.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾.

بالياء، وقرئت نرتع ونلعب [بالنون] وَقُرئَتْ يُرْتَعْ ويُلْعَبْ ـ بضم الياء ـ وقرئت نَرْتع ونَلْعَبْ. فجَزْمُ هذه القراءاتِ. كُلِّها على جواب الأمر، المعنى أَرْسِلْهُ إنْ ترسله يرتِعْ، وكذلك يُرْتَع، وكذلك يَرْتَع ويَلْعَبْ ـ بكسر العين ـ، وكسر العين من الرَّعْي، المعنى يَرْتَعِي وَيَلْعَبْ، كأنهم قالوا يرعى ماشيَتَهُ ويَلْعَبْ، فيجتمع النَّفْعُ والسُّرورُ[1]، ويَرْتَعُ من الرَّتْعَة، أي يتّسع في الخِصْب، وكل مُخْصِبٍ فَهُوَ رَاتِع.

وقوله: ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ﴾.

وقرئت غيابات الجُبّ، وقد فسرنا الجُبَّ.

وجاء في التفسير أنّها بئر بَيْتِ المَقْدِس.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

هذا جائز أن يكون من صلة لَتُنَبِّئَنَّهُمْ وهم لا يشعرون، وجائز أن يكون من صلة «وأوحينا» ـ المعنى: وأوحينا إليه وهم لا يشعرون ـ أي أنبأناه بالوحي وهم لا يشعرون أنه نبي قد أُوحي إليه.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾.

﴿عشاء﴾ منصوب على الظرف.

﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾.

وقِيلَ نَنْتَضِلُ[2]

---

(١) الكوفيون ونافع يقرأون (يرتع ويلعب بالياء فيهما) والباقون بالنون.

(٢) نستبق نتبارى في الجري، وننتضل نتبارى في الرَّمْي.

﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾.

اي بمصدّق لَنَا.

﴿وَلَوْ كنا صَادِقِينَ﴾.

ليس يَريدون أنّ يَعْقُوبَ ـ عليه السلام ـ لا يُصَدِّقُ من يَعْلَمُ أنّه صادق، هذا مُحالٌ، لاَ يُوصَفُ الأنْبياءُ بذلـك، ولكن المعنى: لو كنـا عندك من أهـل الثِّقَةِ والصِّدْق لاتَّهمتَنا فِي يُوسُفَ لمحبَّتِكَ إيَّاهُ، وظننت أنا قد كَذَبْنَاكَ.

وقوله:﴿وَجَاءُواعَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.

يـروى أنهم ـ رحمةُ اللَّه عَلَيْهِم ـ لمَّـا طَرَحُـوا يُـوسُفَ عليـه السـلام في الجُبّ أخَذُوا قميصَه وذَبَحوا جَدْياً فلطَّخوا القميصَ بدم الجَدْي، وقيل سخْلَة. والمعنى واحد، فلما رأى يعقوب (ﷺ) القميصَ قال: كَذَبْتُم، لو أكله الـذئبُ لخرَّقَ قمِيصَهُ. وقيل إنه قال إنْ كَان هَذا الذئبُ لَحَليمـاً، أشْفَقَ على القميص فلم يمـزّقْهُ، وأكَـل ابني فالـدَّمُ دمٌ كذِبٌ، أيْ ذُو كـذِبٍ، والمعنى دم مكذوب فيه.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾.

أي بل زَيَّنَتْ أنفسُكم أَمْراً في قِصَّةِ يُوسُفَ.

﴿فصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

معناه صبر لا جَزَعَ فيه ولاَ شَكْوى إلى النَّاسِ. وصبر جميل مرفوع على ضربَيْنِ، المعنى فشأني صَبْر جَميلٌ، والـذي أعتقده صبـرٌ جميل، ويجـوز أن يكون عَلَى «فصَبْرِي صبـرٌ جَميلٌ» وهـذا لفظ قُطْربُ: فَصَبْـري صَبرٌ جَميـلٌ. والأول مـذهب الخليل وجميـع أصحـابـه(١)، ويجـوز في غيـر القـرآن فصَبْـراً جميلًا، وأنشدوا في الرفع:

---

(١) يقدرون المبتدأ عاما وقطرب يقدره من جنس الخبر.

تشكو إلى جملي طول السُّرى يا جملي ليس إليَّ المشتكى
صبرٌ جميلٌ فكلانا مبتلى[1]

وصَبراً جميلاً منصوب على مثل «فاصْبِر صبراً جميلاً».

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾.

الوارد الذي يرد الماء ليسقي للقوم.

﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾.

يقال: أَدْلَيْتَ الدَّلْوَ إذَا أرْسلتَها لتملأها، وَدَلَوْتَها إذَا أخرجْتَها.

﴿قَالَ يَا بُشْرَايَ﴾.

بألف وياء مفتوحة، وقرئت يا بُشْرِيَّ، وقد فسرناها في قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾[2]، وتفسيرها أن ياء الإضافة تغيّر ما قبلها ولا يُبَيَّنُ معها الإعراب، فإذا كان قبلها ألف فالاختيار ألّا تغيّر الألف، وبعض العرب يبدل الألف معها ياء، فيكون بدلَها بمنزلة تغيير الحروف قبلها، وقرئت: ﴿يا بُشْرَىٰ هَٰذَا غلامٌ﴾، بغير ياء[3].

ومعنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل إنما هو على تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصّةِ. إذا قلتَ يا عجَباهُ فكأنك قلت: اعجبوا ويا أيها العجبُ هذا مِنْ حِينِكَ. وكذلك إذَا قال يا بُشراي فكأنه قال: أبشروا، وكأنه قال يا أيتها البشرى هذا من إبَّانِكِ وأَوَانِكِ.

وقوله - عزوجل -: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾.

لَمَّا وجَدُوهُ أحبوا أنْ لاَ يُعْلَم بانه مَوجُودٌ، وأَن يُوهِمُوا أنّه بضاعةٌ دفعها

---

(١) لا يعرف قائله، والشعر في اللسان (شكا) والقرطبي ١٥٣/٩، والشطر الأول والثالث في كتاب سيبويه ٣٢١/١، ومعاني الفراء ٢٥٤/٢، ١٥٦. وفي شواهد الكشاف: شكا إلى جَمَلي.

(٢) سورة البقرة ٣٨، وانظر في الجزء الأول.

(٣) هكذا - ويبدو أن صحته بغير ألف.

إليهم أهل الماء، وبضاعة منصوب على الحال، كأنه قال: وأسَرُّوه جَاعِلِيه بضاعةً.

وقوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾.

قيل بخسٍ: ظلم، لأن الانسانَ الموجود(١)لا يحل بيعُه، وقيل: بخسٍ نقصان، وأكثر التفسير على أن بخساً ظلماً.

وجاء في التفسير أنه بيع بعشرين درهماً، وقيلَ باثنَيْن وَعِشرينَ دِرْهماً أخذ كل واحد من إخوته درهمين، وقيل بأربعين درهماً، ورُوِيَ كُلُّ ذَلكَ.

وقوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾.

«فيه» ليست بصلة الزاهدين، المعنى: وكانوا من الزاهدينَ ثم بيَّنَ في أي شيء زهدوا. فكأنه قال: زهدوا فيه(٢)، وهذا في الظروف جائز، فأما المفعولات فلا يجوز فيها، لا يجوز كنت زيداً من الضاربين، لأن زيداً من صلةِ الضاربين فلا يتقدم الموصول صلته.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾.

مصر مفتوحة في موضع الجر إلَّا أنَّها لا تَنْصَرِفُ، لأنها اسم والمدينة بعينها(٣)، وهي معرفة

﴿لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾.

﴿مَثْوَاهُ﴾: مُقَامُه. المعنى أحسني إليه في طول مُقامِه عِنْدَنَا.

ويروى أن أَفْرَسَ الناس ثلاثة، وأن أجودهم فراسة العزيز في فراسته في

---

(١) الملتقط أو الضال عن أهل.

(٢) أل في الزاهدين موصولة، والزاهدين صلة، ولا يجوز أن يتقدم معمول الصلة على الاسم الموصول، لكن الظرف والجار يجوز تقديمها والتضارب في كلامه واضح.

(٣) ولكنه مثلث ساكن الوسط فيحوز فبه الأمران.

يوسف، وابنة شعيب في فراستها في موسى حين قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ﴾(١) وأبو بكر في تَوْليتِهِ عمرَ الخلافة بعدَهُ.

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾.

أي ومثل الذي وصفنا مَكَّنَّا ليوسف في الأرض.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾.

جائزان يكون تأويل الرُّؤْيَا، وأن يَكُونَ تأويل أحاديثِ الأَنْبِيَاءِ.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾.

الأَشُدّ من نحو سبع عشرة سنة إلى نحو الأربعين، آتيناه حُكْماً وعِلْماً، أي جَعَلْنَاه حَكيماً عَالِماً، ولَيْس كلُّ عالمٍ حَكِيماً. الحكيم العالِمُ المستعملُ علمَه، الممتنع من استعمال ما يُجَهَّلُ فيه(٢).

وأصل أَحْكَمْتُ في اللُّغَةِ مَنَعْتُ، ومن هذا حَكَمَةُ الدَّابَةِ، لأن الفارس يمنع بها الدابَّةَ من إرَادَتِها.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي ومثل مَا وَصَفْنَا من تعليم يُوسُفَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾.

المعنى أنها رَاوَدْته عما أرادَتْهُ ممَّا يُرِيدُ النساءُ من الرِّجَالِ، فَعُلِمَ بِتَرْكِهِ ذكرَ الفَاحِشَةِ نفسها ما راودته عليه(٣).

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾.

المعنى هَلُمَّ لَكَ، أي أَقْبل إلى مَا أدعُوكَ إليْهِ.

---

(١) سورة القصص الآية ٢٦.

(٢) ما ينسب بسببه إلى الجهل.

(٣) مفعول راودته محذوف، ولكن المقام يفيد أنها راودته على ارتكاب الفاحشة.

وفي ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ لُغَاتٌ: يجوز هَيْتُ لك، وهَيْتِ. وأجْودها وأكثرها هيتَ - بفتح التاء - ورُوِيَتْ عن علي صلوات الله عليه: هِيتِ لَكَ فأما الفتحُ مع فتح التاء والهاء، فهو أكثر كلام العرب، قال الشاعر:[1].

أبلغ أمير المؤمنين - أخا العِراقِ - إذا أتَيْتَا
أنَّ العِراقَ وأهْلَهُ عُنُقٌ إليكَ فهيْتَ هَيْتَا

أي فأقبل وتعالَ.

وحكى قطرب أنه أنشده بعض أهل الحجاز لطرفة بن العبد:

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داع من العشيرةِ هَيْتَ
هم يُجيبونَ ذَا هَلُمَّ سِراعاً كالأبابيلِ لا يُغَادَرُ بَيْتُ[2]

رُويَتْ عن ابن عباسٍ هِئْتُ لَكَ مهموزةً مكسورةَ الهاء، من الهَيْئةِ كأنها قالت تَهَيَّأْتُ لك، فأما الفتح في «هيْتَ» فلأنها بمنزلة الأصوات، ليس منها فعل يتصَرَّفُ ففُتحت التاءُ لسكونها وسكون الياء، واختير الفتح لأن قبل التا ياءً كما قالوا: كَيْفَ وأيْنَ، ومن قال هيتِ لك - بكسر التاء، فلأن أصل التقاء الساكنين حركة الكسر، ومن قال: هَيتُ ضمها لأنها في معنى الغاياتِ، كأنها قالت: دُعائي لك، ولما حذفت الإضافةُ وتضمنتْ معناها بُنيتْ على الضَّم كما بُنيتْ حَيْثُ ومُنْذُ يا هذا. وَقِراءةُ عَلِيٍّ «هِئْتُ لك» بمنزلة هيتَ والمحجة فيها كالحجة فيها مفتوحة[3].

(١) مما وجه إلى علي بن أبي طالب استحثاثاً له أن يسرع نحو العراق - ولم يعين قائله وعنق إليك مائلون إليك ومنتظروك. ويمكن ان تفتح في أن العراق على أنها مفعول أبلغ، ويجوز أن تكسر على أنها جملة مستقلة هي التي تنقل إلى علي -والبيتان في اللسان «هيت»، والقرطبي ١٦٤/٩، ومجاز أبي عبيدة ٣٠٥/٢، وابن يعيش ٣٢/٤، والبيت الثاني في معاني الفراء ٤٠/٢ وروايته فيه وفي اللسان - سلم إليك.

(٢) أنشد ثعلب هذا البيت الأخير للسموأل بن عاديا، وجاء قبله:

رب شتم سمعته وتصامت وغيٍّ تركته فكفيت

(٣) الحركة فيها للتخلص من التقاء الساكنين، والكسر أصل في التخلص والفتح لتكون على وزن كيف.

ثم قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾.

مصدرٌ، المعنى أعوذُ باللَّهِ أَنْ أَفْعَلَ هَذا، تَقُولُ: عُذْتُ عِياذاً ومَعَاذاً.

﴿إِنَّه رَبِّي﴾.

أي إنّ العزيز صَاحبي ﴿أَحْسَنَ مَثْوايَ﴾، أي تَـولاّني في طُولِ مَقَـامِي ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَـوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

أكثَرُ المفسِّرين أنه هَمَّ بها حتى رأى صـورة يعقوب عليـه السلام، وهـو يقول له: يا يوسف أَتَهُمُّ بِفِعْلِ السُّفَهاءِ وأنت مكتوب فِي ديوانِ الأنبيـاء، وقيل أنه رأى في البيت مكتوباً: ﴿وَلَا تَقْرَبُـوا الزِّنَى إِنَّهُ كَـانَ فَاحِشَـةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[1]. وهذا مذهب أهل التَّفسِير، ولسنا نشك أنه قد رأى برهاناً قطعه عَما هَمَّ بـه.

وقال قوم: المعنى ﴿وَلَقَـدْ هَمَّتْ به وهَمَّ بِهـا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُـرهَـانَ رَبِّهِ﴾، وذَهَبُوا إلى أنَّ المعنى لَوْلَا أن رَأَى برهان رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا[2].

والـذي عليه المفسرون أنه هَـمَّ بها وأنـه جَلَسَ منها مجلس الـرَّجُلِ من المرأة إلاّ أَنَّ اللَّه تفضل بأن أراه البُرهانَ، أَلَا تَراه قال: ﴿وما أُبَـرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[3]، والمعنى لَوْلَا أَنْ رأى بُرْهَان رَبِّه لأَمْضَى ما هَمَّ بِه.

وليس في الكلام بكثير[4] أن تقول: ضربتك لولا زيـد، ولا هممت بك لـولا زيدٌ، إنمـا الكلام لـولا زيد لهَمَمْتُ بـك. و «لولا» تجـابُ بالـلَّامِ، فلو

---

(١) من سورة الإسراء الآية ٣٢.

(٢) ولا يستقيم على مذهب البصريين لما فيه من تقدم جواب «لولا».

(٣) هذا بعيد جداً، وإلا لما استبق إلى الباب، وهي تجري خلفه، وكلمة «وما أبرىء نفسي» أقرب أن تكون من كلامها هي، وذكر صاحب المنار بـأدلة واضحـة، ان كلا منهما هم بعمله، همت هي به تجذبه إليها وهم هو بها يضربها ويدفعها، فليرجع إلى شرحه من يشاء.

(٤) يريد ليس هذا الاستعمال شائعاً.

كـان: ولقد هَمَّتْ بـه وَلَهمَّ بها لـولا أن رأى أي برهـان رَبّه لكـان يجـوز على بعد[1].

وقوله:﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْه السُّوءَ والفَحْشَاءَ﴾.

أي كذلك أرَيْنَاهُ البُرهَانَ لنَصْرِفَ عنه السُّوءَ والفَحْشَاءَ، فالسُّـوءُ ـ خيانـة صاحبه، والفحشاء ركوب الفاحشة.

﴿إنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ﴾.

أي الـذين أخلصـوا، أخْلَصَهُمُ اللَّهُ مِن الأَسْـوَاءِ والفـواحش، مثـل المُصْطَفَيْنَ. وَقُرِئَتْ مِنَ المخْلِصِينَ بكسر اللام، أي الـذين أخْلَصُوا دِينَهُمْ للَّه عز وجل.

وقوله: ﴿واسْتَبَقَا البَابَ﴾.

أي استبقا إلى الباب، يعني به يوسف وامرأة العزيز.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾.

والقَدُّ القطع، أي خَرَّقَتْه خَرْقاً انقَدَّ مِنْه.

﴿وألفيَـا سَيِّـدَهَـا لَـدَىَ البَـابِ﴾.

أي صادفا سيدها لدى الباب فحصرها في ذلك الـوقـت كيدٌ لَمَّا فـاجأَتْ سَيِّدَهَا.

﴿قالت ما جزاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إلاَّ أَنْ يُسْجَنَ﴾.

أي ما جزاؤه إلاَّ السِّجْنُ.

﴿أوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي عذاب مُوجع. قال يوسف:

﴿هي رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾.

---

(١) كان يجوز لوجود اللام، وبعده لما سبق من أن جواب الشرط لا يتقدم عليه.

أي هي الَّتِي أرادَتِ السُّوءَ.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾.

قيل إنه رجل حكيم، وقيل إنّه طِفْلٌ

﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

أي إن كان هو المقبل عليها وهي الدافعة له عن نفسها فيجب أن تكون خرقت قميصه من قُبُلٍ، وإن كان هو المتباعدَ مِنْهَا، وهي التابعة له في استباقهما فيجب أن يكونَ قَدُّ القَميصِ من دبُرٍ.

والقراءة من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ، ومن قَبْلٍ ومن دُبْرٍ. ويجوز من قُبلُ بغير تنوين، ومن دُبُرُ، على الغاية، أيْ مِنْ قَبْله. أما الفتح فبعيدٌ في قوله: من قُبْلَ ومن دُبْرَ. لأن الذي يفتح يجعله مبنياً على الفتح فيشبهه بما لا ينصرف فيجعله ممتنعاً من الصرف لأنه معرفة ومُزَالٌ عن بابه، وهذا الوجه يجيزه البصريون[١].

فأما قُبْلُ وقُبُلُ فالتسكين في الباء جائز، وقد روي عن ابن أبي إسحاق[٢] الفتْح والضمُّ جميعاً، والفتح أكثر في الرواية عنه[٣]، ولا أعلم أحداً من البصريين ذكر الفتح غَيرَه.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾.

أي إن قولَكِ: ﴿ما جزاءُ مَنْ أَرَادَ بأهلِكَ سُوءًا﴾... من كَيْدِكُنَّ.

---

(١) حيث أجرينا الكلمة مجرى الغايات فلا مانع من بنائها على الفتح، بناء لا إعراباً ومنعاً من الصرف.

(٢) هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي.

(٣) من قَبَل.

فأما دخول «كَانَ» مع «إنِ» الجـزاءَ، وَكَـونُ الفِعْلِ بعـدَهَا لِمَـا مَضَى ففيه قولان: (١)

قال محمد بن يزيد: «كان» لقوّتها وأنها عبارة عن الأفعال لم تغيـرها إنِ الجـزاء الخَفِيفَةُ. والقول الثاني أَنَّ «كان» عبارةٌ عَنِ الأفعَالِ ـ وأن كان في معنى الاستقبال ههنا ـ عَبَّرتْ عن فعل مـاضٍ، المعنى إن يكن قَمِيصُهُ قُـدَّ، أيْ إنْ يُعْلَمْ قَمِيصُه قُدَّ مِنْ قُبلٍ فالْعِلْمُ مَا وقع بعد، فكذلك الكون لا يكـون لأنه مؤدٍ عن العلم.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾.

معناه يا يوسف اكتم هذا الأمر ولا تذكره.

﴿واسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾.

ويروى أَنَّهُ كان قَليلَ الغَيْرَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ﴾.

«بَـدَا» فعل استغْنى عَنْ فَـاعِلِ. العـربُ تقولُ: قـد بَدا لي بَدَاء أي تغير رأيي عما كان عليه. وأكثر العرب تقول: قد بدا لي، ولم يذكر بَـدَاءً، لكثرتـه لأنّه في الكلام دَلِيلاً على تغير رأيه، فَتُرِكَ الفاعلُ وهُـوَ مُرَاد، ثم بين مـا البَدَاءُ فقال لَيَسْجُننَّه حَتَّى حينٍ، كأنَّهم قالوا: لَيَسْجُنَنَّهُ، والرأي الذي كـاد لهم قبل: قيل إن العزيز أمره بالإعراض فقط ثم تغير رأيه عن ذلك.

وقوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ﴾.

يقال نِسوة ونُسْوةٌ ـ بالضَّم والكَسْرِ ـ

وقيل: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾.

(١) يريد أن جملة «إن كـان قميصه» وقعت فيهـا كان المـاضية بعـد إن الشرطيـة، وإن تجعـل الماضي بعدها في معنى الاستقبال تقول: إن اشتريت ثوباً فاختر الجيد، فجعلهـا هنا للمضي غـير قريب، لأنّ غرض الشاهـد انظروا إن كـان قد من قبـل أو من دبُر. ولكن الفعـل قد حـدث فهي تحتمل الاستقبال والمضي.

أي عَبْدَهَا وغلامَها، لأن استعمالَهم كان للغلام المملوك أن يُسَمَّى فتًى.

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾.

أي بلغ حُبُّه إلى شِغَافَ قَلْبها، وفي الشغاف ثلاثة أقوال: قال بعضهم الشُّغَاف غلاف القلب، وقيل: هو داء يكون في الجوف في الشراسيف(١)، وأنشدوا:(٢)

وقد حال هَمٌّ دون ذلك دَاخِلٌ   دخولَ الشُّغَافِ تبتَغِيه الأَصَابِعُ

وقد قُرِئَتْ شَعَفَها بالعين، ومعنى شعَفها ذهب بها كل مذهب مشتق من شَعَفَاتِ الجبال، أي رُؤوس الجبال، فإذا قلت فلان مشعُوف بكذا، فمعناه أنه قد ذهب به الحبُّ أقصى المذاهب.

﴿فلمَّا سَمِعَتْ بمَكْرِهِنَّ﴾.

إن قال قائل: لم سُمِّيَ قولُهنَّ مكراً فالجواب فيه أنها قد أطلعتهن، فاسْتَكْتَمَتْهُنَّ فمكرنَ بها وأَفْشَيْنَ سِرَّها، فلما سمعت بما فَعَلْنَ أرادت أَنْ يُوقَعْن فيما وقعت فيه فأرسلت إليهن.

﴿[أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ] وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾.

﴿أَعْتَدَتْ﴾ أفعلت من العَتَادِ، وكل ما اتَّخَذْتَه عُدَّةً للشيء فهو عَتَادٌ ومعنى ﴿مُتَّكَأً﴾ ما يُتَّكأ عليه لطعام أو شَرَاب أو حديث.

---

(١) الشراسيف جمع شُرسُوف كعصفور غُضْروف معلق بكل ضِلْع أو الطرف المشرف على البطن.

(٢) للنابغة من قصيدته:

عفا ذو حسا من فرتني فالفوارع

وهو في اللسان شغف: ‹وهَمٌّ دون ذلك والج› والشُّغَاف داء من القلب يأخذ تحت الشراسيف من الشق الأيمن. يخرجه الأطباء بأصابعهم.

والقصيدة في الديوان ومن مشهور الشعر.

﴿وآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً. وقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾.

يعالجن بالسكّين ما يأكلْنَ، وقال بعضهم مُتْكاً، وقالوا واحدته مُتْكَةٌ وهي الأُتْرُجُّ(١). والقراءة الجيدة مُتَّكأً بالهمز، يقال تكىء الرَّجُلُ يتكأُ، تُكَأً، والتكَأُ أصله من وَكَأْتُ، وإنما متكأ مفتعل، وأصله موتكأ مثل مُوتَزن من الوزن.

﴿وَقَالَتِ اخرجْ عَلَيْهِنَّ﴾.

إن شئت ضممت التاء، وإن شئت كسرتَ، والكسر الأصل لسكون التاء والخاء، ومن ضم التاء فلثقل الضَّمَّة بعد الكسرة(٢). وأعتدت لهن الطعام وجعلت في أيديهن السكاكين، وأمرته بالخروج عليهن في هيئته، ولم يكن يتهيأ له أن لا يخرج(٣)، لأنه بمنزلة العبد لها.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنه أكْبَرنَهُ وَقَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ﴾.

أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فَدَهِشْنَ لَمَّا رأينَه فَخَدشْنَ أيديَهُن. ولم يقطعن الأيدي حتى تَبيَّن منهنَّ. وهذا مستعمل في الكلام، يقول الرجل: قد قطعتُ يَدِي. يعني أنك قد خدشتها.

ومعنى ﴿أكْبَرْنَهُ﴾ أعظمنه. ويقال: أكبرنه: حِضْنَ. وقد رُويتْ عن مجاهد. وليس ذلك بمعروف في اللغة، وقد أنشدوا بيتاً في هذا وهو قوله:

يأتي النساء على أطهارهن ولا   يأتي النساء إذا أكْبَرنَ(٤) إكْباراً

---

(١) الأُتْرجُ والتُّرنجة والتُّرنْج ثمرة ونبات معروف ـ كالبرتقالة ـ حامضة تسكن غُلْمَةَ النساء.

(٢) ضم كسرة في اخرج بعد كسر التاء ـ وتقدمت في «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا» ضم تاء «الملائكة» لأن همزة الوصل في اسجد ومثلها اخرج ـ تضم مراعاة لضم عين الفعل ـ وضم التاء هنا أيضاً قد يكون لإلقاء حركة همزة الوصل عليها.

(٣) لا يستطيع مخالفتها ـ لم يكن يمكن أن يمتنع عن الخروج.

(٤) في اللسان (كبر) نأتي النساء ـ بالنون ـ وروى أن هذا التفسير مروي عن مجاهد وعن ابن عباس، *

وهذه اللفظة ليست بمعروفة في اللغـة. والهاء في «أكبـرنه» تنفي هـذا؛ لأنـه لا يجوز أن يقـول: النساء قـد حِضْنَهُ يـا هذا؛ لأن حضن لا يتعـدى إلى مفعول[1].

﴿وَقُلْنَ: حاشَ للَّهِ﴾.

وحـاشى للَّه، يقــرأان ـ بحـذف الألف وإثبـاتهــا ـ ومعنـاه الاستثنــاء.

المعنى فيما فسّره أهل التفسير: وقُلْنَ: معاذ اللَّه ما هذا بشراً،

وأما على مذهب المحققين من أهـل اللغة، فحـاشا مشتقـة من قولـك: كنْتُ في حشـا فُلانٍ، أي في نـاحية فـلانٍ، فالمعنى في «حَـاشَ لِلَّهِ» بَرَّأَهُ اللَّه من هذا. من التَّنَحّي، المعنى قد نحَّى اللَّه هذا مِنْ هَذَا، إذا قلت حاشا لزيد من هذا فمعناه قد تنحى زيد من هذا، وتباعـد منه، كمـا أنك تقـول قَدْ تَنحًّى من الناحية، وكذلك قد تحاشى، من هذا الفِعْلِ.

وقوله عز وجل: ﴿مَـا هَذَا بَشَـراً﴾.

هـذه القراءة المعـروفة، وقـد رُوِيَتْ: ما هـذا بِشِرًى، أي مـا هذا بعـد مُشْتَـرًى. وهذه القـراءة ليست بشيء، لأن مثل «بِشِـرِيّ»[2] يكتب في المصحف بالياء، وقولها :﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كريمٌ﴾ «مَلَكٌ» مطابق في اللفظ لِبَشرٍ.

وسيبويه، والخليل وجميع النحويين القدمـاء يزعمـون أَنَّ بشراً منصــوبٌ

= والتمس أبو منصور لها وجهاً قال أنه مخرج حسن وذلك أن الفتــاة أول ما تحيض تكون قد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر فيقال انها أكبرت، وسأل أبو الهيثم رجلاً من طيء عن بين خطيبة له، فقال انها أكبرت أو كبَرتْ ـ ولغة طيء تصحح أن إكبار المرأة أول حيضها. اهـ ملخصاً.

(١) وقـال أبو منصـور: انها تكون هـاء سكت إن صحت هذه الـروايـة عن ابن عبـاس. ولكن هـذا ضـعيف، لأن هاء السكت تكون ساكنة.

(٢) ليس من الارقاء الذين يشترون ويباعون.

خبرَ مَا، ويجعلونه[1] بمنزلة ليس وَ «مَا» مَعناها معنى ليس في النفي، وهـذه لغـة أهل الحجاز، وهي اللغَةُ القُـدْمَى الجيِّدَةُ. وزعم بعضهم أنّ الـرَّفْـعَ في قولك: ﴿مَا هذَا بَشراً﴾ أقْـوى الوجهين، وهذا غلط، لأن كتاب اللّه ولغة رسول اللّه أقْوى الأشياء وأقـوى اللغات. ولغـة بني تـميم: ما هـذا بشـرٌ. ولا تجـوز القـراءة بها إلاّ بـروايةٍ صَحيحـةٍ. والدليـل على ذلك إجمـاعهم على: ﴿مَا هُنَّ أمَّهَاتِهِمْ﴾[2] وما قرأ أحَدٌ ما هُنَّ أُمَّهاتُهمْ.

وقوله: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

القـراءة الجيدة تخفيف لَيَكُـونـاً. والـوقـوف عليهـا بـالألف، لأن النـون الخفيفـة تبدل منهـا فى الوقف الألف، تقول: إضْربـاً زيداً، فـإذا وقفت قلت: اضربَـا، كما أبدلت في: رأيتُ زيداً الألف من التّنوين، وقد قرئت: ولتكونَنَّ ـ بتشـديـد النُّونِ، وأكرهها لخلاف المصحف، لأنَّ الشديدة لا يُبْدَلُ منها شيء.

﴿مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

مِنَ المذَلّينَ.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ممَّا يدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

والسِّجن جميعـاً ـ بكسـر السين وفتحهـا ـ فمن فتـح فعلى المصـدر، المعنى أنْ أُسْجَنَ أَحَبُّ إليَّ، ومن كسـرَ فعَلَى اسم المكَانِ، فيكـون المعنى: نُزولُ السجنِ أَحبُّ إليَّ مِمَّا يَدْعُونَني إلَيْهِ، أي من ركوب المعصية.

﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيهِنَّ﴾.

أي إلاّ تَعْصِمْني أَصْبُ إلَيْهِنَّ، أي أَمِلْ إلَيْهن. يقـال: صبـا إلى اللَّهْـوِ يصبو صُبُوًّا، وصِبِيًّا، وَصَبًا، إذا مالَ إلَيْه.

---

(١) يجعلون «ما».

(٢) سورة المجادلة الآية ٢. بنصب أمهات.

وقال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾[1]. وجائز أن يكون يَعْني امرأة العزيز وحدها، إلّا أنه أراد كيْدَها وكيدَ جميع النساء، وجَائزٌ أن يكون كيدَها وكيدَ النِّسْوَةِ اللاتِي رَأَيْنَ يوسُف حِينَ أَرَتْهُنَّ إِيَّاهُ.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾.

ولم يقل فحبس لأن في قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَه السِّجْنَ﴾ دليلاً أنه حُبِسَ. و «فَتيان» جَائزٌ أَنْ يكونَا حَدَثَيْنِ أوْ شَيْخَيْن، لأنهم كانوا يُسَمُّونَ المملوكَ فَتًى.

﴿وَقَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً﴾.

ولم يقل إني أراني في النوم أعْصِرُ خَمراً، لأن الحال تدُلُّ على أنه ليس يرى نفسه في اليقظة يَعْصِرُ خمراً، وقال أهل اللغة: الخمرُ في لُغَةِ عُمَان اسم للْعِنَبِ، فكأنه قال: أراني أعصر عِنَباً، ويجوز أن يكونَ عَنَى الخمْرَ بعينها، لأنه يُقَالُ للَّذِي يَصْنَعُ من التَّمْرِ الدِّبْس[2] هذا يَعْمَلُ دِبْساً، وإنما يَعْمَلُ التَّمرَ حتّى يصيرَ دِبْساً، وكذلك كلُّ شيء نُقِلَ مِنْ شيء، وكذلك قوله أعصِرُ خمراً، أي أعصِرُ عِنَبَ الخمْرِ أي العِنَبَ الّذِي يكونُ عَصِيرُه خمراً.

﴿وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ، نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾.

أي تأويل ما رأينا.

وقولهما﴿نبئنا بتأويله﴾ يدلعلى أنهما رأيا ذلك في النوم، لأنه لا تأويل لرُؤيةِ اليقظة غير ما يراه الإنسان.

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المحْسِنِينَ﴾.

---

(١) أي استعمل ضمير الجمع والمتحدث عنها واحدة.

(٢) عسل البلح.

جاء في التفسير أنه كان يعين المظلوم وينصر الضعيف، ويعود العليل، وقيل من المحسنين، أي ممن يُحسِنُ التأويل. وهذا دليل أنَ أمر الرؤيا صحيح، وأنها لم تزل في الأمم الخالية، ومن دفع أمر الرؤيا وَأنَّه منها ما يصح[1] فليس بمسلم لأنه يدفع القرآن والأثر عن رسول الله ﷺ لأنه روي عن رسول الله أن الرؤيا جزء من أربعين جزءاً من النبوة.

وتأويله أن الأنبياء يُخْبِرُونَ بما سَيَكُون. والرؤيا الصادقة تدل على ما سيكونُ.

﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرزَقَانِهِ إلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾.

وليس هذا جواب ما سألا عنه، إنما سألا أن يخبرهما بتأويل مَا رَأياه فأحب يوسف عليه السلام أن يدعُوهما إلى الإيمان وأن يعلمهما أنه نَبيٌّ، وأن يدلهما على نبوَّته بآية معجزة، فأعلمهما أنه يخبرهما بِكُلِّ طَعَام يؤتيان به قبل أن يرياه، ثم أعْلَمَهُما أن كل ذلك مما عرفه الله إياه فقال:

﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

أي لست أخبركما عَلَى جِهَةِ التَكَهُّنِ، والتنَجُّمِ، إنما أخبركما بِوَحيٍ مِنَ اللَّهِ وعِلْمٍ، ثم أعْلَمَهُمَا أن هذا لا يكون إلَّا لمؤمِنٍ بِنَبِيٍّ فقال:

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَ يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بالآخِرةِ هُمْ كَافِرُونَ. واتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إبْرَاهِيمَ وإسْحقَ وَيَعْقُوبَ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّه مِنْ شَيءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا [وعلى الناس]﴾.

أي اتباعنا الإيمان بتوفيق اللَّه لنا وبفضله علينا ﴿وعلى الناس﴾ بأن دلهم على دينه المؤدي إلى صلاحهم.

---

(١) اي نفى أن منها ما هو صحيح.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾.

ثم قال لهما:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ﴾.

فَدَعَاهم إلى توحيد الله بعد أنْ علمهما أنه يخبرهما بالغيب، ثم قال

﴿مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِه إلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُم وَآبَاؤُكُم﴾.

أي أنتم جعلتم هـذه الأسماء آلهـةً. ثم أخبرهم بتـأويل الـرؤيا بعـد أن دعاهم إلى الإيمان. فأما تكرير قوله هم فعلى جهة التوكيد(١).

وقوله: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾.

فكان هذا صاحبَ شَراب الملك، فأعلمه أن تـأويل مـا رأى [هو] هـذا. ويجوز فَيُسْقِي، والأجود فيَسْقِي، تقـول سقيته بمنـزلة نـاولته فشـرب. وأسقيته جعلْتُ له سَقْياً، تقول أسقيته من كذا وكذا أي جعلت له سقياً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَان﴾.

لَمَّا تأول لهما الرؤيا قال الـذي أَنْبَأَهُ بأنَّه يُصْلَبُ [إنه] لم يَرَ شَيئاً فـأعلَمَهُ أنَ ذلك واقع به وإنْ لَمْ يَرَ، كما أعْلَمَهُمَا بخبر ما يَأْتِيَهما من الطعام.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّه نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

اي عند الملك صاحبك.

﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾.

---

(١) تكرير الضمير في ﴿وهُمْ بالآخرة هُمْ كافرون﴾، في الآية السابقة.

أنسى يُوسُفَ الشيطانُ أن يَذْكُرَ اللَّهَ[1].

﴿فلَبِثَ في السِّجْنِ بضْعَ سِنينَ﴾.

اختلفوا في البِضَعْ فقال بعضهم: البضع ما بين الثلاث إلى الخمس، وقال قطرب إلى السبع، وقال الأصمعي وهو القول الصحيح: البضْعُ ما بين الثلاث إلى التِّسْع، واشتقاق البضع والبَضْعَةِ مِنْ قَطَعْتَ الشيءَ فمعناه القِطعَة من العَدَدِ، فَجُعِلَ لِمَا دُون العَشَرةِ من الثلاث إلى التِّسع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿سَبْعٌ عِجَافٌ﴾.

العجَاف التي قد بلغت في الهُزَالِ الغايةَ والنهايَةَ.

﴿يَا أَيُّها ٱلمَلأُ أَفْتُونِي في رُؤْيَايَ﴾.

الملأُ الذين يرجع اليهم في الأمور، ويقتدي بآرائهم[2].

﴿إِنْ كُنْتُم لِلرُّؤْيَا تَعْبُرونَ﴾.

هذه اللام أدخلت على المفعول لِتُبيِّنَ المعنى إن كنتم تعبرون، وعابرين ثمَّ بين باللام فقال للرؤيا.

ومعنى عبَرت الرؤيا وعَبَّرْتُها خبرت بآخر ما يؤول إليه أمرها. واشتققته من عِبْرِ النَّهْرِ، وهو شَاطِئُ النَّهْرِ، فتأويل عبرت النَّهْرَ، أي بلغتُ إلى عِبْرِه، أي شاطئه، وهو آخر عَرْضِهِ.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾.

والضغث في اللغة الحُزْمَةُ والباقَةُ من الشيء، كالبقل وما أشبهه، فقالوا له: رُؤْيَاكَ أضغاثُ أحلام، أي حُزَم أخلاطٍ ليست برؤيا بينةٍ.

---

(١) هذا رأي لبعض المفسرين، والاقرب ان الشيطان أنسى الرجل الناجيَ ان يذكر يوسف عند الملكَ، ويقوي هذا ما يأتي من قوله «وادّكر بعد أمة».

(٢) سبق تفسير الملأ في الجزء الأول ص٢٢٥ - ٢٦.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.

أي ليس للرؤية المختلطة عندنا تأويل.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾.

أي بعد حين، وقرأ ابن عباس: وادّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ، والأمَـهُ النسيَانُ، يقـال أمِهَ يَأْمَهُ أمَهاً. هذا الصحيح بفتح الميم، وروى بعضهم عن أبي عبيدة: أمْـهُ بسكون الميم، وليس ذلك بصحيح عنه، لأن المصدَرَ أنه يأمَهُ أمَـهاً لا غير[1]. وقرأ الحسَنُ: أنا آتيكم بتأويله، وأكرهها، لخلاف المصحف[2].

وادَّكَـر أصله واذْتَكَرَ، ولكن التـاء ابدل منهـا الـدَّال وادغمت الـذَّالُ في الدال. ويجوز واذَّكَر بالذال، والأجود الدال.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾.

أراد يا يوسف، والنِّدَاء يجوز في المعرفة حذف يا منـه، فتقول: يـا زيد أقبل، وزيدُ أقبل، قال الشاعر[3]:

محمـد تفـد نفسـك كـل نفسٍ إذا مَـا خِـفْتَ مِـن أمْـر تَـبَـالا

أرادَ يَا مُحَمدُ.

والصِّدِّيق المبالغ في الصِّدْقة، والتّصديق.

وقوله: ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

أي لعلهم يعلمون تأويل رؤيا الملك، ويجوز أن يكون: لعلهم يعلمون

(١) مثل فرح يفرح.

(٢) لأن الذي في المصحف ﴿أَنَا أُنبِئُكُم﴾.

(٣) ينسب لأبي طالب عم رسول الله (ص) وللأعشى، ويستشهد به النحويون على حذف الياء لأن الفعل مجزوم بلام أمر محذوفة. أي لتفدِ، والتبال الوبال. قيل مرادف وقيل كلمةٌ واحدةٌ قلبت الواو تاء فيها. والبيت في شواهد الكشاف. وشواهد المغني ٢٠٤ .وسيرة ابن هشام.

مكانك فيكون ذلك سبب خَلاَصِكَ من الحبْسِ .

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً﴾ .

أي تَدْأَبُونَ دَأَباً، ودَلَّ على تَدْأَبُونَ ﴿تَزْرَعُونَ﴾. والدَّأْبُ المـلازمَةُ للشيء والعادةُ[١] .

وقوله : ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ .

وقرئت: وفيه يُعْصِرَونَ، فمن قال وفيه يَعْصِرونَ بالياء أيْ يأتي العام بعد أرْبَعَ عشرةَ سنةً الذي فيه، يُغَاثُ الناس فيَعصِرُونَ فيه الزَّيْتَ والعِنبَ، ومن قرأ يُعْصَرونَ أرَادَ يُمْطَرُونَ، من قوله :﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّـاجاً﴾[٢]، وَمَنْ قرأ: وَفِيه تَعْصِرون[٣]، فإن شاء كان على تأويل يَعْصِرُونَ، وإن شاء كان على تأويل وفيه تَنْجوْنَ من البلاء، وتعتصمون بالخِصْب. قال عَدِيُّ بنُ زَيْدٍ[٤] :

لـو بـغيـر المـاء حـلقـي شَـرِق   كنت كـالغصَّـانِ بـالمـاء اعتصَـارِي

ويقال: فلان في عَصَرٍ وفي عُصْرةٍ، إذا كان في حِصْنٍ لا يُقْدَرُ عليه .

وقولـه سبحانه : ﴿وقَالَ المَلِكُ ائْتوني بِهِ ﴾ .

لما أُعْلِمَ بمكانه من العلم بالتأويل طَلَبَه

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْه﴾[٥] .

أي إلى صاحبك، ورب الشيء صاحبُه

---

(١) كلمة دأب. تدل على موالاتهم الزرع فهم يدأبون في عمله.

(٢) سورة عمّ آية ١٤ .

(٣) الذي قرأ بالتاء حمزة والكسائي فقط، ومن عداهما قرأوا بالياء.

(٤) تقدمت ترجمة عدي بن زيد وكان اتصل بالنعمان بن المنذر، وسجن طـويلاً لـديه ثم قتـل، وفي هذه القصيدة يستعطف النعمان.وجزء من القصيدة وأخبار عَديّ بالأغاني حـ ١١٤/٢، والبيت مما يتمثل به، وانظر شواهد المغني ٢٢٦ .

(٥) في الأصل فسَلْهُ.

﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيدِيَهُنَّ﴾.

ويجوز اللاَّئي قطَّعْن، أي اسأله أن يستعمِل صحةَ بَراءَتِي مما قُرِفْتُ به.

وَيُرْوَى أنَّ النبي ﷺ قال: لو كنت في مكان يوسف ثم جاءني الرسول لبادرت إليه، أنه ﷺ استحسن حزم يوسف وصَبْرَه حين دعاه الملكُ فلم يبادِرْ إليه حتى يعلَمَ أنه قد استقرَّ عند الملك صحةُ بَراءَتِه.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾.

لم يفرد يوسفُ عليه السلام امرأة العزيز بالذكر، حُسْنُ عِشْرَةٍ منه وَأَدَبٍ. فخلطها بالنِّسْوةِ.

وقوله: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾.

قُرِئَتْ «حَاشَ للَّه» و «حَاشى للَّهِ» وقرأ الحسنُ: حَاشْ للَّهبتسكين السين. ولا اختلاف بين النحويين أنَّ الإسْكَانَ غيرُ جائزٍ، لأنَّ الجَمْعَ بين ساكنين لا يجوز ولا هُوَ مِنْ كَلام العَرَب.

﴿ما عَلِمْنَا عَلَيه مِن سُوءٍ﴾.

فأعلم النسوةَ الملك ببراءة يُوسُفَ، وقالت امرأةُ العزيز:

﴿الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ﴾.

أي بَـرَزَ وتبيَّنَ، واشتقَاقُه في اللغة من الحِصَّةِ، أي بانت حصَّةُ الحق وجهتُه من جهة الباطل.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ﴾.

هـذا قول يُوسُفَ عليه السلام، المعنى إني أردت التبيين للمَلِكِ أَمْرَ آمرأته والنسوة، ليعلم أني لم أخنه بالغيب. و «ذلك» مرفوع بالابتداء، وإن شئت عَلَى خَبرِ الابْتِداء، كأنَّه قال: أَمْري ذَلِكَ.

ويُروَى أن جبريل عليه السلام قال له: ولا حِينَ حَللْتَ التكة، وقيل ولا حين هممت، فقال:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾.

موضع ما نصب على الاستثناء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾.

جزم جواب الأمر، ومعنى استخلِصْه أي اجْعَلْه خالصاً لي، لا يشركني فيه أحد.

﴿فَلَمَّا كلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

أي عرفنا أمانتك وبراءتك مما قرفت به.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾.

أي على أموالها

﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

أي أحفظها وأعْلَمُ وُجُوهَ مُتَصَرَّفَاتها، وإنما سأله أن يجعله على خزائن الأرض لأنَّ الأنبياء بُعِثُوا لإقَامة الحقّ والعدْلِ ووضع الأشياء مواضعَها، فعلم يوسف عليه السلام أنه لا أحد أقْوَمُ بذلك منه، ولا أوْضَعُ له في مواضعها.

فسأل ذلك ارادةً للصلاح.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجِهَازِهِمْ قال ائتوني بأخٍ لكم مِنْ أَبِيكُمْ﴾.

وهذا - واللّه أعلم - قد كان قبله كلام جرَّ إليه ما يُوجب طلبَ أخيهم منهم، لأنه لا يقول ائتُوني بأخٍ لكم مِنْ أبيكم من غَيْر أن يجريَ مَا يُوجِبُ هذا القولَ. فكأنه - واللّه أعلم - سألهم عن أخبارهم وأمْرِهِمْ وعَدَدِهِمْ، فاجْتَرَأ لقول هذه المسألةَ.

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ المُنْزِلِينَ﴾.

لأنه حين أنزلهم أحسن ضيافتهم.

وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُون﴾.

القراءة بكسر النُّون، ويجوز الفتح بفتح النون لأنها نون جماعة كما قال: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[1] بفتح النون، وتكون ﴿وَلَا تَقْرَبُونَ﴾ لفظه لفظ الخبر ومعناه معنى الأمر.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾.

﴿وإنا لفاعلون﴾ توكيد.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾.

ولِفِتْيَتِهِ، قُرِئَتَا جميعاً، والفتيان والفتية المماليك في هذا الموضع.

﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُم فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وفي هذا وجهان، أي إذا رأوا بضاعتهم مردودة عليهم، علموا أن ما كيلَ لهم مِنَ الطعام لم يؤخذ منهم[2] ثمنُه، وأنَّ وضع البضاعة في الرحال لم يكن إلَّا عن أمْر يُوسُفَ، ويجوز أن يكون ﴿لعلهم يَرْجِعُونَ﴾ يَرُدُّون البضاعة، لأنها[3] ثمن ما اكتالوه. ولأنهم لا يأخذون شيئاً إلَّا بثمنه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

أي إن أرسلته معنا اكتلنا، وإلا فقد مُنِعْنَا الكيلَ.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾.

---

(١) سورة الحجر ٥٤، وتقدير الآية هنا: (فلا كيل لكم عندي ولا أنتم تقربون).

(٢) في الأصل منه.

(٣) في الأصل لأنه.

أي كذلك قلتم لي في يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا يرتعْ ويلْعَبْ، وإنا له لحَافِظُون﴾ فقد ضمنتم لي حفظ يوسف وكذلكم ضمانكم هذا عندي.

﴿فَاللَّه خَيْرٌ حِفْظاً﴾.

وتقرأ ﴿حافِظاً﴾. وحفظاً منصوب على التمييز، و ﴿حافظاً﴾ منصوب على الحال، ويجوز أن يكون حافظاً على التمييز أيضاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُم رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾.

وتقرأ رِدَّتْ بكسر الراء، والأصل رُدِدَتْ، فأدغمت الدال الأولى في الثانية وبقيت الراء مضمومةً. ومن كسر الراء جعل كسرتها منقولة من الدال، كما فعل ذلك في قِيلَ وبيع لتدل أن أصلَ الدال الكسر.

وقد حكى قطرب أنه يقال في ضُرِبَ زيد؛ ضُرْبَ زَيْدٌ وضِرْبَ زيدٌ - بكسر الضاد. اسكن الراء، ونقل كسرتها إلى الضاد، وعلى هذه اللغة يجوز في كَبِدٍ كِبْدٌ.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾.

أي ما نريد، وما في موضع نصب، المعنى أي شيء نريد وقد رُدَّتْ علينا بضاعتنا، ويجوز أن يكون «ما» نفياً، كأنهم قالوا ما نبغي شيئاً، ﴿هَذِه بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾.

يقال: مِرْتُهم أميرهم ميراً إذا أتيتهم بالمير.

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾.

لأنه كان يكال لكل رجل وَقْرُ بَعيرٍ.

﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾.

أي ذلك كيل سهل، أي سهل على الذي يمضي إليه

﴿إلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾.

فموضع أن نصب، والمعنى لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إلَّا لإحَاطَةٍ بِكُمْ، أي لا لتمتنعوا من الإتيان به إلا لهذا، وهذا يسمى مفعولاً له، وإلا ههنا تأتي بمعنى تحقيق الجزاء، تقول: ما تأتي - إلّا لأخْذِ - الدَّرَاهِمِ وإلا أن نأخذ الدراهم، ومعنى الإحاطة بهم، أن يحال بينهم وبينه فلا يقدروا على الإتيان به.

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾.

قد خاف عليهم العين، وأمر العين صحيح - والله أعلم - وقد روي عن النبي ﷺ أنه عَوَّذَ الحسَنَ والحسَيْنَ فقال في دعوته: وأعيذكما من كل عين لامة.

وقوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾.

أي إلا خوف العين، وتأويل ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهم مِنَ اللَّه مِنْ شَيْءٍ﴾ لو قُدِّرَ أن تصيبهم لأصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم مجتمعين، وجائز أن يكون: لا يغني مع قضاء الله شيء.

﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾(1).

أي لذو علم لتعليمنا إياه، ونصب حاجة استثناء ليس من الأول، المعنى لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾.

أي ضَمَّ إليه أخاه.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: أي لا تحزن ولا تستكن

---

(1) أي يعقوب ذو علم لما علمه الله.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي أعلم معلم، يقال آذنته بالشيء فهو مُؤذَنٌ به أي أعلمته وأذنت أكثرت الإعلام بالشيء.

﴿أَيَّتُها العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

المعنى: ياأيها الأصحاب للعير، ولكن قال: أيتها العير، وهو يريد أهل العير، كما قال: ﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ﴾ يريد أهل القرية وأَنَّثَ «أَيًّا» لأنه جعلها للعير.

وقوله: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ﴾.

وقرئت «صَوَاعَ» الملك، وقرئت «صَاعَ» الملكِ، قرأ أبو هريرة صاغ الملك، وقرئت صوغ الملك ـ بالغين معجمة.

﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾.

أي حمل بعير من الطعام

﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾.

أي كفيل.

الصُّواع هو الصاع بعينه، وهو يذكر ويؤنث، وكذلك الصَّاعُ يذكّر ويؤنث، وجاء في التفسير أنه إناء مستطيل يشبه المكوك، كان يشرب به الملكُ، وهو السقاية. وقيل إنه كان مصنوعاً من فضة مموَّهاً بذهب، وقيل إنه كان من مَسٌّ[1]، وقيل إنه كان يشبه الطاسَ.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ﴾.

معنى تاللّه: واللّه، إلاّ أن التاء لا يقسم بها إلا في «اللّه» لا يجوز تالرَّحمن ولا تَـرَبِّي لأفعلن[2]، والتاء بدل من الواو كما قالوا في وراثٍ تُراث،

(١) لعله من ماس، وربما من ميس ـ وهو شجر عظم ـ وآثرنا كتابته على ما جاء في أصله.

(٢) سمع وترب الكعبة وتحياتك ـ ولكنه غير مستعمل.

وكما قالوا يتَّزِنُ، وأصله يَوْتَزِنُ مِنَ الوزن وإنما قالوا: ﴿لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾، لأنهم كانوا لا يَنْزِلُونَ على قوم ظلماً. ولا يرعون زرع أَحَد. وجعلوا على أفواه إبلهم الأكِمَّةَ لئلا تعبث في زرع، وقالوا:

﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾.

لأنهم قد كانوا فيما روي ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، أي فمن رَدَّ مَا وَجَده كيف يكون سارقاً.

﴿قالوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾، ﴿كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمينَ﴾.

أي مِثْلُ هذا الجزاءِ نجزي الظالمين، وكان جزاء السارق عندهم أن يُستَعْبَدَ بسَرِقَتِهِ، يَصيرُ عَبْداً لأنه سرق.

فأما رفعُ ﴿قَالُوا جَزَاؤُه مَنْ وُجِدَ في رَحْلِهِ﴾ فمن جهتين: أحدهما أنَّ هو جزاؤه ابتداء، ويكون من وجد في رحله الخبر، ويكون المعنى جزاء السَّرَق الإنسانُ الموجود في رحله السَّرَقُ. ويكون قوله ﴿فهوجزاؤه﴾ زيادةً في الإبانة. كما تقول: جزاء السارق القطع فهو جزاؤه. فهذا جزاؤه، زيادةً في الإبانة.

ويجوز أن يكون[1] يرتفع بالابتداء، ويكون من وجد في رحله فهو جزاؤه. هذه الجملة خبر الجزاء، والعائد عليه من الجملة «جزاؤه» الذي بعد قوله «فهو»، كأنه قيل: قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو هو، أي فهو الجزاء، ولكن الاظهار كان أحسن ههنا لئلا يقع في الكلام لبس، ولئلا يتوهم أن «هو» إذا عادت ثانية فليست براجعة على الجزاء، والعرب إذا أقحمت أمر الشيء جعلت العائد عليه اعادة لفظه بعينه، أنشد جميع النحويين:[2]

---

(۱) أن يكون جزاؤه مرفوعاً بالابتداء، أي جزاؤه مبتدأ خبره جملة «من وجد في رحله فهو جزاؤه» ودخلت الفاء في خبير مَنْ إما لأنها شرطية أو موصولة.

(۲) تقدم في الجزء الأول ٤٥٦.

لا أرى المـوت يسبق المـوت شيء   نغص المـوتُ ذا الـغنى والفـقيـرا

ولم يقل: لا أرى الموت يسبقه شيء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾.

رجع بالتأنيث على السقاية، ويجوز أن يكون أنث الصواع.

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ﴾.

أي في سيرة الملك، وما يدين به الملكُ، لأن السارق في دين الملك كان يغرم مِثْلَيْ مَا سَرِقَ، وكان عند آل يعقوبَ وفي مَذْهَبِهِم أنْ يَصِيرَ السارق عَبْداً يَسْتَرِقُّهُ [صاحب الشيء المسروق].

﴿إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

موضع أن نصب، لما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب، المعنى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا بمشيئة الله.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾.

على إضافة الدرجات إلى «من» ويجوز درجات بالتنوين، على أن يكون «من» في موضع نصبٍ، المعنى نرفع من نشاء دَرَجاتٍ. ويجوز رفع درجات من نشاء، وهي حسنة[1]، ولا أعلمها رُوِيَتْ فلا تقرأن بها إن لم تصح فيها روايةٌ.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

قيل في التفسير: فوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم إلى الله عزّ وجلّ.

﴿قَالُوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

---

(١) لا يبدو لها حسن، لأن الجملة الأولى تنتهي حينئذ عند ترفع.

يعنون يوسف، ويروى أنه كان في صغره أَخَذَ صُورَةً مما كان يتعبد به بعض من يخالف أَهْلَ مِلَّةِ الإسلام من ذهب، وهذا الذي أخذه [كان] على جهة الإنكار، لئلا يُعظَّمَ مثل ذلك

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾.

أي لم يظهرها لهم.

﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً﴾.

وهذا إضمار على شريطة التفسير[1]، لأن قوله ﴿قال أنتم شرٌّ مكاناً﴾ بَدَلٌ من «ها» في قوله: ﴿فَأَسَرَّهَا﴾. المعنى. فأسر يوسف في نفسه قوله: ﴿أَنْتُم شَرٌّ مَكَاناً﴾[2]. المعنى - واللَّه أعلم - أَنْتُمْ شَرٌّ مكاناً في السرقِ بالصَّحَةِ لأنكم سَرَقْتُمْ أَخَاكُمْ مِنْ أبيكم.

﴿وَاللَّه أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.

أي اللَّه أعلمُ أسرق أَخٌ لَهُ أَمْ لا

﴿قَالُوا يَا أَيُّها الْعَزِيزُ﴾:

والعزيز الملك

﴿إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً﴾.

﴿شيخاً﴾ من نعت أَبٍ، وأَبٌ مَنْصُوبٌ بإِنَّ، و ﴿كَبِيراً﴾ من نعت شيخٍ.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَه إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي ممن يُحسِنُ ولا يُعَامِلُ بالتحديد في واجب لأنه كان أعطاهم الطعام واعطاهم ثمنه في رده البضاعة لهم، فطالبُوه بأن يُحْسِنَ.

---

(١) أي جاء الضمير في «أسرَّهَا» من غير سابق مرجع ثم فسرَّته الجملة بعده.

(٢) لا يتناسب هذا مع قوله ﴿قالَ أَنْتُمْ شرٌّ مَكَاناً﴾ فإنه جهر بها. والأولى أسر حزازة الكلمة، وكتم في نفسه أنه يوسف ولم يسرق. أو كتم الكراهية.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾.

﴿معـاذ الـلّهِ﴾ منصوب على المصدر المعنى أعوذ باللّه مَعاذاً، وموضع أن نَصْبٌ، المعنى أعـوذ باللّه من أخـذ أَحَدٍ إلاَّ مَنْ وَجَـدْنا متـاعنـا عنـده، فلمـا سَقَطَتْ «من» أفضى الفعل فنصب.

﴿إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ﴾.

أي إن أخذنا غيره فنحن ظالمون.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْه خَلَصُوا نِجيًّا﴾.

المعنى خَلَصوا يَتَناجَوْنَ، أي خَلَصُوا مُتَنَـاجِينَ فيما يعْملُون في ذهـابهم إلى أبيهم، وليس معهم أخوهم، و«نجِيٌّ» لفظ واحد في معنى جمـع، وكذلـك ﴿وإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾[1]. ويجوز قوم نجيٌّ وقوم نَجْوَى وقوم أَنْجِية، قال الشاعرُ[2]

إنـي إذا مـا القـومُ صـاروا أَنْـجِيَـهْ
واختلف الـقـولُ اختـلاف الأَرْشِيَـةْ
هـنـاكَ أوصـيـني ولا تـوصـي بَـيَـهْ

ومعنى خلصوا انفردوا وليس معهم أخوهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾.

أجـود الأوجه أن يكـون «مَا» لغـواً، فيكون المعنى ومن قبـل فَرَّطْتُمْ في يـوسف، ويجـوز أن يكـون مـا في مـوضـع رفـع، فيكـون المعنى ومن قَبْـلِ

(١) سورة الإسراء الاية ٤٧.

(٢) هو سحيم بن وثيل اليربوعي، وروايته في اللسان (نجا) «كانـوا أنجية» و «اضـطرب القوم» وروي أيضـاً «واختلف القوم» و «والْتَبَس» وضبـطه علي بن حمـزة بكسر الكاف في «هنـاك» حظا بـالأنثى ولهذا قال: «أوصيني» - قيـل ضربـه مثلا لنزول الأمر المهم واختـلاف الآراء واضطرابهـا، وقيل يصف سَفْراً أجهدهم السير وشدوا أنفسهم عـلى ركائبهم بـالرحـال لئلا يسقـطوا لأن النوم جعـل أجسامهم تميد - والأول أظهر - والأرشية الحبال، وهو يريد إظهار تفوقه على أقرانه.

تفريطكم في يوسف، أي وقع تفريطكم في يوسف، ويجوز أن يكون ما في موضع نصْبٍ نسقٌ على أنَّ، المعنى ألم تعلموا أن أباكم، وتعلموا تفريطكم في يوسف.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾.

أي لن أبرح أرض مصر، وإلاَّ فَالناس كلهم على الأرض.

﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لي﴾.

نسق على ﴿حتى يأذَنَ﴾، ويجوز أن يكون «أو» على جَوابِ لَنْ المعنى لن أبرح الأرض حتى يحكم الله لي.

وقوله :﴿إنَّ ابنَكَ سَرَقَ﴾.

ويجوز سُرِّقَ، الا أن سرق آكـد في القراءة، وسُرِّقَ يكون على ضربين، سُرِّق عُلِم أنَّهُ سَرَقَ، وسُرِّق اتُّهِمَ بالسرق.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾.

أي زينت لكم أنفسكم، وحببت إليكم أنفسكم.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

المعنى فأمري صبر جميل أو فصبري صبر جميل، وقد فسرنا هـذا فيما سبق من السور:

وقوله عز وجل:﴿يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ﴾.

معناه يا حزناه، والأصل يا أسفي إلا أن «يا» الإضافة يجوز أن تبـدل ألفاً لخفة الألف والفتحة.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: أي محزون.

﴿قالوا تاللَّهِ تَفْتَأُ تذكرُ يُوسُفَ﴾.

معنى تـالله : والله، و «لا» مضمرة، المعنى والله لا تفتـأ تذكـر يوسف أي لَا تزال تذكر يوسف[١].

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾.

والحَرَضُ الفاسد في جسمه، أي حتى تكـون مُدْنَفاً مريضـاً. والحرض الفاسد في أخلاقه، وقولهم: حَرَّضْتُ فلاناً على فلانٍ، تأويلُه أفسدته عليه.

وإنما جاز إضمار «لا» في قوله ﴿تَاللَّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ لأنه لا يجوز في القسم تالله تفعل حتى تقول لتفعلن. أو لا تفعل. والقسم لا يجـوز للناس إلَّا بالله عز وجل، لا يجوز أو يحلف الرجل بأبيه، ولا ينبغي أن يحلف بـالأنبياء، ولا يحلف إلَّا بالله، ويروى عن النبي عليه السلام أنه قال لِعُمَر: لا تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليحلف بالله. فإن قال القائل: فما مجاز القسم في كتاب الله عز وجل في قوله: ﴿والليل إذا يغشى﴾، ﴿والسماء ذات البـروج﴾ ﴿والتين والزيتون﴾ وما أشبه هذه الأشياء التي ذكرها الله جل جلاله في كتابه، ففيها أوجه كلها قد ذكرها البصريون، فقالوا: جائز أن يكون الله عز وجل أقسم بها لأن فيها كلها دليـلاً عليـه وآيـات بينـات، قـال الله ـ عـز وجـل ـ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـوَاتِ والأَرْضِ واخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ﴾الخ الآيـة[٢]. وقال: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَـا يَبُـثُّ مِنْ دَابَّةٍ آياتٌ﴾[٣]. فكان القسم بهذا يدل على عظمة الله.

وقال قطرب جائز أن يكون معناها: ورب الشمس وضحاها، وربِّ التّين والزيتون، كما قال: ﴿والسماء ذات البروج﴾[٤]، وقال: ﴿والأرض وما طحاها﴾[٥]،

---

(١) تحذف لا في القسم، وتزاد فيه أيضاً، تقول إني وربك أدري ما سيحدث أي لا أدري وتقول: لا أقسم أنه لحق أي أقسم.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٠ والبقرة آية ١٦٤.

(٣) سورة الجاثية الآية ٤.

(٤) أول سورة البروج.

(٥) سورة والشمس وضحاها آية ٦.

وقال: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ والأرْضِ إنَّهُ لَحَقٌّ﴾[1].

وقالوا أيضاً: جائز أن يكون وخَلْقِ السموات والأرض، وخَلْقِ التّين والزيتون.

وقالوا: يجوز أن يكون لما كان معنى القسم معنى التحقيق، وأن هذه الأشياء التي أقسم الله بها حق كلها، وكذلك ما أقسم عليه حق فالمعنى كما أن التين والزيتون حق، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم.

وأجْود هذه الأقوال ما بدأنا به في أولها.

وقوله عز وجل: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾.

قالوا ﴿مزجاة﴾ قليلة، وقالوا كانوا جَاءُوا بمتاع الأعراب كالصوف والسمن، وما أَشْبَهَ ذلك مما يبيعه الأعراب، وقيل ان البضاعة كانت مما لا يُنْفَقُ مثلهُ في الطعام، لأن متاع الأعْراب كذلك كان تحته رديءَ المال[2]. وتأويله في اللغة، أن التزجية الشيء القليل الذي يُدَافَعُ به، تَقُول: فلان يُزَجّي العَيْشَ أي يَدْفَع بالقليل ويكتفي به. فالمعنى على هذا: إنَّا جئنا ببضاعة إنما يُدَافِع بها [أي] يتقوّت، لَيْسَ مِمَّا يُتَّسَعُ بِه، قال الشاعر:

الواهب المائةَ الهِجَانَ وعَبْدَهَا   عـوذاً تُزَجّي خَلْفَها أطفالَها[3]

---

(1) سورة والذاريات الآية ٢٣.

(2) لا يدفع في مقابلته إلا رديء المال.

(3) البيت للأعشى من قصيدة يمدح بها عمرو بن معد يكرب الزبيدي - وهي قصيدة جيّدة معروفة مطلعها:

رحلت سُمَيَّةُ غدوةً أجمالَها   غضبى عليك فما تقول بدا لها

والهجان من الإبل الكريمة الجيدة - وقيل البيضاء لأن البياض دليل الجودة، والعوذ جمع عائذ - وهي الناقة الحديثة العهد بالولادة لأن فصيلها يعوذ بها ويتبعها وتزجى بمعنى تسوق وتدفع، يريد أن يهب الإبل الكريمة مع أولادها وراعيها.

انظر الخزانة ص ١٩١ (سلفية) الشاهد ٢٩٤ - والديوان تحقيق محمد حسين.

أي تدفع أطفالها.

وقوله عز وجل: ﴿أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾.

فيها أربعة أوجه:

بجمع الهمزتين، قالوا أَئِنَّكَ ـ على تحقيقهما، ويجوز أئنك ـ على أن يجعل الثانية بين الياء والهمزة. ، وقرئت. «أَأَنَّك» على إنك بفصل بين الهمزتين بألف لاجتماع الهمزتين، قال الشاعر:[1]

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا أأنت أم أمُّ سَالم

ويجوز قالوا إنك لأنت علي لفظ الخبر.

وقوله عز وجل: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾.

أي لا إفساد عليكم.

وقوله عز وجل: ﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾.

معناه لولا أن تجَهِّلُونِ، ويروى تسفهُّونَ[2].

وقوله: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾.

يقال قد خطئ يخطأ خطأ وخَطأ، وأخطا يخطئ إخطاء، قال امرؤ القيس:[3]

---

(١) هو ذو الرمة، والبيت في اللسان ـ (جل)، وجلاجل ـ بفتح أوله موضع وقيل جبل من جبال الدهنا، والوعساء والأوعس، والوعْسة والوعَسة والوعْس ـ كله بمعنى الأرض اللينة ذات الرمل، أو الرمل السهل تغوص فيه القدم، وذكر صاحب الأغاني (١٧/٣٠٤ ـ قصة طريفة لهذا البيت بين ذي الرمة وأخيه مسعود، وكان ذو الرمة ـ وهو غيلان بن عقبة ويكنى أبا الحارث ـ يشبب بمية بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم ـ الذي قدم على رسول الله في وفد بني تميم ـ وهو أحد العشاق المشهورين ـ كما كان يشبب بخرقاء وليس هذا اسمها ـ ولكن الخرقاء التي لا تعمل بيديها شيئاً لكرمها ـ والبيت من شواهد المغني ١/٤١٣، وفي الخزانة ١/٥٠، والعيني ١/٤١٢.

(٢) لا توجد قراءة بهذا ـ ولكنه يريد فند الشخص معناه كذبه أو سفهه.

(٣) يروى البيت أيضاً: يا لهف نفسي ـ والحلاحل القوي الشديد ـ والبيت في الديوان ١٤٣، ٣٦٨ :

يـا لهف هنـد إذْ خَـطِئْنَ كَـاهِـلا   الـقـاتلـيـن المـلك الحـلاحـلا

وقوله عز وجل :﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾.

قال ذلك يعقوب إرَادَةَ أَن يستغفر لَهم في وقت وجه السَّحَرِ، في الـوقت الذي هو لإجَابَةَ الـدعاء لاَ أنـه ضَنَّ بالاستغْفـار وذلك أشبـه بأخـلاق الأنبياء، أعني المبالغة في الاستغفار، وتعمـد وقت الإجابة.

﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾.

أي ضم إليه أبويه.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾.

﴿العرش﴾ السرير.

﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾.

كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يُسْجَدَ للمعظَّم، وَقِيلَ:﴿وَخَـرُّوا له سُجَّداً﴾: وَخَرُّوا للّه(١).

وقوله عز وجل: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ فيهـا قـولان، أعني في دخـول «مِنْ»، جـائـز أن يكـون أراد عَلَّمَتنِي بعض التأويل، وآتيتني بعض الملك، وجائز أن يكون دخول «من» لِتُبَيِّنَ هذا الجنس من سـائر الأجنـاس، ويكون المعنى: رب قـد آتيتني الملك وعلمتني تـأويـل الأحاديث، مثل قوله عز وجل :﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ﴾ يدل على أن «من» ههنا إنما هي لتبيين الجنس، ومثله قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ ولـم يُؤْمَـرُوا بـاجتنـاب بعض الأوثـان، ولكن المعنى: واجْتَنِبـوا الرِّجْسَ الذي هو الأَوْثَانُ(٢).

= من السنة، واللسان (حلل) والشطر الأول في مجاز أبي عبيدة.

(١) أي الضمير في له يعود على اللّه.

(٢) «من» في «من الأوثان» بيانية. فإذا اعتبرت كذلك في الآية قدر مفعول محذوف ـ أي آتيتني شيئاً أو بعضاً.

وقوله عزوجل: ﴿فَاطِرَ السَّمٰواتِ والأَرْضِ﴾.

ينتصب على وجهين: أحدهما على الصفة لقوله ﴿رَبِّ﴾ قد آتيتني من الملك، والمعنى: يَا ربِّ قد آتيتني، وهذا نِدَاء مضاف في موضع نصبٍ، ويكون ﴿فَاطِرَ السَّمٰواتِ والأَرْضِ﴾ صفة لِلاول، وجائز أن ينتصب على نداء ثانٍ، فيكون المعنى: يَا فَاطِرَ السَّمٰواتِ والأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي.

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

أي أَلْحِقْنِي بمرَاتبهم مِنْ رحمتك وغفرانك

﴿ذَلكَ مِنْ أَنباءِ الغَيْبِ نُوحِيه إليك﴾.

هذا خِطاب للنبي عليه السلام، المعنى الذي قَصَصْنَا عليك من أَمْر يُوسُفَ وَإخوته مِنَ الأَخْبَارِ التي كانت غائبة عنك. فأنزلت عَلَيْهِ دلاَلةً على إثبات نُبُوَّته، وإنْذَاراً وتيْسِيراً بتفصيل قِصَص الأمم السالفة. وموضع ﴿ذلك﴾ رفع بالابتداء ويكون خبره ﴿من أنباء الغَيْب﴾، ويكون ﴿نُوحيه إلَيْكَ﴾ خَبَراً ثَانِياً، وإن شئت جعلت «نوحيه» هو الخبر، وجعلت ذلك في موضع الذي، المعنى الذي مِنْ أنباءِ الغيب نوحيه إليك ذلك

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أكثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

معناه وما أَكْثَرُ النّاسِ بمؤمنين ولو حَرَصْتَ على أن تَهْدِيَهُمْ لأنك لا تهدي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكنَّ اللَّه يَهْدي مَنْ يَشَاءُ.

﴿وَمَا تَسْأَلهم عليه مِنْ أَجْرٍ﴾.

أي وَمَا تَسْأَلهم على القرآن وتلَاوته وهِدَايتكَ إيَّاهم من أَجْر، ﴿إنْ هُوَ إلاّ ذكرٌ لِلْعَالمِينَ﴾.

أي ما هو إلا تذكرة لهم، بما هو صلاحهم ونجاتهم من النَّارِ وَدُخولهم

الجنة، وإنذارُهم وتبشيرُهم، فكل الصلاح فيه.

﴿وَكَأَيِّنْ مِن آيةٍ في السّمواتِ والأَرْض﴾.

أي مِن علامة وَدلالة تَدُلُّهم على توحيد اللّه، مر ـر السَّمَاءِ وأنها بغَيْرِ عَمَـدٍ لا تقع على الأرض، وفيها من مجرى الشمس والقمر ما فيها، وفيها أعظم البرهان والدليل على أن الّذي خلقها واحد، وأن لها خالقاً، وكذلك فيما يشاهد في الأرض من نباتها وبحارها وَجَبالِهَا.

﴿وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ﴾.

أي لا يفكرون فيما يدُلُّهمْ عَلَى توحيد اللّه ـ عز وجل ـ والدليل على أنهم لا يفكرون فيما يستدلون به قوله عز وجل:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللّهِ إلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

أي إن اعترفوا بأن اللّه خالقهم وخالق السموات والأرض، أشركوا في عبادته الأصنام، وأشركوا غيْر الأصنَام.

﴿أفأمِنُوا أَنْ تَأْتِيهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَاب اللّهِ﴾.

أي أن يأتيهم ما يعجزهم من العذابَ

﴿أَوْ تَـأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾.

أي فجـأةً، و﴿بغتة﴾ مصـدر منصـوب على الحـال، تقول لقِيتـهُ بَغْتَةً وَفَجْاةً، ومعناه من حيث لم أتوقع أن ألقاه.

وقوله عز وجَلّ: ﴿وَلَـدَارُ الآخِرةِ خَيْرٌ للَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

وفي غير مَوْضِـع ولَلدَّار الآخرةُ، فمن قـال الدَّارُ الآخـرة فالآخـرة نعت للدار، لأن لجميع الخلق دَارَيْن، الدّارُ التي خُلِقُـوا فيها وهي الـدُّنْيا، والـدَّارُ الآخرةُ التي يُعَادُونَ فيها خلقاً جديداً، ومَنْ قالَ «دَارُ الآخِرة» فكأنَّهُ قـال: وَدَارُ

الْحَالِ الآخِرَةِ، لأنَّ للناس حَالَيْنِ، حالَ الدُّنْيَا وحال الآخرة[1]، ومثل هذا في الكلام الصَّلاَةُ الأُولَى، وَصَلاَةُ الأُولى. فمن قال الصَّلاةُ الأولى جعل الأولى نعتاً للصلاة، ومن قال صلاةُ الأُولى أراد صلاة الفريضة الأولى، والسَّاعَةِ الأولى.

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا[2] أَنَّهُمْ قَدْ كَذِبُوا﴾.

قُرِئَتْ كُذِّبوا وكُذِبُوا، بالتخفيف والتشديد، وقرئت «وكَذَبُوا» فأما من قرأ وَظَنُّوا أنهم قد كُذِّبُوا بالتشديد ـ فالمعنى حتى إذا استيأس الرُّسُل من أنْ يُصَدِّقَهُمْ قومُهم جَاءَهُمْ نَصْرُنَا. ومن قرأ قد كُذِبُوا بالتخفيف، فالمعنى وظن قومهم أنهم قد كُذِبُوا فيما وُعِدُوا، لأن الرُّسُل لا يظُنُّون ذلك. وقد قال بعضهم وظنوا أنهم قد أُخْلِفوا أي ظن الرُّسُلُ، وذلك بعيدٌ في صفة الرسل.

يروى عن عائشة أن النبي ﷺ لم يوعد شيئاً[3] أُخْلِفَ فيه وفي الخبر: ومَعاذَ اللَّه أن يَظُنَّ الرُّسُلُ هَذَا بِربِّها.

ومعنى: وظنوا أنهم قد كُذِبُوا ظن قَومُهم أيضاً أنهم قد كُذِبُوا[4].

وقوله عز وجل: ﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾.

قرئت فنُنجّي، وفَنُنْجِيَ، وقُرِئَتْ فَنَجَا مَنْ نَشَاءُ، وقرأ عاصم فَنُجِّيَ مَنْ نشاء بفتح الياء، فأما من قرأ فنُنْجِي فعلى الاستقبال، والنُّون نُونُ الاستقبال، أعني النون الأولى، ومن قرأ فَنُنجِّي ـ بإسكان الياء ـ فحذف النون الثانية لاجتماع النونَين، كما تقول: أنت تَبَيَّنُ هذا الأَمْرَ، تريد تَتَبيَّنُ، فحذف لاجتماع تاءين، ومن قرأ فنجا من نشاء عطف على قوله جاءهم نصرنا فنجا

(١) الأولى دار الحياة الآخرة.

(٢) أي ظن قومهم.

(٣) في الأصل «شيء».

(٤) ظنوا أن قومهم مكذبوهم ولن يؤمنوا برسالتهم.

من نشـاء على لفظ الفعـل المـاضي، ومن قـرأ فنُنجِّيَ من نَشَـاءُ. فبمعنى الماضي على ما لم يسم فاعله، ويكون موضع «مَنْ» رَفْعاً. ويُعْلَمُ بالمعنى أن اللّه عز وجل ـ نَجَّاهُمْ.

وقوله ـ عز وجل ـ ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

أي الذي تقدمه من الكتب.

ونصب تَصْـدِيقاً على معنى كـان، المعنى: ما كـان حديثـاً يفترى ولكن كـان تصديق الـذي بين يديـه، ويجوز: ﴿مَـا كَانَ حـديثاً يفتـرى ولكن تصديقَ الَّذي بين يديه﴾. فمن قرأ هكـذا رفع البـاقي المعطوفَ على تصـديق، ويكون مـرتفعاً على معنى ولكن هـو تصديقُ الـذي بين يديـه، ويكون ﴿وَتَفْصِيـلَ كُـلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ نَسَقـاً عَلَيْـه.

وهـذا لَمْ تثبت بقراءتـه رواية صحيحـة، وَإِنْ كانَ جـائزاً في العـربية لا اختلاف بين النحويين في أنـه جَيِّدٌ بـالغٌ، فـلا تَقْرأَنَّ بـه ولا تُخَالِفْ الإجمـاع بمذاهب النَّحْوِيّينَ.

سُورَةُ الرَّعْدُ
مدنيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمر﴾:

قد فسرنا في سورة البقرة ما قيل في هذا وأشباهه، ورُوِيَ أنّ معناه أَنَا اللّهُ أرَى، ورُوِي أنا الله أعلم وأرى، وروي أن «المر» حروف تدل على اسم الرب جَلَّ جَلالُه

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ﴾.

جاء في التفسير أنَّ الذي أُنزِلَ قَبْلِ القرآن آياتُ الكتاب.

﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ﴾.

أي والقرآن المنزلُ عَليكَ الحقُّ، ويجوز أن يكونَ موضِعُ ﴿الذي﴾ رفعاً على الابتداء، ويجوز أن يكون رفعاً على العطف على ﴿آياتُ﴾ ويكون ﴿الحقُّ﴾ مَرْفُوعاً على إضمار هُوَ، ويجوز أن يكون موضع الذي خَفْضاً، عطفاً على الكتاب، المعنى تلك آيات الكتاب وآياتُ الَّذِي أُنزِلَ إليكَ، ويكون الذي أنزل من نعت الكتاب وإن جاءت الواو[1]، ويكون الحق مرفوعاً على الإضمار، ويجوز أن يكون الحق صفة للذي.

---

(١) يَعتبر بعض النحويين الواو زائدة ـ في مثل قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتّقوا رَبَّهُم إلى الجنّةِ زُمَراً حَتّى إذَا جَاءُوهَا وفتِحَتْ أبوابُهَا﴾ فاعتبر «جاءوها» جواب الشرط، فكذلك الواو هنا يمكن اعتبارها زائدة.

المعنى: تلك آيات الكتاب والذي أُنزِلَ إليك من ربك الحقّ[1]، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.

لَمَّا ذكر أنهم لا يؤمنون عرف الدَّليلَ الذي يوجب التصديق بالخالق عزّ وجلّ ـ فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾، وفي ذلك من القدرة والدلالة ما لا شيءَ أوضحُ منه. أن السماء محيطة بالأرض متبرية منها[2]، بغير عَمَدٍ. والمعنى بغير عمدٍ وأنتم ترونها كذلك[3]، ويجوز أن تكون ﴿ترونها﴾ من نعت العَمَدِ، المعنى بغير عَمَدٍ مرئيةٍ، وعلى هذا تعمدها[4] قدرة الله عزّ وجلّ.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ [يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى]﴾.

كل مقهور مُدبّر لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر، فذلك معنى السُّخْرَةِ، فالشمس والقمر مسخران يجريان مجاريهما التي سخرا جاريين عليها.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: يحكمه.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

أي يبين الآيات التي تدل على قدرته على بعثكم، ﴿لعَلكُم تُوقِنُون﴾، لأنهم كانوا يجحدون البعث، فأعلموا أن الذي خلق السموات وأنشأ الإنسان ولم يكن شيئاً، قادر على إعادته.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾.

---

(١) وتنتهي صلة الموصول عند «أنزل إليك»، وتكون «من ربك» خبراً.
(٢) بعيدة عنها لا ترتكز عليها، منفصلة عن جميع أجزائها.
(٣) على أن ترونها جملة مستقلة.
(٤) تعمدها: تمسكها وتقيمها.

دلهم ـ بعد أن بين آيات السماء ـ بآيات الأرض، فقال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ روي في التفسير أنها كانت مُدَوَّرَةً فمُدَّت[1].

ومَعْناهُ بَسَطَ الأَرْضَ.

﴿وَجَعَلَ فِيها رَوَاسِيَ﴾.

أي جِبَالاً ثوابِتَ، يقال: قد رَسَا الشَّيءُ يَرْسُو رُسُوًّا فهو راسٍ إذا ثبت.

﴿وَأَنْهاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

جعل فيها نوعين، والزوج الواحد الذي ليس له قرين

﴿يُغْشِي الليل النَّهارَ﴾.

وتقرأ يَغْشِي الليل النَّهَارَ، ثم أعلم أنَّ ما ذكر من هذه الأشياء فيه برهان وعلامات بينات فقال:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ثم زادهم من البرهان فَقَال.

﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مَتَجاوِرَاتٌ﴾.

يروى في التفسير أنها تتجاوَرُ، بعضُها عامرٌ، وبعضها غير عَامِر، وكذا في التفسير أيضاً أن معناه قطع متجاورات.

﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ﴾.

الأجود رفع جنات، المعنى وفي الأرض قطع متجاورات، وبينهما جناتٍ، ويجوز النصب في جناتٍ، ويقرأ وجنات من أعناب، المعنى جعل فيها رواسي وجعل فيها جنات من أعناب، ويجوز أن يكون وَجَنَّاتٍ خفضاً، ويكون نسقاً على كل، المعنى: ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين،

---

(١) في الأصل مَدَرَة، والرواية الثانية على هامش النسخة، وَمَدَرة أي قطعة من الطين اليابس، ثم زيد حجمها.

ومن جنات من أعناب ﴿وَزَرْعٌ﴾، فأما ﴿وزرع﴾ فيجوز فيه الرفع والخفض، وكذلك ﴿صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ﴾.

والصِّنْوَانُ جمع صِنْوٍ وصُنْوٍ، ومعنى الصنوان أن يكون الأصل واحِداً وفيه النخلتان والثلاث والأكثر، ويجوز في جمع صنو أَصْنَاءٌ، مثل عِدْل وأعدال، وكذلك صُنْو فإذا كثرت فَهِيَ الصُّنِيُّ والصِّنِيُّ.

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾.

ويجوز تسقى بالتاء، بماءٍ واحدٍ

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾.

والأُكُل الثَّمَرُ الَّذِي يُؤكَل، ويجوز، ويُفَضِّل بعضَها عَلَى بعضٍ لأنه جرى ذكر اللَّه، فالمعنى يُفَضِّل اللَّهُ، وكذلك إذا قال: ونفضِّلُ بالنونِ لأن الإخبار عن اللَّه بلفظ الجماعة كما قال: ﴿إِنَّا نحنُ نُحْيي وَنُمِيتُ﴾[1] وهذا خوطب به العَرَبُ لأنهم يستعملون فيمن يُبَجِّلُونَه لفظ الجمَاعة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجبٌ قَوْلُهُمْ﴾.

هذا خطاب للنبي عليه السلام.

﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أي هذا موضع عجب، لأنهم أنكروا البعث، وقد بين لهم من عِظَمِ خلقِ السمواتِ والأرض ما يدل على أنَّ البَعْثَ أَسْهَلُ في القِدرة مما قد تَبَيَّنُوا. فَأَمَّا موضع ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أإنا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾فموضع إذَا نَصْبٌ فمن قرأ.. ﴿أَإذَا كنا تراباً﴾ على لفظ الاستفهام، ثم قرأ ﴿أَئنَّا لفي خلقٍ جديد﴾ فإذا منصوبة بمعنى نبعث ويجَدَّدُ خَلْقُنَا، المعنى إذا كنا تراباً نبعث ودل على إرادتهم «إِنَّنَا لفي خَلْقٍ جَدِيدٍ».

(١) سورة ق الآية ٤٣.

ومن قرأ إذا كنّا تراباً إنا لفي خَلق جديد أدْخَل ألف الاستفهام على جملة الكلام، وكانت إذا نصباً بكُنّا، لكن الكلام يكون في معنى الشرط والجزاء، ولا يجوز أن تعمل «جَدِيد» في إذَا، لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها. لا اختلاف بين النحويين أنَّ ما بَعْدَ إنْ وإذا لا يعمل فيما قبلهما.

ثم أعلم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أنَّ المستفهِمَ بعد البَيَانِ والبُرْهَانِ عن هذا على جهة الإنكار كافرٌ، فقال:

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾.

جاء في التفسير أن الأغلال الأعْمَالُ في أعناقهم يومَ القيامة، والدليل على ذلك في القرآن قوله: ﴿إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ والسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الحَمِيمِ﴾[1] وقيل أولئك[2] الأغلال في أعناقهم، أي الأغلال التي هي الأعمال، وهي أيضاً مؤدية إلى كون الأغلال في أعناقهم يوم القيامة، لأن قولك للرجل: هذا غُلٌّ في عنقك للعمل السّيّء معناه أنه لازم لك وأنّك مُجازًى علَيْه بالعذاب يَوْمَ القيامة.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالسَّيئةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ﴾.

أي يطلبون العذاب بقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[3].

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلَاتُ﴾.

والمُثُلات ـ بضم الميم وفتحها، فمن قَرأ المُثُلات، فهي جمع مُثْلة، ومن قرأ المَثُلَات فهي جمع مَثُلَة. ويجوز في المثلات ثلاثة أوجه. يجُوز:

---

(١) سورة غافر الآية ٧١ ـ ٧٢.

(٢) في شرح الآية المستشهد بها، وهو استدلال يحتاج إلى تفسير أيضا. ويحل التركيب على أنه أولئك الذين تكون الأغلال في أعناقهم بسبب أعمالهم السيئة.

(٣) الأنفال الآية ٣٢.

د خلت المُثْلاتُ، بإسكان التاء، ويجوز فتح الثاء المُثَلاتُ، ومن قرأ المثلات تُضَمُّ الثَّاءُ والمِيمُ، وهي في الواحدة ساكنة مضمومة في الجمع فهذه الضمة عوض من حذف تاء التأنيث، ومن فتح فلأن الفتحةَ أَخَفُّ الحركات، روت الرُّوَاةُ:

ولما رَأَوْنا بَادياً رُكُبَاتُنَا عَلَى مَوْطِنٍ لا نَخْلِطُ الجدَّ بالهَزْلِ[1]

ومن قرأ المُثْلات بإسكان الثاء فلأن كل ما كان مضموماً أو مكسوراً نحو رُسُل وعَضُدٍ وفَخِذٍ فإسكانه جائز لنقل الضمة والكسرة. والمعنى أنَّهم يَسْتَعْجِلُونَ بالعَذَابِ وقد تقدم من العذاب ما هو مُثْلَةٌ وما فيه نَكَالٌ لهم لو اتعظوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِين كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْه آيَةٌ مِنْ رَبِّه﴾معناه هلاّ أُنزِلَ عليه وإنَّما طَلَبُوا غير الآيات التي أتى بها النبي ﷺ نحو انْشِقَاقَ القمر، والقرآنِ الذي دُعُوا أن يأتوا بسورة من مثله ـ وَما أشبه هذا النحو، فالتمسوا مثلَ آيات عيسى وموسى، فأعلم الله عزّ وجلّ ـ أنَّ لِكُلِ قَوْمٍ هَادِياً، فقال جلّ وعزّ:

﴿إنَّمَا انتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

أي نبي وداعٍ إلى الله يَدْعُوهم بما يُعْطَى من الآيات لَا بِمَا يُريدونَ ويتحكمون فيه.

وقوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾.

معنى غاض في اللغة نقص. وفي التفسير ما نقص الحمل من تسعة أشهر وما زاد عنها على التسعة، وقيل ما نقص عن أَنْ يتمَّ حَتَّى يموتَ، وما زاد حتى يتم الحمل.

(١) تقدم في الجزء الأول ص ٢٤١.

وقوله: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُم مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾.

مَوضع «مَنْ» رَفْعٌ بسواء، وكذلك من الثانية يرتفعان جميعاً بسواء، لأن سواء يطلب اثنين، تقول: سواء زيد وعمروٌ، في مَعْنى ذَوَا سَواءٍ زيدٌ وعمروٌ، لأن سواء مصدر فلا يجوز أن يرتفع ما بعده إلَّا على الحذف، تقول: عدلٌ زيد وعمروٌ، والمعنى ذوا عدل زيد وعمرو لأن المصادر ليست بأسماء الفاعلين، وإنما ترفع الأسماءُ أَوْصَافَها، فإذا رفعتها المصادر فهي على الحذف كما قالت الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي اقبال وإدْبَار[1]

المعنى فإنما هي ذات اقبال وذات إدبار، وكذلك زيد اقبال وإدبار. وهذا مما كثر استعماله أعني سواء، فجرى مجرى أسماء الفاعلين، ويجوز أن يرتفع على أن يكون في موضع مُسْتَوٍ، إلا أن سيبويه يستقبح ذلك، لا يجيز مُسْتَوٍ زيد وعمرو، لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرةً لا يُبْتَدَأُ بها لضَعْفها عن الفِعْل فلا يُبْتدأ بها، ويُجْرِيها مَجْرَى الفعلِ.

ومعنى الآية إعلامهُم أنَّ اللَّه عزّ وجلّ يَعلمُ ما غاب عنهمْ وما شُهِدَ.

فقال عزّ وجلّ:

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾.

أي من هو مستتر بالليل، والليل أَسْتَر مِنَ النهار

وَمَنْ هُوَ سَارِبٌ بِالنَّهار.

أي من هو ظاهر بالنَّهَارِ في سَرَبِه، يقال: خَلِّ لَهُ سَرَبَه أي طريقه،

(١) الخزانة الشاهد ٣٨٩ ط السلفية.

فالمعنى الظاهرُ في الطرقاتِ، والمستخفِي في الظلماتِ، والجاهر بنطقه والمضمِرَ في نفسه علم الله فيهم جميعاً سواء.

وذكر قطرب وجهاً آخر، ذكر أنه يجوز أن يكون «مُسْتَخْفٍ بالليل» ظاهراً بالليل، وهذا في اللغة جائز، ويكون مع هذا «وسارب بالنهار» أي مُسْتتر، يقال: انسرب الوحْشيُّ إذا دخل في كِناسِه[1].

والأول بَيِّنٌ، وهو أبلغ في وصف علم الغيب.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾.

أي للإنسان ملائكة يَعْتَقِبُونَ، يأتي بعضهم بِعَقِبِ بَعْضٍ

﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

المعنى حفظهم إياه من أمْرِ اللَّهِ، أي مما أمَرَهُمُ اللَّه تعالى [به]، لا أنهم يقدرون أن يدفعوا أمر اللَّه، كما تقول: يحفظونه عن أمر اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

أي لا يلي أمرهم أحدٌ من دون اللَّه.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾.

خَوْفاً للمُسَافِرِ، لأن في المَطَرِ خَوْفاً عَلَى المُسَافِر، كما قال اللَّه تعالى ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ﴾[2]. وطَمَعاً[3] للحَاضِرِ لانتفاعه بالمطر، ويجوز أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ ﴿خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ خوفاً لمن يَخاف ضُرَّ المَطَرِ، لأنه ليس كل بَلَدٍ ينتفع فيه بالمطر نحو مصر وما أشبهها، وطَمَعاً لمن يَرْجُو الانتفاع به.

---

(١) كناسه: جحره ومخبؤه.

(٢) سورة النساء / والآية ١٠٢: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ والفرض أن الأذى من المطر.

(٣) في الأصل طمع.

﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾.

أي التي قد ثقلت بالماء.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾.

جاء في التفسير أنه ملك يزجر[1] السحاب، وجائز أن يكون صوت الرعد تسبيحه لأن صوت الرعد من أعظم الأشياء، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ مِنْ شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[2]. وخص ذكر الرعد لعظم صوته ـ والله أعلم.

﴿وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾.

جائز أن يكون الوَاوُ وَاوَ حالٍ. فيكون المعنى فيصيبُ بها من يشاء في حَال جِدَاله في اللَّه، وذَلِكَ أنه أتى في التفسير أنّ رَجلًا من الجاهلية يقال له «أَرْبَدُ» سأل النبي ﷺ فقال أخبرني عن ربنا أمِنْ نحاس أم حَدِيدٍ، فأنزل الله عليه صاعقة فقتلته، فعلى هذا يجوز أن يكون الواو وَاوَ حَالٍ. ويجوز أن يكون: لما تمم اللَّه أوصاف ما يدل على توحيده وقُدْرَتِهِ على البَعْثِ قَالَ بَعْدَ ذلك ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّه وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ﴾.

أي شديد القدرةِ والعَذَابِ. ويقال في اللغة مَاحَلْتُه مِحَالاً، إذا قَاوَيْتُهُ، حتى يتبين له أيكما أَشَدُّ. والمَحْلُ في اللغة الشدة، والله أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دونِه لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾.

جاء في التفسير: دَعوةُ الحق شهادة أن لا إله إلَّا اللَّهُ، وجائز ـ واللَّه أعلم ـ أن تكون دَعْوةُ الحقّ أنه مِنْ دَعَا اللَّه مُوَحِّداً استجيب له دَعَاؤُه.

---

(١) بالهامش في نسخه يرجع.

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٤.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِه لاَ يَسْتَجِيبُونَ [لَهُمْ بِشَيءٍ] ﴾.

ثم بين اللَّه عزّ وجلّ كيف استجابةُ الأَصْنَامِ لأَنهمُ دَعَوُا الأَصْنَام من دون اللَّه فقال:

﴿إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلىَ السَماءِ﴾.

[أي] إلا كما يستجاب الذى، بسط كَفَّيْه إلى المَاء يَدعو الماء إلى فيه، والماء لا يستجيب، فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن دعاءهم الأصنام كَدُعَاءِ العَطْشَانِ الماءَ إلى بُلوغ فيه، ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِه﴾.

وقال بعضهم: إلاّ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه كإنسان على شفير بئر يدعو الماء من قرار البئر ليبلغ فاه، والتَّفْسِيرَانِ وَاحِدٌ.

وقوله - عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ في السَّموَاتِ والأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾.

جاء في التفسير أن المؤمن يسجد طوعاً، والكافر يسجد كرهاً، وجاء أن مِنَ النَّاسِ مَنْ دَخَل في الإسلام طوعاً ومنهم من لم يدخل حتى فحص عن رأسه بالسيف، أي فسجَدَ ودَخَلَ في الإسلام في أول أمْرِه كرهاً. وجائز - واللَّه أعلم - أن يكون طوعاً وكُرهاً أن يكونَ السُّجودُ الخُضُوعَ للَّه، فمن الناس من يخضع ويقبل أمر اللَّه فيما سهل عليه، ومنهم من تَقَبَّلَهُ وإن كانَ عليه فيه كُرْهٌ.

﴿وظِلاَلُهُم بالغُدُوِّ والآصَالِ﴾.

أي وتسجد ظلالهم. وجاء في التفسير أن الكافر يسجد لغير اللَّه، وظله يسجد للَّه، وقيل وظلالهم أشخاصهم، وهذا مخالف للتفسير.

وقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِه فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾.

أي هل - أو أغير اللَّه خلق شيئاً فاشتبه عليهم خلق اللَّه من خلق غيره.

وقوله عزّ وجلّ -: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ ﴾.

أي قل ذلك وَبيِّنه بما أخبر اللَّه به من الدلالة على توحيده من أول هذه السورة بما يدل على أنه خالق كل شيء، ثم قال - عزّ وجلّ - ضارباً مثلاً للكافرين والمؤمنين:

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾.

أي بما قَدّرَلَهَا مِن مِلْئِها، ويجوز بقدرها أي بقدر مِلْئِها، ﴿فَاحْتَمَل السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً﴾.

[أي] طافياً عالياً فوق الماء.

﴿ومِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾.

أي ابتغاء متاعٍ.

﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾.

والذي يوقد عليه في النار ابتغاء حلية: الذَّهَبُ والفِضَّةُ، والذي يوقد عليه ابتغاء أَمْتِعةٍ الحديدُ والصُّفْر[1] والنحاس والرصاص، وزَبَدٌ مثلُه أي مثل زَبَدِ الماءِ.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ والبَاطِلَ، فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾.

[أي] مِنْ زَبَد الماء، والزَّبَدُ من خَبَثِ الحديد، والصُّفْرِ والنحاسِ والرَّصَاصِ.

﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾.

أي فيذهب ذلك لا ينتفع به، والجفاء ما جفا، الوادي، أي رمى به.

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمكَثُ فِي الأَرْضِ﴾.

وأما ما ينفع النَّاسَ مِنَ الماءِ والفضَّةِ والذهب والحديد وسائر ما ذكرنا فيمكث في الأرض. فمثلُ المؤمن واعتقاده ونفعِ الإيمان كمثل هذا الماء

(١) الصُّفر النحاس، أو نوع منه، ويُطْلَق أيْضاً على الذهب.

المنتفَع به في نبات الأرض وحياة كل شيء، وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الآلات التي ذُكِرَتْ لأنها كلها تبقى منتفعاً بها، ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزَّبَد الذي يذهب جَفاءً، وكمثل خبث الحديد، وما تخرجه النار من وسخ الفضة والذهب الذي لا ينتفع به.

وموضع كذلك نصْبٌ، قال أبو زيد: يقال جَفَأتُ الرَّجُلَ إذا صَرَعْته وأجْفَأَتِ القِدْرُ بِزَبَدِها إذَا ألقت زَبَدها فيه، ﴿فيذهب جُفاءً﴾. من هذا اشتقاقه، وموضع «جُفاءً» نصبٌ على الحال، وهو ممدودٌ. وزعم البصريُّونَ والكوفيون جميعاً أنَّ ما كان مثلَ القُمَاشِ والقُمَامِ والجُفَاء فهذه الأشياء تجيء على مثال فُعَالٍ.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿لِلَّذِينَ استَجابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى﴾.

أي لهم الجنة، وجائز أن يكون لهم جزاءُ المحسنين، وهُوَ راجعٌ إلىَ الجنَّةِ أيضاً كما قال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلاَّ الإِحْسَانُ(1)﴾.

﴿أُولَئِكَ لَهُم سُوءُ الحِسَابِ﴾.

وسوء الحساب ألا تقبل منهم حسنة ولا يُتَجَاوَزُ لَهُم عَنْ سَيئَةٍ، وأن كُفْرَهُمْ أحْبَطَ أعمَالَهم كما قال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾(2) وقيل سوء الحساب أن يُسْتَقصى عليه حسابه ولا يتجاوز له عن شيءٍ من سيئاته، وكلاهما فيه عطب(3). ودليل هذا القول الثاني: من نوقش الحساب عُذِّبَ، وتكون سوء الحساب المناقشة(3).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَدْرَأُونَ بالحَسَنةِ السيئَةَ﴾.

---

(1) سورة الرحمن.

(2) أول سورة القتال.

(3) استقصاء الحساب أو عدم التجاوز. أي سوء المناقشة.

أي يدفعون، يقال: دَرَأْتُه إِذَا دَفَعْتُه.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾.

﴿جنَّاتُ﴾ بَدَل مِنْ ﴿عُقْبَى﴾، وعَدن: إقامة، يقال: عَدَنَ بالمكان إذا أقام فيه.

﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾.

موضع «مَنْ» رفع، عطف على الواو في قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾[1] وجائـز أن يكون نصباً، كما تقول قد دخلوا وزيداً أي مع زيدٍ.

أعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن الأنسابَ لا تنفع بغير أعمال صالحة فقال: يَدْخُلونَها وَمَنْ صَلَحَ مِمَّنْ جَرَى ذِكْرُه[2].

﴿والمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾.

أي يقولون سلام عليكم بما صبرتُم. هذه مكرمة من اللَّه عز وجل لأهـل الجنَّةِ، والمعنى يدخلون عليهم من كل بـاب يقولون ﴿سلام عليكم﴾، فأضمر القولُ ههنا لأن في الكلام دليلاً عليه.

وقوله: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.

يعني من رجع إلى الحقِّ.

﴿الذين آمنوا﴾ في موضع نصب رَدًّا على مَنْ، المعنى يهـدي إليه الـذين آمنوا ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾، أي إذا ذكـر اللَّه بوحـدانيته آمنـوا به غيـر شَاكِّينَ.

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

---

(١) القاعدة العامة عند البصريين ان لا يعطف على ضمير الرفع المتصل إلا إذا كان هنـاك فاصـل بينه وبين المعطوف، وورد العطف بغير فاصل وهو ضعيف، فهو هنا مفعول معه فما جوزه الزجاج هو الأولى والأصح، لأن الضمير فاصل ضعيف.

(٢) أي: (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّيّاتهم)، أي إن كان هؤلاء صالحين ألحقوا بذويهم.

«ألا» حرف تنبيه وابتداء، ومعنى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّه تَطْمَئِنُّ القُلوبُ﴾ أي التي هي قلوب المؤمنين لأن الكافرَ غير مطمئن القلب.

﴿الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآب﴾.

القراءة بالرفع في ﴿وَحُسْنُ مآب﴾. عطف على ﴿طوبى﴾ كما تقول: الحمدُ للَّه والكرامةُ وإن شئت كان نصباً على ﴿طوبى لهم وحُسْنَ مآب﴾، أي جعل اللَّه لهم طوبى وحُسْنَ مآبٍ، وطوبى عند النحويين فُعْلَى من الطِيب، المعنى العيش الطيب لهم. وجاء في التفسير عن النبي ﷺ أن طوبى شجرة في الجنة، وقيل طوبى لهم حسنى لهم، وقيل طوبى لهم خَيْرٌ لهم. وقيل «طوبى» لهم اسم الجنة بالهندية. وقيل طوبى لهم خيرة لهم، وهذا التفسير كله يشبهه قول النحويين أنها فُعْلَى من الطِّيب.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِه الجِبَالُ أوْ قُطِّعَتْ بِه الأَرْضُ أو كُلِّمَ بِه المَوْتَى﴾.

تُرِكَ جواب «لو» لأن في الكلام دليلاً عليه، وكان المشركون سألوا النبي ﷺ أن يفسَحَ لهم في مكة ويباعد بين جبالها حتى يتخذوا فيها قطائع وبساتين وأَنْ يُحْيِيَ لهم قَوْماً سَمَّوْهُمْ لَهُ، فأعلمهم اللَّه ـ عز وجل ـ أن لو فعل ذلك بقرآن لكان يفعل بهذا القرآن.

والذي أَتَوَهَّمُه ـ واللَّه أعلم ـ وقد قاله بعض أهل اللغة، أنَّ المعنى: لو أن قرآناً سُيِّرتْ به الأَرْضُ أوْ كُلِّمَ به الموتى لما آمنوا به. ودليل هذا القول قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ المَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا ليؤمنوا إلا أن يشاء اللَّه﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١١.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ﴾.

قيل إنها لغة للنخع، ييأس في معنى يَعْلَمُ، وأنشدوا[1].

أقــول لهم بــالشعب إذْ يَيْسِــرُونني ... ألم تيأسـوا أني ابن فَـارِسِ زَهْـدَمِ

وقـرئت: أفلم يتبيَّن الذين آمنـوا[2]، وقال بعض أهـل اللغة: أفلم يعلم الذين آمنوا علماً ييأسوا معه من أن يكون غير ما علموه.

والقـول عنـدي والله أعلم أن معنـاه أفلم ييأس الـذين آمنـوا من إيمـان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون لأنه قـال: ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّـهُ لَهَدَى النَّـاسَ جميعاً﴾[3].

﴿جميعاً﴾ منصوبٌ على الحَالِ.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾.

قيل سَرِيَّةٌ، ومعنى قارعة في اللغة نازلة شديدة تنزل بأمر عظيم.

وقوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ﴾.

قال سيبويه: المعنى فيما يقص عليكم مثل الجنة، أو مثـل الجنة فيمـا يقص عليكم، فـرفعه عنـده على الابتداء. وقـال غيره: مثـل الجنة التي وعـد المتقون مرفـوع [على الابتداء] وخبـره ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ كمـا تقول:

---

(١) الشعر لسحيم بن وثيل اليربوعي، وقيل لولده جابر بن سحيم ـ وزهدم فرس سحيم، وييسرونني أي يَقتسمونني كما تقسم الجزور، ويروى يأسرونني من الأسر لأنه كـان قد وقـع في سباء، ويـروى أني ابن قـاتل زهـدم، وهو رجـل من عبـس ـ فعلى هذا يكـون الشاعـر سحيم ـ ويروى البيت: ألم ييأسوا أني ابن فارس لازم ـ وعليها يكون الشعر له أيضاً، وييأس بمعنى يعلم في لغة هوازن، ويقال هي لغة حي من النخع

انظر اللسان (يئس) وشواهد الكشاف ١١٠ ـ والبيت من شواهد النحو الشائعة.

(٢) قرأها جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وعلي بن أبي طالب.

(٣) وتكون «أن لو يشـاء الله» في موضـع جر بحـرف محذوف أي لأن لـو يشاء الله، والـظاهر أنهـا تفسيرية.

صفةُ فُلانٍ أَسْمَرُ كقولك: فلان أسمر. وقالوا معناها صفة الجنة التي وعد المتقون. وكلا القولين حسن جميل.

والذي عندي ـ والله أعلم ـ أن الله عز وجل، عَرَّفنا أُمُورَ الجنة التي لم نَرَهَا. ولم نُشَاهِدْهَا بما شَاهِدناه مِن أمور الدنيا وعايَنَّاه. فالمعنى ﴿مثلُ الجنةِ التي وُعِدَ المتقون﴾ جَنَّةٌ ﴿تَجْرِي مِنْ تحتِها الأَنْهارُ أُكُلها دَائِم وَظِلُّهَا﴾.

وقوله عز وجل:﴿يَمْحوُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾.

أي يمحو الله ما يشاء مما يكتبه الحفظة على العباد ويثبت. قال بعضهم: يمحو الله ما يشاء ويثبت، أي من أتى أجَلُه مُحِيَ، ومن لم يأت أجَلُه أثْبِتَ، وقيل يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشاءُ ويُثْبِتُ أي ينْسَخُ مما أَمَرَ به ما يشاء ويُثْبتُ أي ويُبْقِي مِن أمْره ما يشاء.

﴿وَعِنْدَهُ أمُّ الكِتَابِ﴾.

أي أصل الكتاب.

وقيل يمحو الله ما يشاء ويثبت أي مَنْ قدَّرَ لَهُ رِزْقاً وَأَجَلاً مَحا مَا يَشَاءُ من ذلك وأثبت ما يشاء.

وقوله تعالى:﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾.

«إن» أُدْخِلَت عليها ما لتوكيد الشرط. دخلت النون مؤكدة للفعل.

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾.

عطف على ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ وجواب الجزاء: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ وَعَلَيْنَا الحِسَابُ﴾ أي علينا الحساب لِنَجْزِيَ كلَّ نفس بما عملت.

والمعنى إما أرَيْنَاكَ بعض الذي وعدناهم من إظهار دين الإسلام على الدين كله، أو توفيناك قبل ذلك، فليس عليك إلاَّ البَلاغُ ـ كَفروا هم به أو

آمنوا. ثم أعلم اللَّه أن بَيانَ ما وُعِدُوا به قد ظهر وتبيَّنَ فقال عز وجل:

﴿أَوَلَم يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾.

أي أو لم يروا أنا قد فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم، ودليل هذا القول قوله عز وجل في موضع آخر: ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْض نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

وقيل في تفسير هذه الآية ما وصفنا، وقيل غير قول. قيل نَقْصُها من أطرافها موتُ أهلها. ونقص ثمارها، وقيل ننقصها من أطرافها بموت العلماء، والقول الأول بين.

وقوله عز وجل: ﴿وَسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

وقُرِئَتْ: وَسَيَعْلَمُ الكافِر، ومعنى الكفار والكافر ههنا وَاحِدٌ. الكافر اسم للجنس، كما تقول قد كثرت الدراهم في أيدي الناس، وقد كثر الدِّرْهَمُ في أيدِي الناس..

وقرأ بعضهم وسيَعلم الكافرون، وبعضهم وسيعلم الذين كفروا. وهاتان القراءتان لا تجوزان لمخالفتهما المصحفَ المجمعَ عليه، لأن القراءة سنة.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ كَفَى باللَّهِ شَهِيداً بَيْني وَبَيْنَكُمْ﴾.

الباء في موضع رفع مع الاسم[2]، المعنى كفى اللَّه شهيداً، وشهيداً مَنْصُوبٌ على التمييز.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَاب﴾.

و «من» يعود على اللَّه عَزَّ وجَلَّ، وقيل في التفسير يعنى به عبد اللَّه بن

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٤.

(٢) الباءُ حرف جرّ زائد، ولفظ الجلالة فاعل، ولا معنى لاعتبارها مع الاسم بعدها كلمة واحدة.

سَلَّام(١) وقيل ابن يامين(٢)، والذي يدل على أنه راجع إلى اللَّه عز وجل ـ قراءة من قرأ «ومِنْ عِنْدِه» علمُ الكتابُ، ومن عنده علم الكتاب لأن الأشبه، واللَّه أعلم ـ أن اللَّه لا يَسْتَشْهِدُ على خلقه بغيْره.

وذلك التفسير جائزٌ لأنّ البراهين إذا قامَتْ مع اعتراف من قرأ الكتب التي أنزلت قبل القرآن فهو أمرٌ مُؤكّدٌ.

---

(١) عبد اللَّه بن سلام بن الحرث من بني قينقاع أسلم سنة ثمان من الهجرة. وكان اسمه الحصين فسماه رسول اللَّه ﷺ عبد اللَّه، روى عنه عدد من الصحابة ومن بعدهم ومنهم ابناه محمد ويوسف. وأوصى معاذ بن جبل أن يؤخذ العلم عن أربعة هم أبو الدرداء، وسلمان الفارسي، وابن مسعود وابن سلام هذا. وكان حصيف الرأي. عندما جاء يعلن إسلامه طلب من رسول اللَّه ﷺ أن يسأل اليهود عنه فإنه سيدهم وقد يطعنونه بعد إسلامه، وهو الذي أشار على علي ألا يخرج من المدينة إلى العراق وقال له: الزم منبر رسول اللَّه فإنك إن تركته لا تراه، وفيه نزل من القرآن هذه الآية، وآية ﴿قل أرأيتم إن كان من عند اللَّه وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم﴾ انظر ترجمته في الإصابة ٤٧٢٥.

(٢) هو يامين بن يامين الاسرائيلي. لما أسلم ابن سلام قال يامين أنا أشهد بمثل ما شهد ونزلت فيه الآية «وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله.» الإصابة ٩٢١٧.

سُورَةَ إبْراهِيمَ

مكية إلاَّ اثنَتَين مِنهَا

نـزلت بالمـدينة ﴿ألم تر إلى الذين بـدلوا نعمـة الله﴾ إلى قوله: ﴿ وبئس القرار﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾.

كتاب مرفوع على خبر الابتداء، المعنى هذا كتاب أنزلنـاه إليك، وقـال بعضهم كتـاب مرتفـع بقولـه «الر» و«الر» ليست هي الكتاب إنمـا هي شيء من الكتاب. ألا ترى قوله ﴿الـر تلكَ آيَاتُ الكِتَـابِ وقُرآنٍ مُبينٍ﴾[1]، فإنما الكتاب جملة الآيات وجملة القرآن.

وقوله: ﴿لِتَخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

﴿الظلمات﴾ ما كانوا فيه من الكفر، لأن الكفر غير بَيِّنٍ فمُثِّل بالظُّلمات، والإيمان بيِّنٌ نَيِّرٌ فَمُثِّلَ بالنور، والباء متصلة بيخرج، المعنى ليخرج الناس بإذن رَبِّهِمْ، أي بمـا أذن الله لك من تَعْلِيمهمْ، ويجـوز أن يكون بـإذن رَبِّهِمْ أنـه لا يهتدي مهتدٍ إلا بـإذن الله ومشيئته، ثم بيَّن ما النور فقـال: ﴿ إِلَى صِراطِ العـزِيزِ الحَميـدِ﴾.

---

(١) أول سورة الحجر.

﴿الحميدِ﴾ خفض من صفة ﴿العزيز﴾ ويجوز الرفع على معنى الحميدُ اللّه، ويرتفع الحميدُ بالابتداء وقولك «اللّه» خبر الابتداء، ويجوز أن يرفع اللّه ويخفض الحميدُ على ما وصفنا. ويكون اسم اللّه يرتفعَ بالابتداء.

وقوله عز وجل:﴿وَيَبْغُونَهَا عِوجاً﴾.

أيْ يَطْلبُونَ غير سَبِيل القَصْدِ وصراطِ اللّه وهو القَصْد، والعوج في الدين مبني على فِعَل، وفي العَصَا عَوَجٌ بفتح العَيْن. ونصب ﴿عوجاً﴾ على الحال مصدر موضوع في موضع الحال.

وقوله عز وجل:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّن لَهُمْ﴾.

أي بلغة قومه ليَعْقِلَ عنه قومُه، ﴿فَيُضِلُّ اللّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾، الرفع هو الوَجْهُ وعليه الكلام وعليه القراءة، والمعنى إنما وقع الإرسال للبيان لا للإضلال، ويجوز النصبُ على وجه بعيدٍ، فيكون ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، ويكون سبب الإضلال الصيرورة إليه كما قال: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[1]، أي التقطوه فآل ذلك إلى أن صار لهم عدواً وحزناً، ولم يلتقطوه هم ليكون لهم عدواً وحَزَناً، وكذلك يكون:﴿فَيُضِلَّ الله من يشاء﴾، أي فيؤول الأمر إلى أنْ يَضِلُّوا فيضلهم اللّه. والقول الأول هو القول وعليه القراءة.

وقوله عز وجل:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾.

أي البرهانِ الذي دل على صحة نبوَّته، نحو إخراج يده بيضاء وكون العصا حية.

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾.

(١) سورة القصص آية ٨ ـ وهو يريد أن عدو تحتمل الرفع والنصب ـ والرفع يأتي على أنه اسم كان، وفي هذه الحالة ترفع حزناً أيضاً. أي ليحدث لهم عدو وحزن.

أي بأن أَخْرِجْ قومَكَ. المعنى أرسلناه بأن يخرج قومه ﴿من الظلمات إلى النور﴾، أي من ظلمات الكفـر إلى نور الإسـلام، و «أنْ» ههنا يصلح أنْ يكـون في معنى «أنْ» المخففة، وتكون مُفَسِّـرةً، ويكون المعنى ولقـد أرسلنا مـوسى بآياتنا أي أخرج قـومك، كـأن المعنى قلنا لـه: أَخْرِجْ قـومَكَ(١)، ومثـل هذا: ﴿وانطَلَقَ المَلأُ منهم أَنِ امْشُوا﴾(٢)، أي امشوا. والتأويل: قالوا لهم: امشوا.

قال سيبويه تقول كتبت إليه أن قُمْ، وأمرتـه أنْ قُمْ، إن شئت كانت «أن» وصلت بالأمر، والتـأويل تـأويل الخبـر، المعنى كتبْت إليه أن يَقُـومَ وأمرتـه أنْ يَقُـومَ، إلاّ أنّهـا وُصِلَتْ بلفظ الأمْـر للمخـاطب، والمعنى معنى الخبـر، كمـا تقول، أنت الذي فعلت، والمعنى أنت الذي فَعَلَ(٣)، قال: ويجوز أن يكـون في معنى أي، ومثله أرسلت إليه أنْ مَا أنْتَ وذَا.

وقوله: ﴿وذَكِّرْهُمْ بأَيَّامِ اللَّهِ﴾.

﴿ذَكِّرْهُمْ﴾ عطف على ﴿أَخْرِجْ﴾، وتذكيرهم بأيام اللّه، أي تذكيرهم بنِعَمِ أيَّـامِ اللّه عليهم، وبنقم اللّه التي انتقم فيهـا من قـوم نـوح وعـاد وثمودَ، أي ذكـرهم بالأيـام التي سَلَفَتْ لمن كفر ومـا نزل بهم فيهـا، وذَكِّـرْهُمْ بنعَم اللّه، والدليل على أن التذكير مشتمل على الإنْذار والتَّحْذِير مما نزل بِمَنْ قبلهم قوله عز وجل بعد هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبـأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَـوْمِ نُوحٍ وعادٍ وَثَمودَ [والَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ]﴾.

أي ألم يأتهم أخبارُ أولئك والنَّوَازِلِ بهِمْ، ﴿لاَ يَعْلَمُهُمْ إلاَّ اللَّهُ﴾.

فأعلم اللّه أن بعد هؤلاء أُمَماً قد مضى من كان يعلم أَنْباءَهَـا، ومن هذا

---

(١) أن المفسرة هي التي تسبق بكلام في معنى القول دون حروفه.

(٢) سورة صَ الآية ٦.

(٣) أنت وهي في هذا الوضع كالاسم الظاهر ـ وهو كالغـائب ـ فأنت كتبت إليـه يقوم ـ وكتبت إليه أن قم ـ وأن هنا تفسيرية.

قيل: كذب النَّسَّابُونَ لأنهم لا يعلمون من كان بعد هؤلاء، وهذا يروى عن النبي ﷺ.

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾.

يروى عن ابن مسعود أنهم عَضُّوا أناملهم غيظاً مما أتَتْهُم به الرُّسُلُ، وقيل: ﴿رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾، أومأوا إلى الرسل أن اسكتُوا، وقيل ردوا أَيْدِيَهُمْ، الهاء والميمَ يرجعان على الرسل، المعنى ردوا أيدي الرُّسُل أي نِعَمَ الرُّسُل لأن مَجيئهم بالبيِّناتِ نِعَمٌ، تقول: لفلان عندي يَدٌ أي نِعْمَةٌ، ومعنى في أفْوَاهِهِم بأفواههم، أي ردوا تلك النعم بالنطق بالتكذيب لِمَا جاءت به الرُّسُلُ، والمعنى أنَّ الرَّدَّ جَاء في هذه الجهة، وفي معناها، كما تقول: جلست في البيت، وجلست بالبيت.

وقالوا: ﴿إنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾.

هذا هو الرَّد(١).

وقوله عز وجل: ﴿واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿استفتحوا﴾ يُعْنَى به الرُّسُلُ، سألوا اللَّه أن يفتح عليهم أي ينصرهم، وكل نصْرٍ فهو فَتْحٌ، والجَبَّار الذي لا يَرى لأحَدٍ عَلَيْه حَقاً، والعنيد الذي يعدل عن القَصْدِ، يقال جبار بَين الجَبْرِيَّة، والجِبْرِيَّةُ ـ بكسر الجيم ـ والجِبِريَّة بكسر الجيم والباء، والجَبَرُوَّة والجَبَرَوَّة(٢)، والتَّجْبَارُ والجبرياء، والجَبُّورة والجبرُوتُ.

﴿مِنْ وَرائِهِ جَهنَّمُ﴾.

أي جهنم بين يديه، و«وراء» يكون لخلف وقُدَّام، وإنما معناه ما توارى

---

(١) أي الرِّدة والكُفر.

(٢) الأولى بضم الراء والثانية بفتحها.

عنك أي ما استتر عنك، وليس من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة، قال النابغة: [1]

حَلَفْتُ فلمْ أتركْ لنفسكَ ريبةً ... وليس وراءَ اللَّه للمرء مَذْهَبُ

أي ليس بعد مذاهب اللّه للمرء مذهب.

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾.

أي مما يسيل من أهل النّار من الدّم والقيح.

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾.

أي لا يقدر على ابتلاعه، يقال ساغ لي الشراب وأَسَغْتُه.

﴿وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾.

أي من بعد ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾.

فهو مرفوع على معنى وفيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بِرَبّهم، أو مَثَلُ الذين كفروا بربهم-فيما يتلى عليكم، وجائز أن يكون - واللّه أعلم - مثل الذين كفروا بربهم صفة ﴿الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾[2]، كأنك قلت: ﴿الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾، كما تقول صفة زيد أسمر، المعنَى زَيْدٌ أَسْمَرُ وتأويله أن كل ما يتقرب به الذين كفروا إلى اللّه فمُحْبَطٌ، قال اللّه عز وجل: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُم فِي الدُّنْيَا والآخِرَة﴾[3]. ومثله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أضل أعمالهم[4]﴾.

---

(١) من اعتذاريات النابغة انظر الأغاني ١١/٧، ٢٢.

(٢) مبتدأ وخبر، أي أعمالهم تحدد صفاتهم، أو صفاتهم ظاهرة من أعمالهم.

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٢: ﴿أُولَٰئِكَ الذينَ حَبِطَتْ أعْمَالُهُم في الدُّنيا والآخرة﴾ والآية ١١٦: ﴿إنَّ الذينَ كَفَرُوا لنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ ولاَ أَوْلَادُهُمْ من اللَّهِ شَيْئاً وأُولئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

(٤) أول سورة القتال.

وقوله: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً﴾.

أي جمعهم الله في حشرهم فاجتمع التابع والمتبوع.

﴿فَقَالَ الضُّعَفَاء﴾، وهمُ الأتباعُ.

﴿للذين استكبروا﴾ وَهُمُ المَتْبُوعُونَ.

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً﴾.

أي اتَّبعناكم فيما دعوتمونا إليه، وتَبَعاً جمعُ تَابع، يقال تابع وتَبَعٌ، مثل غائب وغَيَبٌ، وجائز أن يكون تبع مَصْدَراً سُمِّيَ به، أي كنا ذوي تبع.

وقوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾.

﴿سواء﴾ رفع بالابتداء، و ﴿أَجَزِعْنَا﴾ في موضع الخبر.

﴿مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾.

أي ما لنا من مهرب ولا مَعْدِل عن العذابِ، يقال حاص عن الشيء يَحِيصُ، وَجَاصَ عنه يَجِيصُ في معنى واحدٍ. وهذه اللغة لا تجوز في القرآن ويقال: وقع في حَيْصَ بيْصَ، وَحَاصَ باصَ وحَاصِ بَاصٍ، إذا وقع فيما لا يقدرُ أن يتخلص منه.

﴿وَقَالَ الشَّيطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ﴾.

روي أنه إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النَّارِ قام إبليس عليه لعنة الله خطيباً، فقال: ﴿إن اللَّه وعدكم وعْدَ الحق﴾، أي وَعَدَ من أطاعه الجنة ووعد مَن عَصاه النَّارَ، ﴿ووعدتكم﴾ خلاف ذلك وَمَا كَانَ لي عَلَيْكُم مِنْ سُلْطَانٍ. أي ما أظهرت لكم مِنْ حُجَّةٍ.

﴿إلَّا أنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾.

أي أغويتكم وأضْللتُكُمْ، فاتبعتموني. ذكر الله ـ عز وجل ـ أن إبليس

وما يقوله في القيامة تحذيراً من إضلاله وإغوائه.

﴿مَاأَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾.

أي ما أنا بمُغيثكم، ولا أنتم بمُغِيثِيَّ، قُرِئَتْ بِمُصْرِخِيَّ - بفتح الياء، كذا قرأه الناس، وقرأ حمزة والأعشى بمُصْرِخِيِّ بكسر الياء، وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيفٌ ذكره بعض النحويين، وذلك أن ياء الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حُرّكَتْ إلى الفتح: تقول: هذا غلاميَ قد جاءَ، وذلك أن الاسم المضمَرَ لمَّا كان على حرف واحدٍ وقد منع الاعراب حرك بأخف الحركات، كما تقول: هو قائم فتفتح الواو، وتقول: أنَا قُمْتُ فتفتح النون، ويجوز إسكانُ الياء[1] لِثِقَلِ الياء التي قبلها كسرة، فإذا كان قبل الياء سَاكِنٌ حُرّكَتْ إلى الفتح لا غير، لأن أصلها أن تحرك ولا ساكن قبلها، وإذا كان قبلها ساكنٌ صارت حركتها لازِمَةً لالتقاء الساكنين، . ومن أجاز بمُصْرخيِّ بالكسر لَزِمَهُ أن يقول: هذه عَصَايِ أتوكأ عليها[2]، وأجاز الفراء على وجه ضعيفٍ الكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسرُ، وأنشد:

قال لها هل لك يا تافيِّ   قالت له ما أنتَ بالمَرْضِيِّ [3]

---

(١) من غلامي.

(٢) تفتح الياء للسكون قبلها.

(٣) من رجز للأغلب العجلي، شاعر مخضرم من أرْضَىٰ الرجاز شعراً، وهو أول من أطال الرجز وكان الرجل قبله يقول البيت أو البيتين يفاخر أو يشاتم وقد شبه العجاج نفسه به فقال:

أني أنا الأغلب أضحى قد نشر

أسلم الأغلب وحسن إسلامه، وحارب في العراق مع سعد بن أبي وقاص واستشهد يوم نهاوند. انظر الخزانة ٣٣٢ جـ١، والبيت في ٢٥٧ جـ٢، وفي معاني الفراء ٧٦ جـ٢، قال سمعت بعض العرب ينشد. . . فإن يك ذلك صحيحاً فهو مما يلتقي من الساكنين فينخفض الآخر منهما

وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه، وعَمَلُ مثلِ هذا سهلٌ، وليس يعرف قائل هذا الشِّعرِ من العرب، ولا هو مما يحتج به في كتاب اللّه عز وجل.

﴿إنِّي كَفَرْتُ بِما أشْرَكْتُمونِي مِنْ قَبْلُ﴾.

إني كفرت بشرككم - أيُّها التُّبَّاعُ - إياي باللّه(١)، كما قال - عز وجل -: ﴿ويومَ القيامةِ يَكْفُرُون بِشِرْكِكُمْ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿عَـذَابٌ ألِيمٌ﴾ معناه وجيعٌ مُؤلِمٌ.

وقوله عز وجل:﴿ألَمْ تَرَ كَيْفَ ضَربَ اللّهُ مَثَلاً كلمةً طيِّبةً كشَجَرَةٍ طَيِّبةٍ أصلها ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

ضرب اللّه - عز وجل - للإيمان به مثلاً، وللكفر به مَثَلاً، فجعل مَثل المؤمِنِ في نطقه بتوحيده والإيمان بنبيه واتِّباع شريعته، كالشجَرَة الطيبة. فجعل نفع الإقامة على توحيده كنفع الشجرة الطيبة التي لا ينقطعُ نفعُها وثمرها، وجاء في التفسير أن الشجرة الطيبة النخلة، والدليل على أن هذا المثل يراد به توحيد اللّه، والإيمانُ بنَبِيِّهِ وشرِيعَتِهِ قوله - عز وجل -:

﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ في الحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرةِ﴾.

وقوله: ﴿تُؤْتِي أُكلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإذْنِ رَبِّهَا﴾.

اختلف الناس بتفسير الحين، فقال بعضهم كلَّ سَنَةٍ، وقال بعضهم: كل

= وإن كان له أصل في الفتح، وجعله مثل مُذِ اليوم.

وتـا اسم إشارة للمؤنث، أي يا هذه فِيَّ، يعرض عليها أن تتزوجه، وذكره المرزوقي في شواهد الكشاف وقال إنه مجهول القائل. قال البغدادي: واعلم أن الفراء والزجاج وغيرهما قد أنكروا هذه القراءة والشعر، وقد خفض الياء من مصرخي الأعمش ويحيى بن وثاب.

(١) كفرت بجعلكم لي شريكاً للّه.

(٢) سورة فاطر الآية ١٤.

سِتَّةِ أَشْهُر، وقال بعضهم: غُدْوة وعشية. وقال بعضهم: الحين شهران.

وجميع من شاهدنا من أهل اللغة يذهب إلى أنَّ الحينَ اسم كالوقت، يصلح لجميع الأزمان كلها طالت أو قصرت. فالمعنى في قوله[تعالى] ﴿تؤتِي أُكُلَهَا كل حين﴾ أنها ينتفع بها في كل وقتٍ، لا ينقطع نفعُها البتةَ، والدَّليل على أن الحين بمنزلة الوقت قول النابغة، أنشده الأصمعي في صفة الحيَّةِ والملدوغ(١).

تناذرها الراقون من سوء سمها   تطلقه حيناً وحيناً تُراجِعُ

فالمعنى أن السم يخط ألمه في وقت ويعود وقتاً.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجرةٍ خَبِيثَةٍ﴾.

قيل إن الشجرة الخبيثة الحنظل وَقيلَ الكُوث(٢).

﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ﴾.

معنى ﴿اجتثت﴾ استؤصلت من فوق الأرض، ومعنى اجتُثَّتْ في اللُّغَةِ أخِذتْ جُثَّتَهُ بكمالها:

﴿مَالَها مِنْ قَرَارٍ﴾.

فالمعنى أنَّ ذكرَ الله بالتَّوْحِيدِ يَبْقَى أبداً ويَبْقَى نَفْعُه أبداً، وأن الكُفْرَ والضَّلاَلَ لاَ ثُبوتَ لَه.

---

(١) من عينية التي مطلعها:

عفا ذو حسا من فرتني فالفوارع

وقبله:

فبت كاني ساروتني ضئيلة   من الرقط في أنيابها السم ناقع

انظر الديوان ص ٦٧.

(٢) نبت كالعليق يتسلق أغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر:

هو الكوث فلا أصل ولاَ وَرَق   وَلاَ نسيمٌ ولا ظل ولا شجرُ

وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

روي أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر، فإذا مات المَيِّتُ قيل له: مَنْ ربُّك وما دِينُكَ ومن نبيُّكَ، فإذا قال: اللَّه ربي ومحمدٌ نبيّ والإسلام ديني، فقد ثبَّته اللَّه بالقول الثابت في الآخرة لأن هذا بَعْدَ وفاته، وتثبيته في الدنيا، لأنه لا يلفقه في الآخرة إلا أن يكون ذلك عقدة في الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾.

والبوار الهلاك والاستئصال.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾.

﴿جهنم﴾ بدل من قوله ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ ومُفَسِّرة... وجهنم لم تُصْرَفْ لأنها مؤنثة وهي معرفة.

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾.

النِّدُّ المِثْل، بيّن وجه كفرهم.

﴿لِيُضِلُّوا عن سَبِيلِهِ﴾، ولِيَضِلُّوا، قرئ بهما جميعاً.

وقوله: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

إن شئت حركتَ الياء(1)، وإنْ شِئْتَ أَسْكَنْتَها، ويقيمون جزم على جواب الأمر، وفيه غير وجه، أجودها أن يكون مبنياً، لأنه في موضع الأمر، وجائز أن يكون مجزوماً بمعنى اللام إلا أنها أُسْقِطَتْ، لأن الأمر(2) قد دل على الغائب بِقُلْ، تقول: قل لزيد لِيَضْرِبْ عمراً، وَإِنْ شئت قلت: قل لزيدِ

(1) من عبادي.

(2) رأي له والأكثرون على الرأي الثاني.

يَضْرِبْ عَمرا، ولا يجوز قل يضرب زَيْدٌ عمراً ههنا بالجزم حتى تقول ليضربْ، لأن لام الغائب ليس ههنا منها عوض إذا حذفتها. وفيها وجه ثالث على جواب الأمر على معنى قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة يقيموا الصلاة، لأنهم إذا آمَنُوا وَصَدَّقوا، فإن تصديقهم بقـ[1] أمر اللّه ـ عزّ وجلّ ـ.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾.

إن شئتَ رفعتَ البيعَ والخلالَ جميعاً، وإن شئت نصبتَهُما جميعاً بغير تنوين وإن شئت نصبت أحدهما ورفعت الآخر، فالنصب على النفي بلا، وقد شرحنا ذلك فيما سلف من الكتاب، والخلال والخلة في معنى الصداقة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾.

معناه: دائبين في إصلاح ما يصلحانه من الناس والنبات لا يَفْتَرَانِ.

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾.

وتقرأ من كُلٍّ ما سألتموه [بتنوين كل]، فموضع «ما» خفضٌ بالإضافة والمعنى من كل الذي سألتموه، ومن قرأ مِنْ كلٍّ ما سألتموه، فموضع ما نَصْبٌ، والمعنى وآتاكم من كل الأشياء التي سألتموه[2].

فإن قال قائل: فقد أعطى العباد مَا لَمْ يَسألوا. قيل له ذلك غير ناقض هذه الآية، إذَا قال: «وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ الَّذِي سَأَلْتُمُوهُ» لم يوجب هذا أن يكون لم يعطهم غير ما سألوه، ويجوز أن يكون «ما» نفياً، ويكون المعنى وآتاكم من كلٍّ ما لم تسألوه، أي آتاكم كل الشيء الذي لم تسألوه[3].

(١) بقبولهم ـ خبر أن، أي إن تصديقهم يتحقق بقبولهم أمر اللّه. وانظر الجزء الأول.
(٢) أعطاكم من كل الأشياء التي طلبتموها ولم يحرمكم شيئاً.
(٣) لا يبدو هذا الوجه جيداً ـ وإنما يكون التقدير أعطاكم من كلٍّ، أي من كل شيء وتكون جملة «ما سألتموه» جملة مستقلة ـ بمعنى لم تسألوه ولكنه أعطاكم فضلاً منه، بدون سؤال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

هذا اسم للجنس يقصد به الكافر خاصَّةً، كما قال: ﴿وَالعَصْرِ إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[1]، والإنسان غير المؤمن ظلومٌ كفَّارٌ.

﴿وَإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً﴾.

يعني مكة

﴿واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾.

وتَقرأ وأَجْنِبْني وبَني عَلى أَجْنَبْتُهُ كذا وكذا إذا جعلته ناحية منه، وكذلك جنبتُه كذا وكذا.

ومعنى الدعاء من إبراهيم عليه السلام أن يُجَنَّبَ عبادة الأصنام، وهو غير عابد لها على معنى ثَبِّتْني على اجتناب عبادتها كما قال: ﴿واجعلنا مسلمين لك﴾[2] أي ثبتنا على الإسلام.

﴿رَبِّ إنَّهُنَّ اضْلَلْنَ كَثيراً مِنَ النَّاسِ﴾.

أي ضُلِّلُوا بسببها، لأن الأصنام لا تعقل ولا تَفْعَلُ شيئاً، كما تقول قد فتنتني هذه الدَّارُ، أي أنا أَحْبَبْتُها واسْتَحْسَنْتُها، وافتتنت بها.

﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فإنَّه مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي فإنك غفور رحيم له إن تاب وإن آمن، لا أنه يقول إنّ من كفر [فإن اللّه غفور رحيم] فإن اللّه لا يغفر له، ألا ترى قوله في أبيه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[3].

---

(١) أول سورة والعصر ـ والغرض أن أل في الإنسان للجنس.

(٢) سورة البقرة الاية ١٢٨.　　(٣) سورة التوبة الآية ١١٤.

﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾.

أي اجعل أفئِدَةً جماعةً مِن الناس تنزع إلَيْهِمْ، ويجوز تَهْوَى إلَيْهِمْ، فمن قرأ تهوي إليهم فَهُوَ على هَوَى يَهْوِي إذا ارتفع[1]، ومن قرأ تَهْوَى إليهم فعلى هَوِيَ يَهْوَى إذا أحب، والقراءة الأولى هي المختارة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾.

أي واجعل من ذريّتي من يقيم الصلاة.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾.

القراءة بغير ياء [في دعائي] إذا وقفت، فإذا وصلت فأنت بالخيار إن شئت قلت دعاءِ بغير ياء، وكانت الكسرة في الهمزة تنوب عن الياء، والأجود إثبات الياء، وإن شئت أسْكَنْتَها، وإن شئت فتحتها.

وقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

هذا قبل أن يتبين لإبراهيم أن أَبَاهُ عَدُوٌّ للّه، فلما تبيَّنَ لَهُ ذلك تبرأ منه، وقيل إنه يَعْنِي بوالديه هنا آدمَ وحواءَ، وقيل أَيْضاً ولوَلَدَيَّ، يعني به إسماعيل وإسحاق، وهذه القراءة ليست بشيء لأنها خلاف ما عليه أهل الأمصار من أهل القراءات.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾.

يعني يوم القيامة، و «يوم» منصوب باغْفِرْ لي.

وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ﴾.

﴿مهطعين﴾ منصوب على الحال، المعنى إنما يؤخرهم ليوم تَشخص فيه

---

(١) كذا بالأصل وهو سهو إذ هو بمعنى سقط ووقع.

أبصارُهُمْ مُهْطِعِينَ أي مُسْرعين، قال الشاعر[1]:

بِـدجـلة أهـلهـا ولـقـد أراهُـمْ بـدجلة مهـطعين إلى السمـاع

أي مسرعين.

و ﴿مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ﴾ رافعيها ملتصقة بأعناقِهِمْ، والمقنع الرافع، والمقْنَع المرتفع قال الشاعر:[2].

يُبَـادِرْنَ العِضَـاةَ بمقْنِعَـاتٍ نَـواجِـذهن كـالحِـدَأ الـوقيـعِ

يصف إبلاً ترعى الشجر وأن أسنانها مرتفعة كالفؤوس.

وقوله: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾.

أي منحرفةٌ لا تَعي شيئاً من الخوف، وقيل نزعت أفئدتهم من أجوافهم قال الشاعر[3]:

كـأن الـرحـل منهـا فـوق صَعْـلٍ من الـظلمـاء جُـؤجُـؤهـا هـواء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

القراءة بكسر اللام الأولى، من «لِتَزُولَ» وفتح اللام الأخيرة، هي قراءة حسنة جيدة[4]، والمعنى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، أي ما كان

---

(١) هو يزيد بن مفرغ - اللسان (هطع) - القرطبي ٢٧٩/٩.

وبجاز أبي عبيدة ٣٤٣/١.

(٢) هو الشماخ. انظر اللسان (غضه - قنع - حدأ) وروايته هناك يباكرن، وفيه (عضه) يبادرن كما هنا - والعضاه كل شجر يعظم وله شوك، والواحد عضه. والحدأ بكسر الحاء، ويروى بالفتح أيضاً جمع حدأة، وهي فؤوس صغيرة تنقر بها الحجارة، وأيضاً الفأس ذات الرأسين - يصف الأبل بأنها تأكل هذه الأشجار بأسنان حادة وبقوة وسرعة فكأنها تقتطعها بهذه الفؤوس - والفم المقنع الذي تنحني أسنانه إلى الداخل.

(٣) لزهير بن أبي سلمى يصف ناقته، والصعل المتجرد شعر الرأس والصغير الرأس، والظلمان جمع ظليم وهو ولد النعام، والجؤجؤ الصدر، يقول كأن رحله ليس على سنام ناقة وإنما هو على ظليم غير مثقل بالطعام نشيط خفيف الحركة. انظر شواهد الكشاف ص ٥.

(٤) على أن «ما» نافية.

مكرهم ليزول به أمر النبي ﷺ وأمر دين الإسلام وثبوته لَثبوت الجبال الراسية، لأن الله عزّ وجلّ وَعَـدَ نبيَّه عليه السلام إظْهَـارَ دِينِه عْلى كـل الأديان فقـال: ﴿لِيُظْهِرَهُ على الدينِ كُلِّهِ﴾(١) ودليل هذا قوله:

﴿فَلَاتَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه﴾.

أي لا يخلفهم ما وعدهم من نصرهم وإظهار نبـوتهم وكلمتهم، ويقـرأ ﴿وَإِنْ كَـانَ مَكْرُهُمْ لَتَـزُولُ مِنْهُ الجِبَالُ﴾ على الرفـع وفتح الـلام الأولى. ومعناه معنىً حَسَنٌ صحيـحٌ، والمعنى: وعند الله مكـرُهم وإن كان مكـرُهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال، فإنَّ الله ينصُرُ دينه، ومَكْرُهم عنده لا يخفى عليه.

فإنْ قَالَ قَائِلٌ: فهل زالت الجبال لمكرهم؟ فقد روي في بعض التفسيـر قصـةُ التابـوت والنُّسُـورِ، وأن الجبـال ظنت أن ذلـك أمـر من أمـر الله عـظيم فزالت، وقيل هذا في قصة النمرود ابن كنعان؛ ولا أرى لنمرودَ ههنا ذكراً(٢)، ولكنه إذا صحت الأحاديث به فمعناه أنَّ مَكْرَ هؤلاء لو بلغ مكـر ذاك لم ينتفعوا به، وأمَّا مَا تُوجِيه اللُّغَة وخـطابُ العَرَبِ فـأن يكون المعنى وإن لم يكن جبـل قط، زال لمكـرِ المبالغة في وصَف الشيء أن يقال: لو بلغ ما لا يُظَنُّ أنه يبلُغُ ما انتفع به، قالَ الأعشى(٣):

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٣، وسورة الصف الآية ٩.

(٢) قصـة النسـور والتـابـوت والنمـرود ـ تنسب إلى عـلي بن أبي طـالب وإلى عكـرمـة، وهي من الإسرائيليات التي لا تصدق ـ وخلاصتها أن نمرود الذي حاج إبراهيم في ربه اتخذ تابوتاً حمله أربعة فـروخ من النسور ظلت تعلو بـه يومـين حتى غابت عنه الأرض ولم يـر السماء تغيـرت فأخـذ سهماً ورمى للأعلى فعاد إليه ملوثـاً بالـدم. فقال قـد قتلت إله إبـراهيم، واتجه نـازلاً فـسمعت الجبال خفق التابوت فظنت الساعة قد قامت فكادت تتزعزع وتزول من أماكنها.

وقول الزجاج: لا أرى لنمرود هنا ذكرا ـ يعني أنه لا مكان لذكره هنا، والقصة كما ترى لا مسـاغ لصحتها.

(٣) من قصيدته التي أولها:

ألاَ قلْ لتيـا قبـل بنيتهـا اسلمي تحيـة مشـتـاق إلـيـهـا متـيـم

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورُقيتَ أسباب السماء بسلم
لَتَسْتَدْرِجَنْكَ القولُ حتى تهزّه وتعلم أنه عنكم غير منجم

فإنما بالغ في الوصف وهو يعلم أنه لا يُرَقَّى أسباب السماء، ولا يَكُونُ في جُبِّ ثمانين قامةً فيستَدْرِجَهُ القَوْلُ.

فالمعنى على هذا: لو أزال مكرهم الجبَالَ لما زال أَمْرُ الإسلام وما أتى به النبي ﷺ.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه﴾.

وقرئت مخلفُ وَعْدَه رُسُلِهُ، وهذه القراءة التي بَنَصْب الوَعْدِ وخَفْض الرُّسُل شاذَّةٌ رديئة، لا يجوز أن يفرق بين المضَافَ والمضاف إليه، وأنشدوا في مثل هذا[1].

وتَيًّا تصغيرتا، اسم الإشارة للمؤنث، فصغر المبني والبيتان من شواهد الكشاف ومعهما البيت:

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر الفتاة من الدم

انظر شرح شواهد المغني ٢٩٨ ـ ورواية المرزوقي فلو كنت في جب.

وقد ذكر له وجهين من الشرح ـ وأقربها أنه تهديد بالهجاء وأنه لا يغلق من لسانه مهما غاص في الأرض أو صعد إلى السماء. وتهزه أي تكرهه وتبغضه وتشرق بهجائي فلا تكاد تسيغه، وقيل إنه يصف رجلاً بعدم القدرة على كتم السر ـ ولكن بعيد ـ وانظر شرح القصيدة في الديوان تحقيق محمد حسين.

(١) البيت في ابن يعيش ١٩/٣، ومعاني الفراء ٣٥٨/١، ٨١/٢. ولم يذكر قائله ـ ويروى زج القلوص أبو مزادة. وأيضاً رواية فزججتها متمكنا وهو الشاهد التاسع عشر بعد الثلاثمائة من شواهد الخزانة ـ وقد أفاضت في شرحه وتوجيهه وجاء فيها: «وهذا البيت لم يعتمد عليه متقنو كتاب سيبويه» ـ وأنه من زيادات الأخفش فظنه الشراح من شواهد سيبويه ـ ويرجع اختلاف الشراح الكثيرين إلى مذهب البصريين وسيبويه من عدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه. وهو هنا فصل بينهما بكلمة القلوص، وهي مفعول به.

واختلف في مرجع الضمير في زججتها ـ فقيل للناقة، ومعنى زججتها طعنتها بالزج وهو الحديدة التي في أسفل الرمح ـ وقيل الضمير للمرأة ـ يريد القائل أنه زج امرأته بمزجة ـ وهي آلة الزج ـ بكسر الميم ـ ولم يرضه البغدادي صاحب الخزانة.

فـزجّـجـتـهـا بـمـزجّـةٍ ... زَجَّ الـقـلُوصَ أبـي مَـزَاده

المعنى فزجْجتها بِمَزَجَّةٍ زجَّ أبي مزادة القَلُوص. والقراءة: مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه، كما تقول: هذا مُعْطِي دِرْهَمٍ زيداً.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾.

إنْ شئت نَصَبْتَ اليوم عَلَى النَّعْت لقولـه: يَوْمَ يَقُومُ الحسَابُ يَوْمَ تبدل الأَرْضَ وإن شئت أن يكون منصوباً بقولـه ذُو انْتِقَامٍ، المعنى أن اللّه عـزّ وجلّ ذو انتقام أي بَيْنَهُمْ يوم تبدل الأرض غير الأرض، والأرض مرفوعة على اسم ما لم يسمَّ فاعله، وغَير منصوبة على مفعول ما لم يسم فاعله، تقول: بُدِّلَ الخاتَمُ خاتَماً آخَر إذا كسر وَصِيغَ صيغة أخرى، وقد تقول بُدِّلَ زَيْدٌ إذا تغيرت حاله، فمعنى تبدل[1] الأرض غير الأرض تسيير جبالها وتفجير بحارها وكونها مستوية لا يرى فيها عِوَجٌ وَلَا أَمْتٌ[2]، فهذا ـ واللّه أعلم ـ تبديلها.

﴿والسَّمَوَاتُ﴾.

أي وتبدل السموات غير السموات، وتبديل السموات انتثار كواكبها وانفطارها وانشقاقها وتكوير شمسها وخسوف قمرها.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾.

أي خرجوا من قُبُورهم بَارزِينَ

﴿وَتَرَى المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾.

= أما زج القلوص ـ فهو مفعول مطلق ـ وأبو مزادة شخص يعينه ـ أي طعنت الناقة بالزج كما يطعن أبو مزادة ناقة ـ والقلوص الناقة الشابة ـ ويروى البيت:

فـزججـتـهـا مـتـمـكـنـاً ... زج الـقـلوص أبـو مـزادة

ويبدو أن البيت ـ على كثرة ما أفاض الشراح القدامى والمحدثون فيه ـ مصنوع لا يصلح للاحتجاج به.

(١) لعل الأصح أن تكون تبديل الأرض لأنه أخبر بمصدر.

(٢) العوج: الانكسار والانخفاض، وتقدم تفسيره في المعاني والأجسام، والامت: الارتفاع.

والأصفاد الأغلال، واحدها صَفَدٌ، يقال صَفَدْتُه بالحديد، وَأَصْفَدته، وصفدتُ في الحديد أكثر، وأصفدته إذا أعطيته، وصفدته إذا أعطيته أيضاً إلا أن الاختيار في العطية أصفدته وفي الحديد صفدته، قال الشاعر[1]:

وإن جئته يوماً فقرَّب مَجْلِسِي وأَصْفدني على الزَّمانَةِ قائدا

معناه أعطاني قائداً.

﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾.

السربال كل ما لبس. وجعلت سرابيلهم من قطران - والله أعلم - لأن القطران يبالغ في اشتعال النار في الجلود، ولو أراد الله المبالغة في احراقهم بغير نار وغير قطران لقدر على ذلك، لكن عذَّب بما يعقل العباد العذاب من جهته وحذرهم ما يعرفون حقيقته، وقرئت مِنْ قِطْرٍ آنٍ، قرأ بها جماعة.

والقِطْر النحاس، وآنٍ قد انتهى مَرُّه[2].

---

(١) هو الأعشى، وروايته، في مجاز أبي عبيدة ١/٢٣٤٥، والطبري ١٣/١٥٢: تضيفته يوماً فقرب مقعدي - والزمانة الإصابة بمرض مستمر باق على الزمن، والعاهة التي لا تبرأ يقال زمن - كفرح - يزمَن، زمَناً وزمانة وزمنة فهو زَمِنٌ، - والصفد والصفد - بفتح الفاء وسكونها - العطاء، يقال أصفده، وقد يتعدى لمفعولين كما في البيت، وروايته في اللسان (صفد):

تضيفته يوماً فقرب مجلسي: يريد وهب لي قائداً يقودني وأنا أعاني زمانة في جسمي.

(٢) أي بلغ النهاية حتى صار سائلاً.

سُورَةُ الحِجْرِ
مَكيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله:﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قرئت رُبَّما يود بتشديد الباء وتخفيفها، والعرب تقول: رُبَّ رجل جاءني، ويخففون فيقولون رُبَ رَجُلٍ، قال الحادرة(١)

فَسُمَيَّ ما يدريك أن رُبَ فِتْيَةٍ باكرتُ لَذَّتَهُمْ بِأدْكَنَ مُتْرعِ

يريد سُمَيَّة، فَرَخَّمَ.

---

(١) الحادرة أو الحويدرة هو قطبة بن أوس الذبياني غلب عليه لقبه لبيت قاله له زياد بن سيار الفزاري وهو:

كأنك حادرة المنكبين رصعاء تنقض في حادر
عجوز ضفادع محجوبة يطيف بها ولد الحاضر

وكان الحادرة قد تجرد ليبترد في غدير، وكان ضخم المنكبين أرسح ـ فغلب عليه اللقب، وهو شاعر جاهلي مقل، وقصيدته هذه جيدة، ذكر صاحب الأغاني جزءاً منها، وذكره ابن سلام في الطبقة التاسعة من الجاهليين، وذكر أربعة أبيات من أول القصيدة، وهي بأكملها في المفضليات والأصمعيات، ـ ولهذا البيت روايات أخرى ليس بها شاهد. منها: أسمى ما يدريك كم من فتية ـ والمعنى واحد لأن رب هنا تفيد التكثير، وأول القصيدة:

بكرت سمية غدوة فتمتع وغدت غدو مفارق لم يسمع

ويروى هذا البيت أيضاً رحلت سمية

والقصيدة جيدة، وكان حسان إذا تنوشدت الأشعار يقول: هل أنشدت كلمة الحادرة. ـ وباكرت لذتهم أسرعت إليهم لأمتعهم، ويعني بالأدكن المترع الزق المليء بالخمر ـ وانظر الجزء الأول ص ٤٢٥ .

ويسكنون في التخفيف فيقولـون: رُبْ رَجُلٍ قـد جاءني، وأنشـدوا بيت الهذلي:

أَزُهَـيْـرُ إنْ يَشِـبِ القَـذَال فـإنـني رُبْ هَيْضَـلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بهَيضَلِ[1]

ويقولون ربَّتا رجل، وربَّتْ رَجُـلٍ، ويقولـون رَبَّ رَجُلٍ، فيفتحـون الرا ورُبَمَا رَجُلٍ جاءني - بفتح الراء، وَرَبَّتَمَا رجل فيفتحون. حكى ذلك قطرب.

فأما تفسير الآية ففيه غير قول، قيل إنه إذا كان يوم القيامة وعاين الكـافِرُ القيامة وَدَّ لو كان مسلماً، وقيل إنـه إذا عاين الموت وَدَّ لَوْ أنـه مُسْلِم، وقيل إذا كان يوم القيامة أخرج المسلمون من النار فوَدَّ الذين كفروا لـو كانـوا مسلمين. وقيـل يُعَيِّر أهْـلُ النار الكفَـرَةُ المُسْلِمينَ [قائلين] مـا نفعكم إيمَانُكُمْ، فيغضب اللَّه عزّ وجلّ لذلك، فيخرجهم من النَّارِ فيود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

والذي أراه - واللَّه أعلم - أن الكافـر كلما رأى حـالاً من أحوال العـذاب ورأى حالاً عليها أحوال المُسْلِم وَدَّ لـوكان مُسْلِمـاً. فهذه الأحوال كلهـا تحتملها الآية.

فإن قال قائل: فلم كانت «رُبَّ» ههنا، ورُبَّ للتقليل[2]، فالجواب في هذا أن العـرب خوطبت بمـا تعقله في التهدُّدِ، والـرجل يتهـدَّدُ الرَّجُـلَ فيقول لـه: لَعلك سَتَنْـدَمُ على فعلك، وهو لاَ يَشُـكّ في أنه يَنْـدَم، وتقول لـه: ربما نَـدِم الإنْسَانُ من مثل ما صنعتَ، وهو يعلم أن الإنسان يندم كثيراً، ولكن مجازه أن

(١) لأبي كبير الهذلي من قصيدة قالها في تأبط شراً وكان أبو كبير قد تزوج أمه وأراد قتله ولكنه خـافه، والقذال ما بين الأذن والقفا، والهيضل والهيضلة المجموعة من الناس يغزى بهم - والهيضل أيضـاً الناقة العظيمة وأصوات الناس والمرأة النصف والجماعة، والمرس ذو المراسة، وقـوة المعالجة، والمرس: الحبل، ويقال: مرس الحبل إذا وقع بين الخطاف والبكرة فأنت تعالجه وتخرجه انظر ديوان الهذليين ٨٩، والخزانة ٤/١٦٥، وشواهد المغني ٨١.

(٢) أي لماذا اختيرت رب.

هـذا او كـان مما يُـوَدُّ في حَالٍ وَاحِـدَةٍ من أحوال العـذاب، أو كـان الإنسـانُ يخافُ أنْ يندمَ على الشيء لوجَبَ عَليه اجْتِنَابُه. والـدليل على أنـه عَلَى مَعْنَى التهدُّدِ قوله عزّ وجَلّ:

﴿ذَرْهُمْ يَـأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُـوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

وجائز أن يكون ـ واللّه أعلم ـ [أن] أهوال يوم القيامة تسكرهم وتَشْغَلُهم عن التَمَنّي، فإذا أفاقوا مِنْ سَكْرةٍ من سَكَرات العَذَابِ ودوا لو كانـوا مسلمين. فـأما من قـال إن رُبَّ يُعْنِيَ بها الكثيـر فهذا ضِـدُّ مَـا يَعْـرفُـه أهـلُ اللُّغـة، لأن الحروف التي جاءت لمعنىً [تكون] على ما وضعت العَـربُ. فربَّ مـوضوعـة للتقليل، وكم موضوعة للتكثير، وإنما خوطبوا بما يعقلـون ويستفيـدون.

وإنمـا زيدت مـا مع رُبَّ ليليهـا الفعْلُ، تقـول رُبَّ رَجُلٍ جَـاءَني وربما جاءني رَجُلٌ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾.

أي إلا ولها أجلٌ لا تتقدمُهُ ولا تتأخَرَ عنه.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالمَلاَئِكَةِ.﴾ الآية.

معناه هَلاَّ تأتينا بالملائكـة، روى ذلك. قـالوا للنبي عليـه السلام: لـولا أنزل عَلَيْهِ ملك. فقال:

﴿مَا نُنَزِلُ المَلاَئِكَةَ إلاَّ بِالحَقِّ﴾.

أي إنما تنزل بآجال أو بوحي من اللّه.

﴿وَمَا كَانُوا إذاً مُنْظَرِينَ﴾.

أي لو نزلت المـلائكة لم ينـظروا، وانقطعت التوبات، كمـا قال: ﴿وَلَوْ

أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ﴾(١).

وتقرأ ما تَنَزَّلُ الملائِكَةُ [إلاَّ بالحقِّ] وما تُنَزِّلُ الملائِكَةَ، وما تُنَزَّل الملائكة، وَمَا تَنْزِلُ الملائِكَةُ.

وقوله: ﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

أي نَحْفَظُهُ من أن يقع فيه زيادة أو نقصانٌ، كما قال: ﴿لا يأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْه وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٢).

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿في شِيَعِ الأَوَّلِينَ﴾.

أي في فرق الأولين

﴿وَمَا يأْتيهمْ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلَّ أن سفهاء كل أُمَّةٍ يستهزئون برُسُلها.

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ﴾.

وتقرأ نُسْلِكُه، أي كذلك نسلك الضلال في قلوب المجرمين، أي كما فُعِلَ بالمجرمين الذين استهزأوا بمن تقدَّم مِنَ الرُّسُلِ كذلك نسلك الإضلال في قلوب المجرمين. ثم بين ذلك فقال:

﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾.

أي وقد مضَت سنة الأولين بمثل ما فعله هؤلاء، فهم يقتفون آثارهم في الكفر، ثم أعلم تعالى أنهم إذا وردت عليهم الآية المعجزة قالوا سِحْرٌ وقالوا: ﴿سُكِّرَتْ أبْصَارُنَا﴾ كما قالوا حين انشق القمر: هذا سِحْرٌ مُسْتَمرٌّ، فقال عزّ وجلَّ:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فيه يَعْرُجُونَ﴾.

ويقرأ يَعْرِجُونَ، أي يصعدون ويذهبون ويَجِيئُونَ ويصلح أن يكون

---

(١) سورة الأنعام الآية ٨. (٢) سورة فُصِّلَتْ الآية ٤٢.

﴿يَعْـرُجُـونَ﴾ للملائكة والناس، وقد جاء بهما التفسير.

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾.

وسُكِّرَت، ويجوز سَكَرت بفتح السين، ولا تَقْرأَنَّ بها إلا أن ثبتت بها رواية صحيحة.

وفسروا سُكِّرَتْ أُغْشِيَتْ، وسَكِرتْ تَحَيَّرَتْ وسكنت عن أن تَنظُر، والعرب تقول: سَكِرَتِ الريح تسكرُ إذا سَكنت وكذلك سكر الحرُّ يسْكَرُ، قال الشاعر[1]:

جاء الشتاء واجثألَّ القُنْبَرُ

وجَعَلَتْ عينُ الحَرُورِ تَسْكَرُ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا في السَّماءِ بُرُوجاً﴾.

جاء في التفسير نجوماً وكواكب، وقيل منازل الشمس والقمر. وهذه البُروجُ التي يُسمِّيهَا الحُسَّابُ: الحَمَل، والثَّوْر، وما أشبهَهَا، هي كواكب أيضاً، صُوَرُها على صُورِ أسْماء أصحابها. فالبروج نجوم كما جاء في التفسير.

﴿وَحَفِظْنَاهَا من كل شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾.

---

(١) أورد أبو عبيدة هذا الرجز في أربعة أبيات كما يلي:

جاء الشتاء واجثأل القنبر   واستخفت الأفعى وكانت تظهر

وطلعت شمس عليها مغفر   وجعلت عين الحرور تسكر

وهما في اللسان (قبر وسكر) كما هنا. وفي (جثل) الشطر الأول والثالث والرابع

اجثأل تجمع وانكمش - والقنبر طائر كالعصفور أو أكبر قليلاً - يقال قنبر وقبر والواحدة بالتاء، ويقال قبراء.

انظر مجاز أبي عبيدة ١/٣٤٨ وفي الطبري ١٣/٩ منسوبة للمثنى بن جندل، والصحيح ما في اللسان (جثل) أنها لجندل بن المثنى - ولعل ما في الطبري خطأ مطبعي. وانظر أيضاً القرطبي ١٠/١٢٩.

معنى رَجِيم قيل مَلْعُون، وجائزٌ أن يكون رَجمٌ مرجوماً بالكواكب، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾.

مَوْضِع «مَنْ» نَصْبٌ، المعنى لكن من استرق السمع، وجائز أن يكون في موضع خفض، على معنى ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شِهَابٌ مُبينٌ﴾. والشُّهُبُ الكواكب المنقضَّةُ من آيات الله للنبي عليه السلام، والدَّلِيلُ على أنها كانت انْقَضَّتْ بعد مولد النبي ﷺ أن شعراء العرب الذين كانوا يمثلون في السرعة بالبرق وبالسيل وبالأشياء المسرعة لم يوجد في أشعارها بيتٌ واحدٌ فيه ذكر الكواكب المنْقَضَّة، فلما حدثت بعد مولد النبي عليه السلام استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة[2].

كأنه كوكب في إثْر عِفْرِيةٍ مسوَّمٌ في سواد الليل مُنْقَضِبُ[3]

﴿والأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وأنبتنا فيها من كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾.

كانت الأرض طينة فمدت، وقيل مُدَّتْ من تَحْتِ البيتِ الحرام والرَّواسِي الجبال الثوابت، ومعنى: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ أي من كل شيء مقدور جرى على وزنٍ مِنْ قَدَرِ اللَّه عزّ وجلّ لا يُجَاوِزُ ما قَدَّره اللَّه عليه، لا يستطيع خلقَ زيادة فيه ولا نقصاناً. وقيل ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾، أي من كل شيءٍ يُوزَن نحو الحديد والرصاص والنحاس والزرنيخ.

---

(١) سورة الملك الآية ٥.

(٢) البيت في ديوانه ص ٢٧، واللسان (قضب) والقرطبي ٢٠٣/١٣ ـ وذيل الأمالي ٦٥.

(٣) العفر والعفرية ـ بالكسر ـ وعفارية ـ بالضم ـ، والعفرية الداهية، يريد كأنه في سرعته كوكب ينقض في إثر عفريت.

ومسوم أي واضح ظاهر كالذي به علامة تميزه ـ ومنقضب أي منقض.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾.

موضع «مَنْ» نصبٌ من جهتين إحداهما العطف على معايش، المعنى وجعلناكم من لستم له برازقين، وجائزٌ أن يكون عطفاً على تأويل لكم، المعنى في جعلنا لكم فيها معايش أعشناكم ومن لستم له برازقين.

وفي التفسير أن من لستم له برازقين الدَّوابُّ والأَنْعَامُ. وقيل في بعض التفسير الوُحُوش. والنحويون يذهبون إلى أن «مَنْ» لاَ يكادُ أن يكُونَ لِغَيْرِ مَا يعْقل، وقد قال عزّ وجلَّ: ﴿فَمِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِه ومِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾[1]، فجاءت «من» لغير الناس إذ وُصِفَ غيْرُ الناس بصفاتهم[2]، كما جاءت الواو لغير الناس في قوله ﴿وَكُلٌّ في فلك يَسبحُونَ﴾. والأجود والله أعلم أن يكون «مَنْ» ههنا أعني ﴿وَمَنْ لَسْتُم لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ يراد بها العبيد والأنعام والدواب فيكون المعنى جعلناكم فيها معايش وجعلنا لكم العبيد والدوَابّ والأنعام وكُفِيتُمْ مؤونة أرزاقها.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾

﴿لواقح﴾ تأتي بالسحاب، ولواقح تُلقح السحاب وتُلْقِحَ الشَّجر، وجاز أن يقال للريح لقحَت إذا أتت بالخير، كما قيل لها عقيم إذا لم تأت بخير، وأتت بعذاب، كما قال عزّوجلَّ: ﴿وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾[3]، ويجوز أن يقال لها لواقح وإن لقحت غيرها لأن معناها النسب.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾

---

(١) سورة النّور الآية ٤٥.

(٢) كلمة «كل دابة» تجمع كل ما يدب على الأرض مما يعقل وغيره، وفي هذه الحالة توقع «من» على ما لا يعقل.

(٣) سورة والذاريات الآية ٤١.

قيل فيها غير قول، قيل المستقدمين ممن خلق والمستأخرين ممن يحدُث من الخلق إلى يوم القيامة ثم قال:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هو يَحْشُرُهُم﴾.

أي الذي أنشأهم وعَلَّمَهُمْ هو يحشرهم مبعوثين كما بدأهم أول خلق:

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

أي تدبيره يجري بحكمة وعلم، وقيل: ولقد علمنا المستقدمين منكم في طاعة الله والمستأخرين فيها، وقيل إنه كانت امرأةٌ حسناءُ تصلي خلفَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فيمن يُصَلِّي من النِّسَاءِ، وكان بعض من يصلي، يتأخر في آخر الصفوف، فإذا سَجَدَ اطلع إليها من تحت إبطه، والذين لا يقصدون هذا المقصِدَ إنَّما يَطلُبُونَ التقدم في الصفوف لما فيه من الفضل.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

فمن قرأ ﴿صراط عَلَيَّ مستقيمٌ﴾، فالمعنى هذا صراط مستقيمٌ عَلَيَّ أي على إرَادَتِي وأمري، ومن قرأ «عَلِيٌّ» أرَادَ: طريقٌ رفيعٌ في الدِّين والحقّ.

وقوله: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.

الصَّلْصَال الطين اليابس الذي يَصِلُّ لِيُبْسِه، ومعنى يَصِلُّ يُصَوِّتُ قال الشاعر(١):

رَجَعتُ إلى صدر كجرة حَنْتَمٍ إذا قُرِعَتْ صِفْراً من الماء صَلَّتِ

---

(١) لعمرو بن شاس من رثاء لزوجته أم حسان وقبله:

ألم تعلمي يا أم حسان أنني إذا عبرة نهنهتها فتخلت

ونهنهت العبرة زجرتها والحنتم جرار سود تضرب إلى الحمرة، والمادة التي تصنع منها - والبيت في الأغاني ١١/١٩٩ واللسان (حنتم) ومجاز أبي عبيدة ١/٢١٩ وترجمة عمرو في الأغاني ١١/١٩٦ وما بعدها.

و ﴿مَسْنُونٍ﴾ .

قيل فيه مُتَغَيِّرٌ. وإنما أخذ من أنه على سُنَّةِ الطريق لأنه إنما تغيَّـرَ إذا قام بغير ماء جارٍ.

﴿والجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ .

﴿الجانَّ﴾ منصوبٌ بفعل مُضَمَرٍ، المعنى وخلقنا الجانَّ خلقناه، وخلق اللَّه الملائكة من نور العزَّةِ، وخلق آدم من ترابٍ وخَلَق الجَانَّ من نَارِ السَّمُومِ .

وقوله عزّ وجلّ :﴿فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ .

قال سيبويه والخليل: ﴿أجمعون﴾ توكيدٌ بعدَ تَوْكيدٍ، وقال محمدُ بن يزيد: أجمعون يَدُل على اجتماعهم في السجود، المعنى فسجدوا كلُّهم في حالٍ واحدةٍ. وقول سيبويه والخليل أجود، لأن أجمعين معرفة، فلا يكون حالاً[1] .

﴿إلاَّ إبْلِيسَ﴾ .

إبليس مستثنى ولَيْسَ مِنَ الملائكة إنما هو من الجن كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿إلاَّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[2]. وهو منصوب استثناء ليس من الأول، كما قال:﴿فَإنَّهُمْ عَدُوٌّ لي إلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ﴾ .

المعنى لكن إبليس أبى أنْ يكونَ .

وقوله عزّ وجلّ :﴿مَالَكَ أَلَّا تَكُونَ مع الساجدين ﴾ .

موضع أن نصب بإسْقَاطِ في، وإفضاء الناصِبِ إلى أن، المعنى أيّ شيءٍ يقع لك في أن لا تكون مع السَّاجِدينَ.

وقوله : ﴿فَإنَّكَ رَجِيمٌ﴾ .

---

(١) وإذا كانت حالاً كان يجب أن تنصب لا أن تكون مرفوعة.

(٢) سورة الكهف الآية ٥٠.

معناه مَرْجُومٌ مَلْعُونٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

لجهنم سَبْعَـةُ منازلَ لكـل مَنْزِلَـةٍ صِنفٌ ممَّن يُعذَّبُ على قـدر منزلته في الذَّنْبِ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ من غِلٍّ﴾.

الغِلُّ الحِقدُ، ويُرْوَى أنَّه يخلص المؤمنونَ من النار فيحبسون على قنطرةٍ بين الجنة والنَّارِ، فيقتص لبَعْضِهم من بَعْضٍ، ثم يؤمر بهم إلى الجنة وقد نُقُوا وهذِبُوا فخلصت نياتهم من الأحقاد.

﴿إخواناً﴾.

منصوب على الحال.

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.

في التفسير لا ينظر بعضهم في قَفَا بعض.

﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾.

أي لا ينالهم تعب

﴿أَنِّي أَنَا الغفورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ﴾.

يروى في التفسير أن العبـد لو علم قـدرَ عَفو اللّه لمـا أَمْسَكَ عن ذنبٍ، ولـو علم مقدار عقوبة لبَخَعَ نفسه في العبادة، ولما قَدِمَ عَلَى ذَنْبٍ.

﴿فَقَالُوا سَلاَماً﴾ قَالَ سَلاَمٌ.

﴿سَلاَماً﴾ منصوب على المصدر كأنهم قَالوا سَلَّمنَا سَلاماً.

وقوله: ﴿قَالَ: إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾.

أي خـائفون، فـإنما وجِـلَ لما قـدَّم إليهم العجلَ فـرآهم لا يَأْكُلُونَ منـه وَجِلَ.

﴿قَالُوا لاَ تَوْجَلْ﴾.

يقال وَجِلَ يَوْجَلُ، وياجَل ويَبْجَلُ وَيِجَلُ، إذا خاف.

﴿فَبِمَ تُبشِّرُونَ﴾.

بفتح النون وهو أجود في القراءة، وقرئت: فَبِمَ تُبَشِّرُونِ ـ بكسر النون ـ قرأ بها نافع، والأصل فبم تبشرونَنِ فاستُثْقِلَ النّونانِ، فحذفت إحداهما وقيل الحذف من الأدغام، كأنها فبم تُبَشِّرنِّ، بتشديد النون، فحذفت إحدى النونين لثقل التضعيف، كما قالوا رُبَّما، ورُبَمَا، قال الشاعر في حذف النون:

تراه كالثَّغام يُعَلُّ مِسْكاً ... يسوء الغاليات إذا فليني

يريد فلينني (١).

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَمَن يَقْنَط [مِن رَحْمَةِ رَبّه]﴾.

يقال قَنَط يقنِطُ، وقَنِطَ يقنَطُ، وهما جميعاً جائزتان(٢)، والقنوط بمعنى اليأس.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُم﴾، أي فما أمركم.

وقوله: ﴿إلاَّ آلَ لُوطٍ﴾.

استثناء ليس من الأول، المعنى:﴿قَالُوا إِنَّا أرْسِلْنَا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إلاَّ آلَ لُوط إنا لَمُنَجُّوهُمْ أجمعين﴾، المعنى إنا أُرْسِلْنَا بالعذاب إلى قوم لوط.

وقوله:﴿إلاَّ امْرَأتَهُ قدَّرنا إنَّها لَمِنَ الغَابِرينَ﴾.

المعنى علمنا انها لمن الغابرين، وقيل دبرنا إنها لمن الغابرين، وقدرنا ههنا لا يحتاج إلى تفسير، المعنى الا امرأته قدرنا أنها لمن الباقين في

---

(١) تقدم حـ ١ ص ٢١٦.

(٢) ولغة ثالثة قَنطَ يقْنُط.

العذاب، والغابر الباقي، قال الشاعر[1]:

فـمـا ونـى مـحـمـد مـذ أن غَـفَـر لـه الإلـهُ مـا مـضـى وَمَـا غـبـر

المعنى وما بقي

وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.

أي جئناك بالعذاب الذي كانوا يَشُكُّونَ في نزوله.

وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾.

وتقول: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ - بقطع الألِفِ ووصلِها. وسَيْرُ الليل يقال فيه أَسْرى وسَرَى ومعنى بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، أي بعدما يمضي شيءٌ صَالح من اللَّيْلِ

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾:

أُمِرَ ﷺ بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب - والله أعلم -.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾.

موضعُ أن نَصْبٌ، وهو بدل من قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾ ثم فسَّرَ ما الأمْر، فالمعنى وقضينا إليه ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾.

﴿مُصْبِحِينَ﴾ منصوب على الحال.

وقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾.

الضيف يوحَّدُ وإن وُصِفَتْ به الجماعة، تقول: هذا ضيف، وهَذَان ضيفٌ وهَؤُلَاءِ ضيف. كما تقول: هؤلاء عَدْلٌ، وإنْ شِئْتَ قلتَ أضيافٌ، وضِيفَانٌ. فمَنْ وحَّد فلأنه مصدر وصف به الاسم، فلذلك وَحَّدَ، وإنما وُحِّدَ المصدَرُ في قولك: ضربتُ القوْمَ ضَرْباً، لأن الضرب صنف وَاحِدٌ. وإذا كانَ

(١) هو العجاج - والبيت في الطبري ١١/١٩٨، والقرطبي ٧/٢٤٦ ومجاز أبي عبيدة ١/٢١٩ - وما غبر: أي ما بقي.

أصنافاً وجَمعْتَ، فقلت ضربتهم ضربَيْن، وضربتهم ضروباً، أي أجناساً من الضرب، والضَّيفُ مصدر ضِفْتُ الرَّجُلَ أضِيفُه ضَيْفاً. فأنا ضائف، والرَّجُلُ مَضِيفٌ إذَا كانَ مفعُولاً، وأضَفْتُه إذا أنزلتُه.

﴿قالوا أوَلَمْ نَنْهَك عَنِ العَالَمِينَ﴾.

معناه: الم ننهك عن ضيافة العالمين.

﴿قَالَ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي إنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

فالجواب محمول على المعنى، لأنهم أرَادُوا الضيفَانَ للفَسَادِ، فقال نهم لوط: هؤلاء بناتي لأن نساء أمَّة كل نَبيّ بمنزلة بَنَاتِه وأزْواجُه بمنزلة أمَّهاتِهِمْ، المعنى النساء على جهة التزويج أطْهَرَ لَكُمْ.

ومعنى ﴿إنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

أي إن كنتم مُريدين لهذا الشَّأنِ فعليكم بالتزويج ببناتي.

﴿لعَمْرُكَ إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

هذه الآية آية عظيمة في تفضيل النبي عليه السلام أعني قوله سبحانه لعَمْرُكَ، جاء في التفسير أنه قسم بحياة محمد ﷺ كذلك أكثر التفسير، وقد جاء في بعض التفسير: «لَعَمْرُكَ» كلِمَةٌ من كلام العَرَبِ، ولسْتَ أُحِبُّ هذا التفسير، لأن قوله: كلمة من كلام العرب لا فائدة فيه، لأن القرآن كله عربي مبين، وَكَلِمَةٌ من كَلَامِ العَرَب، فلا بد من أن يقال ما مَعْنَاهَا[1].

وقال سيبويه والخليلُ وجَميعُ أهْل اللُّغَةِ: العَمْرُ والعُمْرُ بمعنًى واحِدٍ، فإذا استعمل في القَسِمَ فتح أوّله لا غير، لا تقول العربُ إلا لعَمْرُكَ، وإنما آثروا الفتح في القَسِمَ لأن الفتح أخف عَلَيْهِمْ وهم يكثرون القَسَمَ بِلَعَمْرِي، ولعَمْرُكَ، فلما كثر استعمالهم إياهُ لزموا الأخَفَّ عليْهِمْ.

---

(١) لا بد من بيان معناها.

وقال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخَبَرُ محذوف، المعنى لعَمْرُكَ قَسَمِي، ولعَمْرُكَ ما أقسِمَ به. وحذف الخبَرِ لِأَنَّ في الكلام دليلاً عليه، المعنى أقسم إنهم لفي سكرتهم يعمَهُونَ، ومعنى يعمهون يتحيَّرون. وباب القسم قد يحذف معه الفعل، تقول: واللّه لأفعَلَنَّ وتاللّه لأفعَلَنَّ، والمعنى أحلف باللّه، وأحلف واللّه، فيحذف أحلف لعلم المخاطب بأنك حالف، وكذلك يحذف خبر الابتداء كما ذكرنا.

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيحَةُ مُشْرِقِينَ﴾.

أي أخذت قومَ لوط الصيحةُ بالعذاب مشرقين، يقال أشرقنا فنحن مشرقون، إذا صادفوا شُروقَ الشمس[1]، وهو طلوعها، كما تقول أصبحنا إذا صادفوا الصبح. يقال شَرَقتِ الشمس إذا طلعت وأشرقت بمعنى واحدٍ، إلاّ أن معنى «مُشْرِقِينَ» في معنى مصادفين لطلوع الشمس.

وقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

معنى من سجيل من طين عليه كتاب[2]. واشتقاق ذلك من السجل، ودليل هذا التفسير قوله: ﴿حِجارةً من طين، مُسَوَّمَةً عند رَبِّكَ﴾[3]، فأعلم أنها مِن طين وأنها مسومة أيْ مُعلّمَةٌ لعلامات الكتاب.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِلمتَوَسِّمِينَ﴾.

قيل المتوَسِّمُونَ المتفَرِّسُونَ، وقيل المتفكرون. وحقيقته في اللغة المتوسمون النُّظَّارُ المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء تقول توَسَّمْتُ في فلان كذا وكذا، أي عرفت وسم ذلك فيه.

---

(١) يقال أصبح أي دخل في وقت الصباح وأحصد دخل في وقت الحصاد. ومشرقين من هذا، أي أخذتهم الصيحة وهم في وقت الشروق.

(٢) كتابة.

(٣) سورة الذاريات الآية ٣٣ ـ ٣٤.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾.

أي لبطريق واضح بَيِّن.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي لعلامة بَيِّنَة للمصدقين.

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾.

أي أصحاب الشجر، والأيك الشجر وهؤلا أهل موضع كان ذا شجر، فانتقم الله منهم بكفرهم، قيل إِنَّهُ أخذهم الحرُّ أياماً ثم اضطرم عليهم المكان ناراً فهلكوا عن آخرهم. ومعنى «إنْ واللام» التوكيد.

﴿وَإِنَّهُما لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

أي لبطريق يؤتَمُّ أي يُقْصَدُ فيبيَّن، وأصحاب الحجر أصحاب واد يقال له الحِجْرُ.

وقوله:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي والقرآنَ العظيم﴾.

قيل: السبع من المثاني هيَ فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، وإنما قيل لها المثاني لأنها يُثَنَّى بِها في كلِّ ركعة من ركعات الصلاة، ويثنى بها مع مَا يُقْرأ من القرآن. ويجوز - والله - أعلم - أن يكون من المثاني أي مما أُثْنِيَ به على الله، لأن فيها حَمْدَ الله، وتَوْحِيدَه وذكر مَلاَئكته وملكه يوم الدِّينِ.

وروي في التفسير أنه مَا أُعْطِيَتْ أمَّةٌ كما أُعْطِيَتْ أمَّةُ محمد ﷺ من سورة الحمد. فأما دُخُول «مِنْ» فهي ههنا تكون على ضربين، تكون للتبعيض من القرآن، أي ولقد آتيناك سبع آياتٍ من جملة الآيات التي يُثْنَى بها على الله - عز وجل - وآتيناك القرآن العظيم، ويَجوزُ أن يكون السبع هي المثاني، وتكون «من» الصفة[1] كما قال عز وجل :﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[2]، المعنى اجتنبوا الأَوْثَانَ، لا أَنَّ بعضَها رِجْسٌ.

(١) بيانيَّة.

(٢) سورة الحج الآية ٣٠.

ويجوز أن يكون المعنى سبعاً مثانيَ على هذا القياس، ويدل على القول الأول قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾[1]. وقيل سبعاً من المثاني: السبع الطوال، من البقرة إلى الأعراف ستٌّ، واختلفوا في السابعة، فقال بعضهم: سورة يونُس، وقيل الأنفال وبراءة، وإنما سميت مثاني لذكر الأقاصيص فيها مثناةً. ويجوز «والقُرْآنِ العظيم» بالخفض، ولكن لا تقرأن بِهِ إلا أنْ تثبُتَ به رواية صَحيحةٌ.

﴿أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾ أي أمثالاً في النِعَم.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي أَلِنْ جانبك للمؤمنين، أي لمن آمنَ بِكَ وَبِمَا أَتَيْت بِهِ ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ﴾.

يُروَى أنَّ المشركينَ قالوا أساطير الأولين، وقالوا سحرٌ، وقالوا شاعِر، وقالوا كاهِنٌ. فقسَّمُوه هذه الأقسام، وَعَضَوْهُ اعضاء.

ويروى أن أهل الكتاب همُ المقتسِمُونَ، آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، وقالوا نحواً مما روي عن المشركين.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾.

قيل في التفسير أجهرْ بالقرآن، ويكون - والله أعلم - فاصدع بما تؤمَرُ، أي أبِنْ ما تؤمر به، واظهره، وأُخِذَ ذلك منَ الصَّدِيع وهو الصبح. قال الشاعر:

كأن بياضَ غُرَّتِه الصديع[2].

---

(1) سورة الزمر الآية ٢٣.

(2) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي، يصف ذئباً، وصدرُهُ:

ترى السِّرحانَ مُفترِشاً يَدَيْهِ

وتأويل الصَّـدْع في الزجـاج، أو في الحائط، أن يبين بعضُ الشيء عن بَعْض.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

قيل هؤلاء جماعة من المشركين، خمسَةُ نفَرٍ كانوا يستهزئون برسول اللّه ﷺ فنزلت بهم آفـاتٌ مات أكثرهم منهـا، وَعَمِيَ واحِدٌ مِنْهُمْ. والخمسـة سُمّوا في التفسيـر منهم الوليـدُ بن المغيـرة، والعـاص بن وائـل، وعـدي بن قيس، والأسـود بن المطَّلِب، والأسـود بن عبد يَغُـوثَ. أعلم اللّه أنهم من المشركين بقوله:

﴿الَّذِيـنَ يَجْعَلُـونَ مَـعَ اللَّـهِ إِلَهـاً آخَـرَ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

أي حتى يأتيك المـوت، كما قـال عيسى بن مريم: ﴿وَأَوْصَانِـي بِالصَّـلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾(1) فإن قال قـائل كيف تكـون عبادةٌ لغيْـرِ الحي، أي كيف يَعْبُدُ الإنسانُ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَإنَّ مجاز هذا الكلام مجاز «أبداً»، المعنى اعبد ربك أبَداً، واعبده إلى الممات، لأنه لو قيل: اعْبُدْ ربك ـ بغيـر التوقيت ـ لجـاز إذَا عبدَ الإنسانُ مَرَّةً أن يكون مُـطِيعاً، فـإذا قال حتى يـأتيك اليقين، أي أبَـدًا وما دمت حياً، فقد أُمِرْتَ بالإقامة على العبادة.

والصديع الفجر (اللسان ـ صدع).

(1) سورة مريم الآية ٣١.

سُورَةُ النَّحْل
مكية

ما سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ ما وَعَدهم اللّه به من المجازاة على كفرهم من أصناف العذاب، والدليل على ذلك قوله:﴿حَتَّى إِذا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾[1] أي جاء ما وعدناهم به، وكذلك قوله:﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيلاً أَوْ نَهاراً فَجعَلْنَاهَا حَصِيداً﴾[2] وذلك أنهم استعجلوا العذاب واستبطأوا أَمْرَ الساعة، فأعلم اللّه ـ عز وجل ـ أنّ ذلك في قُرْبِهِ بمنزلة ما قد أتى، كما قال:﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾[3] وكما قال:﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إلاَّ كَلَمحِ البَصَرِ﴾[4].

وقوله:﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

معناه تنزيهه من السُّوء، كذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ وكذلك

---

(١) سورة هود الآية ٤٠.

(٢) سورة يونس الآية ٢٤.

(٣) سورة القمر / ١.

(٤) سورة النحل الآية ٧٧.

فسّره أهل اللغة، قالوا: معناه تنزيه الله من السوء، وبراءة الله من السوء. قال الشاعر: (١)

أقول لما جاء في فخره   سبحان من علقمة الفاجر

أي براءة منه.

وقوله: ﴿يُنَزِّلُ المَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾.

ويقرأ: تُنَزَّلُ الملائكةُ، ويجوز فيها أوجه لا أعلمه قرىء بها: ينَزِّل الملائكة، ويُنْزِلُ الملائكةَ، وتَنَزَّلُ الملائكةُ بالروح - والروح - والله أعلم - ما كان فيه من أمر الله حياة للنفوس والإرشاد إلى أمر الله، والدليل على ذلك قوله: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّه لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾.

المعنى أَنْذِرُوا أهلَ الكُفْر والمعَاصِي بأنه لا إله إلاَّ أنا، أي مروهم بتوحيدي، وألَّا يشركوا بي شيئاً. ثم أعلم ما يَدُلُّ على توحيده مما خلق فقال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِالحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ارتفع عن الذين أشركوهم به، لأنهم لاَ يَخْلُقُون شيئاً وهم يُخْلَقُون.

وقوله: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾.

اختصر ههنا، وذكر تقلبَ أحْوال الإِنْسانِ في غير مكان من القرآن.

وقوله: ﴿والأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾.

نصب الأنعام على فعل مضمر، المعنى خلق الأنعام خلقها، مفسِّر للمضمر، والدفء ما يُدْفِئُهمْ من أَوْبَارِهَا وأَصْوَافِهَا. وأَكْثَرُ ما تستعمل الأنعام في الإبل خاصة، وتكون للإبل والغَنَم والبقر، فأخبر الله - عز وجل - أن في الأنعام ما يدفئنا، ولم يقل لكم فيها مَا يُكِنُّكُمْ ويدفئكم من البرد، لأن ما ستر

(١) للأعشى تقدم في الجزء الأول ص ١١٠.

من الحرِّ سَتَر مِنَ البَرْدِ، وما ستر من البردِ ستر من الحرّ، قال اللّه ـ عز وجل ـ في موضع آخر: ﴿سرَابيلَ تَقِيكُمُ الحرَّ﴾[1] فعلم أنها تقي البرد أيضاً، وكذلك إذا قيل: ﴿لكم فيها دفء﴾ علم أنها تستر من البرْدِ، وسَترٌ من الحرّ.

وقوله: ﴿وَمَنَافِعُ﴾.

أي ومنافعها ألبانُها وأبوالها وغير ذلك.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾.

الإراحة أن تروح الإبل من مراعيها إلى الموضع الذي تقيم فيه وحينَ تسْرَحُونَ، أي حين تُخَلُّونها للرَّعْي، وفيما ملكه الإنسان جمال «وزينة ـ كما قال عز وجل: ﴿المَالُ والبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2]، والمال ليس يخص الوَرِق والعينَ دونَ الأمْلاَكِ، وأكثر مال العرب الإبل، كما أن أكثر أمْوال أهل البصرة النَّخَلُ. إنما يقولون مال فلان بموضع كذا وكذا يعنون النخل.

وقوله: ﴿وَتَحْمِل أَثْقَالَكُمْ إلَى بَلَدٍ لَمْ تكُونُوا بَالِغِيهِ إلَّا بِشقِّ الأَنْفُس﴾.

تقرأ بالفتح والكسر[3]، أي لو تكلفتم بلوغه على غير الإبَل لشَقَّ عليكم ذلك.

وقوله: ﴿والْخَيْلَ وَالْبِغَالَ والْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾.

أي وخلق الخيل والبغال والحمير للركوب، وكثير من الناس يقولون إنّ لحومَ الخيلِ والبِغَالِ والحَمِيرَ دَلّتْ عليه هذه الآية أنها حرام، لأنه قال في الإبل ﴿وَمِنْهَا تأْكُلُونَ... وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً في صُدُورِكم﴾[4] وقال في الخيل: ﴿والخيل والبِغَالَ والحَمِيرَ لتَرْكَبُوهَا وزينَةً﴾ ولم يذكر فيها الأكل. وقال قوم: لو

(١) الآية ـ ٨١ من هذه السورة.

(٢) سورة الكهف الآية ٤٦.

(٣) إثقالكم وأثقالكم.

(٤) سورة غافر الآية ٧٩ ـ ٨٠ وأولها: ﴿اللّهُ الَّذي جَعَلَ لكم الأنْعَامَ لتَرْكَبُوا مِنْها ومِنْها تأكُلُونَ، ولَكُم فيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغوا عَلَيْهَا... الخ﴾.

كانت حرّمت بهذه الآية لم يحرم النبي ﷺ لحومَ الحُمرُ الأهلية، ولكفاه ما دَلَّ عليه القرآن. وهذا غلط لأن القرآن قد دَلَّ على أن الخَمْرَ حرام، وقال النبي ﷺ: حَرَمَتْ الخمرَ بعينها. فذكر النبي ﷺ ما حُرِّمَ في الكتاب بأنه حرام، توكيداً لَهُ وزيادةً في البيان.

ونصب ﴿وزينةً﴾ مفعول لها، المعنى وخَلَقَها زِينَةً.

وقوله :﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾.

أي على اللَّه تبيينُ الطريق المستقيم إليه بالحججَ والبراهين.

وقوله : ﴿وَمِنْهَا جائر﴾.

جائر أي من السبل طرق غير قَاصِدَةٍ للحقِّ.

وقوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

أي لو شاء اللَّه لأنزل آيةً تَضْطَرُّ الخلْقَ إلى الإيمان به، ولكنه عز وجل: يهدي من يشاء ويدْعُو إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وقوله:﴿مِنْهُ شَرابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾.

المعنى أنه ينبتُ الشجرَ التي تَرْعَاهَا الأبِلُ، وكلُ ما أنْبتَ على الأرْضِ فهو شجر، قال الشاعر يصف الخيل :(١)

نَعْلُفُها اللحم إذا عَزَّ الشَّجر والخيل في إطْعَامِها اللحمَ ضَرَر

يعني أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجْدَبَتِ الأرض.

وقوله : ﴿فيهِ تُسِيمُونَ﴾.

أي تَرْعَوْنَ، يقال: أَسَمْتُ الأبلَ إذا رعيتها، وقد سَامَت تسوم وهي سائمة إذَا رعَتْ، وإنما أخذ ذلك من السُّومَةِ، وَهِي العَلاَمَةُ وتأويلها أنها تؤثر في الأرض برَعْيِها علامات.

---

(١) في اللسان و (علف). وسمى اللبن لحماً لأنه ينبت اللحم.

وقوله: ﴿وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾.

معنى ﴿مواخرَ﴾ جواري تجري جرياً، وتشق الماء شقًّا.

﴿وألقى في الأرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

﴿رواسيَ﴾ جبَالاً رواسي ثوابت، ﴿أن تميدَ﴾ معناهُ كَرَاهةَ أنْ تميد ومعنى تميد لا تستقر، يقال ماد الرجل يميد ميداً، إذَا دِيرَ به والمَيْدَى: الـذين يدار بهم إذا ركبوا في البحر، وأن تميد في موضع نصب، مفعول لها.

﴿وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً﴾.

المعنى وجعـل فيها رَوَاسيَ وأنهـاراً وسُبُـلاً، لأن معنى ألقى في الأرض رواسي جعل فيها رواسي، ودليل ذلك قوله: ﴿وَالجِبَالَ أَوْتَاداً﴾(1).

وقوله: ﴿وَ بالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

النجم والنجوم في معنى واحـدٍ، كمـا تقـول: كثـر الـدِّرهَمُ في أيـدي الناسِ وكثرت الدراهم، خلق اللَّه ـ جل ثناؤه ـ النجوم لأشياء منها أنها جُعِلَتْ زينةً للسَّماء الدُّنْيَا، ومنها أنها جعلت رُجُوماً للشياطين ومنها أنهـا يُهْتَدى بِهَـا، ومنها أنها يعلم بها عدد السنين والحساب.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

ويقرأ تدعونَ من دون اللَّه بالتاء والياء.

﴿لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

يُعنَى به الأوثانُ التي كانت تَعْبُدُهَا العَربُ.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

أي وهـم أمواتٌ غير أحياء.

وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

أي ما يشعرون متى يبعثون، وأيان في موضع نصْبٍ بقوله يُبْعَثُونَ ولكنه

(1) سورة عم يتساءلون الآية ٧.

مَبني غيرُ منونٍ، لأنه بمعنى الاستفهام فلا يعرب كما لا تعرب كم ومتى وكيف وأين، إلاَّ أن النون فتحُت لالتقاء الساكنين.

فإن قال قائل: فهَلاَّ كُسِرتْ، قيل الاختيار إذا كان قبلَ الساكن الأخير ألف أن يفتح، لأن الفتح أشبه بالألف وأخفّ معها. وزعم سيبويه والخليل أنك إذا رَخَّمْتَ رجلاً اسمه أَسْحَار، قلت يا أَسْحَارَّ ـ بتشديد الراء ـ أقبل، ففتحت الراء لالتقاء الساكنين، وكذلك تختار معَ المفتوح الفتح، تقول إذا أَمَرْت من غُضَّ: غضَّ يا هذا.

وقوله: ﴿لاَ جَرَم أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

معنى ﴿لا جرم﴾ حقٌّ أن الله يعلم، ووجب، وقوله: ﴿لا﴾ رَدٌّ لفعلهم، قال الشاعر:

ولقد طعنتَ أبا فَزَارَةَ طعنةً جرمت فزارةَ بعدها أن يغضبوا[1]

المعنى أحقت فزارة بالغضب

وقوله:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾.

«ما» مبتدأ، و «ذا» في موضع الذي. المعنى ما الذي أنزل ربكم. وأساطير مرفوعة على الجواب، كأنهم قالوا: الّذِي أَنْزَلَ أساطير الأولين، أي أكاذيب الأولين، واحدها أُسْطورة.

وقوله:﴿ليحمِلوا أوزارهم كاملة يوم القيامة، ومِنْ أَوْزَارِ الذينَ يُضِلُّونَهُم بغير علم﴾.

(١) تقدم. ورواية البيت في الخزانة ش٨٥٠ ـ برفع فزارة فاعلا لجرم وان يغضبوا بدل اشتمال ـ أي حُقَّ غضب فزارة بعده، وجاء البيت في تفسير الفراء حـ ٢/٩ـ بنصب فزارة بمعنىٰ ان الطعنة كسبتهم الغضب. ففزارة مفعول به وقال الأعلم الشنتمري أن مذهب سيبويه: ـ حقتها للغضب ـ والبيت لأبي أسماء بن الضريبة، وقيل لغيره ـ وهو يخاطب كرازة العقيلي، وكان طعن أبا عيينة وهو حصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري، وانظر العقد ٢١١/٥ ـ وأبو أسماء جاهلي، وعطيةِ بن عفيف مخضرم له ترجمة في الاصابة ٥٥٦٤ ـ راجع الشاهد ٨٥٠ في الخزانة، وكتاب سيبويه ١/٤٦٩، ومجاز أبي عبيدة ١/٢١٤٧.

هؤلاء كـانوا يصـدون مَنْ أَرَادَ اتِّبَـاعَ النبي ﷺ، وإذا سُئِلُوا عمـا أَتَى بـه قالوا الذي جاء، أساطير الأولين، فأعلم اللّه ـ عز وجل ـ أنهم يحملون بذلـك آثام الذين كفروا بقولهم. ولا يُنْقِصُ ذلك من إثم التابع.

وقوله :﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

«مـا» في مـوضـع رفـع، كمـا تـرفـع بنعم وبئس، المعنى سـاء الشيء وِزْرُهم، هذا كما تقول: بئس الشيء.

وقوله :﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾.

أي من أساطين البناء التي تعْمِده[1].

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

يروى أن ذلك في قصة نَمْرُودَ بنِ كنعـانَ، بنى صَرْحـاً يَمْكُرُ بِـهِ[2] فخر سقفـه عليه وَعَلى أصْحَابِه، وقـال بعضهم: هذا مثـل، جعلت أعمـالهم التي عملوها بمنزلة الباني بناء يسقط عليه فمضرة عملهم عليهم كمضرَّةِ البـاني إذا سقط عليه [بناؤه].

وقوله:﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾.

و﴿تشاقُّون فيهم﴾ بكسر النونِ، وقد فسرنا مثل هذا، وإنما... شركائي حكاية لقولهم، واللّه ـ جل ثناؤه ـ لا شريك له. المعنى أين الذين في دعواكم أنهم شركائي.

﴿فَأَلْقَوُا إِلَيْهِمُ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾.

أي ألقـوا الاستسلام، وذكـر السَّلَمَ، والسَّلَمُ الصُّلحْ، لذكـره المُشَاقَّـةَ، وبإزاء المشاقة والمعاداة الصلح.

---

(1) في الأصل الذي يَعْمِدُ. وتصح ببناء الفعل للمجهول.

(2) يدبر به مكيدة.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَل مِنْ سُوءٍ، بَلَى﴾.

أي قالوا: ما كنا نعمل من سوء،

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾.

«ما» و «ذا» كالشيء الواحد، والمعنى أي شيء أنزل ربكم.

﴿قَالُوا خَيراً﴾.

على جواب «ماذا» المعنى «أنزل خيراً».

﴿لِلَّذينَ أَحْسَنُوافِي هَذِه الدُّنيَا حَسَنَةٌ﴾.

جائز أن يكون هذا الكلام ذُكِرَ لِيَدُلَّ عَلَى أن الذي قالوه اكتسبوا به حسنة، وجائز أن يكونَ تفسيراً لقولهم خيراً، وحسنةٌ، بالرفع القراءةُ. ويجوز «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِه الدُّنْيَا حَسَنَةً»، ولا تقرأن بها، وَجَوازُهَا أن معناها أن «أنزل خيراً» - جعل للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةً، أي جَعَلَ لَهُمْ مكافأةً في الدنْيَا قَبْلَ الآخرة.

وقوله:﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ﴾.

المعنى، ولنعم دار المتقين دارُ الآخرة، ولكنَّ المبيّنَ لقوله «دار المتّقين» [هو] قوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾.

وهي مرفوعة بإضمار «هي» كأنك لما قلت، ولنعم دار المتقين على جواب السائل أيُّ دَارٌ هيَ هذه الممدوحة، فقلت: جنات عَدْنٍ يدخلونها. وإن شئت رفعت على الابتداء، ويكون المعنى: جنـاتُ عَـدْنٍ نعـمَ دارُ المتقين.

وقوله:﴿هَلْ يَنْظُرونَ إلاَّ أَنْ تَأْتِيهُمُ المَلائِكَةُ﴾.

[أي] لقبض أرواحهم، أو يأتي ما وَعَدَهُمُ اللَّهُ به من عذابه.

وقوله:﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُم اللَّهُ﴾.

أي كذلك فعلوا فأتاهم أمر اللّه بالعذاب، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾.

وقوله :﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا، ولا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِه مِنْ شَيءٍ، كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

هذه الآية وأشباهها فيه تنازع وينبغي أن يقف أهل القرآن والسنة على حقيقة تفسيرها لأن قوماً زعموا أن من قال هذا فقد كفر وأن من قال من العباد أن لا يفعل إلاّ ما شاء اللّه فقد كفر، وهذا تأويل رَديءٌ، وإنما كفر أولئك وكذبوا، لأنهم كانوا يقولون: لو شاء اللّه ما عبدنا من دونه من شيء على جهة الهزؤ، والدليل على ذلك أنَّ قوْمَ شعيب قالوا لشعيب: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الحكِيمُ الرَّشِيدُ﴾[1]. فلو قالوا له هذا معتقدين لكانوا مؤمنين[2]، وإنما قالوه مستهزئين، وقد اتفقت الأمَّةُ على أن اللّه لو شاء ألاّ يُعْبَدَ غيرُه مَشِيئَةً اضطرارٍ إلى ذلك لم يقدر أحد على غير ذلك، ولكن اللّهَ جل ثناؤه تَعَبَّد العبادَ وَوَفَّقَ من أحبَّ تَوفيقه، وأضل من أحب إضْلاَلَه، وهؤلاء قالوا هذه مُحقِّقِينَ ما قيل لهم أنهم مكذبون إذ كان الإجماع على أن اللّه ـ عز وجل ـ يقدر على أن يجْبُرَ العبادَ على طاعته وأعلم اللّه أنهم مكذبون كما كذَّبَ الذين من قبلهم فقال:

﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ البَلَاغُ المُبِينُ﴾..

أي الإبْلاغ الذي يُبَيِّنُونَ مَعَهَ أَنَّهم أنبياء.

وقوله:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً إنِ اعْبُدوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

فأعلم اللّه أنَّهُ بَعَثَ الرُّسُلَ بالأمْرِ بالعِبَادةِ، وهو من وراء الإضلال والهداية، فقال:

---

(١) سورة هود الآية ٤٦.

(٢) لو قالوا لشعيب: «إنك لأنت الحليم الرشيد» عن عقيدة ما كفروا ولكنهم قالوه هزؤا.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ، وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيهِ الضَّلاَلَةُ﴾.

فهذا يدل على أنهم لو قالوا ذلك معتقد . لكانوا صادقين، ثمَّ أكَّدَ ذلك فقال:

﴿إنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَن يَضِلُّ﴾.

وقرئت فإن اللّه لا يهدي من يُضِلُّ، كما قال:﴿من يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ له﴾[1]. وَفيها وجه ثالث في القراءة. «لاَ يَهْدِي مَنْ يَضل» وهو أقل الثلاثة[2].

وقوله: ﴿بَلَى وَعْداً عَلَيْه حَقًّا﴾.

﴿وعداً﴾ منصوب مُؤكَّد، المعنى بلى يبعثهم اللّه وعداً عليه حقاً، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمَ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

فهذا على ضربين، جائز أن يكون معلقاً بـالبعث، ويكون المعنى: بلى يبعثهم اللّه لِيُبيِّن لهم وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كـاذبين، وجائـز أن يكون ﴿لِيُبَيِّن لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فيه﴾ معلقاً بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا في كُلِّ أمَّةٍ رَسُولاً﴾ ليُبَيِّنَ لهم اختلافهم، وأنهم كانوا مِن قبله على ضلالة.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ :﴿إنَّما قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إذَا أرَدْنَاهُ أنْ نَقُولَ له كُن فيَكُونُ﴾.

القراءة الرفع[3]، وقد قرئت بالنصب، فالرفـع على فهو، ويكـون على معنى مـا أراد اللّه فهو يكـون، والنصب على ضربين أحـدهما أن يكـون قولـه فَيَكونَ عَطْفاً على «أنْ نَقُولَ فيكونَ». ويجوز أن يكون نصباً على جواب «كن» فـ (قَوْلُنَا) رفع بالابتداء، وخبره «أن نقول»، المعنى إنما قـولنا لكـل مرادٍ قـولنا كن، وهذا خوطب العباد فيه بِمَا يعْقِلُونَ وما أراد اللّه فهو كائن على كل حال،

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٦.

(٢) الكوفيون «يَهْدي» ـ وضعفه أن معناه من ضَلَّ بنفسه فإن اللّه لا يهديه، واللّه سبحـانه يهـدي من يشاء.

(٣) في يكون.

وعلى ما أراده من الإسـراع ولـو أراد خلق الدنيا ـ السموات والأرض ـ في قـدر لمح البصر لقـدر عَلَى ذلك ولكن العباد خوطبـوا بما يعقلون، فـأعلمهم اللّه سهولة خلق الأشياء عليه قبل أن تَكُونَ، فأعلم أنه متى أراد الشيء كـان، وأنه إذا قال كـن كان. ليس أن الشيء قبل أن يخلق كان موجوداً، إنما المعنى: إذا أردنا الشيء نقول من أجله «كن» أيُّهـا المُرادُ فيكـون على قدر إرادة اللّه، لأن القَوْمَ أعنِي المشركِين أنكروا البعث، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾(1).

وهو معنى قولـه: ﴿وَكَانُـوا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنْثِ العَـظِيمِ﴾(2) أي كانـوا يحلفون أنهم لا يبعثون. ولقد جاء في التفسير أن الحنثَ الشِّرْكُ لأن من اعْتَقَدَ هذا فضلاً أن يحلف عليه فهو مشرك. فقال جلّ وعلاّ.

﴿بَلَى وَعْداً عَليه حَقًّا﴾.

أي بلى يبعثهم وعداً عليه حقاً، وحقاً منصوب مصدر مؤكد لأنه إذا قـال يبعثهم دل على «وعد بالبعث وعداً».

وقـوله: ﴿وَالَّـذِينَ هَاجَرُوا في اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَـا ظُلِمُوا لَنُبَـوِئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَـا حَسَنَةً ولأَجْرُ الآخِرةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

هؤلاء قوم كان المشركون يعذبونهم على اعتقادهم الإيمان منهم صهيب وبـلال، وذلك أن صُهَيبـاً قال لأهـل مكة: أنـا رجل كبيـر، إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضـركم، خذوا مـالي وَدَعُوني فـأعـطاهم مـالـه وهاجر إلى رسـول اللّه ﷺ فقال لـه أبو بكـر الصديق: رَبِـحَ البيع يـا صهيب، وقال عمر: نعم الرجل صهيب لـو لم يخف اللّه لم يعصه، تـأويله لو أنـه أمن

(1) ترتيب الآية: ﴿وأقسموا باللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِم لا يَبْعَثُ اللّهُ مَنْ يموت، بلى وَعْداً عليه حقاً﴾.
(2) سورة الواقعة الآية ٤٦.

عذابه وعقابه لما ترك الطاعة ولا جنح إلى المعصية لأمنه العذاب.

ومعنى ﴿لَنُبوِّئَنَّهُم فِي الدُّنْيا حَسَنَةً﴾.

[أي] لأنهم صاروا مع النبي ﷺ ودخلوا في الإسلام وسمعوا ثناء الله عليهم.

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلا رِجَالاً يُوحَى﴾.

و ﴿نوحِي إليهم﴾، ويُوحِي إليهم. أما القراءتان الأوليان فجيدتان والثالثة ضعيفة لذكره أرسلنا. فأن يكون اللفظ على نوحِي ويوحَىٰ أحسن، لأن نوحي يوافق اللفظ والمعنى، ويوحى إنما هو محمول على المعنى، لأن المعنى: وما أرسل الله إلا رجالاً يوحى إليهم. وإنما قيل لهم لأنهم قالوا لولا أنزل عليه ملك أو جاء مع نذير، فأعلم الله ـ جلّ وعزّ ـ أن الرسل بشر إلا أنهم يوحى إليهم. ثم أعلم كيف يستدل على صحة نُبوتِهِمْ فقال:

﴿بالبيِّنَاتِ والزُّبُرِ﴾.

أي بالآيات والحجَج، والزُّبُرُ الكُتُب، واحدها زَبُورٌ، يقال زَبَرْتُ الكتابَ وذَبَرْتُه بمعنى واحد، قال أبو ذؤيب:

عرفت الديار كرقم الوحِيّ ... يَذْبِرُها الكاتِبُ الحميرِيُّ[1]

وقَوله: ﴿فَاسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

فيها قولان، قيل فاسألوا أهل الكتب أهل التوراة والإنجيل وأهل جميع

---

(١) يروى: عرفت الديار كرقم الدواة ـ ويروى «الدَّويّ» وهو بمعنى الدواة، وقال الأصمعي: نظر حميرى إلى كتاب فقال: أنا أعرفه بزبْرِي ـ وَيُرْوَى بزبرتي ـ، وقيل الزبر العلم واستشهد بهذه الجملة، أي أعرفه بعلمي ـ انظر ديوان الهذليين١/٦٤، مجاز أبي عبيدة ٣٥٩/١٥.

(٢) الآية كاملة المعنى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزُّبر، وأنزلنا إليك الذكر﴾.

الكتب يعترفون أن الأنبياء كلهم بشر. وقيل ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكر﴾ أي فاسْـألوا مَنْ آمَنَ من أهـل الكتاب. ويجـوز والله أعلم ـ أن يكون قيـل لهم أسألـوا كلَّ من يُذْكَرُ بعلمٍ وافق أهل هذه الملة أو خالفهم.

والدليل على أن أهل الذكر أهل الكتب قوله تعالى:﴿وأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الـذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، وقوله: ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾(١).

وقوله:﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾.

أي أفامنوا أَنْ يَفْعَـلَ بهم ما فَعَـل بقوم لـوط، والذين أهلكـوا من الأمم السالفة بتعجيل العذاب في الدنيا.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

عطـف على ﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ أي فِي تَصَرُّفِهِم في أسفارهم، وَسَائِرِ مَا يَنْقَلِبُونَ فيه.

﴿أَو يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾.

أي أو يـأخذهم بعـد أن يخيفهم، بأن يهلكَ فـرقة فَتخـافَ الَّتي تليهـا.

وقيـل على تخـوف على تنقص، ومعنى التنقص أن ينتقصهم فـي أمـوالهـمْ وَثِمَارِهِمْ حتى يهلِكَهُمْ.

ويروى عن عُمَرَ قَـالَ: ما كنت أدري مـا معنى أو يأخـذهم على تخوف حتى سمعت قول الشاعر(٢):

---

(١) الآية ٥٠ من سورة الأنبياء.

(٢) هو ابن مقبل (اللسـان ـ خوف).

التامك السنام المرتفع، والمكتنز ـ وناقة تامك عظيمة السنام وأمكها المرعى، والقِرد المتلبد الشعر ـ والسَّفْنُ القشر، مصـدر «سَفِنَ» بمعنى بَـرَى وقشر، والسَّفِنُ الفـأس التي يُقْشَرُ وينحت بهـا ـ والقَدُوم. والنبع شجر قوي تتخذ منه القِسِيُّ ـ يقول إن ناقته أضناها السفر وبراها كما يبري صانع القسي عود النبع فيجعله دقيقاً.

تخـوف السَّيْرُ منهـا تَـامِكـا قَـرِداً　　كمـا تَخَـوَّفَ عـودَ النَّبعَـةِ السَّفِنُ

يصف ناقة وأن السير تنقص سنامها بعد تمكنه واكتنازه.

وقوله:﴿فإنَّ ربَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

أي من رحمته أن أمهل فجعل فسحةً للتوبةِ

وقوله:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شيءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُه عَنِ اليَمِينِ﴾.

... وتقرأ تتفيأ ظلاله.

﴿سُجَّداً﴾ منصوب على الحال.

﴿وَهُمْ دَاخِرُون﴾.

ومعنى ﴿دَاخِرُونَ﴾: صَاغِرُونَ، وهذه الآية فيها نظر، وتأويلها - والله أعلم - أن كل ما خلق الله مِنْ جِسْم وعظمٍ ولحم ونجْم وشَجَرٍ خاضع لله ساجدٌ، والكافر إن كَفر بقلبه ولِسَانه وقصْدِه فنفس جسمه وعظمه ولحمه وجميع الشجر والحيوان خاضعة لله ساجدة. والدليل على ذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ والقَمْرُ والنُّجُومُ والجِبَالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيه العَذَابُ﴾[1].

روي عن ابن عباس أنه قال: الكافر يسجد لغير الله، وظلُّه يسجُدُ لله.

وتأويل الظل تأويل الجسم الذي عنه الظل.

وقوله: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.

أي هذه الأشياء مجبولة على الطاعة.

وقوله: ﴿وَلِلَّه يَسْجُدُ مَا فِي السَّمواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ والملائكَةُ﴾.

المعنى ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة

(١) سورة الحج. الاية ١٨.

والملائكة، أي وتسجد ملائكة الأرض، والدليل على أن الملائكة في الأرض أيضاً قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(١) وقوله: ﴿له مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾(٢) وقوله: ﴿وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَاماً﴾(٣).

وقوله: ﴿وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ، يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

أي يخافون ربهم خوف مُخْلِدِين(٤) مُعظِّمين.

﴿وَيفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾.

وصفهم بالطاعة وأنهم لا يجاوزون أمراً له ولا يتقدمونه.

وقوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾.

قيل معناه دائماً، أي طاعة واجبة أبداً، ويجوز - والله أعلم - أن يكون ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ أي له الدين والطاعة، رضي العبد بما يؤمر به أو لم يَرْضَ، وسهل عليه أو لم يسهل، فله الدين وإن كان فيه الوَصَبُ. والوَصَبُ شدَّةُ التعب. ثم قال:

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

أي أفغير الله الذي قد بَانَ لكم أنَّه وحده، وأنه خالق كل شيء وأن ما بكم من نِعمةٍ فمن عنده، وأنه لو أراد إهلاككم حين كفرتم وألَّا يُنْظِرَكم إلى يوم التوبة لقدَرَ، وأَعْلَم أنه مع إقامته الحجج في أنه واحِدٌ، وأنه أَمَر ألَّا يُتَّخَذَ معه إله [عبدوا غيره](٥) لأنهم قالوا عن الأصنام: ﴿مَا نَعْبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى

---

(١) سورة ق. الآية ١٨.

(٢) سورة الرعد. الآية ١١.

(٣) سورة الانفطار. الآية ١٠ - ١١.

(٤) في الأصل مُخِلين.

(٥) زيادة لا بد منها لأن الجملة خالية من الخبر.

اللّهِ زُلْفَى﴾[1]. فأعلم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أن لا إله إلاّ هو، ولا يجوز أن يَعْبد غيره، وَإن قَصَد التقربَ بالعبادة للّه وحده، فقال ـ جلّ وعلاّ ـ:

﴿[وقال اللّه]لا تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

فذكر اثنين توكيداً لقوله إلٰهَيْن، كما ذكر الواحد في قوله :﴿إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

وقوله :﴿وَمَابِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾.

دخلت الفاء، ولا فعل ههنا لأن الباء متصلة بالفعل[2]، المعنى ما حل بكم من نعمةٍ فمن اللّه، أي ما أعطاكم اللّه من صحة جسمٍ أو سعة في رِزْقٍ، أو متاع بمالٍ أو ولد فكل ذلك من اللّه.

وقوله :﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْه تَجْأَرُونَ﴾.

أي إليه ترفعون أصواتكم بالاستغاثة، يقال: جأر الرَّجُلُ يَجأرُ جُؤاراً، والأصوات مبنية على فُعَال وفَعِيلٍ، فأما فُعال فنحو الصُّراخ، والجُؤارُ، والبُكاء. وأما الفَعِيل فنحو العويل والزئير، والفُعَالُ أكثر.

وقوله : ﴿إِذَا فَرِيقٌ منكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

هذا خاص فيمن كفر به.

وقوله :﴿ليكفروا بما آتَيْنَاهُمْ﴾.

أي ليكفروا بأنا أنعمنا عليهم، أي جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم

---

(١) سورة الزُّمر.الآية / ٣.

(٢) «ما» في «وما بكم» إما موصولة وإما شرطية، ولا فعل في حيزها سواء في الصلة أو فعل الشرط، وقد قدر المؤلف فعلا يتعلق به الجار في «بكم» ولا داعي لهذا غير أنه يجاري الكوفيين في تقدير فعل يتعلق به الجار أما الفاء فلأن الجملة اسمية.

سبباً إلى الكفر كما قال تعالى: ﴿ربنا إنك آتيْتَ فرعونَ ومَلأهُ زينةً وأمْوَالاً في الحياة الدُّنْيَا، ربَّنَا ليُضِلوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾[1]. ويجوز أن يكون ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي ليَجْحَدُوا نعمة الله في ذلك، كما قال:

﴿أفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

وَقوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

لم يأمُرْهُمْ الله جلّ وعلاّ أن يتمتعوا أمْرَ تَعَبُّدٍ، إنما هو لفظ أمْرٍ ليهدِّدَ كما قال: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أوْ لاَ تُؤْمِنُوا﴾[2]. أي فَقَدْ وَعَد الله وأوعَدَ وأنذر وبالغت الرسُلُ فمن اختار بعد ذلك الكفر والتمتع بما يباعد من الله فسوف يعلم عاقبة أمره. وقد بين الله عاقبة الكفر والمعصية بالحجج البالغة والآيات البينات.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾.

[هو] معنى قوله [تعالى]: ﴿فقالوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لشُرَكَائِنا﴾[3] فجعلوا نصيباً يتقربون به إلى الله تعالى، ونصيباً يتقربون به إلى الأصنام والحجارة.

وقوله: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْألُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾.

أي تالله لتسألُنَّ عنه[4] سؤال توبيخ حتى تعترفوا به على أنْفُسِكُمْ، وتُلْزِمُوا أنفسَكُم الحجة.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾.

لأنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، ﴿سبحانه﴾ معناه تنزيهاً له من السُّوءِ.

﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾.

---

(١) سورة يونس. الاية ٨٨.

(٢) سورة الإسراء. الآية ١٠٧.

(٣) سورة الأنعام. الآية ١٣٦.

(٤) في الأصل عن سؤال توبيخ.

... في موضع رفع لا غير، المعنى سبحانه ولهم الشيءُ الذي يَشتهَون كما قال: ﴿أم له البنات ولكم البَنُونَ﴾[1]. فإن قال قائل لم لا يكون المعنى وَيَجْعَلُونَ لَهُمْ ما يَشْتَهُونَ. قيل العربُ تستعملُ في هذا الموضع: جعل لِنَفْسِهِ ما يشتهي، ولا يقولون جَعَل زيدٌ له ما يَشْتَهِي، وهو يعني نفسه، ثم أعلم أنهمْ يَجْعَلُونَ للَّه البنات. [فقال]:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

فيجعلون لمن يعترفون بأنه خالقهم البنَاتِ اللَّاتِي مَحَلُّهُنَّ منهم هذا المحل[2]. ومعنى ظَلَّ وجهُهُ مُسْوَدًّا، مُتَغيِّراً تَغَيُّرَ مَغْمُوم. ويقال لكل من لقِي مكروهاً: قد اسود وجهه غماً وحُزْناً، ومِنْ ذلك قولك سوَّدْت وجه فُلَانٍ

وقوله: ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾.

قيل كان الرجل في الجاهلية إذا حزبَ امرأتَهُ المخاضُ توارى لكي يعلم ما يُوَلَدَ لَهُ، فإن كان ذَكراً سُرَّ به وابْتهج، وإن كانت أنثى اكْتَأَبَ بها وحَزِنَ، فمنهم من يَئِدُ ولَدَهُ[3] يَدْفِنُها حَيَّةً، أو يمسكها على كراهة وهَوَانٍ. فقال الله تعالى: ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ، أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

أي أَلَا سَاءَ حُكْمُهُمْ في ذلك الفِعْلِ وفي جعلهم للَّه البناتِ وجعلهم لأنفسهم البنين، ونَسْبِهم للَّه اتخاذ الوَلَد.

وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

معنى ﴿عليها﴾ على الأرض، ودل الإضمار على الأرض لأن الدَّوَابَّ إنما هي على الأَرْض.

---

(١) سورة الطور الآية ٣٩.

(٢) ينسبون البنات لله، ومكانة البنات في أنفسهم هذه المكانة البغيضة.

(٣) ولده، أي المولود الذي ولد له، وولد تطلق على الذكر والأنثى.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى﴾.

جاء في التفسير [أنه] قوله: لا إله إلاَّ اللَّهُ، وتأويله أن اللَّه - جل ثناؤه - له التوحيد، ونفي كل إله سواه.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾.

أي يجعلون لِلَّه البنات اللاتي يكرهَونَهُنَّ.

وقوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُم الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى﴾.

﴿انَّ﴾ بدلٌ من ﴿الكذب﴾ المعنىوتصف أَلسنتهم أنَّ لهم الحُسْنَى، أي يصفون أن لهم - مع فعلهم هذا القبيح - من اللَّه جل ثناؤه - الجزاء الحسن[1].

وقوله: ﴿لا جَرَمَ أنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾.

«لَا» ردٌّ لقولهم. المعنى - واللَّه أعلم - ليس ذلك كما وصفوا، جرم أن لهم النَّارَ، المعنى جَرَمَ فعلُهم هذا أن لَهُم النارَ، أي كسب فعلهم أن لهم النَّارَ. وقيل إنَّ «أنَّ» في موضع رفع، ذكر ذلك قطربٌ، وقال المعنى أنَّ لهم النَّار.

﴿وَأَنَّهُم مُفْرَطُونَ﴾.

فيها أربعة أَوْجُهٍ: ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بإسكان الفاء وفتح الراء، ومُفَرَّطُونَ بفتح الفاء وتشديد الراء وبفتحها، ومُفْرِطُونَ - بإسكان الفاء وكسر الراء، ومُفَرِّطُونَ بفتح الفاء وتشديد الراء وكسرها.

فأما تفسير مُفْرَطونَ، ومُفَرَّطونَ فجاء عن ابن عباس، متروكون وقيل عنه: مُعْجَلُونَ. ومعنى الفَرْط في اللغة: التَّقدم، وقد فرط إليَّ منه قولٌ أي

(١) يدعون أن اللَّه سيجزيهم جزاء حسناً، مع هذا الفعل القبيح الذي فعلوا.

تَقَدَّمَ، فمعنى مُفْرَطُونَ مُقَدَّمُونَ إلى النار، وكذلك مُفَرَّطُون، ومن فسَّرَ متروكون فهو كذلك، أي قد جُعِلُوا مُقَدَّمِينَ في العذاب أبداً متروكين فيه.

ومن قرأ مُفَرِّطُونَ، فالمعنى أنه وَصْفٌ لهم بأنهم فَرَّطُوا في الدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة. وتصديق هذه القراءة قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[1].

وَمَنْ قَرأ مُفْرِطُونَ، فالمعنى على أنهم أفْرَطُوا في مَعْصِيةِ اللّه، كَما تقول: قد أفرط فلان في مكروهي.

وتأويله أنه آثر العجْزَ وقدَّمه[2].

وقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]﴾.

بِنَصْب﴿رَحمَةً﴾ المعنى: وما أنزلنا عليك الكتابَ إلا هُدًى ورحمةً، أي ما أنزلنَاهُ عليك إلا للهداية والرحمة، فهو مفعول له. ويجوز: وهدًى ورحَمْةٌ في هذا الموضع، المعنى: وما أنزلنا عليك الكتاب إلَّا لِلْبيَانِ وهو - مع ذلك - هدًى ورحْمَةٌ.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطونه﴾.

وتقرأ نَسْقِيكم، ويقال سَقيتُهُ وأسْقَيْتُهُ في مَعْنى وَاحدٍ[3]. قال سيبويه والخليل سقيته كما تقول نَاوَلْتُه فشرب. وأسقيتُهُ جعلت له سقياً، وكذلك قول الشاعر يحتمل المذهبين[4]:

---

(1) سورة الزُّمَر ٥٦.

(٢) تأويل لا جرم أنَّ لهم العذاب. ان هؤلاء آثروا الراحة.

(٣) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بالفتح. من الثلاثي.

(٤) هو لبيد بن ربيعة العامري.. والبيت في ديوانه ١/١٢٨، ورواه أبو عبيدة في مجازه ١/٣٥٠،

سَقَى قَوْمِي بني مَجْدٍ وأَسْقَى نُمَيراً والقبائل من هلال

وهذا البيت وضعه النحويُّونَ على أنَّه سَقَى وأَسْقَى بمعنى واحد، وهو يحتمل التفسير الثاني.

والأنعام لفظه لفظ جمع، وهو اسم للجنس يذكر ويؤنث، يقال هو الأنعام وهي الأنعام. نسقيكم مما في بطونه، وفي موضع آخر ﴿مما في بطونها﴾(١). فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن في إخْراجه اللَّبن ﴿من بيْنِ فَرْثٍ ودَمٍ﴾ دَلِيلاً على قدرةٍ لا يقدِر عليها إلا اللَّه الذي ليس كمثله شيء.

وقوله عَزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ ثَمراتِ النَّخِيل والأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً، إن في ذلك لآيةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

أي فيما بيَّنا علامةٌ تدل على توحيد اللَّه.

وقالوا في تفسير قوله: ﴿سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾ إنه الخمرُ من قبل أن تحرَّمَ، والرزق الحسَنُ يؤكل من الأعناب والتُّمورِ. وقيل إن معنى السكر الطعم وأنشدوا:

جعلت أعراض الكرام سَكَراً(٢)

أي جعلتَ ذَمَّهُم طُعماً لك. وهذا بالتفسير الأوَّلِ أشبَهُ، المعنى جعلْتَ تتخمَّرُ بأعراضِ الكرام، وهو أبين - فيما يقال: الذي يتبرك(٣) في أعراض الناس.

= والأعلم الشنتمري ٢/٢٣٥ وكذلك في اللسان (سقى). والذي أنكره هو الأصمعي، قال لو كان شاعراً مطبوعاً ما استعمل غير لغة قومه ولا يستعمل لغتين: وانظر معاني الفراء ٢/١٠٨.

(١) سورة المؤمنون الآية ٢١.

(٢) قال أبو عبيدة في مجازه ٥/٣٦٣ أنه لجندل ولم يبين من هو جندل وأبو عبيدة هو الذي جعل السكر الطعام، ولم يقله غيره، وأنكر ذلك الزجاج، انظر اللسان (سكر). والطبري ١٤/٨٤، والقرطبي ١٠/١٢٩.

(٣) تخوض فيها كما يبرك الجمل في مبركه.

وقوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتخِذي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾.

وبُيوتاً. فمن قرأ بُيُوتاً بالضَّم فهو القياس، مثل كعب وكُعُوب وقلْب وقُلُوبٌ، ومن قرأ بِيُوتاً بالكسر فهذا لم يذكر مثله أحَدٌ من البَصْريّينَ لأنهم لا يجيزون مثله. ليس في الكلام مثل فِعُل ولاَ فِعُول، والذين قرأوا به قلبوا الضمة إلى الكسرة من أجل الياء التي بعْدَها.

ومعنى الوحي في اللغة على وجهين يرجعان إلى معنى الإعْلامِ والإفهَام فمن الوحي وَحْيُ اللَّه إلى أنبيائه بما سمعت الملائكة من كلامه، ومنه الإلهام كما قال اللَّه: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ إلى ﴿بأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَها﴾[1] معناهُ أَلْهَمَهَا. فاللَّه أوحى إلى كل دابَّةٍ وذِي رُوحٍ في التماس منافعها واجتناب مضارِّهَا، فذكر من ذلك أمر النحل، - وواحدُ النَّحْلِ نحلةٌ، مثل نخل ونخلة - لأن فيها من لطيف الصنعة وبديع الخلق ما فيه أعظم معتبر بأنْ ألهمَها اتخاذَ المنازل والمساكن، وأن تأكل من كل الثمرات على اختلاف طعومها.. ثم سهل عليها سبيل ذلك فقال جلّ وعزّ: ﴿ثمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فاسلُكِي سُبُلَ ربِّكِ ذُلُلاً﴾ أي قد ذللها اللَّه لك وسهل عليك مَسَالِكَها.

ثم قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُه﴾[2].

فهي تأكل الحامض والمر وما لا يُوصَف طعمه فيُحِيلُ اللَّه ذلك عَسَلاً يخرج من بطونها إلا أنها تلقيه من أفواهها ولكنه قال: ﴿مِنْ بُطونِهَا﴾، لأن استحالة الأطعمة لا تكون إلاّ في البطون فيخرج بعضها من الفم كالرّيق الدائم

---

(١) تمام الآية: ﴿وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث اخبارها، بأن رَبّكَ أوحَى لها﴾ سورة الزلزلة، (٢ - ٥).

(٢) الآية: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إلى النحل أنِ اتَّخِذِي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سُبَلَ ربكِ ذُلَلاً يَخْرُجُ من بُطُونها شَرَابٌ مختلفٌ الوانه﴾.

الذي يخرج من فم ابن آدم، فالنحل تخرج العسلَ من بطونها إلى أفوَاهِهَا.

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.

في هذا قولان، قيل إن الهاء يرجع على العَسَل، المعنى في العَسَلِ شفاء للناس. وقيل إن الهاء للقرآن، المعنى في القرآن شفاءٌ للنَّاس وهذا القول إذا فسّرَ علم أنه حَسَنٌ، المعنى فيما قصصنا عليكم من قصة النحل في القرآن وسائر القصص التي تدل على أن اللّه واجد شفاء للناس. والتفسير في العَسَل حسنٌ جدًّا.

فإن قال قائل: قد رأينا من ينفعهُ العسلُ ومن يضره العسل، فكيف يكون فيه شفاء للناس، فجواب هذا أن يقال له الماء حياة كل شيء فقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يصادف من علة في البدَنِ، وقد رأينا شفاء العسل في أكثر هذه الأشربة، لأن الجَلاَّب[1] والسكنجبين[2]، إنما أصلهما العَسَلُ، وكذلك سائر المعجونات. وهذا الاعتراض في أمْرِ العَسَلِ إنما هو اعتراض جهلة لا يعرفون قدرة في النفع، فأما من عرف مقدار النفع فهو وإن كان من غير أهل هذه الملةِ فهو غير رافع أنَّ في العَسَلِ شفاءً.

وقوله:﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم ثُمَّ يَتَوفَاكُمْ وَمِنْكُم من يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ لكي لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.

أي منكم من يكبر ويُسِنُّ حتّى يذهب عقله خَرَفاً فيصير بعدَ أنْ كَانَ عَالماً جاهلاً، والمعنى - واللّه أعلم - ﴿لكيلا يَعْلم بعد علمٍ شيئاً﴾ أي ليريكم من قدرته أنه كما قدر على إمَاتَتِه وإحْيَائِه أنه قادر على نقله من العلم إلى الجهْلِ. وأعلم - عزّ وجلّ - أن الموتَ والحياةَ بيدِه، وأنه [الإنسان] قد

(١) الجلاب: ماء الورد: فارسي معرب.

(٢) السكنجين: فارسي أيضاً معرب وهو شراب عذب يتطبب به.

يَتَغَذَّى بالأغـذية التي يَتَعَمَّـد[1] فيها الغـاية في الصَّـلاح والبقاءِ، فـلا يقدِرَ أن يزيدَ في مقدار مُدَّته شيئاً.

وقـوله:﴿وَاللَّهُ فَضَّـلَ بَعْضَكُم عَلَى بَعْضٍ فِي الـرِّزْقِ فَمـا الَّـذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىَ ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ﴾.

أي قد فضل اللَّه الملاَّكَ عَلَى مَمَالِيكِهِمْ، فجعـل المملوكَ لا يقدر عَلَى مِلْكٍ مع مَوْلاَه وأعلم أن المـالك ليس يَـرُدُّ على مملوكَه من فضـل ما في يـده حتى يستوي حالهما في المُلكِ. وقيل لهم: إنكم كلكم من بني آدم، وأنتم لا تسـوون بينكم فيما ملكت أيمـانكم، وأنتم كلكم بَشـرٌ. فكيف تجعلون بعض الـرزق الـذي رزقكم اللَّه لـه، وبعضَـهُ لأصنـامكم، فتشـركـون بينَ اللَّهِ وبين الأَصْنَامِ، وأنتم لا تَرْضَوْنَ لأنفسكم فيمن هو مثلكم بالشركَة.

وقوله:﴿أَفَبِنَعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

فيهـا وجهـان: يجـوز أن يكـون، أَفَبِـأَنْ أَنْعَمَ اللَّه عليكم اتَّخَـذْتُمْ النعم لتجحدوا وتشركوا به الأصنام. وجائز أن يكون ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾: أفبما أنعم اللَّه عليكم بأن بَيَّن لكم ما تحتاجون إليه تجحدون.

وقوله:﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾.

جاء في التفسير أن اللَّه خلق حَوَّاءَ مِنْ ضِلعٍ من أضلاع آدم، فهو معنى جعَل لكُمْ من أَنْفُسِكُمْ أزواجاً أي من جنسكم.

وقوله:﴿وَجَعَلَ لكُم مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وحَفَدَةً﴾.

اختلف النـاس في تفسيـر الحَفَـدَة، فقيـل الأولاد، وقيـل البنـات وقيـل الأختان، وقيل الأَصْهَارُ، وقيل الأَعْـوَانُ. وحقيقة هـذا أن اللَّه عزّ وجـلّ جعل

---

(١) عمد وقصد، بأن اختار.

من الأزواج بنين وَمَنْ يعاونُ على ما يحتاج إليه بِسُرْعَةٍ وطاعةٍ، يقال حَفَدَ يَحْفِدُ حَفْداً وحَفَداً وحَفَداناً إذا أسْرع. قال الشاعر:[1]

حَفَدَ الولائدُ بَينَهُنَّ وأسْلمت بأكُفِّهِنَّ أزِمَّةَ الأجْمالِ

معناهُ أسْرَعُوا في الخِدْمة.

وقوله:﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾.

أي لا تجعلوا لله مثلاً لأنه واحد لا مثل له، جلَّ وعزَّ، ولا إله إلاَّ هُوَ - عَزَّ وَجَلَّ. ثم ضرب لهم المثل فقال:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ﴾.

فأعلم اللَّه - جلَّ وعزَّ - أنَّ الاثنين المتساويين في الخلق إذا كان أحدهما مقتدراً على الإنفاق مالكاً والآخر عاجزاً لا يقدر على أنْ ينفق لا يستويَانِ، فكيف بين الحجارة التي لا تتحرك ولا تَعْقلُ وَبَيْنَ اللَّه عزّ وجلّ الذي هو على كل شيء قدير، وهو رازقُ جميع خلقه، فبين لهم أمْرَ ضلالتهم وبُعْدِهم عن الطريق في عبادتهم الأوثان، ثم زاد في البيان فقال جلَّ وعزَّ:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾.

والأبكم المطبق الذي لا يسمع ولا يُبْصِر ولا يَعْقِل، ثم قال:

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾.

أي على وَلِيِّه

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

---

(١) البيت في اللسان (حَفَد) ولم أقف على قائله.

أي هل يستوي القادر التام التمييز والعاجز الذي لا يحس ولا يأتي بخير، فكيف يسوون بين الله وبين الأحجار.

وقوله:﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَواتِ والأَرْضِ﴾.

ومعناه - والله أعلم -: ولله عِلْمُ غيبِ السَّمواتِ والأَرْضِ

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾.

والساعةُ اسم لإمَاتَةِ الخَلق وإحْيائِهِمْ. فأعلم الله - عزّ وجلّ - أنّ البَعْثَ والإِحْيَاءَ في قدرته ومشيئته ﴿كلمح البصر أو هو أَقْرَبُ﴾ ليس يريد أنّ السَّاعةَ تأتي في أقربَ من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها.

وقوله:﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

وإِمَّهَاتِكُمْ - بالكسر[1] -، والأصل في «أُمَّهَاتٍ» أُمَّاتٌ، ولكن الهاء زيدت مُؤَكِّدةً كما زادوا هاء في قولهم أَهْرَقْتُ الماءَ، وإنما أصله أرقت الماء، والأفئدة جمع فؤاد مثل غراب وأغربة. ولم يجمع فؤاد على أكثر العَدَدِ، لَمْ يُقَلْ فِئْدان، مثل غُرابٍ، وَغِرْبَانٍ.

ثم دلهم - سبحانه - على قُدْرَتِه عَلَى أَمْرِ السَّاعَةِ بما شاهدوا من تدبيره فقال:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾.

﴿جَوُّ السماء﴾ الهَوَاءُ البعيدُ من الأرض، وأبعد منه من الأرض السُّكاكُ، ومثل السُّكَاكِ اللَّوح، وواحد السُّكَاكِ سُكاكةٌ[2].

وقوله:﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً﴾.

---

(١) كسر الهمزة.

(٢) اللوح والسكاك والسكاكة - الهواء بين السماء والأرض - تقول لا افعله ولو نـزوت في السكاك، اي في السماء.

أي مَوْضِعاً تسكُنُونَ فِيه.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً﴾.

والأنعام اسم للإبل والبقر والغنم

وقوله: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾.

معنى تستخفونها، أي يخف عليكم حَمْلُها في أسفاركم وإقَامَتِكُمْ، ويقرأ يومَ ظعنِكُمْ، وظَعَنِكُمْ.

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ﴾.

الأوبار للإبل، والأصواف للضأنِ، والأشعار للمعز. والأثَاثُ متاعُ البيتِ، ويقال لمتاع البيت أيضاً، الأَهَرَةُ[1]، ويقال: قد أَثَّ يئِثُّ أثاً إذا صار ذا أثَاثٍ.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لكمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً﴾.

أي جعل لكم من الشجر ما تَسْتَظِلُّونَ بِه

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً﴾.

واحد الأكنان كِنٌّ، على وَزْنِ حِمْل وأحْمَالٍ، ولا يجوز أن يكونَ واحدها كناناً، لأن جمع الكنان أكنة. أي جعل لكم مَا يُكِنكُمْ.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾.

كل ما لَبِسْتَه فَهو سربالٌ. من قميص أو دِرْع أو جَوْشَنٍ[2] أو غيرِه، قال الله عز وجل: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾[3]، وقال تقيكم الحرّ ولم يقل تقيكم البردَ لأنّ ما وَقَى من الحرّ وَقى من البردِ.

---

(١) الأهرةُ ـ بوزن عقبة متاع البيت ـ قالوا: بيت حَسَنُ الأهرة والظهرة والعقار، وهو متاعه، والظهرة ما ظهر منه والأهرة ما بطن، والجمع أهرة وأهرات.

(٢) الجوشن اسم الحديد الذي يلبس من السلاح.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٥٠.

وقوله: ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾.

أي جعل لكم دُرُوعاً تتقُون بها في الحروب مِنَ بأْس الحَدِيد وَغيره.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمته عَليكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلمُونَ﴾.

أكثر القراء تُسْلِمُونَ، ويقرأ لعلكم تَسْلَمُونَ، أيْ لعلكُم إذَا لبستم الدروع في الحرب سَلِمْتُمْ من الجِرَاحِ، ثم قالَ بَعْدَ أنْ بيَّنَ لهم الآيات:

﴿فَإنْ تَوَلَّوْافَإنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ المُبِينُ﴾.

أي عليك أن تبلغ الرسالة وتأتي بالآيات الدالة على النبوة.

وقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾.

أي يعرفون أن أمر النبي ﷺ حق ثم ينكرون ذلك.

وقوله: ﴿فَأَلْقَوْا إليهمُ القَوْلَ إنَّكُمْ لَكَاذِبونَ﴾.

أي لما رأى الذين أشركوا ما كانوا يشركون بالله غيْر نَافِعِهِمْ وجحَدَتْهُمْ آلِهَتُهُمْ كما قال الله جل وعز: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرونَ بِعِبَادَتِهِمْ ويكونون عَليهِمْ ضِدًّا﴾ (1).

وقوله: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾.

روِي في التفسير أن الَّذِي زيدوا(2) عقاربُ لها أنيابٌ كالنَّخْلِ الطِّوَالِ، وقيل أيضاً: انهم يخرجون من حَرِّ النار إلى الزَّمْهَرِير، فَيُبَادِرونَ من شدة برده إلى النَّارِ.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

كُلُّ نبيٍ شاهدٌ عَلَى أمَّتِه، وهو أعدل شاهِدٍ عليها.

وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

---

(1) سورة مريم الاية ٨٢.
(2) العذاب الذي زيدوه.

تبيان: اسمٌ في معنى البيان، ومثل التِّبْيَان التِّلْقَاء، وَلَوْ قُرِئَتْ تَبْيَاناً على وزنِ تَفْعَال لكانَ وجهاً، لأن التَّبيانَ في معنى التَّبْيِينَ، ولا تجوز القراءة بـه لأنه لم يَقْرَأْ به أَحَدٌ من القرَّا.

وقوله:﴿وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾.

يقـال: وكَّدتُ الأمـر، وأكَّدْتُ الأمْـرَ. لغتان جَيِّـدَتَانِ، والأصـل الـوَاوُ، والهمزة بدل منها.

وقوله:﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً﴾.

﴿أَنْكَاثاً﴾ منصوب لأنه في معنى المصْدَرِ لأن معنى نكثت نقَضْتُ، ومعنى نقضت نكثت[1]، وواحـد الأنقاض نِكثٌ وهـو مـا نُقِضَ بعْـدَ أن غـزل، قـال الشاعر: [2].

تـرعيَّـةٌ تعـرفُ الأربـاعَ ضجعَتُـه لـه نِكَـاثٌ مِنَ الأنْجـادِ والفُضُـلِ

وقوله:﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾.

أي غِشًّا بينكم وَغِلاًّ. ودَخَلاً منصوب لأنه مفعول له، المعنى: تتخذون أيمانكم للغش والدَّخل، وكل ما دَخلهُ عيبٌ قيل هو مَدْخُول، وفيه دَخَلٌ.

وقوله:﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾.

لتغترَّ إحْداهُمَا بالأخرى، وأربى مأخوذٌ من رَبَا الشيء يَرْبُو إذا كثر.

وقوله:﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾.

يقال نفِد الشيء ينْفَدُ نفاداً ونَفَداً إذا فَنِيَ.

---

(١) على هذا هو مفعول مطلق، ويمكن أن يكون حالاً، ومثله قولهم:

قطعتـه إرْبـاً إرْبـاً، أي جعلـتـه قِطَعاً

(٢) الترعية الذي يصلح المال على يديه ويجيد رعي الإبل. وترعى نادر والأرباع جمع رُبَع ورُبَعَة، وهو الفصيل الذي ينتج في الربيع.

وقوله :﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾.

قيل لَنَرْزُقَنَّـه حلالاً، وقيـل ﴿حَيَاةً طيبةً﴾ الجنَّةُ. وَمَـوضع : ﴿أَرْبَى﴾ رَفْع المعنى : أن تكون أمَّةٌ هِيَ أَكثرُ مِنْ أمَّةٍ، وزعم الفراء أن موضع ﴿أَرْبَى﴾ نصبٌ و﴿هِيَ﴾ عمادٌ، وهذا خطأ، «هي» لا تدخل عماداً ولا فَصْـلاً[1] مع النِكـرات، وشبههُ بقوله:﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾[2]. و«تجدوه» الهاء فيـه معرفة، وأمّة نكرة.

وقوله:﴿فَإِذَا قَرأْتَ القُرآن فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم ﴾.

معناه إذَا أردت أن تقرأ القرآن فاستعـذ باللّه من الشَيطَان الرجيم، ليس معنـاه استعذ بـاللّه بعد أن تقـرأ، لأن الاستعاذة أُمِـرَ بهـا قبـلَ الابتـداء، وهـو مستعمل في الكلام، مثله إذا أكلت فقل بسم اللّه، ومثله في القرآن:﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُواوُجُوهَكُمْ﴾[3] فالهيئة[4] قبل الصلاة، والمعنى إذا أَرَدْتُم ذلك فافعلوا.

وقوله :﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾.

أي إذا نسخت آيةٌ بآيَةٍ أُخرى عليها فيها مَشَقَّةٌ.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.

أي قالوا قد كذبتنا.

وقـوله :﴿إِنَّمـا يَفْتَرِي الكَـذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُـونَ بآيَـاتِ اللَّهِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُون﴾.

---

(١) وجه المنع عنده أن «أربى» إذا جعلت «هي» فصلاً تكون صفة، ويبقى الكلام ناقصاً. ولا نوافقه على ما ذهب إليه.

(٢) آخر سورة المزمل. سورة ٧٣ الآية ٢٠.

(٣) سورة المائدة الآية ٦.

(٤) التهيؤ والاستعداد.

أي إنما يفتري الكذب الَّذِين إذا رَأَوْا الآيَاتِ التي لا يقدِرُ عليها إلَّا اللَّهُ كذَّبُوا بها، فَهؤلاء أكذَبُ الكَذَبَةِ.

وقوله: ﴿مَنْ كَفَر باللَّهِ مِنْ بَعْد إيمَانِه إلَّا مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ﴾.

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع على البدل مِنَ الكاذِبينَ ومُفَسِّرٌ[1] عن الكاذبين، ولا يجوز أن يكون ﴿مَنْ﴾ رَفعاً بالابتداء، لأنه لا خبر ههنا للابتداء، لأنَّ قوله: ﴿مَنْ كَفَر باللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِه إلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُه مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ﴾.

ليس بكلام تام، وبعده:

﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾.

فقوله: ﴿فعليهم غَضَبٌ من اللَّه﴾ خَبَرُ ﴿مَنْ﴾ التي بعد ﴿لكن﴾[2]

وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾.

أعلم اللَّه عز وجلَّ نبيَّه ما يقولونه بينهم.

وقوله: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أَعْجَميٌّ﴾.

ويُقْرأ «يَلْحِدُونَ»، أي لِسَانُ الذي يميلُون القَوْلَ إليه أعجميٌّ.

وقيل هذا غُلَام كان لِحُوَيْطب[3] اسمُهُ عَايِش[4]، أسلم وحسن إسْلَامُه.

---

(١) مبين المراد من الكاذبين، فيكون التقدير إنما يفتري الكذب هؤلاء، وهم الكاذبون، لأنهم هم الذين كفروا بعد إيمانهم.

(٢) يمكن أن تكون جملة ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن﴾ - إلى - ﴿صدراً﴾ جملة معترضة وتكون ﴿فَعَلَيْهِمْ﴾ هي الخبر، والمعنى من كفر عامداً غير مكره، فعليه غضب اللَّه. وعلى الوجه الذي ذكره - تكون «من» في ﴿من كفر باللَّه﴾ مبتدأ لم يذكر خبره - ولهذا هو يجعلها بدلاً مما قبلها.

(٣) هو حويطب بن عبد العزى، قرشي عامري. أسلم عام الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم، عاش مائة وعشرين سنة ومات في خلافة معاوية. وصحح ابن عبد البر في الاستيعاب اسمه بأنه حوط.
- انظر الإصابة ١٨٨٢، وص ٣٩١ - بهامشه ترجمة حوط بالاستيعاب.

(٤) لم أقف على ترجمة لصحابي يسمى عائشاً غير عائش بن الصامت الذي كان يسمى الناسك. ويبدو أنه غير هذا لأنه كان سيد بني نهد في الجاهلية. . على أنه اختلف في اسمه فقيل اسمه يعيش، =

﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

يقال: عَرَبَ الإنسان يَعْرُبُ عُروبيَّةً وَعَرابةً وعُروبةً.

وقوله: ﴿مُبِينٌ﴾.

وصفه بالبيان كما وصفه بأنَّه عَرَبِيٌّ، ومعنى عربي أن صاحبه يتكلم بالعَربيَّة وَمَعْنَاهُ مُعْربٌ: «مُبِينٌ».

وقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾.

«أنَّ» يصلح أن تكون في موضع رَفع على أنَّ «لَا» رَدٌّ للكلام، والمعنى وجب أَنَّهُمْ، ويجوز أن تكون «أنَّ» في موضع نَصْبٍ على أن المعنى جَرَمَ فِعْلُهُمْ هذا أنهم في الآخرةِ همُ الخَاسِرُونَ. ومعنى جَرَمَ كَسَب، والمجرم الكاسِبُ، وأكثر ما يستعمل للذنوب.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي من بعد الفَعْلةِ التي فعلوها. وهذه الآية في قصة عمَّار بن ياسر[1] وأصحابه حين عذَّبَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ فأَكْرَهُوهم على أن تركوا الايمان، وكفروا بألسنتهم وفي قُلُوبهم ونيَّاتهم الأيمانُ، ثم هربوا منهم وهاجروا إلى النبي (ﷺ) فلحقهم جمعٌ من أهل مكة فقاتلوهم حتى نجَّاهم اللّه منهم، وصبروا على جهادهم.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِها﴾.

وقيل هو غلام نصراني كان يسمى جبرا وقيل كانا اثنين.

(١) هو سيدنا عمار بن ياسر بن عامر حليف بني مخزوم وأمه سمية مولاة لهم ـ أحد سبعة أظهروا إسلامهم بمكة أول من أظهروه، وأسرته من المعذبين في الإسلام. شهد المشاهد كلها ـ وقطعت أذنه في موقعة اليمامة، وقتل يوم صفين وهو يحارب في صف علي. انظر الاصابة ٥٦٩٩.

﴿يوم﴾ منصوب على أَحَدِ شيئين، على معنى ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ، يَوْمَ تأتي﴾ ويجوز أن يكون بمعنى اذْكُر لأن معنى القرآن العِظَة والإِنْذَارُ والتَّذْكِير. أي اذكر يوم تأتي كل نفس أي كل إنسانٍ يُجَادِلُ عن نفسه.

ويروى أنه إذا كان يومُ القيامة زَفَرَتْ جهنمُ زَفْرةً فلا يبقى ملك مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ إلاَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيه، وقال يا رب نَفْسِي نَفْسِي، وتصديق هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيه. . .﴾ الآية[1].

وقوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مطمئنةً﴾.

المعنى - والله أعلم - وضرب الله مَثَلاً مثلَ قريةٍ كانت آمنَةً مُطْمئنةً.

﴿يَأتِيها رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾.

أي وَاسِعاً من كل مكان.

الذي جاء في التفسير أنه يعنى بها مكة، وذلك أنهم كانوا قد أمنوا الجُوعَ والخَوْفَ لأنَّ الله جل ثناؤه جَعَلَ أَفْئِدَةً من الناس تهوي إليهم، فأَرْزَاقُهُمْ تَأْتيهم في بلدهم وكان حَرَماً آمِناً ويُتَخَطف الناس من حولهم.

﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّه لِبَاسَ الجُوعِ والخَوْفِ﴾.

و[قد] جاعوا حتى بلغوا إلى أن أكلوا الوبر بالدَّم، وبلغ منهم الجوع الحال التي لا غَايَةَ بعْدَها. وأَنْعُم جمع نعمة، وقالوا شِدَّة، وأَشُدّ. وقال قطرب: جائز أن يكون جمع نُعْمٍ وأَنْعُمٍ، مثل وُدّ وَأَوُدّ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ، فَأَخَذَهُم العَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بالسيف والقَتْلِ.

---

(1) سورة عبس الآيات ٣٤ - ٣٧.

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾.

في الكـذب ثلاثـة أوْجـه، قـرئت الكَـذِبَ، وقـرئت الكُـذُبُ، وقـرئَتِ الكـذِب، فمن قرأ - وهُـوَ أكثرُ القِرَاءَةِ - الكَذِبَ فـالمعنى: ولا تقولـوا لوصفَ ألسنتكم الكذِبَ: ﴿هَذَا حَلَالٌ وهذا حَرَامٌ﴾. ومن قرأ الكـذِب كان رَدًّا على مَـا المعنى: ولا تقـولوا لِـوصْفِ ألسنَتِكُمُ الكذب[1]. ومن قـرأ الكُذُبُ فهـو نعتٌ للألسنة، يقال لِسَانٌ كَذُوبٌ وألْسِنَةٌ كُذُبٌ. وهذا إنما قيل لهم لِمَا كانوا حَرَّمُوه وأَحَلُّوه، فقـالوا: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الْأَنْعَامِ خَـالِصَةٌ لِـذُكُورِنَـا ومُحَـرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾[2]، وقد شرحنا ذلك في موضعه.

وقوله: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾.

المعنى مَتاعهم هذا الذي فعلوه متاع قليل. ولو كان في غير القرآن لجاز فيه النَّصْبُ: متاعاً قليلاً، على أن المعنى يَتَمتَّعُونَ كذلك مَتَاعاً قليلاً.

وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً﴾.

جـاء في التفسير أنـه كان آمَنَ وَحْـدَهُ، وفي أكثر التفسيـر أنه كـان مُعلِّماً للخير وإمَاماً حَنِيفاً قيل أُخِذَ بالخِتَانَةِ، وحقيقته في اللغة أن الحنيف المائل إلى الشيء لا يزول عنه أبداً، فكان عليه السلام مائلاً إلى الإسلام غير زائـل عنه، وقالوا في القانِتِ هو المطيع، والقانِتُ القائم بجميع أمر الله - جل وعزَّ -.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿لم يك﴾ أصلها لم يكن، وإنما حُذفَتِ النُّونُ عند سيبويه لكثرة استعمال هذا الحرف، وذكر الجلة من البصريين أنه اجتمع فيها كثرة الاستعمـال، وأنها عبارةٌ عن كل مـا يَمْضي من الأفعال ومـا يُسْتَأْنَفُ، وأنهـا مع ذلـك قد أشبهت

(١) فهي بدل مِنْ «مَا» والمعنى لا تقولوا للوصف الكذب من ألسنتكم هذا حلال وهذا حرام.
(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٩ وانظر شرحها فيما سبق.

حُـرُوفَ اللين لأنها تكـون عَلاَمـةً كما تكـون حروف اللين عَـلامةً، وأنَّهـا غُنَّةٌ تخرج من الأنف. فلذلك احتملت الحذف.

وقوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِين اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

الكـلام يَدُلُّ على أنهم ألـزموا آيَـة نبوة مـوسى عليه السـلام. وجـاء في التفسير أنه حرَّمَهُ بعضُهم وأحلَّه بَعضُهم. وهَذَا أدَلُّ مـا جاء من الاختـلاف في السبت، وقـد جاء كثيـرٌ[1] في التفسير أنهم أُمِـرُوا بأن يَتَّخِـذُوا عِيداً فخـالفـوا وقالوا نريد يوم السبت لأنه آخر يوم فرغَ فيه من خَلْق السمـوات والأرض، وأن عِيسَى أمر النصارى أن يَتَّخِذوا الجمعة عيداً فقالوا لا يكون عيدُنا إلا بَعْـدَ عِيد اليهودِ فجعلوه الأحَدَ، واللّه أعلم بحقيقة ذلك.

وقوله: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسنَةِ﴾.

جاء في التفسير: «الحكمة» النبوَّة، و«الموعظة» القرآنُ، ﴿وَجَادِلْهُمْ بالَّتي هِي أَحْسَنُ﴾.

أي جـادلهم غيـر فَظٍّ وَلاَ غَليظِ القَلْب في ذلـك. ألِنْ لَهُم جَانِبَـكَ.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُم فَعاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾.

سُمِّي الاوّل عقوبةً، وإنما العقوبة الثاني ـ لازدواج الكلام لأن الجنسين في الفعل معنى واحدٌ. ومثله: ﴿وَجَزَاءُ سَيئَةٍ سَيئَةٌ مِثْلُهَا﴾[2] فالثاني ليس بِسيِّئَةٍ ولكنه سُمِّيَ به ليتفق اللفظ، لأن معنى القتل وَاحِدٌ وقد بَيَّنا نظير هذا في سورة آل عمران في قوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾.

وجاء في التفسير أن المسلمين هَمُّوا بأن يمثلـوا بالمشركين، لأنهم كانوا

---

(١) أي جاء كلام كثير، ولو نصبت ظرفاً أو مفعولاً وجعل المصدر فاعلاً كان أولى.

(٢) سورة الشورى الآية ٤٠.

قد مَثَّلوا بِهِمْ، فَهَمَّ المسلمون بأن يزيدوا في المُثْلَةِ، فأمروا بأن لا يزيدوا وجائز ـ والله أعلم ـ أن يكون معنى: ﴿وجزاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾(١) أي من فُعِلَ به ما يَجِبُ فِيه القِصَاصُ فلا يُجَاوِز القِصَاصَ إلاَّ بِمثلٍ.

وقوله جل وعز: ﴿ولئن صَبَرتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾.

هو مثل قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُه عَلَى اللَّهِ﴾(١).

وقوله: ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

ضَيْق، في معنى ضَيِّق مخَفَّف، مثل مَيْتَ ومَيِّتٍ. وجائز أن يكون بمعنى الضِّيقِ، فيكون مصدراً لقولك ضاق الشيء يضيق ضَيْقاً.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّه مَع الَّذين اتَّقوا، وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

أي ان اللَّهَ نَاصِرُهُمْ، كما قال: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾(٢). فقد وَعَدَ في هذه الآيَةِ بالنَّصْرِ.

---

(١) سورة الشورى الاية ٤٠.

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ
مَكِّيَةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

قوله ـ عز وجل ـ :﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسرَى بِعَبدِه لَيْلاً مِنَ المسْجِدِ الحَرامِ﴾.

﴿سبحان﴾ منصوب على المصدر، المعنى: أسبح الله تسبيحاً. ومعنى سبحان الله في اللغة تنزيه الله عن السوء، وكذلك ما روي عن النبي ﷺ[2].

وقوله: ﴿أَسْرَى بعَبْده لَيْلاً﴾.

معناه سَيّر عبدَه، يقال أَسْرَيْتُ وسَرَيْتُ إذَا سِرْتُ لَيْلاً، وقد جاءت اللغتان في القرآن، قال الله جل وعز: ﴿والَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[3] هذا من سَرَيْتُ ومعنى يَسْرِي يمضي[4].

أسرى الله سبحانه بالنبي ﷺ من المسجد الحرام وهو مكة، والحرم كله مسجد، فأسرى الله به في ليلة واحدة من المسجد الحرام من مكة إلى بيت المقدس وهو قوله ـ جل وعز :﴿إِلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِيَ بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾.

أجرى الله حول بيت المقدس الأنهار وأنبت الثمار، فذلك مَعْنَى باركنا حوله.

---

(١) في الأصل ذكرت البسملة قبل العنوان باسم السورة وكونها مكية.

(٢) أي ما جاء في الأحاديث من قوله (ﷺ) سبحان الله فمعناه كذلك.

(٣) سوَرة والفجر الآية ٤.

(٤) حذفت الياء في القرآن لتوافق الفواصل.

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾.
أي لِنُرِيَ محمداً.

فأراه اللَّه في تلك الليلة من الأنبياء، وآياتهم ما أُخْبَرَ بِهِ في غَدِ تلكَ الليلة أهلَ مكةَ فقالوا للنبي ﷺ إنَّ لنا في طريق الشام إبلاً فأخبرنا خبرها، فَخَبَّرهُم بخبرها، فقالوا فمتى تقدم الإبل علينا، فأخبرهم أنها تَقدُمُ في يوم سَمَّاهُ لهُمْ مع شروق الشمس، وأنه تقدّمها جمل أورق، فخرجوا في ذلك اليوم، فقال قائل: هذه الشمس قد أشرقت، وقال آخر فهذه الإبل قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ﷺ فلم يؤمنوا بعد ذلك.

وقوله: ﴿وآتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إسْرَائِيلَ﴾.
أي دللناهم به على الهدى.
﴿أَنْ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾.
أي لا تتوكلوا على غيري ولا تتخذوا من دوني رَبًّا.
وقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾.

القراءة بنصب ذُرِّيَّةَ. وقرأ بعضهم ذِرِّيَّة - بكسر الذال - والضم أكثر. وذُرِّية فُعْلِيَّة من الذر، وهي منصوبة على النداء، كذا أكثرُ الأقوالِ المعنى: يا ذرِّيَّةَ من حملنا مع نوح. وإنما ذكروا بنعم اللَّه عندهم أنه أنجى أبناءهم من الغرق بأنهم حملوا مع نوح. ويجوز النصب على معنى ألا تتخِذُوا ذرِّيَّةَ من حملنا مع نوحٍ من دونِي وكيلاً، فيكونَ [الفعل] تعدى إلى الذرِّيَّة وإلى الوكيل، تقول: اتخذت زيداً وَكيلاً، ويجوز ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾ على معنى: ﴿وجعلناه هُدَىً لبني إسرائيل أَلَّا تتخذوا من دوني وكيلاً ذرِّية من حملنا مع نوح﴾. ويجوز الرفعُ في ﴿ذرِّية﴾ على البدل من الواو، والمعنى ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾ أي لا تتخذوا من دوني وَكيلاً ذرِّيَّةٌ، ولا تقرأن بها إلَّا أن تثبت بها

رواية صحيحة، فإن القراءة سنة لا يجوز أن تخالف بما يجوز في العربية.

وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ﴾.

معناه أعلمناهم في الكتاب، وأوحينا إليهم، ومثل ذلك قوله: ﴿وقضينا إليهِ ذَٰلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[1]. ومعناه وأوحينا إليه.

وقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[2] معناه خلقهن وفرغ منهن، ومثل هذا في الشعر قوله:

وعليهما مَسْرودَتان[3] قضاهما داودُ أو صنع السوابغَ تُبَّعُ

معناه عملهما. وجملة هذا الباب أن كل ما عُمِلَ عَمَلاً محكماً فقد قُضِيَ، وإنما قيل للحاكم قاض لأنه إذا أمر أمراً لم يُرَدَّ أَمْرُه، فالقضاء قَطْعُ الأشياء عن إحْكام، والمعنى إنا أوحينا إليهم لَتُفْسِدُنَّ في الأَرْضِ ولَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كبيراً. معناه لَتَعْظُمُنَّ ولَتَبْغُنَّ، لأنه يقال لكل مُتجبّرٍ قَدْ عَلاَ وتعظَّمَ.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا﴾.

المعنى فإذا جاء وعد أُولى المرتين.

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

يروى أنه بعث عليهم بختنصَّر.

﴿فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾.

أيْ فطافوا في خلالِ الدِّيارِ ينظرُون هل بقي أحدٌ لَمْ يَقْتُلُوه، والجَوْس طلب الشيء باستقصاء.

---

(١) سورة الحجر الآية ٦٦.

(٢) سورة فصلت الآية ١٢.

(٣) تقدم.

وقوله :﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾.

أي رددنا لكم الدولة.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾.

أي جعلناكم أكثر منهم نُصَّاراً[1]، ويجوز أن يكون نفيراً جمع نَفْرٍ كما يقال: العبيد والكليب والضَّئين والمعيز[2]. ونفيراً منصوب على التَّمييز.

وقوله :﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَة لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

وتقرأ لِيَسُوءَ وجُوهَكُمْ، المعنى فإن جاء وعد الآخرة ليسوءِ الوعدُ وجُوهَكم، ومن قرأ «لِيَسُوءُوا» فالمعنى ليسوء هؤلاء القومُ وجوهكم، وقد قرئت لَنَسُوءَ وُجُوهَكُمْ - بالنون الخفيفة - ومعناه لَيَسُوءًا الوعدُ وجوهَكم، والوقف عليها لَيَسُوءًا. والأجود ليسوءَ بغير نونٍ، ولِيَسُوءُوا. ويجوز: لِيَسُوءْ وجوهكم، ويكون الفعل للوَعْدِ على الأمر، ولا تقرأ به، ويجوز لِنَسوءَ بالنون في موضع الياء.

وقوله:﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾.

معناه لِيُدَمِّرُوا، ويقال لكل شيء منكسرٍ من الزُّجَاجِ والحديد والذَّهَبِ تِبْرٌ، ومعنى ﴿مَا عَلَوْا﴾ أي ليدَمّروا في حَالِ عُلُوِّهِمْ عليكم.

وقوله:﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّم لِلكَافِرِينَ حَصِيراً﴾.

معناه حَبْساً، أخِذَ من قوله: حصرتُ الرَّجُلَ إذَا حَبَسْتُه فهو محصور وهذا حَصِيرُهُ أي مَحْبِسُهُ، والحصير المنسوج إنما سمّيَ حصيراً لأنه حصرت

---

(١) يُقَال رجُلٌ ناصِرٍ من قوم نُصَّار، أي جعلنا نصراءكم اكثر.

(٢) أي عبد وعبيد وضان وضئين...

طاقاته بعضها مع بعض. والجَنْبُ يقال له الحصير[1] لأن بعض الأضلاع محصورٌ مع بعض.

وقوله:﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

أي للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله ـ عز وجل ـ [أي] شهادة أن لَا إلهَ إلاَّ اللَّهُ والإيمانُ بِرُسُلِهِ، والعمـلُ بطاعتِـه، وهذه صفـة الحال التي هي أقوم الحالات.

وقوله:﴿وَيَدْعُو الإِنْسَانُ بِالشَّرِ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾..

المعنى إن الإنسان رُبَّما دَعَا على نفسه وولـده وأهله بالشَّـرِ غَضَباً كمـا يدعو لنفسه بالخير، وهذا لم يُعَرَّ منه بشرٌ.

ويـروى أن النبي ﷺ رفـع إلى سَـوْدَةَ[2] بنت زَمْعَـةَ أسيـراً، فـأقْبَـلَ يئن باللَّيْلِ، فقالت له: ما بالُك تَئِنُّ فشكا أَلَمَ القَدِّ والأَسْرِ.

فأرْخَتْ مِن كِتَافه، فلما نامت أخرج يـده وهرب، فلمـا أصبح النبي ﷺ دعـا به فـأعلم شأنـه، فقال اللهم اقـطع يديهـا، فرفعت سـودةُ يـديهـا تتـوقـع الاستجابة، وأن يقـطع اللّه يديهـا، فقال النبي ﷺ وإني سـألت اللّه أن يجعل دعـائي ولعْنتي على من لا يستحق من أهلي ـ رحمـةً، فقـولـوا لهـا لأني بَشـرٌ أغضب كمـا يغضب البشر فَلْتَـرِدُدْ سودة يـديهـا. فـأعلم اللّه ـ عـز وجـل ـ أن الإنسان خلق عجولاً، فهذا خلق عليه جملةُ البشَرِ من آدم إلى آخر ولده.

والإنسان ههنا في معنى الناس.

---

(١) جانب الإنسان وشقه يسمى حصيراً.

(٢) هي أم المؤمنين زوج رسول اللّه (ص)، قـرشية عـامرية تزوجها السكران بن عمـرو، فتوفي عنهـا فتزوجها رسول اللّه (ﷺ)، وكانت أول أزواجه بعد خديجة ـ كـانت من الزهـاد وكانت تضحـك رسـول (ﷺ) بكلامها أحياناً ـ قدم لها عمر غرارة مليئة بـالدراهم ففـرقتها ومـاتت في خلافـة عمر وقيل ماتت سنة أربع وخمسين. الإصابة ٦٠٦.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾.

أي علامتين يدلان على أن خالقهما واحد ليس كمثله شيء وتدلان على عدد السنين والحساب.

﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾.

أي جعلنا آية الليل دليلة عليه بظلمته.

﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي جعلناها تضيء لكم لتُبْصِروا كيف تَصَرَّفُونَ في أعمالكم ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾، ويُرْوَى أن القمر كان في ضياء الشمس فمحا اللَّه ضياءه بالسواد الذي جَعَلَ فيه.

﴿وَكلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾.

أي بَيَّنَاهُ تبييناً لا يلتبس مَعَه بغيره، والاختيار النَّصْبُ في «كل»، المعنى في النصب: لِتَبْتَغُوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين، وفصلنا كلَّ شيء تفصيلاً، و﴿كلَّ﴾ منصوب بفعل مضمر الذي ظهر يفَسِّرُهُ، وهو ﴿فصَّلْنَاهُ﴾ ويجوز «وَكلُّ شَيْءٍ فصلناه تفصيلاً»[1]. وكذلك النَّصْب والرفع في قوله: ﴿وَكلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ إلَّا إني لا أعلم أحداً قرأ بالرَّفع.

وجاء في التفسير: طائره، أي خَيْرُه وشَرُّه، وهو ـ واللَّه أعلم ـ ما يُتَطيَّر من مثله من شيء عمله كما قَالَ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة، وكما يُقال للإنسان إثْمِي في عُنُقِك، وإنما يقال للشيء اللازم له: هذا في عُنُق الإِنْسَان، أي لُزُومه له كلزوم القلادة له من بين ما يُلبس في العنق.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾.

---

(١) هو اسم مشتغل عنه بضميره ـ فيجوز فيه الرفع والنصب.

وفي هذه أربعة أوجه: وتُخْرَجُ له، ويُخرِجُ له، أي ويُخْرِجُ اللَّهُ له[1].

وَيَخْرُجُ له. أي ويُخْرَجُ عملهُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كتاباً، وكذلك يُخْرَج له عمله يوم القيامة.

﴿كتاباً يلقاه منشوراً﴾ منصوب على الحال.

وقوله: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.

﴿بنفسك﴾ في موضع رفع، وإن كان مجروراً بالباء، ولو كان في غير القرآن جاز. كفى بنفسكَ اليوم حسيبة، والمعنى كفت نفسك حسيبة، أي إذا كنت تشهد على نفسك فكفاك بهذا. وحسيباً منصوب على التمييز.

وقوله: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

يقال: وَزَرَ يَزِرُ فهو وَازِر وَزْراً، وَوِزْراً، وزِرَة، ومعناه آثِمَ يَأْثَمُ إثماً.

وفي تأويل هذه الآية وجهان: أحدهما أن الآثِمَ والمُذْنِبَ، لا يؤخذ بذنبه غيرُهُ، والوجه الثاني أنه لا ينبغي للإنسان أن يعمل بالإثم لأن غيره عمله كما قالت الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[2].

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

أي حتى نبين ما به نُعَذِّبُ، وما من أَجْله نُدْخِلُ الجنَّةَ.

وقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أمرنا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾.

تقرأ أَمَرْنَا مخفَّفَةً على تقدير فعلنا، وتقرأ آمرنا مترفيها على تقدير أفعلنا، ويقرأ أَمَّرْنا - بتشديد الميم -، فأما من قرأ بالتخفيف فهو من الأمر، المعنى أمرناهم بالطاعة ففسقوا، فإن قال قائل: ألست تقول: أمرت زيداً فضرب عمراً، فالمعنى أنك أمرته أن يضرب عمرا فضربه، فهذا اللفظ لا يدل على

---

(١) الاربعه الأوجه هي تخرج له، بالنون - وتخرج له - بالبناء للفاعل والمفعول من خرج: ويخرج من أخرج.

(٢) سورة الزخرف الاية: ٢٢.

غيـر الضرب، ومثـل قولـه: أَمَرْنَـا مُتْرفيهـا ففسقوا فيهـا. من الكلام: أمـرتك فعَصَيتني. فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر، وكذلك الفَسْقُ مُخَالَفَة أمْرِ اللّ جلّ ثناؤه. وقد قيل: إنما معنى أمرنا مترفيها كَثَّرْنَا مترفيهـا، والدليـل على هذا قول النبي ﷺ خير المال سِكَّةُ مأبورة[1] ومُهْرة مَأْمُـورَة أي مُكَثَّرَة[2]، والعـرب تقول قَدْ أَمِرَ بنو فلان إذَا كَثرُوا، قال الشاعر:

إن يُـغْـبَـطُو يَـهْـبـطوا وَإن أَمِـرُوا يـومـاً يصيـروا للهلك والـنَّفَـد[3]

ويروى بالنقد ـ بالقاف[4] ـ ومن قرأ آمـرنا فتـأويله أَكْثَرنـا، والكثرة ههنـا يصلح أن يكـون شيئين، أحدهمـا أن يكثـر عـدد المتـرفين، والآخـر أن تكثـر جِدَتُهم وَيَسَارُهُمْ. ومن قرأ أمرنا بالتشـدِيد، فمعنـاه سَلَّطْنَا متـرفيها أي جعلنـا لَهُمْ إمْرةً وسلطانا.

---

(١) جاء الحديث في اللسان (أبر) خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة، والسكة الطريقـة المصطفـة من النخل، ومأبورة بمعنى ملقحة ـ يقال أبر وآبر ـ بالتخفيف والتشديد ـ وقيـل السكـة سكـة الحرث، والمأبورة المصلحة لأجله، والمأمورة الكثيرة النتاج والنسل، يقولون أمر اللّه المهرة أي كـثر ولدهـا، وأَمِرَ القوم أي كثروا، وأمرهم اللّه فامروا، ومنه حديث أبي سفيان: أَمِر أمر ابن أبي كبشة وارتفع شأنه ـ والحديث يصف خيراً قال بأنه من الحرث أو من النتاج.

(٢) البيت في اللسان «أمر» منسوب للبيد ـ وروايته بـه ـ للهلك والنكد.. وروايـة النفد التي هنـا تعني النفاد والفناء.

(٣) مما رثى به لبيد بن ربيعة العامري أخاه أربد، الذي أصابته صاعقة ذهبت به وبجمله بدعوة رسول اللّه (ﷺ) عليه وكان أراد قتله، وفيه نزلت الآية: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾، وكان لبيد لا يزال على شركه، ورثى أربد بعدة مراث هذه المرثية من جيادها ـ والبيت السابق عـلى هذا البيت هو:

كـل بـني حـرة مـصـيـرهـم قـلٌ، وإن أكـثـرت مـن الـعـدد

ويغبـطوا: يصيرون في حـالة حسنـة يغبطهم النـاس عليها، ويهبطوا: تسـوء حـالهم وأمـروا بمعنى كثروا ـ ورواية البيت في اللسان (أمر) يصيروا للهلك والنكد ورواه ابن هشـام حـ ٢٣٧/٤ ـ كما هنا ـ والنفد يعني النفاد والفناء.

(٤) النقد ـ بفتح القـاف ـ أراذل النـاس وسفلتهم، يقـال هو أذل من نقـد، ورب مثر أذل من نقـد، ومعنى البيت حينئذ أنهم مهما كثروا ينتهوا إلى الذلّة والهوان.

وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ القُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾.

أي أهلكنا عدداً كبيراً من القُرون، بأنواع العذاب، نحو قوم لوط وعادٍ وثمود ومَن ذُكِرَ اسْمُه وقروناً بين ذلك كثيرا، وموضع كَمْ النصب بقوله أَهْلَكْنَا.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾[1].

أي من كان يريد العاجلة بعمله، أي الدنيا، عجل اللّه لمن أراد أن يعجل له ما يشاء اللّه، أي ليس ما يشاء هو، وما يشاء بمعنى ما نشاء[2]، ويجوز أن يكون المُضْمَرُ في نشاء «مِنْ»، المعنى عجلنا للعبد ما يشتهيه، إذا أراد اللّه ذلك[3].

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾.

لأنه لم يرد اللّهَ بعمله

﴿يَصْلَاهَا مَذْمُوماً﴾.

ومذءوماً في معنى واحد.

﴿مَدْحُوراً﴾.

أي مباعَداً من رحمة اللّه. يقال: دَحَرْتُه أَدْحَرُه دَحْراً ودُحُوراً إذا باعدته عنك. ثم أعلم اللّه - عزّ وجلّ - أن يعطي المسلم والكافِرَ وأَنَّ يرْزُقهما جميعاً فقال:

﴿كُلًّا نُمِدُّ هَـٰؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾.

أي نُمِدُّ المؤمنين والكافرين مِنْ عَطَاءِ رَبِّك

وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

معناه أَمَرَ رَبُّك

---

(١) في الأصل ما نشاء وما يشاء لمن نريد.

(٢) أي قرئت عجلنا له فيها ما يشاء - وهي بمعنى عجلنا له ما يشتهي إذا أردنا ذلك.

(٣) عجلنا له مما نشاء - من كان يريد العاجلة عجلنا له منها ما نشاء - فتكون في بمعنى «من».

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

أي أمر أن يحسنوا بالوالدين[1]

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا﴾.

ترفعُ ﴿أحدهما﴾ بِيَبْلُغَنَّ، و﴿كلاهما﴾ عطف عليه، ويقرأ: يَبْلُغَانِّ عندك الكِبَرَ، ويكون أَحَدُهُمَا أو كلاهما بَدَل من الألف.

وقوله:﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾.

في قوله «أُفٍّ» سبع لغات: الكسر بغير تنوين، والكسر بتنوين، والضم بغير تنوين، وبتنوين، وكذلك الفتح بتنوين، وبغير تنوين، وفيها لغة أخرى سابعة لا يجوز أن يقرأ بها، وهي «أُفِيّ» بالياء، فأما الكسر فلالتقاء الساكنين، وأف غير متمكن بمنزلة الأصوات، فإذا لم تُنَوَّن فهي مَعْرِفةٌ، وإذا نُوِّنَ فهو نكرة بمنزلة غاقٍ وغاقِ في الأصوات، والفتح لالتقاء الساكنين أيضاً، والفتح مع التضعيف حسن لخفة الفتحة وثقل التضعيفِ والضَّمِّ، لأن قبله مضمُوماً ـ حسنٌ أيضاً، والتنوين فيه كله على جهة النكرة.

والمعنى: لا تقل لهما كلاماً تتبرم فيه بهما، ومعنى أفٍّ النتن، وقيل ان أُفَ وسخ الأظْفَارِ، والتُّف الشيء الحقير نحو وسخ الآذان أو الشظية تؤخذ من الأرض. ومعنى الآية: لا تقل لهما ما فيه أذىً بتبرُّمٍ، أي إذا كبِرَا، أو أَسَنَّا فينبغي أن تَتَولىَّ من خِدمتهما مثل الذي توليا من القيام بشأنك وخِدْمَتِكَ، ولا تنهرهما بمعنى: لا تنتهرهما، أي لا تكلمهما ضجراً صائحاً في أوجُهِهِما، يقال نهرته أنهره نهراً، وانتهرته أنتهره انتهاراً، بمعنى واحِدٍ.

وقوله:﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

---

(١) على هامش الأصل: نسخة وأمر.

وتُقْرَأ الذِّل ـ بكسر الذّالِ ـ ومعنى [اخفض لهما] جناح الـذّل، أي أَلِنْ لهما جانبك مُتَذَلِّلاً لهما، من مبَالغتك في الـرحمة لهمـا، ويقال: رجـل ذليل بيّن الـذُّلّ، وقد ذل يـذِلّ ذُلّاً، ودَابَّةٌ ذَلُـول. بين الـذِّل، ويجـوزان جميعـاً في الإنسانِ.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ للأَوّابِينَ غَفُوراً﴾.

الأواب بمعنى التواب، والراجع إلى اللّـه في كل ما أَمَر به، المقْلِعُ عن جميع ما نهى عنه، يقال قد آب يؤوب أَوْباً إذَا رجع.

وقوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾.

معناه لا تسرف، وقيـل: التبذيـر النفقة في غيـر طاعة اللّه، وقيـل كانت الجاهلية تنحر الإبل وتُبَذِّرُ الأموالَ، تطلب بذلـك الفخر والسمعـة وتذكـر ذلك في أشعارها، فأمر اللّه ـ عزّ وجلّ ـ بالنفقة في وُجُوهِهمَا فيمـا يُقَرِّبُ منـه ويزلف عنده.

وقوله: ﴿إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوانَ الشَّيَاطِينَ﴾.

أي يفعلون ما يسول لهم الشيطان.

وقوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَـاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾.

﴿عَنْهُمُ﴾ هـذه الهاء والميم يـرجعـان على [ذي] القُـربى والمِسكين وابن السبيل، ﴿وإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾، أي وإنْ أعْرضتَ عَنهُمُ، ابْتغَاءَ رَحْمَـةٍ مِنْ رَبِّـكَ تَرْجُوهَا، أي لطلب رزقٍ من ربك ترجوه ﴿فَقُلْ لهما قَوْلاً مَيْسُوراً﴾، ﴿ابتغاء﴾ منصوبٌ لأنه مفعول لـه، المعنى: وإن اعْرَضْتَ عنهم لابتغـاء رحمة من رَبِّكَ.

وروي أن النبي ﷺ كـان إذا سئل وليس عنـده ما يعـطى أمسـك انتـظار الرزق يأتي من اللّه ـ جلّ وعزّ ـ كأنه يكره الرَّدَّ، فلما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ لَهُمَـا قولاً مَيْسُوراً﴾. كان عليه السلام إذا سئل فلم يكن عنـده ما يعـطي قال: يَـرْزُقُنَا

اللَّهُ وإِيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ. فتأويل قوله: ﴿مَيْسُوراً﴾ والله أعلم أنه يكسر عليهم فقرهم بدعائه لهم.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنقِك ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ﴾.

معناه لا تبخل ولا تسرف. ﴿فتقعد﴾ منصوب على جواب النهي، و﴿محسوراً﴾ أي قد بالغت في الحمل على نفسك وحالك حتى تصير بمنزلة من قد حَسِر، والحسير والمحسور الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾.

﴿خشية إِمْلَاق﴾ منصوب لأنه مفعول له، والإملاق الفقر، يقال أملق يملق إملاقاً.

وكانوا يدفنون البنات إذَا وُلِدْنَ لهم خوفاً من الفقر، فضمن الله - عزّ وجلّ - لهم رزقهم، فقال:

﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

وهي الموءودة، كانوا يَدْفِنُونَ الابنة إذا وُلِدَتْ حيَّةً.

وقوله: ﴿إنَّ قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾، وتقرأ خَطَأً كبيراً. فمن قال خِطئاً: بالكسر فمعناه إثماً كثيراً، يقال قد خطِئَ الرجل يخطأ خِطئاً: إثِمَ يَأْثَمُ إثماً «وخَطأً كبيراً» له تأويلانِ أحدهما معناه إن قتلهم كان غير صواب يقال: قد أخطأ يخطئ إخطاء، وخطأً، والخطأ الاسم من هذا لا المصدَرُ، ويكون الخطأ من خطئ يخطأ خطأً إذا لم يصب مثل لِجَجَ يَلْجَجُ قال الشاعر(١).

والناس يلْحَوْنَ الأمير إذا همو   خطئوا الصوابَ وَلَا يُلامُ المرشِدُ

---

(١) البيت في اللسان (أمر) - والمعنى أن الناس يلقون اللائمة على قائدهم إذا هم أخطأوا، ولا ينبغي أن يلام المرشد.

وقوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

أي وساء الزنا سبيلاً. وسبيلاً منصوب على التمييز.

وقوله: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالحَقِّ﴾.

حرَّم اللَّه قتل المؤمن إلاَّ أن يرْتَدَّ بَعْدَ إيمَانِه، أو يقتل مُؤْمِناً متعَمِّداً، أو يزنيَ بعد إحْصَانٍ. كذلك قال قتادة في تفسير هذه الآية.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً﴾.

أي من غير أن يأتيَ بواحدة من هذه الثلاث.

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾.

الأجود إدغام الدال في الجِيمِ، والإظهار جَيِّد بالغ، لأنَّ الجِيمَ من وسط اللسانِ، والدال من طرف اللسانِ[1]، والإدغام جائز لأنَّ حروفَ وَسَط اللِّسَانِ قد تقرب من حروف طرف اللسانِ.

وَوَلِيُّه الذي بَيْنَهُ وبيْنَه قرابة توجِبُ المطالبةَ بِدَمِهِ. فإنْ لم يكن له ولي فالسلطان وَلِيُّه، و «سُلْطَّاناً» أي حجة.

وقوله: ﴿فَلاَ يُسْرِفْ في الْقَتْلِ﴾.

القراءة الجزم على النهي، ويقرأ بالياء والتاء جميعاً، وتقرأ فلا يُسْرِفُ بالرفع[2]. والإسراف في القتل قد اخْتُلِفَ فيه، فقال أكثر الناس: الإسْرافُ أنْ يقتُلَ الوليُّ غيرَ قاتِلِ صاحِبِه، وقيل: الإسراف أن يقتل هو القاتل دُونَ السُّلْطَانِ، وكانت العرب إذا قُتِلَ منها السَّيِّدُ وكانَ قاتله خسِيساً لم يرضوا بأنْ يُقْتَلَ قَاتِلُه وربما لم يرضَوْا أن يُقْتَل واحدٌ بواحدٍ حتَّى تُقْتَلَ جماعة بواحدٍ.

وقوله: ﴿إنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾.

---

(١) وأيضاً الدال حرف قلقة، وهي لا تظهر مع الإدغام.

(٢) أي لا ينبغي له أن يسرف في القتل.

أي ان القتيـل إذا قتل بغيـر حق فهو منصـور في الدنيـا والآخرة، فـأمـا نصرتُه في الدنيا فَقَتْلُ قاتِلِه، وأما في الآخرة فإجزال الثـواب له، ويخلَّدُ قـاتِلُه النَّارَ، ومن قرأ فلا يسرِفُ ـ في القَتْلِ ـ بالرَّفع ـ فالمعنى أن وليَّه ليسَ بمُسْـرِف في القَتْلِ إذا قتل قاتِلَه ولم يقبل الدِّيَة.

وقوله:﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

أي لا تـدّخروا مِن مَـالِه، ولا تـأكلوا ـ إذَا أقِمْتُمْ[1][عليه]ـ إلَّا مـا يُسكِّنُ الجَوْعَةَ، ولا تكتسوا إلَّا ما ستر العورة، ولا تَقْـرَبُوه إلَّا بـالإصلاح للمـال حَتَّى يبلغ أشُدَّه. وأشُدُّه أن يبلغَ النكاح، وقيل: أشُدُّه أن يأتي له ثماني عشرة سنة، وبُلوغُ أشـدّه هو الاحتـلام، وأن يكون مـع ذلك غيـر ذي عاهـة في عقـل وَأَنْ يكونَ حازماً في ماله.

وقوله:﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مسؤولاً﴾.

قال بَعْضُهُمْ: لا أدري مَا العَهْدُ، والعَهْدُ كل ما عُـوهِدَ اللَّهُ عَلَيْـه، وكل مـا بينَ العِبَادِ من المـواثيق فهِيَ عُهُـودٌ. وكـذلك قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْـدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾[2].

وقوله:﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾.

والقُسْطَاسُ جميعاً ـ بالضَّمِ والكَسْرِ ـ قيل: القسطاسُ هو القرسـطون[3] وقيل القفان[4]، والقسطاس ميزان العدل، أيُّ ميزان كان من موازين الـدراهِم أوْ غَيْرِها.

---

(1) صححت في هـامش النسخة ـ إذا جعتم ـ وهـو الأوفق لقولـه تعالى: ﴿ومن كان غنيـاً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾.

(2) سورة النحل ٩١.

(3) كلمة أعجمية اسم للميزان لنوع منه.

(4) هو القبانُ الذي يوزنُ به.

وقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾.

معنى ﴿وأحسن تأويلاً﴾ أن الوفاء أحسن من النقصانِ، ويجوز أن يكون المعنى أحسن ما يؤول إليه أمر صاحب الوفاء.

وقوله: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

أي لا تقولن في شيء بما لا تعلم.

فإذا نُهِيَ النَّبِيُّ ﷺ - مع حِكْمَتِه وعِلْمِهِ وتوفيق اللَّه إِيَّاهُ - أن يقول بما لا يعلم، فكيف سائر أُمَّتِه والمسرفين على أَنْفُسِهم.

يقال قفوت الشيءَ أَقْفُوه قَفْواً إذا اتَّبَعْتَ أثرَه، فالتأويل لا تُتْبِعَنْ لِسانَك من القولِ ما ليس لك به علم، وكذلك من جميع العَمَل[١].

﴿إِنَّ السَّمْعَ والبَصَر والفُؤادَ﴾ شواهد عليك، قال اللَّه عزّوجلّ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهم بِمَا كَانُوا يعْمَلُونَ﴾[٢].

فالجوارح شواهدُ على ابن آدم بعمله، ويقرأ.. ولا تَقُفْ ما ليس لك به عِلْمٌ بإسكان الفاء وضم القاف، من قاف يقوفُ - وكأنه مقلوب من قفا يقفو، لأن المعنى واحدٌ.

وقوله: ﴿كُلُّ أُولئكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤولاً﴾.

فقال ﴿مَسْؤُولاً﴾، وقال: ﴿كَانَ﴾، لأن «كل» في لفظ الواحد، فقال ﴿أولئك﴾ لغير الناس، لأن كل جمع أَشَرْتَ إِلَيْه من الناس وغيرهم ومن الموات فلفظه «أولئك» قال جرير:

---

(١) عطف على من القول.

(٢) سورة النور ٢٤.

ذم المنازل بعد منزلة اللوى   والعَيْش بعد أولئك الأيّام[1]

وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾.

ويقرأ مَرِحاً ـ بكسر الراء ـ، وزعم الأخفش أن مَرَحاً أجْودُ من مَرِحاً، لأن مَرِحاً اسمُ الفَاعِل. وهذا ـ أعني المصدر ـ جيِّدٌ بالغٌ، وكلاهما في الجودة سواء، غير أنَّ المصدرَ أوْكدُ في الاستعمال تقول: جاء زيد رَكْضاً، وجاء زيدٌ راكضاً، فركْضاً أوْكَدُ في الاسْتِعْمَال لأن ركضاً يدل على توكيد الفِعْل. وَمَرَحا بفتح الراء أكثر في القِراءَةِ.

وتأويل الآيةِ: ولا تَمْشِ في الأرض مختالاً وَلاَ فَخُوراً

﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾.

قالوا: معنى ﴿تَخرِق الأَرْضَ﴾ تقطع الأرْضَ، وقيل تثقب الأرْضَ، والتأويل ان قدرتك لا تبلغ هذا المبلغ، فيكون ذلك وصلة إلى الاختيال.

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾.

سيئه في معنى خطيئةٍ، وكان أبو عمرو لا يقرأ سَيِّئُهُ، ويقرأ سَيِّئَةً، وهذا غلط، لأَنَّ في الأقاصيص سيئاً وغير سَيِّءٍ، وذلك أن فيها ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وفيها: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾، و﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي اقرَبُوه بالَّتِي هي أَحْسَنُ[2].

ففيما جرى من الآيات سيء وحسن، فسيئُهُ بلا تنوين أَحْسَنُ من سيئةٍ

---

(١) من ميمية له مشهورة، انتقدت سكينة بنت الحسين بيتاً منها، وهو يتغزل غزلاً عفيفاً فيقول:

لولا مراقبة العيون أريننا   مقل المها وسوالف الآرام

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا   وقت الزيارة فارجعي بسلام

انظر شواهد الكشاف ١٧٧ ـ والديوان، والبيت من شواهد النحو الشائعة.

(٢) قراءة أبي عمرو تقتضي أن كل ما ذكر من السيئات والواقع أن فيه حسنات.

ههنا. ومن قرأ سَيِّئَةً جعل «كلا» إحاطة بالمنهى عنه فقط، المعنى كل ما نهى الله عنه كان سيئةً.

وقوله:﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾.

أي مباعداً من رحمة الله.

وقوله:﴿أَفَأَصْفَاكُم رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾.

كانت الكفرة من العَرَب تزعم أنَّ الملائكةَ بنات الله، فوُبِّخوا، وقيل لهم:﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بالبَنِينَ﴾، أي اختار[1] لكم ربكم صَفْوَة الشيء وأَخَذَ من الملائكة غير الصَّفْوةِ

وقوله:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القُرآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾.

أي بينا.

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ نُفُوراً﴾.

أي ما يزيدهُمُ التَّبْيينُ إلاَّ نُفوراً، كما قال الله - عزّ وجلّ - :﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ للمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمينَ إلاَّ خَساراً﴾[2].

﴿قُلْ لَوْكَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كما يَقُولُونَ﴾.

فمن قرأ كما تقولون فعلى مخاطبة القائلين

﴿إذاً لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً﴾.

أي لتقربوا إلى ذي العرش، كما قال:﴿أُولئكَ الذين يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلىَ ربِّهم الوسيلةَ أَيُّهُمْ أقْرَبُ﴾[3]. وقال بعضهم: ﴿إذاً لاَبْتَغَوْا إلَى ذِيَ العَرْشِ سَبِيلاً﴾، أي لكانوا مضادِّينَ له يطلبون الانفرادَ بالرُّبُوبِيَّةِ.

---

(١) في الهامش إشارة إلى نسخة: أفيختار.

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٢.

(٣) الإسراء الآية ٥٧.

والقول الأول عليه المفسرون.

وقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَواتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إلاَّ يُسَبِحَ بحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾..

قيل إنَّ كُلَ مَا خَلقَ اللَّه يُسبح بحمده وإن صَرِيرَ السَّقْفِ وصَرِيرَ البَابِ من التسبيح للَّه عزّ وجلّ. ويكون ـ على هذا ـ الخِطَابُ للمشركين وحدهم من قوله: ﴿وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

وجائز أن يكون تسبيح هـذه الأشياءِ مِمَّا عَلِمَ اللَّه به، لا يُفقَه مِنْه إلاَّ ما عَلَّمنَا.

وقال قوم: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إلاَّ يُسَبِّح بِحَمْدِهِ﴾ أي ما من شيء إلاَّ وفيه دَلِيلُ أن اللَّه خالِقُه، وأن خَالِقُه حَكيمٌ مُبَرَّأٌ مِنَ الأَسْوَاءِ ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾.

أي ولكنكم أيها الكفار لاَ تَفْقَهونَ أثر الصَّنْعةِ في هذه المخلوقات.

وهذا ليس بشيء لأن الذين خوطبوا بهـذا كانـوا مُقِرِّينَ بـأن اللَّه خَالِقُهُمْ وخـالق السمـوات والأرض ومن فِيهِنَّ، فكيف يجهلون الخلقـة وهم عـارفـون بها.

وقوله: ﴿وَإِذَا قَرأْتَ القُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾.

قال أهل اللغة معنى ﴿مستوراً﴾ ههنا في موضع ساتر، وتأويـل الحجاب ـ واللَّه أعلم ـ الطبع الـذي على قلوبهم. ويدل على ذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

والأكنة جمع كِنَان وهو ما سَتَرَ.

ومعنى أن يفقهوه كراهة أن يَفْقَهُوه، وقيل معناه ألَّا يفقهوه والمعنيان واحدٌ، غير أن كراهة أجود في العربيَّةِ.

وقيل: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجَاباً﴾، الحجاب منع اللَّه إياهم من النبي - عليه السلام - ويجوز أن يكون ﴿مستوراً﴾ على غير معنى ساتر، فيكون الحجاب ما لا يرونه ولا يعلمونه من الطبع على قلوبِهِمْ.

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾.

الوقر ثقل السَّمْع، والوقر أن يَحمِل الإنْسانُ وَقْرَهُ

وقوله: ﴿وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾.

﴿نُفُوراً﴾ يحتمل مذهَبَيْن أحدهما المصدر. المعنى: وَلَّوْا نَافِرين نُفُوراً ويجوز أن يكون نُفُوراً جمع نافِرٍ، فيكون نافِرٍ ونُفُورٌ، مثل شاهِدٍ وشهود.

وقوله: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾.

﴿نجوى﴾ في معنى المصدر، أي وَإِذْ هُمْ ذَوُو نجوى، والنجوى اسم للمصدر، وكانوا يستمعون من النبي ﷺ ويقولون بَيْنَهم: هو ساحِرٌ وهو مَسْحورٌ وما أشبه ذلك من القول. وقال أهل اللغة في قوله: ﴿إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ قولَيْنِ:

أحدهما أن مَسْحوراً ذو سَحْرٍ، والسَّحْرُ الرِّئَةُ، وقالوا: إنْ تتبعون إلَّا من له سَحْرٌ بشَرٌ مِثلكم يأكل الطعام، قال لبيدٌ.

فإن تسألينا فيم نحنُ فإننا عصافير من هذا الأنامِ المسحَّرِ[1]

---

(١) اللسان (سحر) أمالي المرتضى ٣/٣٧ - معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٢. والسحر الخديعة - أي هذا الأنام المخدوع. أما على تخريج الزجاج فمعناه الأنام الذي (سَحْر) ولا معنى له وأيضاً يكون مشتقاً من اسم جامد.

وقالوا: مَسْحوراً أي قد سحُر وأزيل عن حَدِّ الاسْتِوَاءِ

﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾.

الرُّفَاتُ التُّرابُ، والرفات أيضاً كل شيء حُطِمَ وكُسِرَ، وكل ما كان من هذا النحو فهو مبني على فُعَال، نحو الفُتَاتُ والحطَامُ والرُّفَاتُ والتُّرابُ.

وقوله: ﴿خَلْقاً جَدِيداً﴾، فِي مَعْنَى مُجدَّدٍ.

وقوله: ﴿قل كُونوا حِجَارَةً أَو حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾.

أكثر ما جاء في التَّفسِير في قوله: ﴿أو خلقاً مما يكبرُ في صُدُورِكُمْ﴾ إن هذا الخلقَ هو الموْتُ، وقيل خلقاً مما يكبر في صدوركم نحو السموات والأرض والجبال.

ومعنى هذه الآية فيه لطفٌ وَغُمُوضٌ، لأن القائل يقول: كيف يقال لهم كونوا حجارةً أو حديداً وهم لا يستطيعونَ ذلك، فالجواب في ذلك أنهم كانوا يقِرُّون أن اللَّـه جلّ ثناؤه خالِقُهم، وينكرونَ أن اللّه يعيدهم خلقاً آخر، فقيل لهم استشعروا أنكم لو خُلِقْتُمْ من حجارة أو حديدٍ لأماتكم الله ثم أحْيَاكمْ، لأن القدرة التي بها انشأكم - وأنتم مقرونَ أنه أنشأكم بتلك القدرة - بها يعيدكم، ولو كنتم حجارة أوْ حديداً، أو كنتم الموت الذي هو أكبر الأشياء في صدوركم[1].

وقوله: ﴿فَسَيقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا، قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ﴾.

أي فسيحركون رؤوسهم تحريك من يبطل الشيء ويَسْتبطئه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾.

---

(١) الأمر بمعنى الترضوية أنكم كذلك.

يقال انْغَضْتُ رأسي إذا حركتُه أُنْغِضُه إنغاضاً، ونَغَضَتِ السِّنُّ تنغَضُ نَغْضاً، ونغض برأسه ينغَضُ نَغْضاً إذَا حرَّكه، قال العجاج.

أَسَكُ نَغْضاً لاَيَنِي مُسْتَهدِجاً[1]

وقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾.

أي يعيدكم يوم القيامة.

ومعنى تستجيبون بحمده. تستجيبون مقرين بأنه خَالِقكُمْ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وآتينا دَاوُدَ زَبُوراً﴾.

معنى ذكر داود ههنا أن اللَّهَ -جلّ ثناؤه- أعلم أنه قد فضَّل بعض النبيين على بعضٍ، أي فَلاَ يُنكِرُوا تفضيلَ محمد ﷺ وإعطاءه القرآنَ، فقد أعطى الله داود الزبور.

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونه فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً﴾.

أي ادعوا الذين زعمتم أنَّهم آلهتكم.

وجاء في التفسير أشياء في هذه الآية، منها أنه قيل: قال ادعوا العُزَيْر وعيسى لأن النصارى واليهودَ زعموا أن هؤلاء آلِهَتهم. فأعلمهم اللَّه -عزّوجلّ- أنهم لا يملكون كشف ضر عنهم ولا تحويلاً من وَاحِدٍ إلى آخرَ، وقيل إنه يُعْنَى به الملائكةُ لأنَّ منهمْ من كان يعبد الملائِكة. وقيل إن قوماً من

---

(١) يصف ظليماً - جاء في اللسان (نغض).

واستبدلت رسومه سفنجا أصك

وقال انه يروى أسك، والاسك الصغير الاذنين - والأصك مضطرب الركبتين والعراقيب. والنغض الذي يحرك رأسه - وهو وصف بالمصدر. ومستهدج، وهدج بمعنى عدا. وجاء الشطر في (هدج) أصك - بالصادر وفي (سفج - : جاءت، من أسها سفنجا - والسفنج السريع والطويل أي ولدته أسود.

العرب كانوا يعبدون نفراً من الجنّ، فأسلم أولئك النفر من الجن ولم يعلم بهم من كان يعبدهم، فقيل فادعوا هؤلاء فإنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾.

بالياء والتاء.

﴿أولئك﴾ رفع بالابتداء، و﴿الذين﴾ رفع صفة لهم، و ﴿يبْتغون﴾ خبرُ الابتداء، المعنى الجماعة الذين يدعون يبتغون إلى ربِّهم الوسيلةَ، والوسيلة والسؤال، والسُّؤْلُ والطِّلَبَةُ، في معنىً واحد.

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾.

إن شئت ﴿أيُّهم﴾ كان رفعاً بالابتداء، والخبر ﴿أقرب﴾، ويكون المعنى يطلبون إلى ربهم الوسيلة - ينظرون أيهم أقرب إليه فيتوسلون به، فإن قال قائل: فالذي أُنْكِرَ عَليهِمْ [هو] التوسُّلُ بغير عبادَةِ اللّهِ إلى اللّه، لأنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[1]، فالفرق[2] بين المتوسلين إلى اللّه بمحبَّةِ أنبيائه وملائكته وصالحي عبادِه أنهم يتوسلون بهم مُوَحِّدين اللّهَ عزّ وجلّ، لا يجعلون له شريكاً في العبادة، والكفار يتوَسَّلُونَ بعبادة غير اللّه، فجعلوا الكفرَ وسيلَتَهُمْ.

ويجوز أن يكون ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدلاً من الواو في يبتغون[3] فالمعنى يبتغي أيُّهم هو أقرَبُ الوسيلة إلى اللّهِ، أي يتقرب إليه بِالعَمَلِ الصالح.

﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.

أي الذين يزعمون أنهم آلِهة يرجون ويخافون.

---

(١) سورة الزمَر آية ٣.

(٢) جواب الشرط في «فإن قال قائل».

(٣) ليس مثل هذا البدل مطرداً، وخرج عليه ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ وهو ليس بجيّد.

قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.
أي ما من أهل قرية إلّا سيهلكون، إما بموت وَإِمَّا بِعَذَابٍ يَسْتَأْصِلُهُمْ.

﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾.
اي مكتوباً

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾.
«أن» الأولى نصبٌ، و«أن» الثانية رفع.

المعنى ما منعنا الإِرْسَالَ إلّا تكذيبُ الأَوَّلِينَ. والتأويل أَنَّهُمْ سألوا الآيَاتِ التي استوجب بها الأولونَ العذابَ، لمَّا كذبوا بها، فنزل عليهم العذابُ، والدليل على أنهم سألوا الآيات تلك الآيات قولهم: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾(١)، فأعلم اللّهُ - جلّ ثناؤه - أن مَوْعِدَ كُفَّار هذه الأمَّةِ الساعة، فقال: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهم والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾(٢). فأخَّرَهم إلى يوم القيامة رحمة منه وتفضلاً.

﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾.

ويقرأ مُبْصَرَةً، فمن قرأ مُبْصِرَةً، فالمعنى تبصرهم، أي تبين لهم، ومن قرأ مُبْصَرَةً فالمعنى مبيَّنةً، ﴿فَظَلَمُوا بها﴾، أي فظلموا بتكذيبها.

وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾.

جاء في التفسير: أحاط بهم أيْ كُلُّهُمْ فِي قبضته، وعن الحسَن أحاط بالناس أي حال بينهم وبين أَنْ يقتلوك أو يَغْلِبُوكَ كما قال - عز وجل - ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ من النَّاس﴾(٣).

---

(١) سورة القصص ٤٨.
(٢) سورة القمر الآية ٤٦.
(٣) سورة المائدة الآية ٦٧.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.

جاء في التفسير أنها رُؤيَا بيت المقدس حين أُسْرِيَ بـه، وذلك أنـه ارتدَّ بعضهم حين أعلمهم قصـة الإسراء بـه، وازداد المؤمنونَ المخلصـون إيمانـاً، وجاء في التفسير أنه ﷺ رأى في منامِه قَوماً يرقون المنابِـرِ فساءه ذلـك، فأعلم ﷺ أنه عطاء في الدنيا.

﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي الْقُرآنِ﴾.

قِيل في التفسير الملعون أَكلُها، وهِيَ شجرةُ الزَّقُّومِ التي ذكرها اللَّه في القرآن فقال: ﴿إنَّ شجرةَ الزَّقُّومِ، طعام الأثيم﴾[١] وقال: ﴿فإنهم لَآكِلُونَ مِنْها فَمَالِئُونَ مِنْها البُطُون﴾[٢]، وقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الجَحِيمِ﴾[٣] فافتتن بهـا المشركـونَ، فقال أبـو جهل: مـا نعرف الـزقـوم إلاَّ آكـل التمـر بـالـزبـد فتـزقمـوا[٤]، وقـال بعضُ المشـركين: النـار تـأكـل الشجـر فكيف ينبتُ فيهـا الشجر، فلذلك قال جل ثناؤه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَـا الَّتي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَـةً للنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ المَلعُونَةَ فِي القُرآنِ﴾.

فـإن قال قـائل: ليس في القـرآن ذكر لَعْنِهـا، فـالجـواب في ذلـك لُعِنَ الكُفَّـارُ وهم آكلوها، وجـواب آخر أيضـاً أن العرب تقـول لكـل طعـام مكـروه وَضَارٍّ: مَلْعُونٌ.

وقوله: ﴿إلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾.

---

(١) سورة الدخان ٤٣ - ٤٤.

(٢) سورة الصافات ٦٦.

(٣) سورة الصافات الآية ٦٤.

(٤) من معاني الزقوم أنه الزبد بالتمر، ونبات بالبادية لـه زَهْر ياسميني الشكـل، وشجرة بـأريحا، من الْغَوْرِ لها ثمر كالتَّمر حُلْو عَفِصٌ ولِنَواهُ دُهن عظيم المنافع لأمراض البـرد، والزَّقْمُ اللَّقْمُ.. وقـول أبي جهل: تَزَقَّمُوا أي كلوا الزقُّومَ.

المعنى لِمَنْ خلقته طِيناً، وطيناً منصوب على جهتين: إحداهما التمييز، المعنى لمن خلقته مِنْ طِينٍ، ويجوز أن يكون «طيناً» منصوب على الحال، المعنى أنَّك أنشأته في حال كونه من طين.

وقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾.

جاءت ﴿قال﴾ ههنا بغير حرف عطف لأنه على معنى قال اسجُدْ لمن خَلقْتُ طيناً[1].

وقوله: ﴿أرأيتك﴾ في معنى أخبرني؛ فالكاف لا موضع لها، لأنها ذكرت في الخطاب توكيداً، وموضع ﴿هذا﴾ نصبٌ بأَرَأَيْتَ، والجواب محذوف المعنى أخبرني عن هذا الذي كرمت عليَّ لم كرَّمْتَه عَلَيَّ وقد خَلَقْتَني من نارٍ وخَلَقْتَهُ من طينٍ، فحذف هذا لأن في الكلام دليلاً عليه.

ومعنى: ﴿لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قَلِيلاً﴾.

لأَستأصلنهم بالإغواء لهم، وقيل لأَسْتَوْلِيَنَّ عليهم. والذي تقول العرب: قد احتنكت السَّنَةُ أموالَنا إذا استأصلتها، قال الشاعِر:

نَشْكُو إليك سنة قد أجحفت جَهْداً على جَهْدٍ بنا وأَضْعَفَتْ
واحتنكت أموالَنا وجلَّفَتْ[2]

وقوله: ﴿جَزَاءً مَوْفُوراً﴾.

أي مُوَفَّر، يقال منه وَفَرْته أَفِرُهُ فَهُو مَوْفورٌ، قال زُهَيرٌ:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره، ومن لا يتقي الشتم يشتم[3]

---

(1) فصل «أرايتك». مما قبله، لان في الكلام حذفاً تقديره، قال أأسجد لمن خلقت طيناً، قال الله تعالى نعم اسجد لمن خَلَقْتُ طيناً، قال... الخ.

(2) الرجز في القرطبي ١٠/٢٨٧، ومجاز أبي عبيدة ١/٣٨٤، والطبري ١٥/٧٥ والجهد الإجهاد والمشقة، وجلفت أي ذهبت بالمال وأضرت به، ويقال للسنة الشديدة جالفة.

(3) من معلقته. انظر الزوزني ص ٨٨.

وقوله: ﴿واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بصَوْتِكَ﴾.

معناه استدعهم استدعاء تستخفهم به إلى إجابتك، وبِصَوْتِكَ تفسيره بدعائِكِ، وقيل بصوتك بأصوات الغناء والمزامير.

وقوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾.

أي أجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك، وقيل في التفسير: خَيْلُه ورَجْلُه كل خيل يسعى في معصية الله فهي من خيل إبليس، وكل مَاشٍ في معصية فهو من رجال إبليس[1]، ورَجْل جمع رَاجل، ويجوز ورِجَالِك فيكون جَمْع رَاجِل ورِجَال مثل صاحب وصحاب. وجائز أن يكون لإبليس خيل ورِجَالٌ.

وقوله: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ والأَوْلَادِ﴾.

أي مرهم أن يجعلوا من أموالهم شيئاً لغير الله كما قال الله سبحانه: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾[2]. وما قالوه في السائبة والبحيرة.

والشركة في الأولاد قولهم: عبد العزى، وعبد الحرث. وقيل شركته في الأولاد يعنى به أولادُ الزنا، وهو كثير في التفسير، وكل معصية في ولد أو مال فإبليس اللعين شريكهم فيها.

قوله: ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيطانُ إلاَّ غُرُوراً﴾.

فإن قال قائل فكيف يجوز أن يُؤْمَرَ إبليس أن يقال له شاركهم في الأموال والأولاد واجْلِبْ علَيْهم بخيلك ورجلك وعِدْهُمْ بأنهم لا يُبْعَثُون؟ فإذا فعل ذلك فهو مطيع، فالجواب في ذلك أَنَّ الأمر على ضربين، أحدهما متبع لا

---

(1) في الأصل من رجاله إبليس.

(2) سورة الأنعام ١٣٦.

غير، والثاني إذا تقدمه نهي عما يؤمر به فالمعنى في الأمر الوعيد، والتهديد[1] لأنك قد تقول: لا تدخلن هذه الدار، فإذا حاول أن يدخلها قلْتُ: أدخلها وأنْتَ رَجُلٌ، فَلَسْتَ تَأْمُرُه بدخولها ولكنك توعده وتُهدِّدُهُ وهذا في اللغة والاستعمال كثير موجودٌ، ومثله [في القرآن]: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[2]. وقد نُهوا أنْ يَتبعُوا أهْوَاءَهُم وأن يعملوا بالمعاصي.

وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾.

أي من أخلص فلا حجة لك عليه ولا سلطان.

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾.

أيَ كفى بالله وكيلا لأوليائه، يعصمهم من القبول من إبليس.

وقوله: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ﴾.

تفسير﴿يزجي﴾ يسَيِّر، وقد زَجَّيْتُ قدمت الشيء، وهذا الكلام ذكر معطوفاً على قوله: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ وقوله: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فالمعنى أنه يبعثكم الذي بدأ خلقكم، والابتداء والإنشاء أشد من الإعادة. ثم أعلمهم أن الذي قدر على تسخير الفلك في البحر-والفلك كالجبال - قادر على إعادَتِهِمْ، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ الجوَارِ المُنْشَآتُ فِي البَحْرِ كالأَعْلَامِ﴾[3] أي كالجبال.

﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً﴾.

الإنسان ههنا يعنى به الكفار خاصة.

وقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾.

الحاصب التراب الذي فيه الحصباء، والحصباء حَصًى صِغَارٌ.

---

(١) في الأصل التهدُّد.

(٢) سورة فصلت ٤٠.

(٣) سورة الرحمن ٢٤.

وقوله:﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾.

أي لا تجدوا مَنْ يَتْبَعُنَا بإنْكَارِ مَا نَزَلَ بكم، ولا من يَتْبَعُنَا بأن يصرفه عنكم[1].

وقوله:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

تأويله أن الله - جل ثناؤه - فضلهم بالتمييز، وبأن سخر لهم ما في السموات والأرض وبِحَمْلِهِم في البرّ والبحْرِ.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾.

قال: ﴿عَلَى كَثِيرٍ﴾ ولم يقلْ عَلَى كُلِّ مَنْ خلقنا، لأن الله - جل وعلا - فضل الملائكة، فقال:﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2]. ولكن ابن آدم مفضل على سائر الحيوان الذي لا يعقل ولا يميز. وجاء في التفسير أن فضيلة ابن آدم أنه يمشي قائماً وأنَّ الدوابَّ والإبلَ والحميرَ وما أشبهها تمشي مُنْكَبَّةً، وأن ابن آدم يتناول الطعام بيديه ويرفعه إلى فيه، وأن سائر الحيوان يتناول ذلك بفيه. وهذا الذي في التفسير هو بعض ما فُضِّلَ به ابن آدم. وفضله فيما أعطي من التمييز ورزق من الطيبات وبُصِّرَ من الهُدَى مع ما لا يحصى من النعم عليه كثير جدًا.

وقوله:﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

وتقرأ يوم يَدْعُو - بالياء - كلَّ أُناسٍ بإمامهم، يعنى به يوم القيامة، وهو منصوب على اذكر يوم يدعو كل أناس بِإِمَامِهِمْ، ويجوز أن يكون منصوباً بمعنى يعيدكم الذي فطركم يوم يدعو كل أُناسٍ بإمامهم، ومعنى بإمامهم

---

(1) تبيع بمعنى مطالب، يقال: فلان تَبِيعٌ على فلان أي مطالب بحقه أي لن تجدوا منتصراً لكم أو مطالباً بنصركم.

(2) سورة النساء الآية ١٧٢.

بدينهم الذي ائتموا به، وقيل بكتابهم، والمعنى واحدٌ. ويدل عليه ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه فَأُولَئِكَ يَقْرأُونَ كِتَابَهُمْ﴾.

أي من كان على حق أعطي كتابه بيمينه.

﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾.

المعنى ولا يظلمون مقدار فتيل، والفتيل القشرة التي في شق النواة.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِه أَعْمَى﴾.

أي في هذه الدنيا.

﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾.

وهـذا من عمى القلب، أي هو في الآخـرة أَشَدُّ عَمًى[1]. وتأويله أنه إذا عَمِيَ في الدنيا، وقد عَرَّفَهُ ـ جل وعلا ـ وجَعَلَ له إلى التوبة وُصْلَةً، وفَسَحَ لـه في ذلك إلَى وقت مماته، فعمي عن رشده ولم يَتُبْ ففي الآخـرة لا يجد متـاباً ولا مُتَخلَّصاً مما هو فيه، فهو في الآخرة أشد عمى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

أي وأضـل طريقـاً، لأنه لا يجـد طريقـاً إلى الهدايـة فقـد حصـل على عمله.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾.

معنى الكلام كادوا يفتنـونك، ودخلت «إن» والـلام للتوكيـد، وتأويله أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: لا نتركُكَ تستلمُ الحجر حَتَّى تُلِمَّ بآلهتنا، فقال ﷺ في نفســه، ومـا عَلَيَّ أَنْ أفعــل ذلـك والله يعلم مـا في نفسي، وأتمكن من استلام الحجر. هذا مما جاء في التفسير[2].

---

(١) لا يؤخذ هذا من الآية لأن اعمى ليست أفعل تفضيل وإنما هي صفة

(٢) وحاشا لرسول الله (ﷺ) أن يكون كذلك ألم يكن يعلم أنه قدوة للمسلمين؟ وهل يقبل نبي التوحيد أي لونٍ من الشرك!

وجاء في التفسير أيضاً أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: اطرد عنك سقاط الناس ومَوَالِيَهُمْ وهؤلاء الذين رائحتُهُم رَائِحَةُ الضَّأْنِ، وذلك أنهم كانوا يلبسون الصوف، فَقالوا: اطرد هؤلاء إن كنت أُرْسِلْتَ إلينا حتى تجلس إلينا ونسمع منك فَهَمَّ النبي أن يفعل في ذلك ما يستدعي به إسْلاَمهم، فتوَعَّدَهُ اللَّه ـ عز وجل ـ فيه أشد الوعيد وَعَصَمَهُ اللَّه من أن يُمْضِيَ ما عَزَمَ عليه، فقال:

﴿وإذَنْ لاتَّخَذُوكَ خَليلاً﴾.

أي إن فعلت ما أرادُوا لاتخذوك خليلاً.

﴿وَلَوْلاَ أنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَليلاً﴾.

وحُكِيت ﴿تركُن﴾ بضم الكاف. يقال رَكَن يركَن، وركَن يركُنُ، فتوعده اللَّه في ذلك أشد التوعد، فقال:

﴿إذَنْ لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ المَمَاتِ﴾.

والمعنى لو رَكَنْتَ إليهم في ذلك الشّيء القليلَ(١) إذن لأذقناكَ ضِعْفَ الحياة وضِعْفَ المَماتِ، أي ضِعْفَ عذاب الحياة وضعفَ عَذابِ المماتِ لأنك أنت نبي ويُضاعَفُ لك العذاب على عذاب غيرِكِ لو جنى هذه الجناية كما قال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبيّ مَنْ يَأتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾(٢) لأن درجة النَّبيِ وَدَرَجَةَ آله الذين وَصَفَهُم اللَّهُ فَوقَ دَرَجَةِ غيرهم.

وقوله: ﴿وَإِن كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾.

كانوا قد كادوا أن يخرجوا النبي ﷺ من مكة فأعلمهم اللَّه أنهم لو فعلوا ذلك لم يَلْبَثُوا بَعدَه إلاّ قَليلاً، وقيل ﴿لَيَسْتفِزُّونَكَ﴾، أي لَيقْتُلونَكَ.

---

(١) أي لو ركنت إليهم ركوناً قليلاً.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٠.

وقوله: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾.

﴿سُنَّةَ﴾ منصوب بمعنى أنا سَنَنَّا هذه السنَّة فيمن أرسلنا قبلك من رُسُلِنَا، أنهم إذا أَخْرَجُوا نبيهم من بين أظهرهم أو قتَلُوهُ لم يلبثهم العذاب أن ينزل بهم، وكان خروج النبي ﷺ من مكة مهاجراً بأمر اللَّه.

وقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾.

دلوك الشمس زَوالها ومَيْلها في وقت الظَهِيرةَ، وكذلك ميلها إلى الغروب هو دُلُوكُهَا أيضاً، يقال: قد دلكت بَراحِ وبِرَاحِ[1].

أي قد مالت للزوال حتى صار الناظر يحتاج إذا تبصرها أن يكسر الشُّعَاعَ عن بصره براحته، قال الشاعر[2]:

هـذا مـقـام قـدمـي رَبَـاح   لـلشـمس حتـى دلـكـت براح

وقوله: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾.

أي ظُلْمَةِ الليلِ.

﴿وَقُرْآنَ الفَجْرِ﴾.

أي فأقم قرآن الفجر، وفي هذا الموضع فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لا تكون إلّا بقراءةٍ، لأن قوله أَقِمِ الصلاة وأَقِمْ قرآن الفجر قد أمر أن

---

(١) بفتح الباء وبكسرها.

(٢) من رجز قطرب، وقد ورد في اللسان (برح، ربح) وروايته ـ حتى دلكت براح. والشطر الأول فقط في (دلك). ورَباح اسم ساقية، بني على الكسر مثل حزام ـ ودلكت براح تعبير عربي ـ أي مالت الشمس حتى أن الشخص ليضع راحتهُ على جبهته ليقي عينيه وهج الشمس. فهيَ جمع راحة ـ أي زالت بوضع الراح على الجباه وجاء في معاني الفراء ٢/١٢٩ ـ ذبب أيضاً، وشرحه بأن رباح اسم الساقي وذبب أي طرد الناس. وروي البيت أيضاً ـ حتى دلكت بَرَاح ـ بفتح الباء، وهو اسم الشمس ـ أي حتى دلكت الشمس، ودلوكها زوالها إما ظهراً أو عند الغروب ـ واختار الأزهري في الآية أن الدلوك بمعنى الزوال لجميع أوقات الصلوات الأربع ـ عدا الصبح، والصبح يبينه ـ وقرآن الفجر.

نقيمَ الصلاة بالقراءة حتى سميت الصلاة قرآناً، فلا تكون صلاةٌ إلّا بقراءة.

وقوله: ﴿إِنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾.

جاء في التفسير أن ملائكة الليل يحضرون قراءة الفجر، وملائكة النهار يحضرونها أيضاً.

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهجَّدْ بِه نَافِلَةً لَكَ﴾.

يقال تهجد الرجل إذا سَهِرَ، وهجَدَ إذا نام، وقد هجَّدْتُه إذا نوَّمتُه قال لبيد:

قلت هجِّدْنا فقد طال السُّرى وقَدَرْنا إنْ خَنَا الدَّهرِ غَفَل[1]

وهذه نافلة لك زيادة للنبي ﷺ خاصَّةً ليست لأحدٍ غيره لأن اللّه ـ جل وعز ـ أمره بأن يزْدَاد في عبادته على مَا أُمِرَ به الخلقُ أجْمعونَ، لأنه فضله عليهم، ثم وعده أن يبعثه مقاماً محموداً.

والذي صحت به الرواية والأخبار في المقام المحمود أنه الشفاعة.

وقوله: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾.

ومَدْخَلَ صِدْقٍ، ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾.

وجاء في التفسير أدخلني مَدخل صِدْقٍ الجنَّة، وأخرجني مَخْرجَ صدقٍ، أي وأخرجني من مكة إلى المدينة. وجاء أيضاً مُدْخَلَ ومخرج صدق دخوله

(١) الديوان ٢/١٢، واللسان (هجد ـ خنى) وأمالي المرتضى ٣/١٠ يصف صديقاً له غلبه النعاس في السَّفر، لأنه مترف لم يتعود المشقة والابتذال. وخَنَا الدهر شدائده ومشقاته، وقبله:

ومُجُودٍ من صبابات الكرى عاطف النُمْرُق صَدْقِ المبتذل

والمجود هو الذي غلبه النعاس، والنعاس يسمى الجَوْد، والنّمرق والنمرقة ما يجلس عليه الراكب فوق الرحل، ورجل صَدْق ضد رجل سَوْءٍ. والتبذل ترك الصون ـ والرجل المتبذل الذي يلي العمل بنفسه أي إن صاحبه كان يجهد نفسه في مقاومة النوم، وهو يقول له هجدنا ونم فقد طال سُرانا.

المدينة وخروجه من مكّة. وجاء مُدْخَلَ صدق ومخرج صدق الإدخال في الدين والخروج من الدنيا وهو على الحقّ، وجاء أيضاً ـ وهو حسن ـ دخوله في الرسالة وخروجه مما يجب عليه فيها ﷺ وكل ذلك حسن. فمن قال مُدْخَلَ ـ بضم الميم ـ فهو مصدر أدخلته مُدْخَلاً، ومن قال مَدخَل صدق فهو على أدْخَلْتهُ فدَخَل مَدْخَل صدق، وكذلك شرح مخرج مثله.

وقوله: ﴿واجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾.

أي اجعل نصرتي من عندك بتسليطي بالقدرة والحجة، وقد أجاب اللّه ـ عز وجل ـ دعاءه وأعلمه أنه يعصمه من الناس، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1] وقال: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾[2]. وقال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾[3].

وقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾.

معناه على طريقته وعلى مذهبه، ويدل عليه: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾.

أي أهدى طريقاً. ويقال هذا طريق ذو شَوَاكل، أي يَتَشَعَّبُ منه طرق جماعةً[4].

وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

سألت اليهود النبي ﷺ عن الروح وهم مقدرون أن يجيبهم بغير ما عَلِمَ مِن تفسيرها، فأعلمهم أن الروح من أمر اللّه، ثم قال:

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٥٦.

(٣) سورة التوبة الآية ٣٣. وسورة الصف الآية ٩.

(٤) طرق كثيرة.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾.

فقالوا للنبي ﷺ: قد أوتينا التوراة، وفيها الحكمة، وقَدْ تَلَوْتَ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كثيراً﴾[1]. فأعلمهم الله ـ عزَّ وجل ـ أَنَّ عِلْمَ التَّوراةِ قليلٌ في علم الله، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[2] أي ما نفدت الحكمةُ التي يأتي بها الله عز وجل، فالتوراة قليلة بالإضَافَةِ إِلَى كلمات الله.

وقليل وكثير لاَ يصح[3] إلَّا بالإضَافَة، فإنما يقل الشيء عندما يعلمُ أكثر منه، وكذلك يكثر عند مَعلومٍ هُوَ أَقَلُّ منه.

وقد اختلف الناس في تفسير الروح فقيل إن الرّوح جبريل ومن تأول ذلك فدليله قوله: ﴿نَزَلَ به الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ وقيل إن الروح خلق كخلق بني آدم ـ في السماء. وقال بعض المفسرين:[4] ان الروح إنما يعنَى به القُرآنُ، قال: ودليل ذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾[5] وكذلك قيل: الروح من أمر ربي. ، وتأويله تسمية القرآن بالروح أن القرآن حياة القلوب وحياة النفس فيما تَصِير إليه من الخير عند الله عز وجل.

وقوله: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.

أي لو شئنا لمحوناه من القلوب ومن الكتب، حتى لا يُوجَدَ له أثر.

﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً﴾.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٩.

(٢) سورة لقمان الآية ٢٧.

(٣) القلة والكثرة أُمورٌ إضافية، فالشيء الكثير قد يكون قليلاً بالنسبة لشيء آخر أكثر.

(٤) في الأصل وقال بعض تفسَّر بمعنى ادعى التفسير.

(٥) سورة الشورى الآية ٥٢.

أي لا تجد من يتوكل في رد شيء منه.

وقوله: ﴿إلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.

استثنــاء ليس من الأول، والمعنى ولكن الله رحمـك فـأثبت ذلـك في قلبك وقلوب المؤمنين. ثم احتج الله عليهم بعد احتجاجـه بقوله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ بالقرآن فأعنمهم ـ وهم العـرب العاربـةُ أهل البيـان، ولهم تأليف الكلام ـ فقال لهم:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِه وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لبَعْضٍ ظَهِيراً﴾.

والظهير المعينُ.

وقوله: ﴿وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾.

هذا قولهم بعد أن انقطعت حجتهم ولم يأتوا بسورة من القرآن ولا دفعوا أن يكون معجزةً، فـاقترحـوا من الأيات مـا ليس لهم، لأن الذي أتـاهم به من القرآن وانشقاق القمر وما دلهم به على توحيـد الله أبلغ وأعجز في القـدرة مما اقترحوا، فقالوا: ﴿حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾.

واليَنْبُوعُ تقديره تقدير يَفْعُول، من نبع الشيء.

وقـوله: ﴿أو تكـون لك جنـةٌ من نَخِيلٍ وعِنبٍ [فَتُفَجِّـرَ الأَنْهَارَ خِـلاَلَهَـا تَفْجِيراً]، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً﴾.

وَكِسْفاً، فمن قرأ كِسَفاً جعلها جمع كِسْفَة، وهي القِطْعَةُ، ومن قرأ كِسْفاً فكأنه قال أو تَسقِطُهَا طبَقاً عَلَيْنَا، واشتقاقه من كسفتُ الشيء إذا غطيته.

وقوله: ﴿أَوْ تَأْتِيَ باللّهِ والمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً﴾.

في «قَبِيلٍ» قولان، جائز أن يكـون. تأمُرُ بهم حتى نـراهم مقابلة. وأن يكون قبيلاً كفيلاً، يقال قَبُلْتُ بِهِ أَقْبُل قَبالَة، كقـولك: كفلت بـه أكفُل كَفـالَةً،

وكذلك قول الناس: قد تقبل فلان بهذا أي تكفل به.

وقوله:﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾.

جاء في التفسير أن معناه بيت من ذهب، وأصل الزخرف في اللغة والزخرفة الزِّينَةُ، والدليل على ذلك قوله عز وجل:﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾(١)أي أخذت كمال زينتها. وزخرفت الشَّيءَ إذا أكْمَلْتُ زينته، ولا شيء في تزيين بيتٍ وتحسينه، وزخرفته كالذهب. فليس يخرج ما فسروه عنِ الحقّ في هذا.

وقوله:﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾.

يقال في الصعود: رقيت أرقى رقياً، ويقال فيما تداويه بالعوذة: رقيتُ أرقى رُقيَةً ورَقياً.

وقوله: ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَينا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ﴾.

أي حتى تنزل علينا كتاباً يشهد بِنُبُوَّتِكَ.

فأعلم اللّه ـ جل ثناؤه ـ أن ذلك لو نزل عليهم لم يؤمنوا فقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(٢).

فإذا كانوا يدعون فيما يعجز عنه أنه سحر فكيف يوصل إلى تَبْصِيرِهِمْ والتبيين لهم بأكثر مما أتى به النبي ﷺ من الآية الباقية، وهي القرآن، ومن الأنباء ما يدبرونه بينهم وبما يخبرهم به من أخبار الأمم السالفة، وهو لم يقرأ كتاباً ولا خطه بيمينه، وقد أنبأ ﷺ ودل على نبوته كل ما يخطر بالبال.

وقوله:﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾.

---

(١) سورة يونس الآية ٢٤.

(٢) سورة الأنعام الآية ٧.

موضع أن نصب.

وقوله: ﴿إلاَّ أنْ قَالُوا﴾.

موضع ﴿أنْ قَالُوا﴾ رفع، المعنى ما منعهم من الايمان إلا قولهم: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾.

فأعلم اللَّه أن الأعدل عليهم، والأبلغ في الأداء إليهم بشر مثلهم وأعلمهم أن ﴿لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ أي يمشون مستوطنين الأرض ﴿لنزلنا عليهم مِنَ السماءِ مَلَكاً رسولاً﴾، لأنه لا يُرْسَلُ إلى خلق إلاَّ ما كان مِن جِنْسِهِ.

وقوله: ﴿قُلْ كَفَى باللَّهِ شَهِيداً بيني وَبَيْنَكُمْ﴾.

قالوا للنبي ﷺ من يشهد لك بأنك رسول اللَّه، فقال: اللَّه يشهد لي و﴿كفى باللَّه شهيداً﴾ في موضع رفع، المعنى كفى اللَّه شهيداً، وشهيداً منصوب على نوعين، إن شئت على التمييز، كفى اللَّه من الشهداء، وإن شئت على الحال، المعنى كفى اللَّه في حال الشهادة.

وقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾.

أي كلما خَمَدَتْ، ونضجت جلودهم ولحومهم بدلهم اللَّه غيرها ليذوقوا العذاب.

وقوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾.

هذا جواب لقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُر لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبوعاً﴾ فأعلمهم اللَّه - جل وعلا - أنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شُحًّا وبُخْلاً، فقال:

﴿إذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإنْفَاقِ، وَكَانَ الإنْسَانُ قَتُوراً﴾.

يعنَى بالإنسان ههنا الكافِر خاصة كما قال - عز وجل: - ﴿إنَّ الإنْسَانَ لِرَبِّهِ

لَكَنُودٌ ﴾[1] ، أي لكفور، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ - أي من أجل حب الخير وهو المال لبخيل.

فأما ﴿أنتم﴾ فمرفوع بفعل مضمر، المعنى قل لو تملكون أنتم - لأنّ لو يقع بها الشيء لوقوع غيره، فلا يليها إلا الفعل، وإذا وليها الاسم عمل فيها الفعل المضمر، ومثل ذلك من الشعر قول المتلمس:[2].

ولـو غيـرُ أخـوالي أَرَادُوا نَقِيصَتِي جَعَلْتُ لهم فـوق العَرانِين مِيسَماً

المعنى لو أراد غير أخوالي.

والقَتُور: البخيل.

وقوله: ﴿ولقد آتينا موسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّنَاتٍ﴾.

قيل في التفسير إنها أخذ آل فرعون بالسنين وهي الجدب حتى ذهبت ثمارهم، وذهبَتْ من أهل البوادي مواشيهم. ومنها إخراج موسى يده بيضاء للناظرين، ومنها إلقاؤه عصاه فإذا هي ثعبان مبين، وأنها تلقفت إفك السَّحرَةِ، ومنها إرسالِ اللّه عليهم الطوفان - نعوذ باللّه منه، والجرادَ والقُمَّلَ والضفادعُ والدَّمَ، فذلك[3] تسع آيات. وقد قيل إن البحر[4] منها. ومن آياته انفجار الحجر ولكنه لم يُرْوَ في التفسير[5].

---

(1) سورة والعاديات الآية ٦.

(2) المتلمس هو جرير بن عبد المسيح، وأخواله بنو يشكر، كان نديماً لعمرو بن هند مع ابن أخته طرفة، وقصة صحيفته مشهورة، وكان قد نشأ في أخواله بني يشكر فسأل عمرو بن هند خاله الحرث فتردد في نسبه فقال عمرو ما آراه إلا كالساقط بين الفراشين، فلما بلغ ذلك المتلمس قال هذه القصيدة يعاتب خاله، وهي الأصمعية ٩٢، وانظر الخزانة ٧٣/٣، وحواشي أمالي المرتضى ص ٤، ٥، حـ ١، واللسان (وسم) والكامل ١٦٤/١.

والعرانين جمع عرنين وهي الأنوف - والميسم الحديدة التي يكوى بها، وعلامة الكي، وهو المراد هنا.

(3) أي فهذا الذي ذكر، والأولى أن تكون فتلك.

(4) أي جعله طريقاً يبساً ليمر عليه.

(5) لم يرو من الآيات التسع لأنه لم يكن من الآيات التي واجه بها فرعون، وإنما هو من آياته لبني إسرائيل في التيه.

وقوله: ﴿إنّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾.

لم يَجِدْ فرعَونُ ما يدفع به الآيات إلاَّ إقراره على نفسه بأنه ظانٌ أن موسى مسحور، فأعلمه اللَّه أن فرعون قد بيَّنَ أنها آيات فقال:

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾.

يعنى الآيات.

﴿إلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ بَصَائِرَ﴾.

وقرأ بعضهم لقد علمتُ - بضم التاء - والأجود في القراءة لقد علمتَ - بفتح التاء - لأن علم فرعونَ بأنها آيات من عند اللَّه أوكد في الحجة عليه، ودليل ذلك قوله عز وجل في فرعونَ وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا واستَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُم ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾(١).

وقوله: ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونَ مَثْبُوراً﴾.

أي لأظنك مُهْلَكاً، يقال: ثُبِرَ الرجل فهو مثبور إذَا هَلَكَ.

وقوله: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾.

أي فأراد فرعون أن يستفز موسى وقومَهُ مِنَ الأَرْضِ فجائز أن يكون استفزارهم إخرَاجهم منها بالقتل أو بالتنحية.

﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾.

وقوله: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾.

أي آتينا بكم من كل قبيلة، واللفيف الجماعاتُ مِن قبائل شَتَّى.

وقوله: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ﴾.

وتقرأ فرَّقناهُ - بالتشديد، وقرآناً مَنصوبٌ بفعل مُضمَر، المعنى: وما

---

(١) سورة النمل الآية ١٤.

أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ مُبَشِّراً ونَذِيراً، تبشـر المؤمنين بالجنـة وتنذر من عصى اللّه بـالنار، وقرآناً فرقناهُ[1].

أنزل اللّه عز وجل القرآن جملة واحـدة إلى سماء الدنيا، ثم أُنْـزلَ على النبي ﷺ في عشرين سنة، فرَّقه اللّه في التنزيل ليفهمّهُ الناسُ، فقال:

﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾.

ومَكْثٍ جميعاً، والقراءة بضمّ الميم.

وقوله: ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً﴾.

لأن الذي يخر وهو قائم يخر لوجهه، والذَّقَنُ مجتمع اللَّحْيَيْنِ وهو عضـو من أعضاء الوجه، وكما يبتـدىء المبتدىء يخـرُّ فأقـرب الأشياء من وجهـه إلى الأرض الذَّقنُ، وسُجَّداً، منصُوبٌ على الحال.

وقوله: ﴿إنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾.

معناه ما كان وعد ربنا إلا مفعولاً.

وإن واللام دخلتا للتوكيد.

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً ما تَدْعُوا﴾.

لما سمعت العرب ذكر الرحمن قالت: أتدعـونا إلى اثنين إلى اللّه وإلى الرحمن. واسم الرحمن في الكتب الأُوَلِ المنزلة على الأنبيـاء. فأعلمهم اللّه أن دعاءهم الرحمن ودعاءهم اللّه يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ فقال: ﴿أيّاً ما تَدْعُوا﴾ المعنى أي أسماء اللّه تدعوا ﴿فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾.

﴿وَلاَ تَجْهَـرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾.

المخـافتـة الإخفـاء، والجهـر رفـع الصـوت، وكـان النبي ﷺ إذا جهـر

---

(١) اسم منصوب على الاشتغال، أي وفرقنا قرآناً فرقناه.

بـالقرآن سب المشـركون القـرآن، فأمـره اللّه ـ جل وعـز ـ ألا يعـرض القـرآن لسبهم، وألا يخافت بها مخـافتةً لا يسمعهـا من يصلي خلفه من أصحابه.

﴿وابْتغ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾.

أي اسلك طريقاً بين الجهر والمخافتة.

وقـوله: ﴿وقُل الحَمْد لِلّه الَّـذِي لَمْ يتَّخِذْ وَلَـداً وَلَمْ يَكُنْ لَـهُ شَـرِيـكٌ فِي المُلْكِ﴾.

يعاونه على ما اراد.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾.

أي لم يحتج إلى أن ينتصر بغيره.

﴿وَكَبِّرْهُ تكبيراً﴾.

أي عظمه عظَمَةً تامَّةً.

سُورَةُ الكَهْفِ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الحمدُ لِلّه الَّذِي أَنْـزَلَ عَلَى عَبْدِه الكِتَـابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَـهُ عِوَجـاً قَيِّماً﴾.

قال أهل التفسير وأهل اللغة إن معناه الحمـد للّه الذي أنـزل على عبده الكتاب قيّماً ولم يجعل له عِوَجـاً. ومعنى قيّم مستقيم، والعِـوَجُ ـ بكسر العين ـ فيمـا لا يرى لـه شخص، وما كـان له شخص قيـل[1] فيه عَـوَج بفتح العين، تقول: في دينِه عِوَجٌ، وفي العَصَا عَوَجٌ ـ بفتح العين ـ.

وتأويله الشكر للّه الذي أنزل على محمد الكتابَ مستقيماً ولم يجعل لـه عِوَجاً، أي لـم يجعل فيه اختلافاً كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْكَانَ مِنْ عِنْـد غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فيه اخْتلَافاً كَثيراً﴾[2].

وقوله: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ﴾.

أي لينذرهم بالعذاب البائس[3].

﴿مِنْ لَدُنْه﴾ مِنْ قِبَلِهِ.

﴿وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الذي يعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم أَجْراً حَسَناً﴾.

---

(١) في الأصل قلب.

(٢) سورة النساء الآية ٨٢.

(٣) الشديد ذي البأس.

المعنى بأن لهم أجراً حسناً.

وقوله: ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾.

﴿مَاكثين﴾ منصوب على الحال في معنى خالدين.

وقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾.

وتقرأ كلمة بالرفع والنصب، فمن نصب فالمعنى كبرت مقالتهم ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ كلمةً، فكلمةً منصوبٌ على التمييز. ومن قرأ كلمة بالرفع فالمعنى عظمت كلمةٌ هي قولهم: ﴿اتخذ اللّٰه ولداً﴾ ويجوز في كبرت كبْرَتْ كلمة ـ بتسكين الباء، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وقوله: ﴿فلعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الحَدِيثِ أَسَفاً﴾.

تأويله فلعلك مهلك نفسك، وقال بعضهم قاتل نفسك، والمعنى واحدٌ، قال الشاعر:[1]

ألا أيهذا الباخعُ الوجدُ نفسَه لشيء نحته عَنْ يَدَيْه المقادر

المعنى ألا أيهذا الذي أهلك الوجد نفسه.

ومعنى ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾، أيْ مِن بَعدِهم.

﴿إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الحَدِيثِ أَسَفاً﴾.

يعنى بالحديث القرآن، و﴿أسفاً﴾ منصوب لأنه مصدر في موضع الحال[2]،

---

(٢) هو ذو الرمة. أي الحزين الأسف لشيء لا أمل له في إدراكه. والبيت في اللسان (بخع) والطبري ١٥/١٢٠ والقرطبي ١٠/٣٤٨، ومجاز أبي عبيدة ١٥/٣٩٣ ـ ونحته مخفف من نحّته بمعنى بعدته.

(٢) واضح أنه تمييز، أي يبخع نفسه من الأسف.

والأَسَفُ المبالغة في الحزن أو الغَضَبِ. يُقَالُ قد أسِفَ الرَّجُلُ فهو أسيفٌ وآسِفٌ، قال الشاعر: [1]

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضُم إلى كشْحَيْه كفًّا مُخَضَّباً

وقوله: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

أي لنختبرهم، وأَيُّهُمْ مرفُوعٌ بالابتداء، إلا أن لفظه لفظ الاستفهام المعنى لِيخْبُرَ أهذا أحسن عملا أم هذا، فالمعنى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾، أي اختباراً ومحنة، فالحَسَنُ العَمَلِ من زهِدَ فيما زُيِّنَ له من الدنيا، ثم أعلمهم أنه مبيدٌ ومُفنٍ ذلكَ كُلَّه مقال:

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾.

والصَّعِيد الطريقُ الذي لا نبَاتَ فيه، والجرُزُ الأرض التي لا تنبتُ شيئاً كأنها تأكل النَّبْتَ أكْلاً، يقال أرْض جُرُزٌ، وَأَرَضُون أَجْرَازٌ.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانوا من آيَاتِنَا عَجَباً﴾.

والرَّقِيمُ قيل إنه اسم الجبل الذي كان فيه الكهف، والكهف كالفَجِّ وكالغَارِ في الجبل، وقيل ان الرَّقيم اسم القرية التي كانوا فيها، وقيل إنَّ الرقيم لَوْحٌ كان فيه كتابٌ[2] في المكان الذي كانوا فيه ـ واللَّه أعلم.

وقيل كان المشركون سألوا النبي ﷺ عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، وذلك أنهم أعياهم أمر النبي ﷺ بمكة فصارتْ جماعة منهم إلى يثرب فَأَعْلَمَتْ جماعةً من رؤساء اليهود بقصة رسول اللَّه ﷺ فقالت اليهود إنَّ اسمه عندنا مكتوب وأن يبعث على فترة مِنَ الرُّسُلِ فاسألوه عن هذه الأشياء فإن أجاب عنها فهو نبي، فصارت الجماعة من المشركين إلى مكة وجمعوا

(١) في اللسان (خضب) منسوباً للأعشى، وفي معاني الفراء ١٢٧/١، قال رجل، ورجل أسيف أي حزين، وكشحا الرجل جَانِبَاه، و «كفا مخضبا» يريد كأن يَدَهُ مَقْطُوعَةٌ.

(٢) كتابة.

جمعاً كثيراً، وسألوا النبي ﷺ عن هذه الأشياء. فأعلمهم أنه لا يعلمها، وأنه إن نزل عليه وحي بها أعلمهم. فروى بعضهم أنه قال: سأخبركم بها ولم يقل إن شاء اللّه فأبطأ عنه الوحي أياماً ونزلت: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إنّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إلَّا أنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. (١)

فأخبرهم النبي ﷺ بما أوحى اللّه إليه وأنزله اللّه في كتابه مما دل على حقيقة نبوته. ثم أعلم اللّه عز وجل أنَّ قصَّةَ أصحاب الكهف ليست بعجيبة من آيات اللّه، لأنا نشاهد من خلق السموات والأرض وما بينهما مما يدل على توحيد اللّه ما هو أعجب من قصة أصحاب الكهف فقال جل وعز:

﴿أمْ حَسِبْتَ أنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾.

[أي] حتى نُبَيّنَ قِصَّتَهُمْ

وقوله: ﴿إذْ أوَى الفِتْيَةُ إلَى الكَهْفِ﴾.

ومعنى أوَوْا إليه صاروا إليه وجعلوه مأواهم، والفتية جمع فتًى مثل غلام وغِلْمَة، وصَبِيّ وَصِبْيَة، وَفِعْلَةٌ من أسْمَاءِ الجمع، وليس ببناء يقاس عليه، لا يجوز غُراب وغِرْبة، ولا غَنى وغنية.

وقوله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾.

أي أعْطِنَا من عندِكَ رَحْمَةً، أي مَغْفِرةً ورزقاً.

﴿وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أمْرِنَا رَشَداً﴾.

يجوز في ﴿رَشَداً﴾ رُشْداً إلَّا أنه لا يُقْرأ بها ههنا لأن فواصل الآيات على فَعَلٍ نحو أمَدٍ وعدَدٍ(١)، فَرَشَدٌ أحْسَنُ في هذا المكان أي أرشدنا إلى ما يقرب منك ويزلف عندك.

---

(١) فواصل الآيات في هذه السورة على فَعَلٍ. نحو أيهم أحسن عملاً، صعيداً جرزاً، كانوا من آياتنا عجباً. فيحسن اطراد الفاصلة.

وقوله﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾.

معنى ﴿ضربنا على آذانهم﴾ منعْنـاهم أن يسمعـوا، لأن النـائم إذا سمـع انتبـه. فالمعنى أنمنـاهم، ومنعنـاهم والسمع. و﴿عدداً﴾ منصوب على ضربين أحـدهما على المصـدر، المعنى نَعُدُّ عـدَداً، ويجـوز أن يكـون نعتـاً للسنين، المعنى سنين ذات عَدَدٍ، والفائدةُ في قولك عدد في الأشيـاء المعدودات أنـك تريد توكيد كثرة الشَّيءِ لأنه إذا قلَّ فُهِمَ مِقْدَارُهُ ومقـدار عدده، فلم يحتـج إلى أن يُعَدَّ، فإذا كثُرَ احتاج إلى أن يعدَّ، فالعدد في قَوْلِكَ أقمت أيامـاً عدَداً أنـك تُرِيدُ بها الكثرة. وجائز أن تؤكد بعدَدٍ معنى الجمـاعة في أنهـا قد خـرجت من معنى الواحد.

فمعنى قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَـاهُمْ﴾.

أي بعثناهم من نومهم، ويقال لكل من خـرج من الموت إلى الحيـاة أو من النوم إلى الانتباه مبعوث. وتأويل مبعوث أنه قد زال عنه ما كان يحبسه عن التصرف والانْبعاث.

وقوله:﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾.

الأمد الغَايَةُ، و﴿أَمَـداً﴾منصوب على نوعين، وهـو على التمييز مَنْصُـوبٌ وإن شئت كان منصوباً على أحصى أَمَداً فيكون العامل فيه أحصى، كـأنه قيـل لنعلَمَ أهؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء، ويكونُ منصُوباً بلبثوا[1]، ويكون أحصى متعلقاً بِـ (لما) فيكون المعنى أي الحزبين أحصى للُبثهم في الأمـد.

وقوله:﴿لَقَدْ قُلْنَا إذاً شَطَطاً﴾.

أي قد قلنا إذَنْ جوراً.و﴿شَطَطاً﴾ منصوب على المصدر، المعنى لقد قلنا

---

(١) هذا هو الوجه الثاني فيكون ظرفاً.

إذَن قول شطط. يقال شط الرَّجُل وأشَطَّ إذا جار، قال الشاعر:(١)

ألاَ يَا لَقَوْمي قد أشطت عواذِلي ... ويَزْعمن أني أقْصَر اليوم باطلي

وقوله: ﴿لَوْلاَ يأتون عَلَيْهِمْ بسُلْطانٍ بَيِّنٍ﴾.

أنكر الفتية عبادة قومهم، وأن يعبدوا مع اللّه غيره، فقالوا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون. ولولا في معنى هلاَّ، المعنى هلا يأتون عليهم بحجة بَيِّنَةٍ، ومعنى عليهم أي على عبادة الآلهة.

وقوله: ﴿وَإذْ اعْتَزَلْتُمُوهُم وَمَا يَعْبُدونَ إلاَّ اللَّهَ﴾.

موضع ما نصب، المعنى إذا اعتزلتموهم واعتزلتم ما يعبدون إلا اللّه فإنكم لن تتركوا عبادته.

﴿فأْوُوا إلَى الكَهْفِ﴾.

أي اجعلوا الكهف مَأْوَاكُمْ

﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾.

أي يَنْشُرْ لكم مِنْ رِزْق

﴿وَيُهَيِّءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقا﴾.

يقال هو مِرْفَق اليد بكسر الميم وفتح الفاء، وكذلك مِرْفَقُ الأمْر مثل مِرْفق اليَدِ سواء. قال الأصْمَعي: لا أعرف غير هَذا. وقَرَأتِ القُرّاء مَرْفِقاً ـ

(١) البيت للأحوص. وهو ابن عبد اللّه بن عاصم بن ثابت، حمى الدبر. شاعر مقدم لولا أن خطت منه أفعاله الدنيئة، له أخبار شائنة، يجيد الغزل والفخر والمديح، ولشعره رونق، شبب بالأشراف من نساء المدينة، ونفاه سليمان بن عبد الملك إلى دهلك ـ جزيرة بالبحر الأحمر تقابل مصوع ـ وشفع له قوم لدى عمر بن عبد العزيز في خلافته فلم يشفعهم وبقي هناك حتى أعاده يزيد بن عبد الملك. انظر الخزانة ٢٣٢/١. واللسان (شطط، وشواهد المغني ٦٣٤/٢، والطبري ٢٠٧/١٧، ـ أشط بمعنى أبعد يريد بالغن في لومي.

بفتح الميم وكسر الفاء. وذكر قطرب وغيرُه من أهل اللغة اللغَتَيْن جَميعاً في مَرْفَقِ الأمر ومِرْفَق اليَدِ. وقالوا جميعاً المِرْفَق لليد بكسر الميم. هو أكثَرُ في اللغة وأجود.

وقوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾.

في ﴿تَزَاوَرُ﴾ ثلاثة أوجه: تَزَاوَرُ، وتَزْوَرُّ - بغير ألف، على مثال تَحْمَرُّ، وتَزْوَارُّ على مثال تحمارُّ، ووجه رابع تزَّاور. والأصل فيه تتزاورُ فأدغمت التاء في الزاي.

﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾.

﴿تَقْرِضُهم﴾ بكسر الراء، وتَقْرُضهم - بضم الراء -. والكسر القراءة عليه، وتأويله تعدل عنهم وتتركهم، قال ذو الرُّمَّةَ:

لها ظُعُن يَقْرِضْنَ أَقْوازَ مُشْرِفٍ   شمالاً وعن أيمانهن الفوارس[1].

يَقرِضنَ يتركن، وأصل القرض القطع والتفرقة بين الأشياء، ومن هذا قولك: أَقرِضْنِي دِرْهَماً، تأويله اقطع لي مِنْ مَالِك دِرْهماً.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾.

أي في متسع منه

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾.

قيل إنَّ بابَ الكهفِ كان بِإزَاءِ بَنَاتِ نَعْشٍ، فلذلك لم تكن الشمس

(١) رواية البيت في ديوانه ٣١٣ إلى ظعن - والظعن جمع ظعينة - والمشرف الجبل المرتفع - وأقواز جمع قوز وهو الكثيب، والنقا الصغير المنعطف، وتشبه به أعجاز النساء - وجاء البيت في مجاز أبي عبيدة ١/ ٣٩٦ - «يقرض أجواز مشرف» - والأجواز جمع جوز، ما يجتازه المار، كالأبعاد. وفي اللسان (قوز) كما هنا - وانظر الطبري ١٥/ ١٣٠، والقرطبي ١٠/ ٣٥٠، واللسان (قرض).

تطلع عليهم وهذا التفسير ليس بِبَيِّن، إنما جعل الله فيهم هذه الآية لأن الشمس لا تقربهم في مطلعها ولا عند غروبها.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾.

أكثر اللغة فهو المهتدي بإثبات الياء، وفي المصحف في هذا الموضع بغير ياء وهذا في هذا الموضع كالذي في الأعراف، فهذا هو الوجه، وهو في الأعراف بالياء[1] وفي الكهف بغير ياء. ـ وحذف الياء جائز في الأسماء خاصة ولا يجوز في الأفعال، لأن حذف الياء في الفعل دليل الجزم. وحذف الياء في الأسماء واقع إذا لم يكن [مع الاسم] الألف واللام، نحو مهتدٍ ومُقْتَدٍ، فأدخلت الألف واللام وترك الحذف على ما كان عليه. ودلت الكسرة على الياء المحذوفة.

وقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾.

الأيقاظ المتنبهونَ، والرقود النيامُ، وواحد الأيقاظ يقظٌ ويقظان والجمع أيقاظ، قال الراجز[2]:

ووجدوا إخْوتـهم أيْقَاظاً

وقيل في التّفسير إنهم كانوا مُفَتَّحِي الأعْين، الّذي يراهُم يتوهمهم منتبهين وقيل لكثرة تقلبهم يظن أنهم غير نيام، ويدل عليه ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ ويجوز وَتَحْسِبُهُمْ، وتحسَبهُم.

﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

والوصيد فناء البيت، وفناء الدار.

---

(١) في سورة الأعراف آية ١٧٨ ﴿مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي، وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

(٢) هو العجاج، والبيتان في الطبري ١٥/١٣١ ومجاز أبي عبيدة ١٥/٣٩٧ وروايته هناك: ووجدوا إخوانهم.

وقوله: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

بكسر الواو، وتقرأ لَوُ اطلعت عليهم بضم الواو، والكسر أجود، لأن الواو ساكنة والطاء ساكنة، فكسرت الواو لالتقاء الساكنين، وهذا هو الأصل، وجاز الضم لأن الضم من جنس الواو، ولكنه إذا كان بعد الساكن مضْمُوم فالضَّمُّ هُنَاكَ أحْسَنُ منه ههنا. نحو ﴿أَوُ انْقُصْ﴾[1] ـ واو انقص بالضم والكسر ـ

وقوله: ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً﴾.

﴿فِراراً﴾ منصوب على المصدر، لأن معنى وَلَّيْتُ فرَرْت منهم.

﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾.

ورَعْباً ورُعُباً، ورُعْباً منصوب على التمييز، تقول: امتلأت ماء وامتلأت فَرَقاً، أي امتلات مِنَ الفَرَقِ ومن الماء.

وقيل في التفسير انهم طالت شعورهم جداً وأظفارهم، فلذلك كان الرائي لو رآهُمْ لَهَرَبَ منهم مَرْعُوباً.

وقوله: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾.

فيها أرْبَعَةُ أوجه ـ بفتح الواو وكسر الراء، وبوَرْقكم بتسكين الراء وبوِرْقِكُمْ ـ بكسر الواو وتسكين الراء، يقال وَرِقٌ، ووَرْق، ووِرْقٌ، كما قيل: كَبِدٌ، وكَبْدٌ، وكِبْدٌ. وكسر الواو أردؤها. ويجوز «بِوَرِقْكُمْ» تدغم القاف في الكاف وتَصِيرُ كافاً خَالِصَةً[2].

وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكَى طَعَاماً﴾.

﴿أيها﴾ مرفوع بالابتداء، ومعنى أيها أزكى طعاماً، أي أي أهلها أزكى طعاماً، وأزكى خبر الابتداء، وطعاماً منصوب على التمييز. وقيل: إن تأويل

---

(١) في أول سورة المزمل: ﴿قُم الليلَ إلاّ قَلِيلاً. نِصْفَهُ أَوُ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ ومثله: ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾

(٢) وهو إدغام رديء ـ لاجتلاب السكون، ولأن الحرفين غير متجانسين ولسوء النطق.

أزكى طَعَاماً أحَلُّ طعاماً، وذكروا أنَّ القَوْمَ كان أكثَرُهُمْ مَجُوساً، وكانوا لا يستنظفون ذبائحهم[1]، وقيل: أَزْكَى طَعَاماً، أي طعاماً لم يؤخذ من غصْبٍ، ولا هو من جهة لا تَحِلُّ.

وقوله: ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾.

وفَلِيَأْتِكُمْ - بإسكان اللام وكسرها - والقراءة بإسكان اللام. والكسرُ جائز.

قوله: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾.

قيل لا يُعْلِمَنَّ بكم، أي إنْ ظُهِرَ عَلَيْه فلا يُوقِعَنَّ إخْوَانَهُ فيما يقع فيه.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾.

أي يقتلوكم بالرجم، والرَّجْمُ مِنْ أَخبَثِ القَتْل.

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ، وَلَنْ تُفْلِحُوا إذاً أَبداً﴾.

«إذاً» تدل على الشرط، أي ولن تُفْلِحُوا إن رَجَعْتُم إلى مِلَّتِهِمْ.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِم﴾.

أي أطلعنا عَلَيْهم ﴿لِيعْلَموا أَنَّ وعْد اللَّه حَقٌّ﴾، أي ليعلم الذين يُكَذِّبُونَ بِالبَعْثِ أنَّ وعدَ اللَّه حق، ويزداد من يؤمن به إيمَاناً.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا، إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾.

أي يَتَنَاظَرون في أمرهم، فيجوز أن يكون «إذْ» مَنْصُوباً بقوله أعثرنا عليهم فيكون المعنى وكذلك اعثرنا عليهم أي أطلعنا عليهم إذ وقعت المنازعة في أمرهم، ويجوز أن يكون منصوباً بقوله: لِيَعْلَمُوا، أي لِيَعْلَموا في وقت منازعتهم.

---

(١) لا يختارونها نظيفة.

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾.

هـذا يدل ـ والله أعلم ـ أنه لما ظهر أَمْرُهُمْ غلب المؤمنون بالبعث والنُّشورِ لأنَّ المَساجِدَ للمؤمنين.

وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿ثلاثة﴾ مرفوع بخبر الابتداء، المعنى سيقول الذين يتنازعون في أمرهم؛ هم ثَلاثَةٌ رَابِعُهُم كلبهم.

﴿رَجْماً بالغَيْبِ﴾.

أي يقولون ذلك رجماً، أي ظناً وتخرصاً. قال زهير[1]

وما الحربُ إلا ما علمتم وذقتمو وما هو عنها بالحديث المَرجَّمِ

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

دخول الواو ههنا واخراجها من الأول واحِدٌ، وقد يجوز أن يكون الواو يدخل ليدل على انقطاع القصة وأن الشيء قد تمَّ.

وقوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ﴾.

روي عن ابن عباس أنه قال، كان أصحاب الكهف سبعة، وأنا من القليل الذين يعلمونهم، وقول ابن عباس إذا صح عنه فهو من أوثق التفسير.

وقوله: ﴿فَلاَ تُمارِ فيهم إلاَّ مِراءً ظاهِراً﴾.

أي لا تأْتِ في أمْرِهم بغير ما أوحي إليك، أي أَفْتِ في قِصَّتِهِمْ بالظاهِر الذي أنزل إليك.

---

(١) البيت الثامن والعشرون من مُعَلَّقتِه ـ يتحدث عن حرب «داحس والغبراء» والحديث المرجَّم حديث الظن والتخمين. الزوزني ٨٢ ط صبيح

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ﴾.

أي في أصحاب الكهف.

﴿مِنْهُمْ أَحَداً﴾.

أي من أهل الكتاب.

وقوله:﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

موضع أن نصبٌ، المعنى: لا تقولنَّ إني أفعل أبداً إلا بمشيئة اللّه، فإذا قال القائل: إني أفعل ذاك إن شاء اللّه فكأنه قال: لا أفعل إلا بمشيئة اللّه(١).

وقوله:﴿واذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

أي أيَّ وقت ذكرت أنك لم تستثنِ، فاستَثْنِ، وقل: إن شاء اللّه.

﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾.

أي قـل عسى أن يعطيني من الأيـات والـدلالات على النبـوة مـا يكـون أقرب في الرُّشد وأَدَلَّ من قصة أصحاب الكهف.

وقوله:﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِم ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾.

جـائز أن يكـون سنين نصباً، وجـائز أن تكـون جرًّا. فـأما النصبُ فعلى معنى فلبثوا في كهفهم سنِين ثلاَثَمائةٍ، ويكون على تقدير آخر «سِنين» معـطوفاً على ثَلاَثٍ عطف البيانِ والتوكيد، وجائز أن تكون سنين من نعت المائة، وهـو راجع في المعنى إلى ثلاث كما قال الشاعر(٢)

---

(١) أيّ عمل قلت أنك ستعمله ولم تقل إن شاء اللّه ثم تذكرت فقل ثانياً إن شاء اللّه.

(٢) من معلقة عنترة ـ والحلوبة بمعنى الحالبة ـ وهي جمع حلوب عند البصريين ـ مثل قتوبة وقتوب، وركوبة وركوب وقال غيرهم هي بمعنى محلوبة ولذا جاز إلحاق التاءبمعول بمعنى مفعول.

وسود جمع أسود وسوداء، والخافة واحده الخوافي وهي أربع رياش في جناح الطائر ـ وهناك ست عشرة ريشة ـ أربع قوادم، وأربع خواف، وأربع مناكب، وأربع أباهر ـ يصف رهط عشيقته بان به هذه الإبل السود، وهي أنفس أنواع الإبل.

فـيهـا اثـنتـان وأربَـعُـونَ حَـلُوبَـةً   سُـودًا كخـافِيَـة الغُـرابِ الأسْحَمِ

فجعل سُودًا نعتاً لحلوبةٍ، وهو في المعنى نعت لجملة العَدَدِ، فجَائز أن يكون: فَلَبِثُوا في كَهْفِهِمْ، مَحْمُولاً على قوله: سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابعُهم كلبُهم وَيَقُولُونَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ وهذا القول دليله قوله: ﴿قلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾.

ويجـوز ـ وهو الأجـود عندي ـ أنـه إخْبَارٌ عن اللّه أخبـرهـم بطول لُبْثِهِم، وأَعْلَمَ أنَّهُ أَعْلَمُ بذلك. وكان هـذا أبلغ في الآية فيهم أن يكـون الصحيح أنهم قد لبثوا هذا العدَدَ كلَّهُ.

فأما قوله: ﴿وازْدَادُوا تِسْعاً﴾.

فلا يكون على معنى وازْدَادُوا تسع لَيَالٍ، ولا تسـع ساعـاتٍ، لأن العدَدَ يعرف تفسيره، وإذا تقدم تفسيره استغنى بما تقدم عن اعادة ذكر التفسير (١).

تقـول: عندي مـائة درهم وخمسـة فيكون الخمسـة قـد دل عليهـا ذكـر الدرهم

وكذلك قوله: ﴿[والَّذِينَ يُتَوفَّوْنَ مِنْكُم] وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾(٢). قال أبو العباس محمد بن يزيد: وعشراً معناه وعشر مُـدَدٍ، وتلك المدد كل مدة منها يومٌ ولَيلَةٌ، والعرب تقول: ما رأيته منـذ عشر، وأتيتُه لِعَشْرٍ خَلَونَ، فيغلِّبون الليالي على ذكر الأيام، والأَيَّـامُ داخلة في اللَّيَالِي والليالي مع اليوم مُدَّة معلُومَـةٌ مِنَ الدَّهْرِ، فتأنيث عشر يدل على أنه لا يراد بـه أشْهُر فهذا أحسن ما فُسِّر في هذه الآية.

وقوله: ﴿أبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ﴾.

---

(١) أي تسع سنين.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٤.

أجمعت العلماء أن معناه ما أَسْمَعَه وأَبْصَرَه. أي هُوَ عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم:

وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾.

وقرئت: ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾ عَلَى النَّهْي. والآية - والله أعلم - تَدُلُّ عَلَى أَحَدِ مَعْنَيين:

أحدهما أنه أَجْرَى ذكر علمه وقدرته، فأعلم عزّ وجلّ أنه لا يُشْرِكُ في حُكمِه مما يخبر به من الغَيْب أحَداً، كما قال: ﴿عَالِمِ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً﴾[1] وكذلك إذا قرئت: وَلَا تُشْرِكْ - بالتاء - في حكمه أَحَداً، أي لا تَنْسُبَنَّ أَحَداً إلى عِلْمِ الغَيْب، ويكون - والله أعلم، وهو جيّدٌ بالغ - على معنى أنه لا يجوز أن يحكم حاكم إلا بما حكم الله، أو بما يدل عليه حكم الله، وليس لأحَدٍ أن يحكم من ذات نفسه، فيكون شريكاً لله في حكمه، يأمر بحكم كما أمر الله عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِه مُلْتَحَداً﴾.

أي لَنْ تَجِدَ مَعْدِلاً عَنْ أمره ونَهْيِه، ولا ملجأ إلاَّ إليه، وكذلك: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾.

أيْ ما أخبر الله به، وما أمر به فَلَا مُبَدِّلَ له.

وقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

وقرئت بالغُدْوَةِ والعَشِّي، وبالغَدَاةِ والعَشِّي أَجْوَدُ في قول جَمِيع العُلَماءِ لأن «غُدْوَة» معرفة لا تدخلها الألف واللام، والذين أدخلوا الألف واللام

(١) سورة الجنّ الآية ٢٦.

جعلوها نكرة، ومعنى يدعون ربهم بالغداة والعشي، أي يَدعونه بالتوحيد والإخلاص له، ويَعْبُدونه يريدون وجهه، أي لا يقصدون بعبادتهم إلاَّ إياه.

وقوله: ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾.

أي لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة. روي أن جماعة من عظماء المشركين قالوا للنبي عليه السلام،: باعد عنك هؤلاء الذين رائحتهم كرائحة الضَّأْنِ، وهم مَوَالٍ وليسوا بأشراف لِنُجَالِسَك ولنَفْهَمَ عنك، يعنون خَبَّاباً، وصُهَيْباً وعَمَّاراً وبِلاَلاً ومن أشبهَهُم[1]، فأمره اللَّه بأن لا يفعل ذلك وأن يجعل إقباله على المؤمنين وألا يلتفت إلى غيرهم فقال: ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِع مَنْ أغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا واتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أمْرُهُ فُرُطاً﴾.

أي كان أَمْرُهُ التفريطُ، والتفريط تقديم العجز.

وقوله: ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

المعنى وقل الذي أتيتكم به الحقُّ مِنْ رَبِّكم.

﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

هذا الكلام ليس بأَمْرٍ لَهُمْ، ما فعلوه منه فهم فيه مطيعون، ولكن كلام وعيد وإنذار قد بين بعده ما لكل فريق مِنْ مُؤْمِن وكافِرٍ، قال عزّ وجلّ:

﴿إنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالِمينَ نَاراً﴾.

معنى اعتدنا جعلناها عِتَاداً لهم كما تقول: جعلت هذا عُدَّةً لهذا، والعِتادُ الشيء الثابت اللازم.

وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرادِقُهَا﴾.

---

(١) من الموالي الذين دخلوا الإسلام.

أي صار عِليهم سُرَادِقٌ من العذاب، والسرادق كل ما أحـاط بشيء نحو الشقة في المضرب والحائط المشتمل على الشيء[١].

وقوله: ﴿كَالمُهْـلِ﴾.

يعنى أنهم يغاثون بماء كالرّصَاصِ المُذَابِ أي الصُّفْر[٢] والفِضَّـةِ، وكل مـا أذَبْتَه من هـذه الأشياء فهـو مُهْل. وقيـل المهل دُرْدِيّ الزَّيتِ أيْضاً[٣]، وقيل المهل صَدِيدُ الجرح.

﴿يَشْوِي الـوُجُوهَ﴾.

أي إذا قُدِّمَ لِيُشْرَبَ أَشْوَى[٤] الوَجْهُ مِنْ حرارته.

﴿بِئْسَ الشَّرابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾.

﴿مرتفقاً﴾ منصوب على التمييز، ومرتفقاً مَنْزِلاً، وقال أهل اللغة مرتفقاً: مُتَّكأً، وأنشدوا[٥].

إنّي أَرِقْـتُ فبتُّ الليـلَ مُـرتـفـقـاً   كـأَنَّ عَيْني فيهـا الصَّـابُ مَـذْبُـوحُ

---

(١) في القـاموس: السـرادق الـذي يمـد فـوق صحن البيت وجمعـه سـرادقـات والبيْتُ من الكُـرْسُف (القطن) والغبار الساطع والدخان المرتفع المحيط بالشيء.

(٢) النحاس ـ وكل مَعْدنٍ اذيب فهو مُهْلٌ.

(٣) درديّ الزيـت ما يبقى فى أسفله.

(٤) أشوى الوجه أصاب شواته وهي جلدة الرأس.

(٥) لأبي ذؤيب الهـذلي يرثى صـديقاً لـه ـ ويروى مشتجـراً ـ والشجر بـوزن ضرب مفـرج الفم وقيل مؤخره، أو ما بين اللحيين، واشتجر الرجلُ وضع يده تحت شجره، والصاب شجر له لبن يؤذي العينَ إذا أصابَها، وفي ديوان الهذليين ١/ ١٠٤.

نـام الخلي وبت الليل مشتجراً، وفي اللسان (شجر) كما في الديـوان ـ ونقل عن أبي عمـرو الشجر بفتحتين ما بين اللحيين، ومدبوح أي مشقوق، والرخى الخلي البال.

يريد نام الخليون الذين لا هم يُؤَرِّقُهُمْ، وظللت أنا لحزني يقظان أسنـد رأسي بيدي ولا تغمض لي عين كأن لبن الصاب قد صب فيها. وانظر اللسان (ذبح ـ شجر).

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾.

خبر إن هنا على ثلاثة أوجه، فأحدها أن يكون على إضمار «إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً منهم»، ولم يحتج إلى ذكر منهم لأن الله تعالى قد أعلمنا أنه يحبط عمل غير المؤمنين، قال عزّ وجلّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾(١). ويجوز أن يكون خبر إن: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَاتُ عَدْنٍ﴾ ويكون قوله: ﴿إنا لا نضيع أجر من أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ قَدْ فُصِلَ به بين الاسم وخَبَرِه، لأن فيه ذكر ما في الأول، لأن من أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا. وَوَجْهُ ثالث، أَنْ يكون الخبر ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ في معنى إنا لا نضيع أجرهم، لأن ذكر «مَنْ» كذكر الذي، وذكر حُسْنِ العَمَل كذِكْرِ الإيمان. فيكون كقولك: إن الذين يعملون الصالحات إن الله لا يضيع أجر من آمن، فهو كقولك إن الله لا يضيع أجرهم(٢).

[﴿أولئك لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ]﴾.

ومعنى ﴿جنَاتُ عَدْنٍ﴾ جنَّات إقَامةٍ. وقيل في التفسير جنات عَدْن، جنات من الأربع الجِنَانِ التي أعدها الله لأوليائه.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾.

أساور جمع أسْوِرة، وأسْوِرَة جمع سوار. يقال هُو سِوَارٌ في اليد بالكَسْرِ، وَقَدْ حُكِيَ سَوار وحكي قطرب إسْوَار، وذكر أن أساور جمع إسْوَار، على حذف الياء، لأن جمع اسوار أساوير.

---

١) سورة الفتح الآية ٢٩.

٢) أي ان الخبر أعم فهو مشتمل على المبتدأ فلا يحتاج إلى رابط.

﴿[ويَلْبَسُون ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ]﴾[1].

والسندس والاستبرق نوعان من الحرير.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ [نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً][1] ﴾.

الأرائك واحدتها أريكة، والأرائك الفرش في الحجال.

ومُرْتفقاً منصوب على التمييز وقد فسرنا المرتفق.

وقوله: ﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ﴾.

كان المشركون سألوا النبي ﷺ بمشورة اليهود عليهم أن يسألوا النبي ﷺ عن قصة أصحاب الكهف وعن الروح وعن هذين الرجلين، فأعلمه الله الجواب وأنه مثل له عليه السلام وللكفَّار، ومثل لجميع من آمن بالله وجميع من عَنَدَ عنه وكفر به، فقال تعالى: ﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾.

﴿رَجُلَين﴾ منصوب على معنى المفعول على معنى واضرب لهم مثلاً مثل رجُلين.

﴿وَحَفَفْنَاها بنخل﴾ أي جعلنا النخل مُطِيفاً بهما، يقال: قد حف القوم بزَيْدٍ إذَا كانُوا مُطيفين به.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً﴾.

فاعلم الله أن عمارتهما كامِلةٌ متصلة لا يفصل بينهما إلَّا عمارةٌ، وأعْلَمنا أنهُمَا كاملتان في تأدية حملهما من نخلهما وأعنابهما والزرع الذي بينهما، فقال:

﴿كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾.

أي لم تنقص منه شيئاً، وقال آتت ولم يقل آتتا، رده على كلتا لأن لفظ

---

(١) سقطت من الأصل ولكن ذُكِرَ تفسيرها ـ فكتبناها.

كلتا لفظ واحد، والمعنى كل واحدةٍ منهما آتت أكلها، ولو كان «آتتا» لكان جائزاً، يكون المعنى الجَنَّتَانِ كلتاهما آتتا أكلَهُمَا.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً﴾.

ولو قرئت نَهْراً لكان جائزاً، يقال نَهَر ونَهْر، فأعلمنا أن شُرْبَهُمَا كان من ماء نهر وهو من أغزر الشُّرْب.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾.

وقرئت ثُمُرٌ، وقيل الثَّمَرُ مَا أخرجته الشجر، والثُّمُرُ المال، يقال قد ثمَّر فلانٌ مَالاً. والثُّمُرُ هَهُنا أَحْسَنُ، لأن قوله: ﴿كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها﴾، قد دَلَّ على الثَّمَرِ، وتجوز أن يكون ثَمَرٌ جمع ثَمَرة. وثمارٌ وثُمرٌ(١).

وقوله: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْك مَالاً وأَعَزُّ نَفراً﴾.

مالاً، ونفراً، منصوبان على التمييز، وأخبره أنه أعز منه ناصراً، أي يخبر أنَّ نُصَّارَهُ كثير.

وقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾.

وكل من كفر بالله فَنَفْسَهُ ظَلَم، لأنه يولجها النار ذاتَ العَذَابِ الدَّائِمِ، فأي ظُلْم للنفس فوق هذا.

وقوله: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾.

فأخبر بكفره بالساعة وبكفره بفناء الدنيا.

﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً﴾.

فدل على أنَّ صَاحِبَهُ المؤمن قد أعلمه أن السَّاعَةَ تَقُومُ وأنه يبعث،

---

(١) ثُمَرٌ اسم جنس جمعي لثمرة، وثمار جمع حقيقي، وثُمرٌ جمع ثِمَار فهي جمع الجمع.

فأَجَابَـهُ بأن قـال له: ولئن رُدِدْتُ إلى رَبِّي كمـا أعلمتني أن أُبْعَثَ لِيُعطِيني في الآخـرة خيراً ممـا أعطاني في الـدنيا، لأنـه لم يُعطِني هَـذا في الدُّنْيـا إلاّ وهو يزيدني إن كـان الأمر عَلَى هَـذَا في الآخرة، فقـال له صـاحبه منكـراً له بهـذا القول:

﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾.

أي ثم أكملك، فأنكرت أمـر البعث حتى شككت فيـه، وقـد أعْلَمَنَـا أن الشاكَّ في أَمْرِ اللَّهِ كافِرٌ، وأن بعض الظَّنِ إثم أي باطِل، وقد قـال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[1] ثم أعلَمَهُ صاحبهُ أنه مُوَحِّدٌ للَّه، وأنّ كلَّ ما قدر عليه الإنسان من ملك ونِعْمةٍ فلا قوة له ولا قدرة عليه إلاَّ باللَّهِ، فقال:

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾.

فدل خِطَابـهُ على أنَّ صَاحِبَ الجنتين مشـرك عابـدٌ مع اللَّه غيـرَه، وفي قـوله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ خَمسـةُ أَوْجُـه، لَكِنَّ هـو اللَّه ربي - بتشـديـد النـون وفتحها، ويوقف عليها بالألف، ويـوصل بغيـر ألف، ويُقْرَأ: لكنـا هو اللَّه رَبِّي بالألف موصـولة، ويقـرأ لكِنْ هو اللَّه رَبِّي بسكـون النون، ويجـوز - ولا أعلم أحداً قرأ به - لكنَنَ هُوَ اللَّه رَبِّي بنـونين مَفْتُوحَتَين، ويجـوز لكنّنَا هـو اللَّه ربي بنونين وألف. فمن قرأ بتشـديد النـون فالمعنى لكن أنـا هو اللَّه ربي فـطرحت الهمزة على النون فتحركت بالفتح واجتمع حـرفان من جنس واحـد، فأُدْغِمَت النـون الأولى في الثانيـة، وحذفت الألف في الـوصـل لأنّهـا تثبت في الـوقف وتحذف في الوصل ومن قرأ: لكنّا فأثبت الألف في الوصل كما كان تثبيتها في

(1) سـورة ص الآية ٢٧.

الوقف فهذا على لغة من قال: أَنَا قمتُ[1] فأثبت الألفَ قال الشاعر[2]:

أنـا سَيْفُ العَشِيـرة فَـاعْـرِفُـوني حَـمِيـداً قَـد تـذَرَّيـتُ السنـامـا

قال أبو إسحاق: وألف أنا في كل هـذا إثباتها شاذ في الوصـل؛ ولَكِنْ مَنْ أَثْبتَ فعلى الوقف كما أثبت الهاء في قوله: ﴿وما أدراك ماهيه﴾، و﴿كِتَابِيَهْ﴾[3]، ومن قرأ لكنَّ هو اللهُ ربي، وهي لكنَّ وحدها ليس معها اسم، ومن قرأ لكنَنَ لم يدغم لأن النونين من كلمتين، وكذلك من قال: لَكِنَنَا بنـونين وألف، على قياس لكن أنا، لم يـدغم لأن النونين من كلمتين، وفي أنـا في الوصـل ثَلاثُ لَغَاتٍ أجودها أَنا قُمْتُ، مثل قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾[4] بغير ألف في اللفظ، ويجوز أَنَا قُمْتُ بإثبات الألف، وهـو ضعيف جداً، وحكـوا أَنْ قُمتُ بإسكـان النون[5]، وهو ضعيف أيضاً فأما لكِنَّا هو اللَّهُ رَبِّي ـ فهو الجيد بإثْبَاتِ الأَلِف، لأن الهمزة قد حُذِفَتْ من أَنَا، فصار إثباتُ الألف عوضاً من الهمزة.

فهذا جميع ما يحتمله هذا الحرف.

والجيد البالغ ما في مصحف أُبَيّ بنِ كَعْبٍ ولم نذكره في هـذه القراءات لمخالفته المصحف وهو «لكن أنا هو اللَّه ربي»، فهذا هـو الأصلَ، وجميـع ما قـرئ به جيد بالـغ، ولا أنكر القـراءة بهذا، لأن الحـذف قد يقـع في الكتاب كثيراً في الياءات والهمـزات. فيقرأ بـالحذف وبـالتمام نحـو قولـه: ﴿يَوْمَ يَدْعُ

(١) بعد ألف أنا.

(٢) لحميد بن حريث بن بحدل، شاعر إسلامي من بني كلب بن وبـرة من قضاعـة، والبيت يـروى «حميداً» بالنصب بدلا من الياء في فاعرفوني، ويروى «حميد» بالرفع بيـاناً من سيف. أي أنـا حميد. انظر ابن يعيش ٩٣/٣، ٩/ ٨٤.

(٣) الهـاء هاء السكت، فكـان حقها أن تسقط في الوصـل، ولكنهـا بقيت كـما بقيت الألف في أنـا. والكلمات من قوله تعالى: ﴿وما أدراك ماهـيه، نار حامية﴾ (من سورة القارعة)، و﴿يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ (سورة الحاقة).

(٤) ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ من سورة والنازعات/ ١٦ .

(٥) أي أنا قمت.

الـدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾[1]. . من قـرأ الـداعي فمصيب، ومن قـرأ الـداع فمصيبٌ، وكذلك من قـرأ لكِنّا، ولكن أنـا فهو مصيب، والأجـود اتباع القُـرّاء ولزوم الرواية، فإن القراءة سنة، وكلَّما كثرت الـرواية في الحـرف وكثرت بـه القراءة فهو المتبع، وما جاز في العربيـة ولم يقرأ بـه قـارئ فـلا تَقْرأَنَّ بـه فإن القراءة به بدعة، وكل ما قَلَّتْ فيه الرواية وضَعُفَ عند أهل العربيـة فهو داخـل في الشذوذ، ولا ينبغي أن تقرأ به.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾.

والجنة البستان. ومعنى: ﴿ولولا﴾ هلاّ، وتأويل الكلام التوبيخ.

﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

﴿ما﴾ في موضع رفع، المعنى قلت: الأمر ما شاء اللَّه. ويجوز أن تكون ما في موضع نصب على معنى الشرط والجزاء، ويكون الجواب مضمراً، ويكون التـأويل أيَّ شيء شـاء اللَّه كان، ويضمـر الجواب كمـا أُضْمِرَ جـواب لَـو في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾[2] المعنى لكان هذا القرآن.

وقوله: ﴿لا قوَّةَ إلاَّ باللَّهِ﴾.

الاختيار النصب بغير تَنْوينٍ على النفي كما قـال لا ريب فيه، ويجـوز لا قوةُ إلاَّ باللَّه على الرفع بالابتداء، والخبر «باللَّه» المعنى أنـه لا يقوى أحـد في ديدنه ولا في مِلْكِ يمينه إلاَّ باللَّه، ولا يكون له إلا ما شاء اللَّه.

وقوله: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ﴾.

﴿أَقَلَّ﴾ مَنْصُوبٌ، وهو مفعول ثـانٍ بتـرني، وأنـا يصلح لشيئين، إن شئت كانت توكيداً للنُّونِ واليـاء[3]، وإن شئت كانت فصـلاً، كما تقـول: كنتَ أَنْت

(١) سورة القمر الآية ٦

(٢) سورة الرعد الآية ٣١.

(٣) الياء فقط هي الضمير الذي يؤكد، أما النون فهي حرف وقاية.

وتقلب الكفين يفعله الناس كثيراً

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

أيْ حِيطانُهَا قائمةٌ لا سُقُوفَ عليها، وقد تهدّمَتْ سقُوفُها فصارت في قرارها والعُرُوش: السُّقوفُ، فصارت الحيطان كأنها على السقوف.

وقوله: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَه مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

﴿ينصرونه﴾ محمول على معنى فئة، المعنى ولم يكن له أقوام ينصرونه، ولو كان ينصره لجاز، كما قال: ﴿فِئَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١).

﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً﴾.

وما كان هو أيضاً قادراً على نصر نفسه.

وقوله: ﴿هُنَالِكَ الوَلاَيَةُ لِلَّه الحَقِّ﴾.

وتقرأ «الوِلاَيةُ» - بكسر الواو وفتحها - لِلَّهِ الحَقِّ، وتقرأ «الحقُّ»، المعنى في مثل تلك الحال بيانُ الولاية للَّه. أي عند ذلك يتبيَّنُ نَصْرُهُ، ولي اللَّه - يتولى اللَّه إياه (٢). فمن قرأ الحقُّ [بالرفع] فهو نعتٌ للولاية، ومن قرأ الحَقِّ فهو بالجر فهو نعت للَّه - جل وعز. ويجوز الحقَّ، ولا أعلم أحداً قرأ بها. ونصبه على المصدرِ في التوكيد، كما تقول: هنالك الحقَّ، أي أُحُقُّ الحقَّ.

وقوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقُباً﴾.

وعُقْباً، ويجوز وخيرٌ عُقْبَى، على وزن بُشْرَى، وثواباً وعُقْباً منصوبان على التمييز.

وقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كماء أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾.

---

(١) سورة آل عمران. الآية ١٣.

(٢) الصحيح أنْ يُقَالَ: يتولاه اللَّه، إذ لا يستعمل الضمير المنفصل عند تأتي استعمال المتصل.

القائمُ يا هذا، ويجوز رفع أقل، وقد قرأ بها عيسى بن عمر: إنْ تَـرَني أَنَا أَقَـلُّ مِنْـكَ مَـالاً، على أن أنـا ابتـداء، وَأَقَـلّ خَبـر الابتـداء، والجملة في مـوضـع المفعول الثاني لِتَرني.

وقوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ﴾.

جائز أن يكون أراد في الدنيا، أو في الآخرة.

﴿ويُرْسِلَ عَلَيهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ﴾.

وهـذا موضـع لطيف يحتـاج أن يُشرَحَ وهـو أن الحُسْبانَ في اللُّغَـةِ - هو الحِسَابُ قال تعـالى: ﴿الشَّمْسُ والْقَمَرُ بحُسْبَانٍ﴾[1] المعنى بحساب، فـالمعنى في هذه الآية أن يرسل عليهـا عَذَاب حُسْبـانٍ، وذلك الحُسْبَـانُ هو حِسَـابُ ما كسبَتْ يداك[2].

وقوله: ﴿فَتُصْبحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾.

الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه، وكذلك الزَّلَق[3].

﴿أَوْ يُصْبحَ مَاؤُهَا غَوْراً﴾.

معناه غائراً، يقال ماءٌ غَوْرٌ، ومياه غورٌ، وغورٌ مصدر مثل عَدْل ورضِيً.

وقوله: ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبَاً﴾.

أي يغور فلا تَقْدِرُ على أَثَرٍ تطلبُه من أَجْلِهِ

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾.

أي أحاط اللّه العَذَابَ بثمره.

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾.

---

(١) سورة الرحمن.

(٢) المراد بالحسبان الصاعقة، وسميت حساباً لأنها جزاء على ما قدم.

(٣) الزلق المكان الذى لا يثبت عليه القدم

تأويله أنه نجع[1] في النبات حتى خالطه، فَأَخَذَ النَّبَاتُ زخرفهُ.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيماً﴾.

والهَشِيمُ النباتُ الجافّ الذي تسفيه الريح.

﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾.

ويقرأ الريح، وفي تذروه لغتان لَا يُقْرَأُ بِهِمَا: تُـذْرِيه ـ بضم التاء وكسر الراء، وتَذْرِيه بفتح التاء. أعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنَّ الحَيَاةَ الدنيا زَائِلةٌ، ودَليلُ ذَلِك أنَّ مَا مَضَى منها بمنزلة ما لم يكن، وأعلم أن مثلها هذا المثل.

وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾.

أي على الإنشاء، والإفناء، مقتدراً.

فإن قال قائل: «فالكلام كان اللَّه»[2]، فتأويله أنَّ مَا شَاهَدْتَم من قدرته ليس بحادث عنده، وأنه كذلك كان لم يزل. هذا مذهب سيبويه، وقال الحَسَنُ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾ أي كان مقتدراً عليه قبل كونه، وقال بَعْضُهُمْ: «كان» مِنَ اللَّه بمنزلة كائن ويكون. وقولُ الحسنِ فِي هذا حسنٌ جميل ومذهب سيبويه والخليل مذهب النحويين الحُذَّاقِ كما وَصَفْنَا، لأنهم يقولون: إنما خوطبت العربُ بلُغتِها ونزل القرآن بما يَعْقِلُونه ويتخاطبون به، والعربُ لا تعرف كان في معنى يكون، إلا أن يدخل على الحرف آلةٌ تنقلها إلى معنى الاستقبال، وكذلك لا يعرف الماضي في معنى الحال.

فهذا شرح ما في القرآن من هذا الباب نحو قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾، وقد فسرناه قبل هذا الموضع[3].

---

(١) دخل فيه. يقال: نجع العلف في الدَّابَّة ونجع الوعظ والخطاب في الرجل دخل فيه وأثر.

(٢) كان تقدير الكلام، واللَّه على كل شيء مقتدر ـ ولكن «كان» أفادت أنه قد تم وحدث فعلاً.

(٣) انظر تفسير سورة النساء في جـ ٢.

وقوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾.

﴿الباقيات الصالحات﴾ هي الصلوات الخمس، وقيل هي: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. والباقيات الصالحات - والله أعلم - كل عمل صالح يبقى ثوابه، فالصلوات الخمس وتوحيد الله وتعظيمه داخل في الباقيات الصَّالِحاتِ، وكذلك الصدقات والصيام والجهاد وَأَعْمَالُ الخير والبرّ كُلِّهَا.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب على معنى التلاوة والذكر، المعنى واذكر يوم نسير الجبال، ويجوز أن يكون نصبه على «والبَاقِيَاتُ الصالِحاتُ خيرٌ يوم يسيِّر الجبال»، أي خير في القيامة من الأعمال التي تبقى آثامها.

وقوله: ﴿وَتَرى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾، معناه ظاهرة، وقد سُيِّرَت جبالها، واجتثت أشجارها، وذهبت أَبْنِيَتُهَا فبقيتْ ظَاهِرَةً، وقد ألقت ما فيها وتخلت.

وقوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحداً﴾.

أي لَمْ نُخَلِّفْ أَحَداً مِنهُم.

﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً﴾.

معناه أنهم كلهم ظاهرون لله، تُرَى جماعَتُهم كما يُرَى كل واحدٍ منهم، لا يَحْجُبُ واحدٌ واحداً.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كما خلقناكم أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أي بعثناكم كما خَلَقْنَاكم. وجاء في التفسير أنَّهم يُحْشَرُونَ عُرَاةً غُرْلاً حُفاةً، معنَى غُرْلاً، جمع أَغْرَل وهو الأَقْلَفُ[1].

---

(١) الذي لم يختتن.

وقوله: ﴿ بَلْ زَعَمْتُم أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً ﴾.

أي بل زَعمتم أن لن تُبْعَثُوا، لأن اللّه جل ثناؤه، وعدَهُم بالبَعْثِ.

وقوله: ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ﴾.

معناه ـ واللّه أعلم ـ وُضِعَ كتابُ كُلِّ امْرِئٍ بِيَمينِهِ أو شماله.

﴿فَترى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ، ويَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾.

كل من وقع في هلكةٍ دعا بالويل.

﴿مَالِهَذَا الكِتَابِ لا يغادِرُ صَغِيرةً ولا كبيرةً إلَّا أَحْصَاهَا﴾.

أي لا تاركاً صغيرةً.

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ ربُّك أَحَداً﴾.

أي إنما يعاقبهم فيضع العقوبة موضعها في مُجازاة الذُّنُوبِ. وأجمع أهل اللغة أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه.

وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوا إلَّا إبْلِيسِ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَق عَنْ أَمْرِ رَبِّه﴾.

قوله: ﴿فَفَسَقَ عن أَمْرِ رَبِّهِ﴾ دليل على أنه أمر بالسجود مع الملائكة، وأكثر ما في التفسير أن إبليس من غير الملائكة وقد ذكره اللّه عز وجل أنه كان منَ الجِنِّ بمنزلة آدم من الانس، وقد قيل إنَّ الجِنَّ ضَربٌ من الملائكة، كانوا خُزَّانَ الأرض، وقيل خزان الجنانِ.

فإن قال قائل: فكيف استثنى مع ذكر الملائكة، فقال فسجدوا إلَّا إبليس، فكيف وقع الاستثناء وليس هو من الأول، فالجواب في هذا أنه أُمِرَ مَعَهُمْ بالسجود فاستثنى من أنّه لَمْ يَسْجُد، والدليل على ذلك أنك تقول: أمرت عَبْدِي وأخوتي فأطاعوني إلا عبدي، وكذلك قوله عزوجل: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ﴾[1]، وربّ العالمين ليس كمثله شيء، وقد جرى ذكره في

(١) سورة الشعراء الآية ٧٧ من كلام إبراهيم عليه السلام ـ ذكر ان الأصنام أعداؤه واستثنى رب العالمين وليس داخلاً فيهم.

الاستثناء، وهو استثناء ليس من الأول. ولا يقدر أحد أن يعرف معنى الكلام غيرَ هذا.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.

فيه ثلاثة أوجه، يجوز أن يكون معناه: خرج عن أَمْرِ رَبِّه، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قِشْرِهَا، وقال قطرب: يجوز أن يكون معناه فسق عن رَدِّ أَمْرِ رَبِّه، ومذهب سيبويه والخليل وهو الحق عندنا أن معنى ﴿فسق عن أَمْرِ رَبِّه﴾ أتاه الفسق لما أُمِرَ فعصى، فكان سَبَبَ فسقِه أَمْرُ رَبِّه، كما تقول أطعمه عن جوع وكساه عن عُرْيٍ. المعنى كان سَبَبَ فسقه الأَمْرُ بالسُّجودِ لَما كان سببَ الإطعام الجوعُ، وسبب الكِسْوة العُرْى.

وقوله: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾.

معناه أنه بئس ما استبدل به الظالمون من رب العزة جل وعز، إبليسُ

وقوله: ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي لم يكونوا مَوْجُودين إذ خلقت السموات والأرض.

﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّين عَضُداً﴾.

ويقرأ وما كنتَ متخذَ المُضلِّين - بفتح التاء -[1] المعنى في فتحها: ما كنتَ يا محمَّدُ لتتخذ المُضلِّين أنصاراً، وضم التاء هي القراءة، وعليها المعنى.

يخبر اللّه عز وجل بقدرته، وأنه لا يعتضِدُ فيها ولا في نُصْرتِه بالمضِلِّينَ والاعتضادُ التقوى وطلب المعونة، يقال: اعتضدت بفلانٍ، معناه استعنتُ به. و «عَضُداً» فيه خمسة أوجه، وجهان منها كثيران جَيِّدان، وهما[2]

(١) التاء في «كنت».

(٢) في الأصل وهي.

عَضُد بفتح العين وضم الضاد، وعُضُد ـ بضم العين والضاد ـ ويجوز عَضْداً، وعُضْداً، بتسكين الضاد وضم العين وفتحها. وقد رويت عَضِد بِكَسْر الضَّادِ ويجوز في عَضِد بكسر الضاد «عَضْداً».

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾.

أضافهم إليه على قولهم .

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾.

جعلنا بينهم من العذاب مَا يُوبِقُهم، أي يُهْلِكُهمْ، والمَـوْبِقُ المَهْلِكُ، يقال وَبِقَ الرجل يَوْبَقُ، وَبَقاً ويقال يَيْبَقُ، وبائق، وفيه لغة أخرى وبَقَ يبقُ وَبُوقاً، وهو وَابِقٌ، والأَوَّلُ هُوَ وَبِقٌ.

وقوله عز وجل: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾.

القراءة «وَرَأَى»، ويجوز «ورَاءَ» المجرمون مثل وراع، كما قال كُثَيِّر:

وكلُّ خليلٍ رَاءني فهو قائل ... من أجلك هذا هامة اليوم أَوْ غَدِ[1]

قوله: ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾.

معناه أَيْقَنُوا. وقد بينا ذلك .

﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً﴾.

أي معدلاً، قال أَبُو كَبير[2].

---

(١) هامة اليوم ـ أي هالك في هذا اليوم ـ أي كل من رآه قال انه يقضي نحبه قريباً مما أصابه من حبها وهي تهجره. انظر ديوانه ١١١

واللسان (رأى) وابن الشجري ٢/١٩ والكامل ٢/٢١٧ (تجارية) وكتاب سيبويه ٣/٤٦٧.

(٢) هو عامر بن الحليس أحد بني سعد بن هذيل. وهو الذي تزوج أم تأبط شرًّا، وله معها قصة مشهورة جاءت في خزانة الأدب حـ٣/٤٦٧ (بولاق) وهو صحابي اشتهر بكنيته، وقد أتى إلى النبي ﷺ بعد إسلامه يطلب منه أن يبيح له الزنا، فقال له النبي ﷺ أتحب أن يؤتى إليك بمثل ذلك؟ فقال لا، قال: فارض لأخيك بما ترضى لنفسك، قال فادع اللّه أن يذهبه عني. =

أَزُهيـرِ هـل عن شيبـةٍ مِنْ مَصْـرِفِ   أم لاَ خُـلُودَ لـبـاذِلٍ مـتـكـلِّفِ

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.

أي من كل مثل يحتاجون إليه، أي بَيَّنَّاهُ لَهُمْ.

وقوله: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾.

معناه كان الكافِرُ، ويدل عليه قوله: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

فإن قال قائل: وهل يجادل غيرُ الانسان، فالجواب في ذلك أن أبليس قد جادل، وأن كل ما يعقل من الملائكةِ والجِنّ يجادل، وَلَكِنَّ الإنسانَ أكثر هذه الأشياء جَدَلاً.

وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الهُدَى﴾.

موضع «أن» نصبٌ. المعنى وما منع الناس من الإيمان ﴿إِلاَّ أَنْ تَأتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾.

المعنى إلاَّ طلَبَ أنْ تَأتِيهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلينَ. وسنَّةُ الأولين أنهم عاينوا العذاب، فطلَبَ المشركون أن قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١).

﴿أَوْ يأْتِيَهُمْ العَذَابُ قُبُلاً﴾.

ويقرأ قِبَلاً - بكسر القاف وفتح الباء -، ويجوز قُبْلاً - بتسكين الباء - ولم يَقْرأْ بها أحدٌ. وموضع «أن» في قوله «إِلاَّ أَنْ تأتيهُمْ» رفع، وتأويل قِبَلاً مُعَايَنَةً،

= وزهير هي زهيرة ابنته - منادى مرخم، وشيبة صديق له مات وهو يبكيه بهذا الشعر - والقصيدة في ديوان الهذليين ٢/١٠٤، واللسان (حرف) وروايته هناك: «هل عن شيبة من محرف» - ومحرف كمصرف وزنا ومعنىً.

(١) سورة الأنفال الآية ٣٢.

وتأويل قُبُلاً جمع قَبِيل، المعنى أو يأتيهم العذاب أنواعاً. ويجوز أن يكون تأويل قُبُلاً بمعنى من قُبُل أي مما يقابلهم.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَنْ أَبَداً﴾.

هؤلاء قد أخبر الله عنهم أنهم من أهل الطَّبع فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلوبِهم أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

أكِنّة جمع كنانة، وهو الغطاء، وهو مثل عِنَان وأَعِنَّة. فأعلم الله عز وجل أن هؤلاء بأعيانهم لن يهتدوا أبداً.

وقوله: ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً﴾.

الموئل المنجا، يقال وَأَل يَئِلُ إذَا نجا.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ القُرَى أَهْلكنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾.

المعنى وأهل تلك القرى أهلكناهم، يعنى به من أَهْلَكَ من الأمَمُ الخالية، نحو عاد وثمود وقوم لوط ومن ذُكِرَ بالهَلاكِ.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾.

أي أجَلاً، وفيها ثلاثة أوجه: لِمُهْلَكِهِمْ، وتأويل المُهْلَكِ على ضربين، على المصدر[1]، وعلى الوقت، معنى المصدر لإِهْلاكهم، ومعنى الوَقتِ لِوَقْتِ إهلاكهم وكل فعل ماض على أفعل فالمصدر منه مُفْعَل، أو إفْعَال، واسمُ الزَّمَانِ منه مُفْعَل، وكذلك اسم المكان، تقول أدخَلْته مُدْخلاً، وهذا مُدْخَله أي المكانُ الذي يدخل زيدٌ منه، وهذا مُدْخَلُه أي وقت إدخاله، ويجوز أن يقرأ «لِمَهْلِكِهِم» على أن يكون مَهْلك اسماً للزَّمَانِ على معنى هَلَكَ يهلِكُ، وهذا زمن مَهْلِكِه مثل جلَس يجلس، إذا أردت المكان أو الزَّمَانَ، فإذا أردت المَصْدَرَ قلت مَهْلَك بفتح اللام مثل مجلَس، يقال: أَتَتْ الناقةُ عَلَى مَضْرِبها

(١) مصدر ميمي من أهلك، أو اسم زمان.

اتي على زمانٍ ضِرَابِها، وتقول جَلَس مجْلَساً ـ بفتح اللام ـ ومثله هلك مَهْلَكاً أي هُلْكاً.

وموضع ﴿تلكَ القُرَى﴾ رفع بالابتداء، والقرى صفة لها مُبَيِّنَةٌ، وأهلكناهم خبر الابتداء. وَجَائِزٌ أن يكون موضع ﴿تلك القرى﴾ نَصْباً ويكون أهلكناهم مُفسِّراً للناصِب، ويكون المعنى وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم.

وقوله: ﴿وإذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾.

وإن شئْتَ قلت بالإِمَالةِ والكسْرِ، وهي لغة تميم، وأهل الحجاز، يفتحونَ ويُفَخِّمُونَ. ويروى في التفسير أنَّ فتاه «يُوشَع» بنُ نون.

﴿لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ﴾.

معنى ﴿لاَ أَبْرَحُ﴾ لا أزال، ولو كان لا أزول كان مُحَالاً[1]، لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع أَرْضاً، ومعنى لا أبرح في معنى لا أزال، موجود في كلام العرب، قال الشاعر: [2].

وأَبْـرَحُ مَا أَدَام اللَّه قَوْمِي   يحمد اللَّه منتطقاً مُجيداً

أي لا أزال.

---

(١) لا أزال أفعل. أي أظل أفعل، ولا أزول من مكاني لا أنتقل.

(٢) هو خداش بن زهير بن ربيعة من هوازن ـ شاعر مشهور وهو الذي أعان قيس بن الخطيم على الأخذ بثأر أبيه وجده من قاتله وهو من قوم خداش ـ وله ترجمة في المؤتلف والمختلف ص ١٥٣.
ويقال انتطق فرسَه إذا جنبه ولم يركبه، ومجيداً أي جواداً أمنح المال، يريد أن قومه كفوه القتال فما داموا فهو مجتنب جواده ويفسر البيت أيضاً بأن أبرح بمعنى لا أبرح حذفت منه لا ـ وصحح صاحب اللسان كلمة قومي برهطي لقوله منتطقاً بالافراد. فمنتطقاً إذن هي خبر دام. أي ما دام رهطي منتطقاً فلا أبرح أنا مجيداً
انظر اللسان (نطق).

وإنما سمى فتاه لأنه كان يخدِمُه، والدليل على ذلك قول موسى: ﴿آتِنا غَدَاءَنَا﴾.

وقوله: ﴿حُقُباً﴾.

الحقبُ ثمانون سنةً، وكان مجمع البحرين الموضع الذي وعد فيه موسى بلقاء الخضِر [عليه السلام]. وأحب اللَّه عز وجل أن يُعْلمَ موسى - وإن كان قد أوتي التوراة أنه قد أُوتيَ غيره من العلم أيضاً ما ليس عنده، فَوُعِدَ بلقاء الخضِر.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾.

يعنى به موسى ويوشَع.

﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾

وكانت فيما روي سمكة مملوحة، وكانت آية لموسى في الموضع الذي يلقى فيه الخَضِر.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً ﴾.

أحيا اللَّه السمكة حتى سربَت في البحر، وسرباً منصوب على جهتين، على المفعول كقولك: اتخذت طريقي في الشرب، واتخذت طريقي مكان كذا وكذا، فيكون مفعولاً ثانياً كقولك اتخذت زيداً وَكِيلاً. ويجوز أن يكون «سَرَباً» مَصْدَراً يدل عليه ﴿فاتخذَ سبيلَه في البحر﴾ فيكون المعنى نَسِيَا حُوتَهُمَا فجعل الحوتُ طريقَه في البحر ثم بين كيف ذلك، فكأنه قال: سَرَبَ الحُوتُ سَرباً، ومعنى نسيا حوتهما، كان النسيان مِنْ يُوشَع أن تقدمه، وكان النسيانُ من موسى أن يأمره فيه بشيء.

وقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾.

والصخرة موضع المَوْعِد.

﴿فإني نسيتُ الحُوتَ﴾.

وهذا قَوْلُ يُوشَع لِمُوسَى، حين قال موسى ﴿آتنا غَدَاءَنَا﴾، وكانت السمكة من عُدَّةِ غدائهما، فقال:

﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾.

كَسْرُ الهاء وضمها جَائِزَانِ في ﴿أَنْسَانِيه﴾، ﴿أَنْ أذكره﴾ بدلٌ من الهاء لاشتمال الذكر على الهاء في المعنى، والمعنى وما أنساني أن أذكره إلَّا الشيطانُ.

﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً﴾.

﴿عَجَباً﴾ منصوب على وجهين، على قول يوشع: واتخذ الحوت سبيله في البحر عجباً، ويجوز أن يكون قال يوشع: اتخذ الحوت سبيله في البحر، فأجابه موسى فقال: عجباً، كأنه قال: أعْجَبُ عَجَباً، ثم قال: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي﴾.

الأكثر في الوقف نَبْغِ على اتباع المصحف. وبعد «نبغ» آيةٌ[1] ويجوز وهو أحسن في العربية ﴿ذلك ما كنا نبغي﴾ في الوقف. أما الوصل فالأحسن فيه نبغي بإثبات الياء، وهذا مذهب أبي عمرو، وهو أقوى في العربية.

ومعنى قول موسى (عليه السلام): ﴿ذلكَ مَا كُنَّا نبغي﴾، أي ما كنا نريد، لأنه وعد بالخَضِر في ذلك المكان الذي تتسرب فيه السمكة.

﴿فارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾.

أي رجعا في الطريق الذي سلكاه يقصان الأَثَر قَصَصاً، والقصص اتباع الأثر.

---

(١) أي رأس آية يوقف عليه.

﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾.

يعنى به الخضِرُ، وقيل إنما سمي الخَضِرُ لأنه كان إذا صلى في مكان اخضر ما حوله.

وفيما فعله موسى ـ وهو من جِلَّةِ الأنبياء، وقد أُوتيَ التوراةَ،[1] من طلبه العلم والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحَدٍ أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ نهايته وأحاط بأكثر ما يدركه أهل زمانه، وأنْ يتواضع لمن هو أعلم منه.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾.

ورَشَداً، والفُعْلُ والفَعَلُ نحو الرُّشْدُ والرَّشَدُ كثير في العربية نحو البُخْلُ والبَخَلُ، والعُجْمُ والعَجَمُ، والعُرْبُ والعَرَبُ.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

هذا قول الخِضْرِ لمُوسَى، ثم أعلمه العلة في ترك الصبر فقال:

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾.

أي وكيف تصبر على ما ظاهِرُه منكر، والأنبياء والصالحون لا يَصْبِرُون على ما يرونه منكراً.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً﴾.

هذا قول موسى للخَضِر.

وقوله: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنهُ ذِكْراً﴾.

أي إنْ أنْكَرتَهُ فلا تعجل بالمسألة إلى أن أبيّن لك الوجه فيه، ونصب

---

(١) من بيانية، أي فيما أوتي من طلب العلم.

﴿خَبراً﴾[1] على المصدر لأن معنى لم تحط به لم تَخْبُرْهُ خُبْراً،[2] ومثله قول امرئ القيس[3].

وَصِرْنَا إلى الحُسنى ورق حديثُنَا ورضت فَذَلَّت صَعْبَةٌ أيَّ إذْلَالِ

لأن معنى رُضْتُ أذلَلْتُ، وكذلك أحطت به في معنى خبرته.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها﴾.

أي خرقها الخَضِرُ.

﴿قال أَخَرَقْتَها لتغرق أَهْلَهَا﴾، وليَغْرَقَ أَهْلُها، وكان خرقها مما يلي الماء، لأن التفسير جاء بأنه خرقها بأن قلع لوحين مما يلي الماء، فقال:

﴿لَقَدْ جئتَ شَيْئاً إِمْراً﴾.

ومعنى امْراً شيئاً عَظِيماً مِنَ المُنْكَر.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

فلما رأى موسى أن الخَرْقَ لم يَدْخُل مِنْهُ الماءُ، وأنَّه لمْ يُضِرْ مَن فِي السفينة:

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾.

ومعنى ترهقني تُغَشِّيني، أي عاملني باليسر لا بالعسر.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ﴾.

معناه فقتله الخَضِرُ، ﴿قال أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾.

---

(١) من الآية: ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾.

(٢) ظاهر أنه تمييز محول - أي لم يحط خبرك به.

(٣) من لاميته: ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي - التي تعد معلقة ثانية له. ويروى و «عجنا» رجعنا إلى الحالة اليسرى، وأذعنت لما راودها عنه - انظر - الديوان.

وليس في البيت دليل على ما أراد. إذ هو يريد رضيَّتها حتى ذلت في حال تشددها.

قالوا في زكيَّةٍ بريئة، أي لم يُرَ مَا يُوجِبُ قتلَها، ونُكْراً أقل من قوله إمْراً، لأن تغريق من في السفينة كان عنده أنكر مِنْ قَتْلِ نفسٍ وَاحِدَةٍ وقد قيل إنَّ نكراً ههنا معناه لقد جئتَ شيئاً أنْكَرَ من الأمر الأول.

و ﴿نُكْراً﴾ منصوب على ضربين: أحدهما معناه أتيْتَ شيئاً نكراً، ويجوز أن يكون معناه: جئْتُ بشَيءٍ نكرٍ، فلما حذف الباء أفضى الفعل فنصب.

﴿قَالَ إنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيءٍ بَعْدَهَا﴾ أي بعد هذه المسألة: ﴿فَلاَ تُصَاحِبْني﴾.

ويُقْرأ فلا تصْحَبْني، وَقِرَاءةٌ شَاذَّةٌ فَلاَ تُصْحِبْني..

فمن قرأ فلا تَصْحَبْني فإن معناه فَلاَ تَكُونَنَّ صَاحِبِي، ومن قرأ فلا تصاحبني فمعناه إنْ طلبتُ صِحبتك فلا تتابعني على ذلك، ومن قرأ تُصْحِبْني، ففيها بأربعة أوجه، فأجْوَدها فلا تُتابعْني على ذلك، يقال قد أصحب المُهْرُ إذا انقاد، فيكون معناه فلا تتابعَني في شيء ألتمسه منك، ويجوز أن يكونَ معناه فَلاَ تُصْحِبْني أحَداً[1] ولا أعرف لهذا معنى لأن موسى لم يكن سأل الخَضِرَ أن يصْحِبَهُ أحَداً.

وقوله: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْراً﴾.

ويقرأ من لَدُني بتخفيف النُّونِ، لأن أصل لَدُنْ الإسكان، فإذا أضَفْتَها إلى نَفْسِك زدت نوناً لِيَعْلَمَ سُكُونُ النُّونِ الأولى، تقول من لَدُنْ زَيْدٍ، فَتُسْكِنَ النُّونَ ثم تضيف إلى نفسك، فتقول من لَدُنِي كما تقول عن زَيْدٍ وَعَني. ومن قال مِنْ لَدْنِي لم يجز أن يقول عَني ومني بحذف النُّونِ، لأن لدن اسم غير متمكن، ومن وعن حرفانِ جاءا لمعنًى، ولَدُنْ مع ذلك أثْقَلُ مِنْ «مِنْ» و «عَنْ». والدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم: قَدْني في

---

(١) لم يذكر الوجوه الأربعة وإنما ذكر اثنين فقط.

معنى حسبي، ويقولون قد زَيْدٍ[1] فيدخلون النون لما ذكرناه. إذا أضيفت. ويجوز قَدِي بحذف النون لأن قَدْ اسم غير متمكنٍ، قال الشاعر فجاء باللغتين:

قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي[2]

فأما إسكانهم دال لَدْن فأسكنوها كما يقولون في عَضُد: عَضْدٍ، فيحذفون الضَّمَّةَ.

وقوله:﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

زعم سيبويه أنَ معنى مثل هذا التوكيد[3]، والمعنى هذا فراق بيننا أي هذا فراق اتصالنا، قال: ومثل هذا أمر الكلام: أخزى اللّه الكاذب مِنِّي وَمِنْكَ، فذكر بيني وبينك ثانيةً تَوْكيدٌ، وهذا لا يكونُ إلاّ بالواو ولا يجوز: «هذا فراق بيني فَبَيْنِكَ» لأن معنى الواو الاجتماع، ومعنى الفاء أن يأتي الثاني في إثْر الأول.

وقوله:﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾.

مَسَاكِينُ لَا يَنْصَرِفُ لأنه جمع لا يكون على مثال الواحد، وكذلك كل جمع نحو مساجد ومفاتيح وطوامير[4]، لاَ يَنصرف كما ذكرنا. وقد بينا ذلك فيما تقدم في باب ما لا ينصرف[5].

---

(١) يقال قد زيدٍ بالإضافة، مثل حسب زيد.

(٢) الرجز لحميد بن مالك الأرقط ـ وبعده: ـ ليس الإمام بالشحيح الملحد ـ والملحد الظالم في الحرم ـ ويروى هذا الشطر: ليس أميري. وهو يتحدث إلى عبد الملك بن مروان واصفاً تقاعده عن نصر عبد اللّه بن الزبير وأخيه مصعب ـ وكان عبد اللّه يكنى أبا خبيب ـ واستعمل «الخبيبين» هنا على التغليب ـ وهو يعرض ببخلهما ووصف عبد الملك بالإمام وبانه أميره، يريد أن الزبيريين لم يكونا أئمة ولا لهما عليه إمارة.

والبيت في شواهد المغني ١٦٦، وكامل المبرد ص ٨٤ (التجارية) والخزانة ٢/٤٤٩، وابن يعيش ١/٤٤٢ ومن شواهد النحو الشائعة.

(٣) يريد تكرار كلمة بين.

(٤) طوامير جمع طامور وطومار وهو الصحيفة.

(٥) أي في الكلام على ما لا ينصرف.

وقوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾.

كان يأخذ كل سفينة لا عَيْبَ فيها غَصْباً، فإن كانت عائبة لم يعرض لها. ووَرَاءَهُم: خلفهم، هَذا أجود الوجهين، ويجوز أن يكون: كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون بخبره فأعلم اللّه الخَضِر خَبَرهُ، وقيل: ﴿كَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ معناه كان قدَّامَهُمْ. وهذا جائز في العربية، لأنه ما بين يَدَيْكَ وَمَا قدَّامَك إذا توارَى عنك فقد صار وراءك، قال الشاعر[1]:

أَلَيْسَ وَرَائي إنْ تَراخَتْ مَنِيَّتي لزوم العصا تحنى عليها الأَصَابعُ

وقوله: ﴿وَأَمَّا الغُلَامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾.

﴿يرهقهما﴾ يحملهما على الرهق وهو الجهل، وقوله ﴿فخشينا﴾ من كلام الخَضِرِ، وقال قوم لا يجوز أن يكون فخشينا عن اللّه، وقالوا دليلنا على أن فخشينا من كلام الخضِر قوله ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خيراً﴾ وهذا جائز أن يكونَ عن اللّه عز وجلّ: فخشينا، لأن الخشية من اللّه عزّ وجلّ معناه الكَرَاهَةُ، ومعناها من الآدميين الخَوْفُ.

وقوله: ﴿فَأَرَدْنَا﴾.

بمعنى أراد اللّه ـ جلّ وعزّ ـ لأن لفظ الإِخْبَارِ عن اللّه كذا أكْثَرُ من أن يُحْصَى.

ومعنى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾.

أي أقرب عَطْفاً وأَمَسَّ بِالقَرابَةِ، والرُّحْمُ والرَّحْمُ في اللُّغَةِ العطف والرحمةُ قال الشاعر[2]:

---

(١) هو لبيد بن ربيعة العامري. من عينيته في رثاء أخيه أربد التي أولها: (بلينا وما تبلى النجوم الطوالع) وهي بديوانه والبيت الذي هنا أيضاً في اللسان (وراء).

(٢) أورده أبو عبيدة في مجازه ٤١٣/١ وقبله هذا البيت:

فلا ومُنَزِّلِ الفرقا ن مالك عندها ظلم

وكيف بظُلْمِ جَارِيةٍ ومنها اللين والرُّحْمُ

وقوله: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وتقرأ أَنْ يُضيفُوهُمَا. يقَالُ: ضِفْتُ الرَّجُلَ نزلت عليه، وأضَفْتُه وضَيَّفْتُه، إذا أنزلتُه وقَرَيْتُه

وقوله: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾.

أي فأقامه الخَضِرُ، ومعنى جِدَاراً يُريدُ، -والإرادة إنما تكون في الحيوانِ المبين-، والجدار لا يُريدُ ارادة حقيقيةً، إلاَّ أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهرت كما نظهر أفعال المريدين القاصدين، فوصف بالإرادة إذ الصورتان واحدة، وهذا كثير في الشعر واللغة، قال الراعي يصف الإبل:

في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفُؤوسِ إذَا أرَدْنَ نُصولاً[1]

وقال الآخر[2]:

يُريد الرُّمحُ صدْرَ أبي بَراءٍ ويَرْغَبُ عن دِمَاءِ بني عَقِيلِ

ويقرأ أن ينقض، وأن يَنْقَاضَّ، فينقض يسقط بسرعة، وينقاض ينشقُّ طولاً. يقال انقاضَتْ سِنُه إذا انشقَّت طُولاً

وقوله: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾.

ويُرْوَى لَتَخذْت، وذلك أنهما لما نزلا القرية لم يُضَيِّفْهُمَا أَهْلُهَا، ولا

وانظر اللسان (رحم) - والقرطبي ١١/ ٣٧.

(١) من لاميته المشهورة - يصف الإبل بأنها كانت تضطرب في صحراء واسعة فلا تكاد تثبت. (انظر القصيدة في آخر ديوان جرير. ط الصادي والبيت في اللسان (ورد).

(٢) البيت في اللسان (رود). وفي مجاز أبي عبيدة ١/ ٤١٠، منسوباً للحارثي، ولم يبين من هو، وانظر الطبري ١٥/ ١٧١، والقرطبي ١١/ ٢٦. وشواهد الكشاف ١٠١. وروايته: (ويعدل عن دماء بني عقيل).

أَنزَلُوهُمَا فَقَالَ مُوسَى لو شِئتَ لأخذْت أجرةَ إقامَتِكَ هذا الحائط، ويقرأ لتخذت عليه أجراً، يقال تَخِذَ يتْخَذُ في اتَّخَذَ يَتخِذُ. وأصل تَخِذْتُ أَخَذْتُ وأصل اتَّخذت ائتخذت

وقوله :﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ .

قيل كان الكنز عِلْماً وقيل كان الكنز مالاً، والمعروف في اللغة أن الكَنْزَ إذَا أُفْرِدَ فمعناه المالُ المدْفُونَ والمدَّخَرُ فإذا لم يكن المال قيل: عنده كَنْزُ عِلْمٍ وله كَنْزُ فَهْمٍ ، والكنز ههنا بالمال أشبَهُ، لأن العلم لا يكاد يتعلم إلا بمعلِّمٍ ، والمال لا يحتاج أن ينتفع فيه بغيره، وجائز أن يكون الكَنْزُ كان مالاً مكتوباً[١] فيه عِلم، لأنه قد رويَ أنه كان لوحاً مِنْ ذَهَبٍ عليه مكتوبٌ: « لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه»، فهذا مال وَعِلْمٌ عظيمٌ، هو توحيد اللَّه عزَ وجلّ وإعلام أن محمداً مبعوث.

وقوله :﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.

﴿رَحْمَةً﴾ منصوبٌ على وَجْهَيْن، أحدهما قوله فَأَرَادَ ربُّك وأَرَدْنَا مَا ذَكَرْنَا رحمةً أي للرحمة، أي فعلنا ذلك رَحْمةً كما تقول: أنقَذْتُكَ من الهلكة رحمة بك. ويجوز أن يكون رَحْمَةً منصوباً على المصدر، لأن معنى فأراد ربُّك أن يَبْلُغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمهما اللَّه بذلك. وجميع ما ذكر من قوله: فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا، ومن قوله فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا، معناه رحمهما اللَّه رحمة.

وقوله:﴿وَمَا فَعَلْتُه عَنْ أَمْرِي﴾ .

يدل على أنه فعله بوحي اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ﴾ .

---

(١) في الأصل «مكتوب».

كانت اليهود سألت عن قصة ذي القرنين على جنس الامتحان.

﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً﴾.

يقال إنه سمي ذا القرنين لأنه كانت له ضَفيرتان، ويُروَى عن علي عليه السلام أنه قال سمي ذا القرنين لأنه ضَرَبَ على جانب رَأْسه الأيمن، وجانب رأسه الأيسر، أي ضرب على قرني رأسه، ويجوز أن يكون على مذهب أهل اللغة أن يكون سُمِّيَ ذا القرنين لأنه بلغ قطري الدنيا ـ مشرقِ الشَّمسِ ومَغْربها

وقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ سَبَباً فَاتَّبَعَ سَبَباً﴾.

ويقرأ ﴿فَأَتْبَعَ﴾ أي آتيناه من كل شيء ما يَبْلُغ بِهِ في التمَكُّنِ أَقْطَارَ الأَرْضِ. ﴿سَبَباً﴾ أي عِلْماً يوصِّلهُ إلى حَيْثُ يريد، كما سخر اللَّه عزّ وجلّ لسليمان الرِّيحَ.

ومعنى ﴿فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾.

ـ واللَّه أعلم ـ أي فاتبع سبَباً من الأسباب التي أُوتِيَ.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ﴾.

ويُقْرَأُ ﴿حَمِئَةٍ﴾ بالهمز فَمَن قرأ حَمِئةٍ أراد في عين ذَاتِ حمأةٍ، ويقال حَمَأتُ البئر إذَا أخرجتُ حَمْأَتَها، وأَحْمأتُها ـ إذا ألقيت فيها الحَمْأَةَ، وحمِئَتْ هي تحمأ فهي حمئة إذا صارت فيها الحماة، ومن قرأ حَامِيَةً بغير همز أراد حارَّةً، وقد تكون حارَّةً ذات حَمْأةٍ[1]

﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً﴾.

أي عند العين.

وقوله: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾.

---

(١) الحمأة الطين الأسود المنتن.

أباحه اللّه ـ عزّ وجلّ ـ هـذَيْن الحكمين كما أبـاح محمداً ﷺ الحكم بين أهْلِ الكتاب أو الإعراضَ عنهم.

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَم فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُم يُرَدُّ إِلَى رَبِّه فَيُعَذِّبُه عَذَاباً نُكْراً ﴾.

أي فسوف نعذِّبُه بالقتل وعَذَاب اللّهِ إيَّاهُ بالنار أنْكَرُ من عذاب القتل.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءُ الحُسْنَى ﴾.

وتُقـرْأُ ﴿جَـزَاءً الحُسْنَى﴾، المعنى فله الحسنى جـزاءً، وجـزاء مصـدر مـوضوع في مـوضع الحـال. المعنى فله الحسنى مَجْزِيًّـا بها جـزاءً، ومن قرأ جزاءُ الحسنى، أضَافَ جزاء إلى الحسنى، وقد قرئ بهما جميعاً.

﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً ﴾.

أي نقول له قولاً جميلاً

﴿ثم أَتْبَعَ سَبَباً﴾.

أي سبباً آخر مما يوصله إلى قُطْرٍ من أقطار الأرض.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلَعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَـا تَطْلُعُ عَلَى قَـوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً ﴾.

أي لم نجعل لهم شيئاً يُظِلُّهُمْ من سقف ولا لباس.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾(١) يجوز أن يكون وجدها تـطلع على قوم كـذلك القبيـل الذين كانوا عند مغرب الشمس، وأن حكمهم حكم أولئك.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾.

أي سبباً ثـالِثـاً مـمـا يبلُغُـهُ قُـطْراً مـن أقْـطَارِ الأرْض.

---

(١) بجعل «كذلـك» متصلة بما قبلها ـ بمعنى: أيضاً ـ ويقتضي هـذا أن يكون القوم الذين رآهم عنـد مغرب الشمس لم يكن لهم ستر من دون الشمس ايضاً.

﴿حتَّى إذَا بَلَغ بينَ السُّدَّيْنِ﴾، ويقرأ ﴿بين السَّدَّيْن﴾. وقيل ما كان مسدوداً خلقة فهو سُدٌّ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ.

وقوله: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾.

ويقرأ يُفقِهون، فمعناه لا يكادون يُفْهِمُونَ.

﴿قالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾.

وتقرأ بالهمز في يأجوج ومأجوج، ويقرأ بغير همزٍ، وهما اسْمان أعجَميَّانِ لا ينصرفان لأنهما معرفةٌ.

وقال بَعضُ أهل اللغة: من هَمَزَ كأنه يجعله من أَجَّةِ الحرّ، ومن قوله مِلْحٌ أُجَاجٌ. وأجَّةُ الحَرِّ شدتُهُ وتَوَقُّدُه. ومن هذا قولهم أجَّجْتُ النَّارَ ويكون التقدير في يأجُوج يفعُول، وفي مَأْجُوج مفعول، وجائز أن يكون ترك الهمز على هذا المعنى، ويجوز أن يكون «مَاجوج» فاعول، وكذلك ياجوج، وهذا لو كان الاسمانِ عَرَبيَّيـنِ لكان هذا اشتقاقهما، فأمَّا الأعجمية فلا تشتق من العربية.

وقوله:﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾.

وَتُقْرَأُ خَرَاجاً. فمن قرأ خَرْجاً، فالخَرْجُ الفَيْءُ، والخَرَاجُ الضَّرِيبَةُ وقيل الجزْيَةُ، والخراج عند النحويين الاسم لما يُخْرَج من الفرائض في الأموال، والخَرْجُ المصْدَرُ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾.

أيْ تجعل بيننا وبين يأجُوج ومَأجُوجَ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فيه رَبِّي خيْرٌ﴾.

ويجوز.. ما مكَّنَنِي بنونين، أي الذي مكنني فيه رَبِّي خيرٌ لي مما

يَجعَلُونَ لي من الخراج. فمن قرأ «مَكَّنّي» أدغم النون في النون لاجتماع النونين، ومن قرأ مَكّنَنِي بنُونَيْنِ أظهر النونين لأنهما مِنْ كلِمَتَيْنِ. الأولى من فعل والثانية تدخل مع الاسم المضمر.

وقوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوةٍ﴾.

أي بعمل تعملونه معي لا بمال

﴿أَجْعَلْ بينكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾.

والرَّدْمُ في اللغة أكثرُ مِنَ السَّدِّ[1]، لأنَّ الرَّدْم ما جُعِلَ بعضه على بعْضٍ يقال: ثوبٌ مُرَدَّمٌ، إذا كان قد رُقِعَ رُقعة فوق رُقعَة.

وقوله: ﴿آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ﴾.

أي قطع الحديد، وواحد الزُّبَرِ زُبَرَة، وهي القطعة العظيمة.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾.

وتقرأ الصُّدُفَيْنِ والصُّدْفَينِ، وهُما نَاحِيتَا الجَبَلِ.

وقوله: ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾.

وهو أن أخذ قِطعَ الحديد العِظَامِ وجعل بينها الحطب والفَحْمَ ووضع عليها المنافيخ[2] حتى إذا صارت كالنار، وهو قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً﴾.

والحديد إذَا أُحْمِيَ بالفحم والمِنْفَاخِ صارَ كالنَّارِ.

وقوله: ﴿قَالَ آتُونِي أُفرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾.

المعنى أعطوني قِطْراً وهو النحاس. فصب النحاس المُذَابَ[3] على

---

(١) أي أكبر في حجمه وأكثر في ترابه.

(٢) جمع منفاخ آلة النفخ.

(٣) في الأصل: المذوب. وهو خطأ لأن ذاب لازم.

الحديد الذي قد صار كالزيت فاختلط ولَصِقَ بعْضُه ببعض حتى صار جبلاً صَلْداً من حديد ونحاس. ويقال إنه بناحية أرْمينية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ [وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾.

أي ما قَدَرُوا أن يعلو عليه لارتفاعه وامْلِسَاسِه وما استطاعوا أَنْ يَنْقُبُوه. وقوله: ﴿فما اسْطَاعُوا﴾ بغير تاء أصلها استطاعوا بالتاء، ولكن التاء والطاء من مخرج واحد، فحذفت التاء لاجْتِمَاعِهِمَا ويخفَّ اللفظُ، ومِنَ العرب من يقول: فما استاعوا بغير طَاء، ولا تجوز القراءة بها. ومنهم من يقول: فما أَسْطَاعوا بقطع الألف، المعنى فما أطاعوا، فزادوا السين. قال الخليل وسيبويه: زَادُوهُمَا عِوَضاً من ذهاب حركة الواو، لأن الأصل في أطاع أَطْوَعَ. فأما من قرأ فما اسْطّاعوا - بإدغام السين في الطاء - فلا حِسنٌ مخطئ. زعم ذلك النحويون، الخليل ويُونُس وسيبويه، وجميع من قال بقولهم. وَحُجَّتُهُمْ فِي ذلك أن السين ساكنة فإذا أدغمت التاء صارت طاء ساكنة، ولا يجمع بين ساكنين. ومن قال: اطرح حركة التاء على السين فأقول: فما اَسطاعُوا فخطأ أيضاً، لأن سين استفعل لم تُحرَّكْ قط.

وقوله: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾.

أي هذا التمكين الذي أدركتُ به السُّدَّ رحمةٌ من ربي.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكاً. وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾.

وتقرأ ﴿دَكَّاءَ﴾، على فعلاء - يا هذا - والدَّكاء والذّكاء، كل ما انسبط من الأَرْض من مُرْتَفَع. يعنى أنه إذا كان يومُ القيامَةِ، أو في وقت خروج يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ صار هذا الجبل دَكاً. والدليل على أن هذا الجبل يصير دَكًّا قوله: ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾.(1)

(1) سورة الحاقة الآية ١٤.

وقوله: ﴿وَتَـرَكْنَا بعضَهُم يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾.

ومعنى يمـوجون في الشيء يخـوضون فيـه ويكثرون القـول. فجائـز أن يكون يعنى بـ «يومئِذٍ» يوم القيامة، ويكون الدليل على ذلك ﴿وَنُفِـخَ في الصُّورِ فجمعناهم جَـمْعاً ﴾.

ويجوز أن يكون﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾أي يوم انقضاء أمر السَّدِ ـ وقوله ﴿يَمُوجُ﴾، ماجوا متعجبين مِنَ السَّدِّ. ومعنى. . . ﴿نُفِـخَ فِي الصُّورِ﴾. قال أهل اللغة: الصـور جمع صـورة(١). والذي جـاء في التفسير أن الصور قرن يَنْفُخ فيه اسرائيل ـ والله أعلم ـ ، إلا إن حملته أنه عند ذلك النَّفخْ يكون بعث العباد ونشرهم(٢)

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ للكافِرِين عَرْضاً﴾.

تأويل عرضنا أظهـرنا لهم جهنم حتى شـاهدوهـا ورأوها.

وقوله: ﴿الَّذِين كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾.

جعل الله عزّ وجلّ على أبصارهم غشاوة بكفرهم.

﴿وَكَانُوالاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾.

كـانوا لعـداوتِهم للنَّبيِّ ﷺ لا يقدرون أن يسمعـوا ما يتلى عليهم، كمـا تقول للكاره لقولك ما تقدر أن تسمع كلامي.

وقـوله عـزّ وجـلّ:﴿أَفَحَسِبَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا أَنْ يَتَّخِـذُوا عِبَـادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾.

---

(١) قائل هذا هو أبو عبيدة في «مجازه» ولم يوافقه عليه العلماء، لعدم مناسبة ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات. .﴾الخ ويؤيد رأي المفسرين ﴿فإذا نقر في الناقور﴾.

(٢) أي يحمله على النفخة الثانية فقط.

تـأويله : أفحسبـوا أن ينفعهم اتخـاذهم عِبَـادِي أوليـاء، وقـرئت - وهي جَيِّدَةٌ - أفَحَسْبُ الذين كفروا. تأويله أفيكْفيهم أن يتخذوا العبادَ أولياء مِن دون اللّه، ثمّ بين عزّ وجلّ جزاءهم فقال:﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّم لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾.

يقال لكل ما اتُخِذَ ليمكث فِيه، أعتَدْتُ لفلان كذا وكذا، أي اتَّخَذْتُهُ عَتَاداً له، ونُزُلاً، بمعْنى مَنْزِلاً.

وقوله عزّ وجلّ :﴿بالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً﴾.

منصوب على التميز لأنه إذْ قال[1] :﴿بِالأَخْسَرِينَ﴾ ،دل على أنه كان منهم[2] مـا خسِرَوه، فبين ذلـك الخَسْرَانَ فِي أيّ نـوعٍ وَقَع فـأعلم - جل وعـزّ - أنه لا ينفع عملٌ عُمل مع الكفر به شيئاً فقال:

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾.

كما قال تعالى :﴿الَّذِينَ كَفَـرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيـلِ اللَّه أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ و﴿الذين﴾ يصلح أنْ يكونَ جـرًّا ورَفْعاً، فـالجر نعت لـلأخسرين، والـرفع على الاستئناف، والمعنى هم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا.

﴿وَهُـمْ يَحْسَبُونَ﴾.

وتقرأ يحْسِبُونَ

﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾.

أي يظنون أنهم بصدهم عن النبي ﷺ أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعاً.

وقوله - عزّ وجلّ : ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـاتُ الفِرْدَوْسِ ﴾.

اختلف الناس في تفسير الفـردوس، فقال قـوم: الفردوسُ الأَوْدِيـةُ التي

---

(١) في الأصل إذا.

(٢) في الأصل منها.

تنبت ضروباً من النبت، وقالوا: الفِردوس البستان وقالوا: هـو بالـرومية منقـول إلى لفظ العربية، والفِرْدَوْسُ أيضاً ـ بالسريـانية، كـذا لفظة فـردوس. ولم نجد في أشعار العرب إلا في بيت لحسان بن ثابت[1].

وإنَّ ثـواب الـلَّه كُـلَّ مـوحـدٍ   جنـانٌ من الفـرْدَوْسِ فيهـا يخـلَّدُ

وحقيقتـه أنه البُستان الـذي يجمع كـل ما يكـون في البساتين لأنه عنـد أهـل كل لغـة كذلـك، ولهذا قـال حسـان بن ثـابت: «جِنـانٌ من الفـردوس»، وقولهـم :إنـه البستان يحقق هذا.

والجنة أيضاً في اللغة البُسْتَان، إلَّا أن الجنة الَّتِي يَدْخُلُهَا المؤمنون فيهـا ما يكون في البسـاتين، ويدل عليه قوله: ﴿وفـيهـا مـا تـشتـهيـه الأنـفس﴾[2].

وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

منصوب على الحال.

﴿لَا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً﴾.

أي لا يُرِيدُونَ عنها تَحَوُّلاً، يقال: قد حال في مكانـه حِوَلاً، كمـا قالـوا في المصادر صَغُرَ صِغَراً، وعظُم عِظَماً، وعادني حبها عِـوَداً. وقد قيـل أيضاً: إنَّ الحِوَالَ الحيلَةُ، فيكون على هذا المعنى، لا يحتالون منزلاً غيرها

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بمثلِهِ مَدَداً﴾.

---

(١) اللسان (فردس) ـ و «كل موحد» مفعول لثواب ـ والقصيدة في الديوان. وجاء في رثائه رسول الله ﷺ أيضاً:

بـا رب فـاجمعنـا معـاً ونبيـنـا   في جـنـة تثني عـيـون احـ .

في جنة الفـردوس فـاكتبـهـا لنـا   يـاذا الجـلال وذا العـلا والسـرمـدِ

وهي في سيـرة ابن هشـام جـ ٤/٣٥٠.

(٢) في الأصل ما تشتهي وهو ليس من الآية. والآية من سورة الزخرف: ٧١.

﴿مَدَدا﴾ منصوب على التميز، تقول: لي ملءُ هذا عَسَلاً، ومِثْلُ هذا ذهباً، أي مثله من الذهب.

وقد فسرنا نصب التمييز فيما سلف من الكتاب.

وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾.

فيها قولان: قال بعضهم معناه فمن كان يخاف لقاء رَبِّه، ومثله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للَّهِ وَقَاراً﴾[1]، قالوا: معناه مَا لكم لا تخافون للَّه عظمةً. وقد قيل أيضاً فمن كان يرجو صلاح المنقلب عند ربِّه، فإذَا رَجَاهُ خَافَ أيضاً عذاب رَبِّه.

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾.

وتجوز «فَلِيَعْمَلْ» بكسر اللام، وهو الأصل، ولكنه يَثْقلُ في اللفظ، ولا يكاد يقرأ به، ولو ابتُدِىء بغير الفاء لكانت اللام مكسورة[2]. تقول: لِيَعْمَلْ زيدٌ بخيرٍ، فلما خالطتها الفاء، وكان بعد اللام الياء ثقلت الكسرة مع الياء، وهي وحدها ثقيلة، ألا تراهم يقولون في فَخِذٍ فَخْذٍ.

---

(١) سورة نوح الآية ١٣.

(٢) لو جاءت اللام أول الكلمة.

سُورَةُ مَرْيَمَ
مكيــة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿كهيعص﴾.

فيها في القراءة ثلاثة أوجه: فتح الهـاء والياء، وكسرهما[1]. وقـرأ الحسن بضم الهاء كهُيعص، وهي أقل اللغات. فأمـا الفتح فهـو الأصل. تقـول: هَا. با. تا. . . في حروف الهجاء، ومن العرب من يقول ها يا. بالكسر[1]. ومنهم من ينحو نحو الضَّمِّ فيقـول هُا . يُـا، يُشِمُّ الضَّمَّ. وحكى الخليل وسيبـويه أن من العَرب من يقول في الصلاة الصَّلُوة، فينحو نحـو الضَّم[2]، فأمـا من روى ضَمَّ الهاء مع اليـاء فشَاذٌّ، لأن إجمـاع الرواة عن الحسن ضمُّ الهـاء وحدهـا، وفي الرواية ضم الياء قليل عنه.

واختلف في تفسير﴿كهيعص﴾فقال أكثر أهل اللغة إنها حـروف التَّهَجِّي تدل على الابتداء بالسورة نحو ألم، والر . وقيل إن تأويلهـا أنها حـروف يَدُلُّ كُلُّ وَاحِد منها على صفة من صفات الله ـ عزّ وجـلّ ـ فكاف يـدل على كريم، و «ها» يدل على هادٍ، و «يا» من حكيم، و «عين» يـدل على عالم، و «صَـادْ» يَدُلُّ على صادق. وهذا أحسن ما جاء في هذه الحـروف، وقد استقصينـا ذلك في أول سورة البقرة.

---

(١) الإمالة.

(٢) أي يشم ايضاً.

والعين قالوا يدل على عليم. وروي أن ﴿كهيعص﴾ اسم من أسماء اللّه تعالى. وروي أن عَلِيًّا ـ (عليه السلام) أقسم بكهيعص، أو قال: «يا كهيعص». والدعاء لا يدل على أنه اسم واحد، لأن الداعي إذا عَلِمَ أن الدعاء بهذه الحروف يدل على صفات اللّه-جلّ وعزّ- فدعا بها. فكأنه قال: يا كافي يا هادي يا عَالِم يَا صَادِق، فكأنه دعا بكهيعص لذكرها في القرآن وهو يدل على هذه الصفات، فإذا أقسم فقال: وكهيعص، فكأنه قال والكافي والهادي والعالم والحكيم والصادق.

وأسكنت هذه الحروف لأنها حروف تهجٍّ[1] النِّيَّةُ فيها الوقْفُ.

﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾.

﴿ذِكْرُ﴾ مرتفع بالمضمر، المعنى هذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك عبده بالرحمة، لأن ذكر الرحمن إياه لا يكون إلا باللّه ـ عزّ وجلّ ـ، والمعنى ذكر ربك عبده بالرحمة. وزكريا يقرأ على وجهين، بالقصر والمدّ، فأعلم اللّه -جلّ وعزّ- على لسان نبيه عليه السلام وصيَّةَ زكريا ويحيى لِيَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أن محمَّداً ـ عليه السلام ـ قد أوحي إليه، وأُنزل عليه ذكر من مضى من الأنبياء وأنهم يجدون ذلك في كُتُبِهِمْ على ما ذكر ﷺ و [هو] لم يتل كتاباً ولا خطَّه بيمينه، وأنه لم يَعْلَم ذلك إلا من قبل اللّه تعالى وكان إخْبَارُهُ بهذا وما أشبهه على هذه الصفة دليلاً على نبوته ﷺ.

وقال بعض أهل اللغة إنَّ قوله ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّك عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ يرتفع بـ ﴿كهيعص﴾ وهذا محال لأن «كهيعص» ليس هو فيما أنبأنا اللّه ـ عزّ وجلّ ـ به عن زكريا، وقد بَيَّن في السورة ما فَعَله به وبشَّرَهُ به. ولم يجئ في شيء من التفسير أن «كهيعص» هو قصة زكريا ولا يحيى ولا شيء منه، وقد أجمع

---

(١) في الأصل تهجى.

القائل لهذا القول وغيره أن رَفْعهُ بالإضمار هو الوجه.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خفيًّا﴾.

دعا اللَّهُ ـ عزّ وجلّ ـ سِرًّا، وبين ما (الذي) سأل الله عزّ وجلّ، فقال:

﴿قال رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي﴾.

ومعنى ﴿وهن﴾ ضعف.

﴿واشْتَعَلَ الرأسِ شَيْباً﴾.

قيل إن كان قد أَتَتْ له في ذَلك الوقتِ خَمسٌ وستُّون سَنَةً، وقيل سِتُّونَ سنةً وقيل خمس وسبعون سنة، و «شَيْباً» منصوب على التمييز المعنى اشتعل الرأس من الشيب، يقال للشيب إذا كثر جِدًّا: قد اشتعل رأس فلان.

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

أي كنْتُ مستجاب الدعوة. ويجوز أن يكون أراد لم أكن بدعائك رَبِّ شقياً أي من دعاك مخلصاً فقد وَحَّدك وعبدك، فلم أكن بعبادتك شقيّاً.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾.

ـ بإسكان الياء من ورائي ـ معناه من بعدي، والموالي واحدهم مولى، وهم بنو العم وعصبة الرجل، ومعناه الذين يَلُونَه في النَّسَبِ كما أن معنى القرابة الذين يقربون منه في النسب.

وقوله: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾.

أي قد بلغت هذه السِّنَّ وامْرأَتِي عاقر، والعاقر من النساء التي بها علة تمنع الْوَلَدَ، فكذلك العاقِرُ من الرجال، فليس يكون لي ولد إلا «أباً»[1] فهبه لي، فإنك على كل شيء قدير.

---

(1) أي لي أب ولا ولد لي فانقطع حبل النسل لديَّ.

وقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾.

ويقرأ بالجزم يَرِثْني وَيَرِثْ من آل يعقوب على جواب الأمْرِ ومن قرأ يرثني ويرثُ فعلى صفة الولي، وقيل يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة، وقال قوم لا يجوز أن يقول زكريا: انه يخاف أن يورث المال لأن أمر الأنبياء والصالحين أنهم لا يخافون أن يرثهم أقرباؤهم ما جعله الله لهم، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: إنا معاشر الأنبياء لَا نُورَث ما تركناه فهو صَدَقَةٌ. فقالوا معناه يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة.

وقوله: ﴿واجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

وقوله أيضاً «وليًّا» يدل على أنه سأل ولداً دَيِّناً، لأن غَيْرَ الدَّيِّنِ لا يكون ولياً للنبي عليه السلام.

وقوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾.

ونَبْشُرُك

﴿بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

أي لم يسم أحد قبله بيحيى، كذا قال ابن عباس، وقيل سمي بيحيى لأنه حَيِيَ بالعلم وبالحكمة التي أوتيها، وقيل لم نَجْعَلْ له من قبل سمياً، أي نظيراً ومِثْلاً. كل ذلك قد جاء في التفسير.

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ من الكبرِ عُتِيًّا﴾.

وتقرأ عِتيا[1]، وقد رُوِيَتْ عُسِيًّا - بالسين - ولكن لا يجوز في القراءة [لأنه] بخلاف المصحف[2]، وكل شيء انتهى فقد عتا يعتو عِتِيًّا وعُتُوًّا وعُسُوّاً، وعُسِيًّا.

---

(١) قرأ بالضم قراء كثيرون منهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) يريد لا تجوز القراءة بخلاف ما في المصحف. وزدنا [لأنه] للتوضيح.

فأحب أن يعلم من أيّ جهة يكون له ولـد، ومثْلُ امـرأته لاَ تَلِدُ ومِثْلُهُ لا يُولَدُ له.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾.

معناه ـ والله أعلم. الأمر كما قيل لـك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾.

معناه ولم تك شيئاً موجـوداً، أي أوجدتـك بعد أن لَمْ تَكُنْ. أي فخلق الـولد لـك كخلق آدم عليه السـلام، وخلقك من نُـطْفة وعَلَقـةٍ ومُضْغَـةٍ ولَحْمٍ وعَـظْمٍ.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾.

أي عَلاَمَةً أعلم بها وقوع ما بشرتُ به.

﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

أي تُمنـع الكلام وأنت سَـوِيٌّ، فتعلَمَ بذلـك أن الله ـ جلّ وعـلاّ ـ قـد وهب لك الولَدَ. و «سَوِيًّا» منصوب على الحال.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

قيل معنى أَوْحى إليهم أَوْمَأَ إليهم ورَمَزَ، وقيل كتب لهم في الأرض بيده. وبكرةً وعشِيًّا ـ منصوبان على الوقت.

وقوله: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.

المعنى: فَـوَهَبْنَا لَـه يحيى وقلنا لـه ﴿يا يحيى خُـذِ الكِتَابَ بقـوَّةٍ﴾، أي بجِدٍّ وعونٍ من الله ـ جل وعز ـ.

﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وزكاةً﴾(١).

---

(١) الحكم يعني الحكمة.

أي وآتيناه حَنَاناً، والحنان العطف والرحمة. قال الشاعر[1]:

فقالت حَنَانٌ ما أتى بك ههنا ... أذو نسب أم أنت بالحَي عَارِفُ

أي أمرنا حنان، أو عطف ورحمة:

وقال أيضاً[2]:

أبا منذر أسرفت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

المعنى وآتيناه حناناً من لدنا وزكاةً، والزكاة التطهير.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾.

أي وجعلناه برّاً بوالديه.

وقوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيًّا﴾.

﴿انْتَبَذَتْ﴾ تَنَحَّتْ. ويقال نَبَذْتُ الشيء إذَا رَمَيْتُ به. ﴿مَكَاناً شَرْقِياً﴾ أي نحو المشرق.

﴿فاتَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً﴾.

قيل إنها قصدَتْ نَحو مطلَع الشمس، لأنها أَرَادَتِ الغُسْلَ مِن الحيْضِ.

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾.

يعنى به جِبْرِيل ﷺ. وقيل الرُّوحُ عيسَى، لأنه روح من اللَّه -عز وجل- قال اللَّه - عز وجل -: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[3].

---

(١) للمنذر بن درهم الكلبي: وهو في شواهد الكشاف ص ٧٩ ومن شواهد النحو الشائعة على حذف المبتدأ، وانظر الخزانة ١/٢٧٧، وهو الشاهد السادس والتسعون وابن يعيش ١/١١٨، وكتاب سيبويه ١/٣٢٠.

(٢) تقدم أنه لطرفة.

(٣) سورة النساء الآية ١٧١.

وقيل إن الروح دخل من في مَرْيَم.

ويدل على أنّ جبريل عليه السلام هو الروح قوله: ﴿فَتمثَّل لَهَا بَشَـراً سَوِيًّـا، قَالَ إنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهبَ لكِ غُلَاماً زَكيًّا﴾.

أكثر القراءة ﴿لأَهَبَ﴾، ورُوِيَتْ لِيَهبَ لكَ، وكذلـك قرأ أبـو عمرو: لِنَهَبَ لكِ غُلاماً زَكيًّا.

﴿قَالَتْ إني أَعُوذُ بالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إنْ كُنْت تَقِيًّا﴾.

تأويله إنيّ أَعُوذُ باللَّهِ مِنكَ، فـإن كنت تقياً فَسَتَّعِظُ بتعوذي باللّه منـك. أمـا من قـرأ ليهبَ بـاليـاء فـالمعنى أَرْسَلَني ليهب، ومن قـرأ لأَهَبَ فهــو على الحكـاية وحمـل الحكايـة على المَعنى، على تأويـل قال أرسلت إليـك لأهب لك.

وقوله: ﴿قَالَتْ أنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بغيًّا﴾.

أي لم يَمسَسْني بشر على جهة تَزويج، ولم أكَ بغيًّا، أي ولا قُرِبْتُ على غير حد التزويج.

﴿قَالَ كَذَلِك﴾.

أي الأمر على ما وصفت لكِ.

﴿قَالَ رَبُّكِ هُـوَ عَلَيَّ هَيِّن وَلِنَجْعَلَـهُ آيَـةً لِلنَّـاس ورَحْمَـةً مِنّـا وَكَـانَ أَمْـراً مَقْضِيًّا﴾.

أي وكانَ أمراً سَابقاً في علم اللَّهِ عَزَ وجَل أنْ يقعَ.

وقوله: ﴿فَحَمَلَتْه فانْتَبَذَتْ بِه مَكَاناً قصيًّا﴾.

﴿انتَبَذَتْ به﴾ تباعدت به. وقَصِيًّا وقَاصِياً في مَعْنى وَاحِدٍ، معناهُ البُعْدُ.

وقوله: ﴿فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾.

معناه ألجأها، وهو من جئت وأجاءني غيري، وفي معناه أَشَاءَنِي غيري، وفي أمثال العرب: شَرٌّ أجاءَكَ إلى مُخَّةِ عُرْقُوبٍ[1] وبعضهم يقول: أشَاءَكَ. قال زُهَيْرٌ:

وجَـارٍ سَـارَ مُعْتَمِداً إليْنا أجاءته المخافة والرَّجَاءُ[2]

واختلف في حمل عيسى عليه السلام، فقيل إنها حَمَلَت به وولدته في وقتها، وقيل إنه ولد في ثمانية أشهر، وتلك آية له لأنه لا يُعْرَفُ أنه يعيش مولود وُلِدَ لثمانية أشْهُر غيرُه. وقوله عز وجل: ﴿فأجاءها المخاض﴾ - يدل على مكْثِ الحْملِ والله أعلم.

وقوله جل وعز: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾.

معناه إنّي لَوْ خُيِّرْتُ قبلَ هَذِه الحالِ بين الموتِ أو الدفع إلى هذه الحال لاخترت الموت، وقد علمتْ - رضوان الله عليها - أنها لم يكن ينفعها أَوْ تتمنّى الموت قبل تلك الحال.

وقوله: ﴿وَكُنْتُ نِسْياً مَنْسِيّاً﴾.

ويقرأ ﴿نَسْياً﴾ - بفتح النون - وقيل معنى «نَسْياً» حَيْضَةً مُلْقَاةٍ وقيل نِسْياً بالكسر في معنى مَنْسِيّةً لَا أَعْرَفُ[3] والنِّسْيُ في كلام العَرَبِ الشيء المطروح لا يؤبه له، قال الشنفري[4]:

---

(١) في مجمع الأمثال: شر ما يجيئك إلى مخة عرقوب، - وذلك أن العرقوب لا مخ له، وإنما يلجأ إليه من لا يقدر على شيء، وبنو تميم يجعلون الجيم شيئاً ويقولون يشيئك - بمعنى يجيئك ويلجئك.

(٢) اللسان (جيأ) - والديوان ٢٧٧، والقرطبي ٩٢/١١.

(٣) فِعْل بمعنى مفعول كثير في اللغة العربية - مثل فرية وكذب، وهي قاعدة نحوية معروفة.

(٤) البيت في اللسان (نسا - بلت) وبلت - مكسورُ عين الماضي - كعلم - سكن والبَلْتُ بالتحريك الانقطاع - والمعنى أنها تنقطع عن الكلام حياء وبما يعتريها من الجهر - وانظر المفضلية ٢٠.

كان لها في الأرض نِسْياً تَقُصُّه على أُمِّهـا وَإن تُكَلِمْـكَ تَبْلَتِ

وقوله: ﴿فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا﴾.

وتقرأ ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾، وهي أكثر بالكسر في القراءة، وَمَنْ قَرَأَ مَن تَحْتهَا عَنَى عيسى عليه السلام. ويكون المعنى في مناداة عيسى لها أن يبين اللَّه لها الآية في عيسى، وأنَّه أعلمها أنَّ اللَّه - عز وجل - سيجعل لها في النخلة آية. ومن قرأ «مِنْ» تَحْتِهَا - عَنَى بِهِ المَلَكَ.

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.

رُوِيَ عن الحَسنِ أنه قال يعني عيسى، وقال: كان واللَّه سَرِيًّا من الرجال، فعرف الحسنُ أن من العرب من يسمي النهر سرياً فرجع إلى هذا القول. ولا اختلاف بين أهل اللُّغة أنَّ السَّرِيَّ النهر بمنزلة الجدول، قال لبيد:

فتوسَّطا عُرضَ السَّرِيِّ فغادرا مسجورةً متجاوراً قُلَّامها[1]

وقال ابن عباس: السري النهر وأنْشَدَ[2].

سَلْمٌ ترى الدالي منه أزْوَرَا

إذا يعج في السَّرِيِّ هَرْهَرَا

وقوله عز وجل: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا﴾.

يروى أنه كان جِذْعاً من نخلةٍ لا رَأْسَ عَليه، فجعل اللَّه - جل وعز - له رأساً وأنبت فيه رُطَباً، وكان ذلك في الشتاء. فأما نصب رُطَباً فقال محمد بن يزيد هو[3] مفعول به، المعنى وهُزِّي إلَيْكِ بِجِذْع النَخْلَةِ رُطباً تَسَّاقط عليكِ.

---

(١) البيت الرابع والثلاثون من معلقته - يصف عيراً وأتانا، وعرض السرى جانب النهر - ومسجورة مليئة بالماء - أي أن العير وأتانه توسطا جانب النهر وشقا عينا ممتلئة بالماء يكثر حولها شجر القلام.

(٢) البيتان في اللسان «هرر» بدون نسبة - وهرهر أي سُمِعَ له صوتٌ وهو يشرب.

(٣) في الأصل هو فقال محمد بن يزيد هو:

ويجوز تَسَاقط عليك، ويجوز يُسَاقِطْ عَلَيْكِ، ويجوز نُسَاقط عَلَيْكِ. بالنون ويجوز يَسَّاقطْ باليَاءِ، ويجوز يتساقط عليك. ويجوز تُساقطُ عَلَيْكِ، ونُساقطُ. ويَسَّاقَطُ بالرفع. ويُروَى عَنِ البَراءِ بن عَازِب[1].

فمن قرأ يساقَطُ عَلَيْكِ فالمعنى يَتَسَاقطُ فأدغمت التاء في السِين ومن قرأ تسَّاقَطْ، فالمعنى تَتَساقَطُ أيضاً. فأدْغِمت الياء في السِّين وأنِّثَ لأن لَفظَ النَّخْلَةِ مُؤَنَّثْ. ومن قرأ تَسَاقَطْ بالتاء والتخفيف فإنه حذف التاء من تتساقط لاجتماع التاءَيْن، ومن قرأ يُسَاقِطْ ... إلى معنى يُسَاقِطُ الجذْعُ عَلَيْك. ومن قرأ نُسَاقِط بالنون فالمعنى أنا نحن نُسَاقِطُ عليك فنجعل لك بِذلك آيةً.

والنحويون يقولون إن رُطباً مَنْصُوبٌ على التمييز، إذا قُلتَ يسَّاقَطُ أو يتساقط فالمعنى يتساقط الجذعُ رُطباً، ومن قرأ تَسَاقطُ فالمعنى تَتساقطُ النخلة رطباً.

وقوله:﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً﴾.

أي فكلي من الرطب، واشربي من السَّرِيِّ، وقَرِّيّ عَيْناً بعيسى. يقال: قرِرْت به عيناً أَقَرُّ بفتح القاف في المستقبل. وقَرَرْتُ في المكان أقِرُّ ـ بكسر القاف ـ في المستقبل. وعيناً منصوب على التميز.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحَداً﴾.

بغير ألف [في تَرَيِنَّ] ويجوز «تَرْأَيِنَّ» بألف ولم يقرأ بالألف أَحَدٌ وهي جَيِّدَةٌ بالغة لكنها لا يجوز في القراءة. وكذلك قوله عز وجل:﴿إنني مَعَكُمَا أَسْمَعَ وأَرَى﴾[2]، ويجوز وأَرْأَى بالألف، ولا تقرأ بها، لفظُها أَرْأَى، لأن

---

(١) البراء بن عازب أنصاري أوسي روى عن رسول الله (ص) جملة أحاديث. شهد خمسَ عشرة غزوة، ولم يشهد بدراً لأنه كان صغيراً رده رسول الله ﷺ لصغره. وشهد موقعة الجمل وصفين ومات في نحو سنة ٧٢.

(٢) سورة طه الآية ٤٦.

القراءة سنة لا تخالف. والأجْوَدُ أَرَى، وكذلك تَرَيِنَّ الأجود بغير همز، والتاء علامة التأنيث، والأصل تَرْأَيِن، والياء حركت لالتقاء الساكنين. النون الأولى من النون الشديدة. والياء. وكذلك تقول للمرأة اخْشَيِنَّ زيداً.

﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾.

معنى ﴿صوماً﴾ صمتاً. يقال نَذَرْتُ النَّذْرَ أنذِرُهُ وَأَنْذُرُه، ونَذِرتُ بالقَوْم أَنْذَرُ إذا علمت بهم فاستعدَدْتَ لهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا﴾.

أي شيئاً عظيماً، يقال فلانٌ يَفْرِي الفَرِيَّ إذا كان يعمل عملاً يبالغ فيه.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.

اختلف في تفسير: «أُخْتَ هَارُونَ» في هذا الموضع.

رَوَيْنَا في التفسير أنَ أَهْلَ الكتاب قالوا: كيف تقولون أنتم: مَرْيَمُ أخت هارون وبينهما ستمائةِ سنة، فقيل ذلك لرسول الله ﷺ فقال: إنهم كانوا يُسَمُّون بأسْماء الأنبياء والصالحين، أي فكان أخو مَرْيَمَ يسمَى هارون[1]. وقيل إنهم عَنَوْا بأخت هارون في الصلاح والدين[2]، ويروى أن هارون هذا الدَّيِّنَ كان رجلاً من قومها صالحاً، وأنه حضر جنازَتَه أربعون ألفاً يسمى كل واحد منهم هارون.

والذي في هذا عن النبي ﷺ بَيِّنٌ.

---

(١) يقتضي هذا أنه كان لمريم أخ سموه هارون ـ وهذا غير معروف. في الأناجيل.

(٢) هارون عليه السلام هو الزعيم الديني عند اليهود، وأخته هنا بمعنى شبيهته في تقواه وورعه ـ فليست أخوة نسب، وإنما هو تعبير مجازي.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيهِ﴾.

أي لما خاطبوها أشارت إليه، بأَنْ جَعَلُوا الكلامَ مَعَهُ، ودَلَّ على أنها أشارت إليه في الكلام قولهم ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ في المَهْدِ صَبِيًّا﴾.

وفي هذا ثلاثة أوجهٍ. قال: أبو عبيدة إن معنى «كان» اللغو، المعنى كيف نكلم من في المهد صبياً[1]، لأن كل رجل قد كان في المَهْدِ صبياً، ولكن المعنى كيف نكلم من في المهد صَبِيًّا لا يَفهمُ مِثْلهُ، ولا ينطق لسانه بالكلم. وقال قوم إنَّ «كان» في معنى وقع وحَدَثَ. المعنى على قول هؤلاء: كيف نكلم صبياً قد خلق في المَهْدِ[2].

وأجود الأقوال أن يكون «من» في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى: من يكن في المهد صبياً - ويكون «صبيًّا» حالاً - فكيف نكلمه. كما تقول من كان لا يسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه[3]. وروى أبو عيسى عليه السلام لما أومأت إليه اتكأ على يساره وأشار بسبَّابَتِه فقال:

﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَني نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ﴾.

أي معلماً للخير.

﴿وَأَوْصَانِي بالصَّلَاةِ والزَّكَاةِ ما دُمْتُ حَيّاً﴾.

ومعنى الزكاةِ هَهُنا الطَّهَارَةُ، ما دُمْتُ حيًّا - دُمْتُ، ودِمْتُ جميعاً.

﴿وَبَـرًّا بِوَالِدَتي﴾.

---

(١) الذي في مجازه أنها بمعنى حدث لساعته - قال: «كيف نكلم من حدث في المهد صبياً» - أي من ولد لساعته - وذكر أنه «كان» تأتي للأزمنة المختلطة وتأتي زائدة - ولكنه لم يخرج الآية على أن كان فيها زائدة - ونصب «صبياً» في كلامه على الحال، والظرف خبر.

(٢) هذا قرَّرَهُ أَبُو عُبَيْدَة - أي هو موضوع في المهد.

(٣) هذا وجه متكلف جداً ومستبعدٌ وبمقتضاه تنتهي الجملة عند كيف نكلم، لأن الشرط له الصدارة - ولو أنه جعلها استفهامية لكان أقرب.

﴿وبرًّا﴾ عطفٌ على ﴿مباركاً﴾، المعنى وجعلني مباركاً وَبَرًّا بِوَالِدَتي.

﴿والسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ويَوْمَ أَمُوتُ﴾.

﴿السلام عليَّ﴾ فيه أوجه، فالسلام مصدر سلَّمْتُ سلاماً، ومَعناهُ عموم العافية والسلامة، والسلام جمع سلامة، والسلام اسم من أسماء اللَّه جل وعزَّ، وسلام مما ابتُدئ به في النكرة، لأنه اسم يكثر استعماله. تقول سلام عليك والسلام عليك. وأسماء الأجناس يبتدأ بها، لأن فائدة نِكَرتِها قريب من فائدة معرفتها. تقول: لَبَّيْكَ وخَيرٌ بين يَدَيْكَ، وإن شئت قلت: والخير بين يديك، وتقول: السلام عليك أيها النبي، وسلام عليك أيها النبي، إلا أنه لمَّا جَرَى ذكر «سلام» قبل هذا الموضع بغير ألف ولام كان الأحسن أن يُرَدَّ ثانية بالألف واللام، تقول: سلام عليك أيها النبي، السلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين، هذا قسمٌ حسن، وإن شئت قلت سلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين.

وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ﴾.

أي ذلك الذي قال ﴿إني عبد اللَّه آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ هو عيسى بن مريم لا ما يقول النصارى من أنه ابن اللَّه وأنه إله - جل اللَّه وعز.

وقوله - عز وجل: ﴿قَوْلُ الحقِّ﴾.

[بالرفع] ويجوز قولَ الحق بالنصب، فمن رفع فالمعنى هو قول الحق ومن نصب فالمعنى أقول قولَ الحق الذي فيه يمترون أي يشكون.

﴿مَا كانَ لِلَّه أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾.

﴿مِنْ وَلَدٍ﴾ في موضع نصب، والمعنى أن يتخذ وَلَداً، و «مِنْ» مؤكدة. تدل على الواحد والجماعة لأنّ للقائِلِ أَنْ يَقُولَ: ما اتخَذْتُ فَرساً يريد

اتخذت أكثر من ذلك، وله أن يقول ما اتخَذْتُ فرسين ولا أكثر يريد اتخذت فرساً واحداً، فإذا قال ما اتخذت من فرسٍ فقد دل على نَفْي الواحد والجَمِيعِ.

﴿سُبْحَانَهُ﴾.

معناه تنزيهاً له من السوء.

وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

يعنى به يوم القِيَامة.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾.

المعنى مَا أَسْمَعَهُمْ وأبصَرَهُمْ يوم القيامة لأَنَّهم شَاهَدُوا من البعث وأَمْر اللّه عز وجل ما يسمع ويبصر بغير إعْمال فِكْرٍ وَتَرْوِيَةٍ. وما يُدعَوْنَ إليه من طاعة اللّه - جل جلاله - في الدنيا يحتاجون فيه إلى فكر ونظر فضلوا عن ذلك في الدنيا وآثروا اللهو على الهوى، فقال اللّه تعالى: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾.

﴿يوم الحسرة﴾ يوم القيامة، روي في التفسير أنه إذا كان يوم القيامة واستقرَّ أهلُ الجنة في الجنة، وأهْلُ النَّارِ في النار أُتِيَ بالمَوْتِ في صُورَة كَبْشٍ أملح[1] فيعرض على أهل النار فيشرئبون[2] إليه. فيقال: أتعرفون هذا، فيقولون: نعم، فيقال:

---

(١) كبش أملح بين المُلْحَةِ والمَلَحَ.

والكبش الأملح هو الأبلق بسواد وَبَيَاضٍ - والمُلْحَةُ مِنَ البَشَرةِ بياض تشوبه شعرات سود. وضَحَّى رسول اللّه ﷺ بكبشين أملحين.

(٢) يتطلعون إليه مادِّين أعناقهم للأعلى.

هذا الموت فيذبح وينادى: بأهل النار، خُلُودٌ لاموت بعده، وكذلك ينادى بأهلَ الجنة خُلُودٌ لا مَوت بَعْدهُ.

﴿وَهُمْ في غَفْلة﴾.

أي هم في الدنيا في غفلة.

﴿وَاذْكُرْ في الكِتابِ إبْرَاهِيم إنَّه كَانَ صِدّيقاً نَبِيًّا﴾.

أي اذكر في الكتاب الذي أنزلَ عليك وهو القرآن قِصّةَ إبْراهِيمَ وخَبَرهُ. الصِّديقُ اسمٌ للمبالغة في الصِّدْقِ. ويقال لكل مَنْ صَدَّقَ بتوحيد الله وأنبيائه وعمل بما يصدِّقُ به صِدِّيقٌ، ومن ذلك سمي أبو بكر الصِّديقَ.

وقوله: ﴿إذْ قال لأبيه يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾.

الوقف عليه يا أبَه بالهاء، والعرب تقول في النداء يا أَبَةِ، ويَا أمَةِ ولا تقول قال أبتي كذا ولا قالت أُمَّتِي كذا[1]، وزعم الخليل وسيبويه أنه بمنزلة قولهم يا عمة ويا خالَةَ، وأن أبَة للمذكر والمؤنث، كأنك تقول للمذكر أبة وللمؤنث. والدليل على أنَّ للأمِّ حظاً في الأبُوةِ أنَّه يقال أَبَوانِ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾[2]. وزعم أنه بمنزلة قولهم رجل رَبْعة[3]، وغلام يَفَعَةٍ[4]. وأن الهاء [في أَبَةِ] عوض من ياء الإضافة من يا أبي ومن يَا أمِّي ولم يقل يا أبتي ولا يا أمّتي، ولذلك لم تقع الهاء في غير النداء، لأن حذف الياء يقع في النداء كثيراً، تقول: يَا أَبِ لا تفعل، ولا تقل قال أبِ كذا وكذا تريد قال أبي.

والمؤنث قد يوصف بالمذكر كقولهم امرأة طالق وطاهر، ويقال ثَلاَثَةُ

---

(١) يقال ذلك في النداء فقط.

(٢) سورة النساء الآية ١١.

(٣) رجل ربعة متوسط القامة ليس بالطويل ولا بالقصير.

(٤) ناشيء شارف الرُّجولة.

أَنْفُسٍ[1]، والنفس أنثى سُمِّيَ بها المذَكّرُ وهذا تفسير مستقصى وقريب.

﴿يَا أَبَتِ لاَ تَعْبِدِ الشَّيْطَانَ﴾.

فمن فتح[2] حذف الألف التي أُبْدِلَتْ مِنْ يَاءِ الإضافة أَرَادَ يَا أَبَتَا فالألفُ بدَلٌ من ياء الإضافة إلَّا أنَّ الواجب حذفها، إذ كانت بدلاً من ياء تحذف.

وقوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْك شَيْئاً﴾.

يعني الصَنم.

وقوله: ﴿إنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

يدل أنه كان قَدْ أَتَاهُ الوَحْيُ.

ومعنى: ﴿صِرَاطاً سَوِيًّا﴾.

أي طريقاً مستقيماً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إنَّ الشَّيطَانَ كَانَ للرَّحمن عَصِيًّا﴾.

معنى عبادة الشيطان ـ والله أعلم ـ طاعته فيما يسول من الكفْرِ والمَعَاصِي.

وقوله: ﴿لأَرْجُمَنَّكَ﴾.

معناه لأشتمنَّكَ، يقال: فلانٌ يَرْمي فلاناً ويرْجُمُ فُلاَناً معناه يشتمه، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ﴾[3] معناه يَشْتِمُونَهُنَّ، وجائز أن يكون لأرجمنك لأقتلنك رَجْماً، والذي عليه التفسير أن الرجم ههنا الشتم.

وقوله: ﴿إنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾.

---

(١) أي تؤنث العدد دليلاً على تذكير المعدُود.

(٢) من قرأ «يا أبت» بفتح التاء.

(٣) سورة النور الآية ٤.

معناه لطيفاً، يقال: قد تَحَفَّى فلانٌ بفُلَانٍ، وحَفِي فُلَانٌ بفُـلانٍ حَفْوَةً إذا بَرَّهُ والْطَفَهُ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

أي أبقينـا لهم ثناء حسنـاً، وكذلـك قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَـانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[1].

وقوله: ﴿واذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً﴾.

ومخلَصاً يقرآان جميعاً. والمخلص ـ بفتح اللام الـذي أخلصه اللَّه جـلّ وعزّ، أي جعله مختـاراً خالصـاً من الدَّنَس. والمخْلِصُ ـ بكسـر الـلام ـ الذي وَحَّدَ اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ! وجَعَلَ نفسه خالصة في طاعة اللَّه غير دنِسَةٍ.

وقوله: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

معناه مناجياً. وجاء في التفسير أن اللَّه عزّ وجلّ قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبتْ به التـوْرَاةُ، ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ [أن يكونَ] مثل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تكليماً﴾[2] أي قربه في المنزلة حتى سمع مناجاة اللَّه ـ عزّ وجـلّ ـ وهي كلامُ اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَـا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِياً﴾.

هارون لا ينصرف في المعرفة لأنه اسم اعجمي وهو معرفة.

وقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلَاةِ والزكاةِ﴾.

أهله جميعُ أمته، مَنْ كـانت بينه وبينـه قرابة أو [من] لم تكن، وكذلـك أهل كُلِّ نبي أُمَتُهُ.

---

(١) سورة الشعراء الآية ٨٤.

(٢) سورة النساء الآية ١٦٤.

﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّه مَرْضِيًّا﴾.

أصله مَرْضُوًّا، وهو جائز في اللغة[1] غير جائز في القرآن لأنه مخالف للمصحف، والخليل وسيبويه وجميع البصريين يقولون: فلان مَرْضُوٌ ومَرضِيٌ وأرض مَسْنُوَّة ومسنيّة إذا سقيت بالسواني[2] أو بالمطر، والأصل الواو إلا أنها قلبت عند الخليل لأنها طرف قبلها واو ساكنة ليس بحاجز حصين، وكأنها مَفْعُل [بضم العين] ومفعُل من أدوات الواو يقلب إلى مَفْعِل، لأن الواو لا تكون طرفاً وقبلها متحرك في الاسماء، وأما غير سيبويه والبصريين فلهم فيه قولان:

قال بعضهم: لما كان الفعل منه رضيتُ فانتقل من الواو إلى الياء، صار مَرْضِيًّا. وقيل إن بعض العرب يقول في تثنية رضىً رِضيَان ورِضَوَانِ، فمن قال رضيانِ لم يكن من قوله الا مرضيٌّ، ومن قال رضوانِ في التثنية جاز أن يقول فلان مَرْضوٌّ ومرضِيٌّ.

وقوله سبحانه:﴿ورفعناه مكاناً عَلِيًّا﴾.

جاء في التفسير أيضاً أنه رفع إلى السماء الرابعة، وجاء في التفسير أيضاً أنه سأل ملك الموت حتى سأل اللّه ـ جلّ وعزّ ـ أنْ رَفَعَهُ فأُدْخِلَ النارَ ثم أخرج فأدخل الجنة فقيل له في الخروج فقال: قد قال اللّه عزّ وجلّ :﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[3] وقال في أهل الجنة: ﴿وَمَا هُمْ مِنْها بِمُخْرَجين﴾[4] فأقَره اللّه عزّ وجلّ في الجنة.

وهذا الحِجَاج إنما هو في القرآن ـ واللّه أعلم.

---

(١) الذين أجازوه أجروه مجرى مُدْعُوٌ ومَرجُوٌ إبقاء للواو على أصلها. والتصريف المألوف مَرْضِيٌّ.

(٢) جمع سانية نوع من السواقي لا يزال باقياً في بعض القرى.

(٣) سورة مريم الآية ٧١.

(٤) سورة الحجر ٤٨.

وجائز أن يكون قد أعلم اللَّه ـ عز وجل ـ إدريس ورُوُدَ الخلق النَّارَ وأنهم مُخَلَّدون في الجِنَان قبل إنْزَاله القرآن، وجاء القرآن موافقاً ما عُلِّمَ إدْرِيسُ.

وجاء في التفسير أنه رُفِعَ كما رُفِعَ عيسى.

وجائز أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيًّا..﴾ [أي] في النبوة والعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا﴾.

قد بَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَه أن الأَنْبِيَاءَ كانوا إذَا سَمِعُوا بآيات اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ سَجَدُوا وبَكَوْا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وبُكِيًّا جمع باكٍ، مثل شاهد وشُهود وقَاعِد وقُعُود، وسُجَّداً حال مُقَدَّرَة المعنى: خَرُّوا مُقَدِّرِينَ السُّجُودَ لأن الإنسان في حال خرُورِهِ لا يكون سَاجِداً وسُجَّداً منصوب على الحال. ومن قال: بُكِيًّا ههنا مصدر فقد أخطأ لأن ﴿سُجَّداً﴾ جمع سَاجد و﴿بُكِيًّا﴾ عطف عليه، ويقال بَكَى بُكَاءً وبُكِيًّا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾.

يقال في الرداءة خَلْف ـ بإسكان اللام ـ. تقول خَلْفُ سُوءٍ وفي الصَّلاحِ خلَفُ صِدْقٍ ـ بفتح اللام ـ وقد يقال في الرداءة أيضاً خَلَف ـ بفتح اللام ـ وفي الصلاح بإسكان اللام، والأجود القول الأول.

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾.

جاء في التفسير أَنَّهُمْ صَلَّوْهَا في غير وقتها، وقيل أَضَاعُوهَا وتَرَكُوهَا البتَّة وهذا هو الأشبه، لأنه يدل على أنه يعْنَى بِهِ الكفَّارُ. ودليل ذلك قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾

أي فَسَوْفَ يلقون مُجازَاةَ الغَيِّ كما قال عزّ وجلّ :﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾[1] أي مجازاة الأثام. وجاء في التفسير أن «غَيًّا» وادٍ في جهنم، وقيل نهر في جهنم، وهذا جائز أن يكون نهراً[2] أعد للغاوين فسمي غياً.

وقوله عزّ ووجلّ :﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾.

«مَنْ» في موضع نصب أي فسوفَ يلْقَوْنَ العذابَ إلَّا التَّائبين. وجائز أن يكون نصباً استثناء من غير الأول، ويكون المعنى لكن من تاب وآمن.

﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ﴾.

ويقرأ يُدْخَلُونَ الجنَّةَ.

وقوله تعالى : ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

يجوز الرفع والنصب، الرفع على معنى هي جنات عدن، والنصب على معنى يدخلون في جنات عَدْنٍ. وعدن في معنى إقامة، يقال: عَدَنَ بِالمَكانِ إذا أقام به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾.

مأتيّ مفعول من الإتيان، لأن كل ما وصل إليك فقد وصلت إليه وكل ما أتاك فقد أتيتَهُ[3]، يقال: وصلت إلى خير فلان ووصل إليَّ خير فلانٍ وأتيت خير فلان وأتاني خير فلانٍ. فهذا على معنى أتَيتُ خيرَ فلانٍ[4].

---

(١) سورة الفرقان / ٦٨.

(٢) في الأصل نهرٌ بالرفع.

(٣) يقصد أن وعده مأتي هنا بمعنى آت.

(٤) يلاحظ أن هناك فرقاً بين التعبيرين، وإيثار «مأتي» هنا يدل على أنهم سيرغمون إلى ملاقاة ما وعد الله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً﴾.

اللغو ما يلغى من الكلام ويؤثم فيه، و﴿سلاماً﴾ اسم جامع للخير مُتَضَمِّنٌ للسلامة، فالمعنى أن أهل الجنة لا يسمعون إلا ما يُسَلِّمُهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وعَشِيًّا﴾.

قيل: ليس ثم بكرةٌ ولا عَشِيٌّ، ولكنهم خُوطِبوا بما يَعْقِلونَ في الدنيا. فالمعنى لهم رزقهم في مقدار ما بين الغداة والعشيِّ. وقد جاء في التفسير أيضاً أن معناه: ولهم رزقهم فيها كلَّ ساعة. وإذا قيل في مقدار الغداة والعَشِيِّ فالذي يقسم في ذلك الوقت يكون مقدار ما يريدون في كل ساعة إلى أن يأتي الوقت الذي يتلوه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

يروى أن النبي ﷺ أَبْطَأَ عَنْهُ جبريلُ عليه السلام في الوحي، فقال عليه السلام وقد أتاه جبريل: ما زُرْتَنَا حتى اشتقْنَاكَ، فقال: وما نتنزل إلاّ بِأمر رَبِّك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾.

ما بين أيدينا أَمْرُ الآخرة والثوابُ والعقاب، وما خَلْفَنَا جَميعُ مَا مَضَى مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا، وما بَيْن ذَلِكَ ما يكون منا من هذا الوقت إلى يوم القيامة وجاء في التفسير وما بين ذلك قيل ما بين النفختين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

أي قد علم الله جلّ وعلاّ ما كان وما يكون وما هو كائن، حَافِظٌ لذلك عزّ وجلّ. لا ينسى منه شيئاً. وجائز أن يكون والله أعلم: مَا نَسِيَكَ رَبُّكَ وَإِنْ تأخر عنك الوحي.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما﴾.

أي هو مالك لهما وعالم بهما وبما فيهما.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

جاء في التفسير: هل تعلم له مَثَلاً، وجاء أيضاً لم يسم بالرحمن إلا الله عزّ وجلّ. وتأويله ـ والله أعلم ـ هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له خالقٌ وقادر وعالم بما كان وبما يكون، فذلك ليس إلاّ من صفة الله تعالى.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرِجُ حَيًّا﴾.

يعنى بهذا الكافر الذي لا يؤمن بالغيب خاصة، ومُتُّ ومِتُّ[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ﴾.

ويُقْرأ أو لا يذكر بالتخفيف والتَّثقِيل.

﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ولم يَكُ شيئاً﴾.

أعلم الله عزّ وجلّ أن إعادة الخلق مثل ابتداء خَلقِهِمْ، وهذا كما قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ الآية[2] فكان الجواب ﴿قل يحييها الذي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ والشَّيَاطِينَ﴾.

أي فوربك لنبعثنهم ولنحشرنهم مع الشياطين الذين أغوَوْهم.

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّم جِثِيًّا﴾.

وجُثِيًّا ـ بالضم والكسر جميعاً، ومعنى جثيا على ركبهم، لا يستطيعون القيام مما هم فيه وجُثِّي جمع جَاثٍ وجُثى، مثل قاعد وقعود وبارك وبروك.

---

(١) من مات يموت مُتُّ، ومن مات يَمات مِتُّ.

(٢) بقيتها: ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ سورة يس / الآية ٧٨.

(٣) سورة يس ـ ٧٩.

والأصل ضم الجيم وجائز كسرها، اتباعاً لكسرة اليّاء، وجثيا منصوب على الحال.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُـمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾.

وَعُتِيًّا ـ بالكسر والضّم، ومعناه لننزعن مِنْ كل أمّةٍ ومِنْ كُلِّ فرقةٍ الأعتى فَالأَعْتَى منهم، كأنهم يُبْدَأ بتعذيب[1] أشدهم عُتِيا ثم الذي يليه. فأما رفع أيهم فهو القراءة، ويجوز أَيَّهُمْ بالنصب حكاها سيبويه، وذكر سيبويه أنَّ هارون الأعوَرَ القارىء[2] قرأ بها. وفي رفعها ثلاثة أقوال:

قال سيبويه عن يونس إن قوله جلّ وعزّ لَنَنْزِعَنَّ معقلةٌ لم تعمل شيئاً، فكأنَّ قولَ يونس: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ ثم استأنف فقال ﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾[3].

وأما الخليل فَحَكَى عنه سيبويه أنه على معنى الذين يقال ﴿أيُّهم أشد على الرحمن عتياً﴾[4]، ومثله عنده قول الشاعر[5]:

ولقد أبيتُ من الفتاة بمنزل فأبيتُ لا حَرِجٌ ولا محروم

المعنى فأبيتُ بمنزلة الذي يقال له لا هو حرجٌ ولا هو محروم.

---

(١) في الأصل كأنهم يُبْدَى بالتّعذيب أشدهم عناء.

(٢) هو هارون بن موسى العتكي البصري أزدي بالولاء، أخذ القراءة عن عاصم الجحدري، وعاصم أبي النجود وعبد الله بن كثير، وعبد الله ابن أبي إسحاق، أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وبحث أسانيد الشاذ منها. مات قبل المائتين. (غاية النهاية ٣٧٦٣).

(٣) التعليق لا يعني استئناف الآية وإنما يعني أنها استفهامية فلا يعمل الفعل فيها.

(٤) فأي ما تزال استفهامية ولهذا قدر القول.

(٥) الأخطل ـ والبيت في الخزانة ٥٥٣/٢، وابن الشجري ٢٩٧/٣. وابن يعيش ١٤٦/٣، ٨٧/٧، ومعاني الفراء ١٢٦/٣، وكتاب سيبويه ٣٩٩/٢ ويروى: لا زان ولا محروم، والمراد أنه كان الأصل أن ينصب حرجاً ومحروماً.

وقال سيبويه أن «أيهم» مَبْنِيَّةٌ على الضم لأنها خالفت أخواتها، واستعمل معها حرف الابتداء، تقول اضرب لأيُّهُم أفْضَلُ يريد أيهم هو أفضل، فيحسُنُ الاستعمال، كذلك يحذف هو، ولا يَحْسُنُ. «اضْرِبْ من أفضلُ» حتى تقول من هو أفضل، ولا يحسن «كُلْ مَا أَطْيَبُ» حتى تقول: كل ما هو أطيب. فلما خالفت من وما والذي ـ لأنك لا تقول أيضاً: «خُذِ الذي أفضَلُ» حتى تقول هو أفضل، قال فلما خالفت هذا الخلافَ بنيت على الضم في الإضافة، والنَّصْبُ حَسَنٌ، وإن كنت قد حذفت «هُوَ» لأنَّ «هو» قد يجوز حذفها، وقد قرئت ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ﴾[1]وتفصيلاً على معنى الذي هو أحسن.

قال أبو إسحاق: والذي أعتقده أن القولَ في هذا قولُ الخليل، وهو موافق للتفسير، لأن الخليل كان مذهبهُ أَوْ تَأْويله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الذي مِنْ أَجْلِ عُتُوِّهِ يقال: أَيُّ هؤلاءِ أَشَدُّ عِتِيًّا. فيستعمل ذلك في الأشدِّ فالأشد، والله أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾.

وصُلِيًّا ـ بالضم والكسر ـ على ما فسرنا، وصليا منصوب على الحال.

[أي] أي ثم لنحن أعلم بالذين هم أشد على الرحمن عِتِيًّا فهم أولى بها صِلِيًّا.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مقضيًّا﴾.

هذه آية كثير اختلاف التفسير فيها في التفسير[2] فقال كثير من الناس إنَّ الخلق جميعاً يَرِدُون النَّارَ فَيَنْجُو المتَّقِي ويُتْرَكُ الظَّالِمُ ـ وكلهم يَدْخُلُهَا، وقال بعضهم: قد علمنا الوُرُودَ ولم نَعْلَمْ الصَّدَرَ.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٤ ﴿ثم آتينا مُوسَى الكتَابَ تماماً عَلَى الَّذي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شيء وهُدًى ورَحْمةً لَعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِم يُؤْمِنُون﴾.

(٢) أي في كتب التفسير اختلاف كثير في تفسير هذه الآية. وتعبير الزجاج متسم

وحجـة من قال بهـذا القول[1] أنـه جرى ذكـر الكـافـرين، فقـال: ﴿ثم لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ ثم قال بعد: ﴿وإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُها﴾ فكأنـه على نظم ذلك الكلام عام.

ودليـل من قال بهـذا القول أيضـاً قـولـه: ﴿ثُم نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَـذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ولم يقل وندخل الـظالمين، وكأن «نَـذَرُ» و «نترك» للشيء الـذي قد حصل في مكانه.

وقال قوم إنَّ هَذَا إنما يُعْنَى به المشرِكُونَ خاصَّـةً، واحتجوا في هـذا بأن بعضهم قـرأ: «وإن منهم إلا وَارِدُهَـا»، ويكـون على مـذهب هؤلاء ﴿ثم ننجي الذين اتَّقَوْا﴾ أي نخرج المتقين من جملة من ندخله النار.

وقـال قوم: إن الخلق يَـرِدُونهـا فتكـون على المؤْمِنِ بَـرْداً وَسَـلامـاً، ثم يُخْرَجُ مِنها فيدْخُلُ الجنَّة فيعلمَ فضلَ النعمةِ لما يُشـاهِدُ فيـه أهلَ العـذابِ وما رأى فيه أهل النار.

وقال ابن مسعود والحسَنُ وقَتَادَةُ: إن ورودها ليس دخولها، وحجتهم في ذلـك جيدةٌ جـداً من جهات: إحـداهن أن العرب تقـول: وردت ماء كـذا ولَمْ تـدخله، وقال الله عـزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّـا وَرَدَ مَاءَ مَـدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْـه أُمَّةً مِنَ النَّـاسِ يَسْقُونَ﴾[2] وتقول إذا بلغت البلد ولم تدخله: قد وردت بلد كذا وكذا.

قال أبو إسحاق: والحجة القاطعة في هذا القـول ما قـال الله عزّ وجـلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّـا الحُسْنَى أولَئِـكَ عَنْهَـا مُبْعَـدُونَ، لَا يَسْمَعُـونَ حَسِيسَهَا﴾[3].. فهذا ـ والله أعلم ـ دليـل أن أهل الحسنى لا يـدخلون النار،

(١) القول الأول ـ وهو أن الناس جيعاً يردونها.

(٢) سورة القصص الآية ٢٣.

(٣) سورة الأنبياء الآيتان ١٠١، ١٠٢.

وفي اللغة وردت بلد كذا وكذا إذا أشرفت عليه، دخلته أو لم تدخله، قال زهير:(١)

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيّم

المعنى بلغن إلى الماء، أي أقمن عليه، فالورود ههنا بالإجماع ليس بدخول، فهذه الروايات في هذه الآية، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

معناه مجلساً

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً﴾.

فيها أربعة أوجُهٍ رِئْياً بهمزة قبل الياء، والراء غير معجمة، وَرِيًّا بتشديد بياء مشدّدةٍ، وزِيًّا ـ بالزاي مُعجَمةً، وقد قرىء بهذه الثلاثة الأوجه، ويجوز وجه رابع لم يقرأ به ـ بياء وبعدها همزة ـ وريئا..

فأما رِئْياً ـ بهمزة قبل الياء ـ فالمعنى فيه هم أحسن أثاثاً أي متاعاً، ورئياً منظراً، من رأيت، ومن قرأ بغَيْرِ هَمْزٍ فله تَفْسِيرَانِ: عَلَى مَعْنى الأوَّل بِطَرْحِ الهمزة وعلى معنى أنَّ منظَرَهم مُرْتوٍ من(٢) النَّعمةِ، كأنَّ النعيمَ بَيِّنٌ فيهم، ومن قرأ زِيًّا فمعناه أن زيَّهم حسن يعني هيئتهم، قال الشاعر:(٣)

أشاقتك الظعائن يوم بانوا بذي الزي الجميل من الأثاث

ونصب أحسن أثاثاً ورياً على نية التفسير. المعنى وكم أهلكنا قبلهم من

---

(١) من معلقته. البيت الرابع عشر، وجام الماء جمع جم أي الكثير المنجمع وزرقته هي صفاؤه، ومنه زرقة العين، ووضع العصى والتخيم كناية عن الإقامة.

(٢) من الرواء وحسن المنظر ووفرة النعيم

(٣) هو محمد بن نمير الثقفي الذي شبّب بزينب أخت الحجاج ـ وخبره في الكامل حـ ١/ ٣٦١ والأغاني وانظر الوفيات ٢/ ٤٠. والبيت في مجاز أبي عبيدة ١٠/ ٣٦٦، واللسان (رأى) ـ والكامل حـ ١/ ٣٨١.

قَرْنٍ هم أحسن أثاثاً منهم وأحسن زِياً منهم. ومن قرأ رِيْئاً فهو بمعنى رئياً مقلوب لأن من العرب من يقول قد رَاءَني زَيْدٌ وتقول قَدْ رَآني.

في هذا المعنى قال الشاعر كثير[1]:

وكُـلُّ خَلِيـلٍ راءَني فهـو قَـائِـلٌ   من أجلكِ هـذا هامـةُ اليـومِ أو غـدِ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾.

هـذا لفظ أمر في معنى الخبـر، وتـأويله أن اللّه عـزّ وجـلّ جعـل جـزاء ضـلالته أن يتـركه فيهـا، ويمده فيهـا؛ كما قـال جلّ وعزّ: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ﴾[2] إلا أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر كأن لفظ الأمر يريد بـه المتكلم نفسه الزاماً، كأنه يقول أفعل ذلك وآمر نفسي به، فإذا قال القائل: من رآني فلأكرمه، فهو ألزم من قوله أكـرمُه، كـأنه قـال: من زارني فأنا آمر نفسي بإكرامه وألزمها ذلك.

وقوله: ﴿إما العَذَابَ وإمَّا السَّاعَةَ﴾.

العذاب والساعة منصوبان على البدل من «مـا يُوعَـدُونَ» المعنى حتى إذا رأوا العذاب أو رأوا السـاعـة، فالعـذاب ههنا مـا وعدوا بـه من نصـر المؤمنين عليهم فإنهم يعذبونهم قتلاً وأسْراً. والساعة يعنى بها يوم القيامة وبمـا وعدوا به فيها من الخلود في النار.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وأَضْعَفُ جُنْداً﴾.

أي فسيعلمـون بالنصـر، والقتـل أنهم أضعف جنـداً من جنـد النبي ﷺ والمسلمين ويعلمون بمكانهم من جهنم، ومكان المؤمنين من الجنة من هو شرٌّ مكاناً.

---

(١)- ديوانه ١١١، اللسـان (رأى) ابن الشجري ٢/١٩، الكامل ٢/٢١٧ (تجارية). وقد تقدم.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٦.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾.

قيل بالناسِخ والمنسوخ نحو ما كان من صوم رمضان من أنه كان يجوز لمن يقدر على الصوم أن يطعم مسكيناً ويفطر، فنسخ ذلك بإلزام الصوم، وجائز أن يكون: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ يجعل جزاءهم أن يزيدهم في يقينهم هُدًى كما أضل اللَّهُ الفاسقَ بفسقه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً﴾.

معناه الأعمال الصالحة، وأولها توحيد اللّه، وهو شهادة أن لاَ إِلَه إلاَّ اللَّهُ.

وقوله: ﴿أفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَر بآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً﴾.

ويقرأ: وُوُلْداً، فمن قرأ وُلْداً بالضَّمِ فهو على وجهين على جمع وَلَدٍ، يُقَالُ وَلَدٌ وَوُلدٌ مثل أَسَدٍ وأُسْدٍ، وجائز أن يكون الوُلْدُ في معنى الوَلَدِ، والوَلَدُ يصلح للواحد والجمع، والوُلْدُ والوَلَدُ بمعنىً واحد، مثل العُرْب والعَرَب، والعَجَمُ والعُجْمُ.

وقد جاء في التفسير أنه يعنى به العاص بن وائل. ويروى أن خَبَّاباً[1] قال: كنت قَيْناً في الجاهلية. والقَيْنُ هو[2] الذي يصلح الأسِنَّةَ، والحَدَّادُ يقال له قَيْن، قال وكان لي على العاص بن وائل دينٌ، فدفعني بقضائه وقال لا أدفعه إليك حتىٰ تكفر بمحمد ﷺ فقال خبّاب: لا أكفر بمحمد حتى تموت وتُبْعثَ، فقال: إذَا مِتُّ ثم بعثتُ أُعْطِيتُ مالاً وولداً وقضيتك مما أُعطى، يقول ذلك مستهزئاً فقال اللّه سبحانه:

---

(١) هو خبّاب بن الأرت ـ بتاء مشددة ـ سبي في الجاهلية وبيع بمكه ـ فكان مولى أم أنمار الخزاعية ـ وهو من السابقين إلى الإسلام الذين عذبوا عذاباً شديد ـ حتى كاد يكوت من كي بالنار آلمه. شهد بدراً وما بعدها ومات سنة سبع وثلاثين بالكوفة. (الإصابة ٢٢١٠).

(٢) في الأصل الذي هو ـ والتصحيح من الهامش.

﴿أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾.

أي علم ذلك غيباً أم أُعطي عهداً، وهو مثل الذي قال: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إلى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنها مُنْقَلباً﴾[1].

﴿كَلَّا﴾.

رَدْعٌ وتنبيه، أي هَذَا مما يُرْتَدَعُ منه، ويُنَبَّه على وَجْه الضلالة فيه.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾.

أي سنحفظ عليه.

﴿وَنَـرِثُـهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً﴾.

أي نجعل المال والولد لِغَيْرِهِ ونسلبه[2] ذلك ويأتينا فرداً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾، أي أعوانا

وقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾.

أي يصيرون عليهم أعوانا.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾.

في قوله ﴿أَرْسَلْنَا﴾ وجهان أحدهما أنا خلينا الشياطين وإياهم، فلم نعصمهم من القبول منهم ـ قال أبو إسحاق: والوجه الثاني ـ وهو المختار ـ أنهم أُرسِلوا عليهم وقُيِّضُوا لهم بكفرهم كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[3].

ومعنى ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ ـ تُزْعِجُهُمْ[4] حتى يركبوا المعاصي ازعاجاً فهو يَدُلّ على صحة الإِرْسَالِ والتَّقْيِيض[5]، ومعنى الإرسال ههنا التسليط، يقال قد

---

(١) سورة الكهف الآية ٣٦.

(٢) عبارة الأصل «والولد لغيره ويكون ونسلبه...» وحذفنا كلمة «وتكون».

(٣) سورة الزخرف الآية ٣٥.

(٤) في الأصل: معنى تؤزهم أزا معناه تزعجهم.

(٥) صحة إرسال الشياطين وتقييضهم لهم.

أرسلت فلانا على فلانٍ إذا سلطته عليه، كما قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1]. فأعلم الله عزّ وجلّ: أن من اتبعه هو مسلط عليه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾.

معنى الوفد الركبان المكرمون.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾.

مشاة عطاشاً.

وقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

«مَنْ» جائز أن تكون في موضع رفع، وفي موضع نصب. فأما الرفع فعلى البدل من الواو والنون[2]، والمعنى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً. والعهد ههنا توحيد لله جلّ ثناؤه والإيمان به.

والنصب على الاستثناء ليس من الأول على: لا يَمْلكُ الشَّفاعة المجرمون، ثم قال: ﴿إلاّ من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾، على معنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً فإنه يملك الشفاعة.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾.

وتقرأ أَدًّا ـ بالفتح ـ ومعناه شيئاً عظيماً من الكفر، وفيها لغة أخرى لا أعلم أنه قرئ بها، وهي[3]: «شَيْء آدّ» على وزن رَادٍ ومادٍ، ومعناه كله: جئتم شيئاً عظيماً.

وقوله جل وعز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ أي محبة في قلوب المؤمنين.

---

(١) سورة الحجر الآية: ٤٢.

(٢) في يملكون، والمستثنى منه تمام منفي.

(٣) في الأصل وهو

وقوله جل وعز: ﴿قَوْماً لُدّاً﴾[1].

جمع أَلَدّ مثل أَصَمْ وَصُمّ، والأَلَدُّ الشَّدِيدُ الخُصُومَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾.

يقال: هل أَحْسَسْتَ صَاحِبَك أي هل رأيته، وتقول: قد حَسَّسْتُهمْ ـ بغير ألف ـ إذا قتلهم.

وقوله: ﴿أَوْ تَسمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾.

الرِّكزُ الصوتِ الخفي.

---

(١) الآية: ﴿فإنَّما يسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ وتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾.

سورة طه
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: ﴿طه، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى﴾.

يقرأ طَهَ - بفتح الطاء والهاء، وتقرأ طِهِ - بكسرهما[1] - ويقرأ طـهْ - بفتح الطاء وإسكان الهـاء، وطَهِ بفتـح الطاء وكسـرُ[2] الهاء. واختلف في تفسيرها فقال أَهْلُ اللُّغَةِ هي من فواتح السُّوَرِ نحو حم والم، ويروى أن النبي ﷺ كان إذا صلى رفع رجلاً ووضع أخرى فأنزل اللّه عز وجل: طـاها، أَيْ طَـأْ الأرضَ بِقَدَمَيْكَ جَميعاً.

وقوله عز وجل: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرآنَ لَتشْقَى﴾.

أي لِتُصَلِّيَ على إِحْدَى رِجْلَيْك فتشتـد عليك، وقيـل طه لغة بالعجمية معناها يا رجل، فـأما من فتـح الطاء والهـاء فلأن مـا قيل الألف مفتـوح، ومن كسر الطاء والهاء، أمال إلى الكسر لأن الحرفَ مقصورٌ، والمقصور تغلب عليه الإمالة إلى الكسر ومن قرأ طَهْ بإسكـان الهاء ففيهـا وجهان أحـدهما أن يكـون أصله «طَأْ» بالهمزة فأبدلت منها الهاء كما قـالوا في إيـاك هياك وكمـا قالـوا في أَرَقْت الماء هَرَقْتُ وجائز أن يكـون من «وَطِي» عَلَى تَرْكِ الهمـزةِ، فيكونُ «طَ»

(١) بالإمالة فيهما.
(٢) بإمالة الهاء فقط.

يا رَجُل - ثم أثبت فيها الهاء للوقف فقِيل طهْ[1].

وقوله عز وجل: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ والسَّمَوَاتِ العُلَى﴾.

المعنى أنزلناه تنزيلاً، والعُلَى جمع العليا، يقال: سماء عُلْيَا وسمواتٌ عُلَى، مثل الكبرى والكُبَر.

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾.

الاختيار الرفعُ، ويجوز الخفض على البدل من «منْ»[2] المعنى تنزيلاً من خالق الأرض والسموات الرحمن، ثم أخبر بعد ذلك فقال: على العرش استوى، وقالوا معنى [استوى] استولى - واللَّه أعلم. والذي يدل عليه استوى في اللغة على ما فعله من معنى الاستواء.

قوله: ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾.

الثرى في اللغة الندى، وما تحت الأرض ندًى، وجاء في التفسير وما تحت الثرى ما تحت الأرض.

وقوله: ﴿وإن تجهر بالقول فَإِنَّه يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى﴾.

فَالسِّرُّ ما أكننْتَهُ في نفسك، و «أخفى» ما يكون من الغيب الذي لا يعلمه إلا اللَّه.

وقوله: ﴿لَهُ الأَسْماءُ الحُسْنَى﴾.

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: للَّه تسعة وتسعونَ اسْماً من أَحْصَاهَا دخل الجنة، وتأويل من أحصاها دخل الجنة، من وحَّدَ اللَّهَ وذكر هذه الأسماء الحسنى يريد بها توحيدَ اللَّه وإعْظَامَهُ دَخَل الجنَّةَ، وقَدْ جاءَ أنه من قال لا إله

---

(١) أي هي هاء السكت لأن الفعل بقي على حرف واحد.

(٢) في ﴿مِمَّن خَلَقَ الأَرْضَ والسَّموَاتِ العُلى﴾.

إلا الله دخل الجنة، فهذا لِمَنْ ذَكَرَ اسْمَ اللّه مُوَحِّداً لَهُ بِهِ فكيف بمن ذَكَرَ أَسْماءَهُ كلَّها يُريدُ بها توحيدَهُ والثناءَ عليْهِ.

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾.

القَبَسُ ما أَخَذْتَه في رأس عُودٍ من النَّارِ أو رَأْسِ فتيلةٍ.

﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾: جاء في التفسير أنَّه ﷺ ضل الطريق[1] وجاء أنه ضل عن الماءِ فرجا أن يجد عند النار من يهديه الطريق أو يَدُلُّه عَلَى الماء.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾.

ويقرأ أَنِّي أَنَا - بالفَتح والكسر، فمن قرأ «أَنِّي» فالمعنى نودي بأني أنا ربُّك، وموضع «أنّي» نصبٌ، وَمَنْ قَرأ إِنِّي أَنَا ربُّكَ بالكسر فالمعنى نودي يا موسى إني أنا رَبُّكَ.

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

روي أنه أُمِرَ بخَلْعِهِمَا لأنهما كانتا من جِلْد حمارٍ مَيّت، وروي أنه أمر بخلعهما ليطأ بقدميه الوادي المقدس، وروي أنَّه قُدِّسَ مَرَّتَين.

وقوله: ﴿طُوًى﴾.

اسم الوادي، ويجوز فيه أربعة أوجه، طُوَ - بضم أوّله، بغير تنوين وتنوين وبكسر أوله - بتنوين وبغيرتنوين. فمن نونَه فهو اسم الوادي، وهو مذكر سُمِّيَ بمذكر على فُعَل نحو حُطَم وصُرَد. ومن لم ينونه ترك صرفه من جهتين: إحداهما أن يكون معدولاً عن «طَاءٍ» فيصير مثل عُمَر المعدول عن عامر. والجهة الأخرى أن يكون اسماً للبقعة كما قال اللّه عز وجل: - ﴿في الْبُقْعَةِ

---

(١) اي موسى عليه السلام.

الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾[1]. وإذا كُسِرَ وَنُوِّنَ طِوًى فهو - مثل مِعًى وَضِلعٍ - مَصْرُوفَ[2]. ومَنْ لم ينون[3] جعله اسماً للبقعةِ.

وقوله - عز وجل -: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾.

ويقرأ وَإِنَّا اخْتَرْنَاكَ، فمن قرأ: وإنا اخترناك فالمعنى يؤدي بأنا اخترناك[4] ويجوز وإنَّا اخترناك على وجهين: على الاستئناف وعلى معنى الحكاية لأنَّه معنى يُؤدىَ قيل له إنا اخترناك.

وقوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

هذا على معنيين أحدهما أقم الصلاة لأن تَذْكُرَني لأَنْ الصَّلَاةَ لا تكونُ إلاّ بذكر اللَّه، والمعنى الثاني هو الذي عليه الناس ومعناه أقم الصلاة متى ذَكَرْتَ أنَّ عليك صلاةً كنتَ في وقتها أو لم تكن، لأن اللَّه عز وجل لا يؤاخذُنا إن نسينا ما لم نَتعمَّدْ الأشياء التي تَشْغَلُ وتُلْهِي عن الصلاة، ولو ذَكَرَ ذَاكِرٌ أنَّ عليه صلاةً في وقت طُلُوع الشمس أو عندَ مَغِيبَها وَجَب أن يُصَلِّيَها. وقرئت لِلذِّكْرَى - معناه في وقت ذكرك[5].

وقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾.

بضم الألِفِ، وجاء في التفسير أكاد أخفيها من نفسي، واللَّه أعلم بحقيقة هذا التفسير، وقرئت أكاد أَخْفِيهَا - بفتح الألف - معناه أكاد أُظْهِرها، قال أمرؤ القيس:

---

(١) سورة القصص ٣٠.

(٢) في الأصل: معروف.

(٣) في الأصل ومن لم ينون اسما جعله اسماً.

(٤) أي فتح أن على تقدير حرف جر محذوف.

(٥) أي هي دالة على الزمن كما في أقم الصلاة لِدُلُوك الشمس، أي عند ذكرك.

فـإنْ تبعثـوا الـداء لا نَخْفِـه وإن تَبْعثُـوا الحربَ لا نَقْعُـدِ[1]

أي أن تدفنوا الداء لا نظهره.

وهـذه القراءة الثـانيةأبين في المعنى، لأن معنى أكـاد أظهرهـا، أي قَـدْ أخفيتها وَكِدتُ أُظْهِرُهَا . .

وقوله:﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْس بِمَا تَسْعَى﴾.

معنى ﴿بِما تسعى﴾ بما تعمل، ولتجزى متعلق بقـولـه: إنَّ السَّـاعَـةَ آتِيَـةٌ لتجزَى كلُّ نَفْسٍ بما تسعى، ويجوز أن يكون على أَقِمِ الصلاة لذكري لتجزى كل نفس بما تسعى.

وقوله:﴿فلا يَصُدَّنَّكَ عنها مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا﴾.

معناه واللّه أعلم فلا يصدنك عن التصديق بها من لا يؤمن بهـا، أي من لا يؤمن بـأنها تكـون، وخطابُ النبي ﷺ هـو خـطابُ سـائر أمَّتِـه، ومعنى لا يصُـدَّنـك عنهـا: لا يَصُـدَّنَّكُمْ، قـال اللّه عـز وجـل:﴿يَا أَيُّهـا النَّبِيُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[2]. فَنُبِّه[3] النبي ﷺ بالخطاب وخوطب هووأمته بقوله إذا طلقتم.

وقوله:﴿فَتَرْدَى﴾.

معناه فتهلك، يقال رَدِيَ يَرْدَى ردًى، إذا هلك، وكذلـك تَرَدَّى إذَا هلَكَ في قوله عز وجل:﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إذَا تردَّى﴾[4].

قوله:﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾.

تلك اسم مبهم يَجري مجرى التي، ويوصل كمـا توصـل التي، المعنى

---

(١) تقدّم في الجزء الأول ٣٥٥.

(٢) أول سورة الطلاق.

(٣) أي نودي، لأن ياء النداء التي هي للتنبيه وجهت إليه.

(٤) سورة والليل إذا يغشى.

ما التي بيمينك يا موسى. وهذا الكلام لفظه لفظ الاستفهام ومجراه في الكلام مجرى ما يسأل عنه، ويجيب المخاطب بالإقرار به لتثبت عليه الحجة بعدما قد اعترف مستغنًى بإقراره عن أن يجحد بعد وقوع الحجة، ومثله من الكلام أنْ تُرِيَ المخاطب ماءً فتقول له ما هذا فيقول ماء، ثم تحيله بشيء من الصِّبْغِ فإن قال إنّه لم يزل هكذا قلت له: ألست قد اعترفت بأنه ماء.

وقوله :﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾.

وقرىء هي عَصَيَّ بغير ألف، وأجْوَدُهُمَا عَصَايَ. وَعَصَيَّ لغَةُ هُذَيلٍ. والأصل في يا الإضافة أن يكسر ما قبلها، تقول هذا حَجَرِي فتكسر الراء وهي في موضع ضمٍّ وكذلك رأيت حجرِي، فإذا جَاءتْ بَعْدَ الألف المقصورة لم تكسرها. لأن الألف لا تُحرَّكُ، وكذلك إذا جاءت بعد ألف التثنية في الرفع في قولك هما غلاماي، وبعد ياء النصب في قولك: رأيت غلامَيَّ، وبعد كل ياء قبلها كسرة نحو هذا قاضِيَّ ورأيت مُسْلِمِيَّ، فجعلت هُذَيْلٌ بدلاً من كسرةِ الألف تغييرها إلى الياء، وليس أَحَدٌ من النحويين إلا وقد حكى هذه اللغة، قال أبو ذؤيب[1].

سَبَقُوا هَوَيَّ وأعنَقُوا لِهَوَاهُمُ   فَتُخرِمُوا، ولكل جنب مصرعُ

قوله:﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾.

جاء في التفسير أَخْبِطُ بها الشجرَ، واشتقاقه من أني أُحيلُ الشيءَ إلى الهشاشة والإمكان.

وقوله :﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾.

جاء في التفسير حاجات أُخَر، وكذلك هُوَ في اللغة، وواحد المآرب

---

(١) من عَيْنِيَّتِهِ الَّتي رَثى بها أولاده، أي خرجوا عن رغبتي وأطاعوا رغباتهم فاخْتَرمَتْهُم المنيةُ، وهي عاقبة كل حي. ـ ويروى ـ فأعنقوا لسبيلهم ـ انظر ديوان الهذليين ١/٢.

مَـأْرُبَةٌ ومـأَرَبة. وجـاء «اخرى» على لفظ صفـة الواحـدة، لأن مارب في معنى جماعة فكأنها جماعات من الحاجات أخرى، فلو جاءت أُخَرُ كان صواباً.

قوله: ﴿سيرَتَها الأولى﴾.

معنى سيرَتَها طـريقتها يعنى هيئتهـا، تقول إذا كـان القوم مشتبهين: هم على سيرة واحدة وطريقة وَاحِدةٍ، تريد أن هيئتهم واحدة وشبههم واحِـدٌ، وإن كان أصل السيرة والطريقة أكثر ما يقع بالفعل، تقول: فلان على طـريقة فـلانٍ وعلى سيرته أي أفعاله تشبه أفعال فلانٍ، والمعنى: سنعيدها عَصاً كما كانت، وسيرتها منصوب على إسقاط الخـافض، وأفْضى الفعل إليهـا، المعنى ـ والله أعلم ـ سنعيـدها إلى سيـرتها الأولى، فلمـا حُذِفَتْ «إلى» أفْضى الفعـل ـ وهو سنعيدها ـ فَنَصَب.

وقوله: ﴿واضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾.

جناح الإنسان عَضُده إلى أصل إبطه.

وقوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾.

﴿آيةً﴾ مَنْصوبة لأنها في مـوضع الحـال، وهي اسم في مـوضـع الحـال، المعنى ـ والله أعلم ـ تخـرج بيضاء مُبَيِّنَـةً آيَةً أُخْـرَى. ويجـوز أن يكـون ﴿آيةً أُخْرَى﴾ منصـوبـةً على معنى آتيناك آيـة أخرى أو نُؤْتينـك آيةً أخـرى، لأنه لمـا قال: تَخْرُج بَيْضَاءَ كان في ذلـك دَليلٌ أنّـه يعطى آيـةً أخرى، فلم يحتـج إلى ذكر آتَينَاكَ لأن في الكلام دليلاً عليه. ويجوز آيةٌ أخرى بالرفع على إضمار هذه آية أُخْرَى.

وقوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

جاء في التفسير أنـه كان في لسانـه رُتَّة، لأنّ امْـرأَةَ فِرْعَـوْنَ جَعَلَتْ عَلَى لِسَانه حجرةً لأنه كـان أخذ وهـو صبي بِلِحْيَةِ فـرعَوْنَ فهمَّ بـه، وقال هـذا عدو

فأعلمته أنه صبي لا يعقل وأن دليلها على ذلك أنه التقم جمرة فدرأت عنه ما هَمَّ به فِرْعَوْنَ فيه.

وقوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارونَ أَخِي﴾.

يجوز أن يكون نصب هارون من جهتين إحداهما أن يكون «اجْعَلْ» يَتعدَّى إلى مفعولين فيكون المعنى اجعل هارون أخي وزيري فتنصب «وَزِيراً» على أنه مفعول ثانٍ، ويجوز أن يكون هارون بدلاً من قوله «وزيراً» ويكون المعنى اجعل لي وزيراً من أهلي ثم أبدل هارون من وزير، والقول الأول أجودُ وأخي نعتٌ لهارون.

وقوله: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾.

يقرأ على ضربين على مَعْنى اجعل أخي وزيراً، فإنك إن فعلت ذلك أَشْدُدْ به أَزْري. «أَشْدُدْ» على الإِخْبَارِ عن النفس وأظهرت التضعيف لأنه جواب الأمر وأُشْرِكُه في أَمْرِي، فيقرأ على هذا: هارون أخي أَشْددْ به أزري وأُشرِكُهُ في أمري بقَطْعِ أَلِفِ اشْدُدْ وضم الألف من وأُشْرِكُهُ، ومن قرأ هارون أخي أشدد به أزري وأَشْرِكه فعلى الدعاء، المعنى: اللهم أشدد به أزري وأَشْرِكْهُ في أمري.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾.

قد بين المرة على ما هي وهي قوله:

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلى أُمِّكَ مَايُوحَى. أنِ اقْذِفِيهِ في التَّابُوتِ﴾.

لأنه نَجَّاهُ بهذا من القتل، لأنَّ فرعونَ كَان يَذْبَحُ الأبناءَ.

وقوله عز وجل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.

قالوا معناه ولتُغْذَى.

ومعنى أَزْرِي، يقال آزَرْتُ فُلاناً على فلان إِذَا أَعَنْتَه عَلَيْه وقوَّيْتَه، ومِثْلُه:

﴿فآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾[1]. فتأويله. أقْوَى بِـهِ واستُعين به على أمري.

فأمَّا الوزير في اللغة فاشتقاقه من الوَزَرِ، والوَزَرُ الجَبلُ الذي يُعْتَصَمُ بـه لِيُنْجِيَ مِنَ الهكلَةِ، وكـذلك وزيـر الخليفة معنـاه الذي يَعْتمـد عليه في أمُـزِره ويَلْتَجِـئُ إلى رأيـه وقولـه: ﴿كَـلَّا لَا وَزَرَ﴾[2] معنـاه لا شيءَ يُعْتَصَمُ بِـه من أمـر اللَّه ـ عز وجل ـ.

وقوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُـوناً﴾.

معناه اختبرناك اختباراً.

وقوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسى﴾.

قيل في التفسير: على مَوْعِدٍ، وقيل على قَدَرٍ مِنْ تَكليمي إياك.

﴿وَلَا تَنِيَـا فِي ذِكْرِي﴾.

معناه ولا تضعُفَا، يقال: وَنَى يني وَنْياً ووُنِيًّا إذَا ضَعُفَ، وقولك قد توانى فلانٌ في هذا الأمر أي قد فتر فِيه وضَعُفَ.

وقوله: ﴿لَعَلَّه يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَـى﴾.

لعل في اللغة ترجٍّ وطمعٌ، تقـول: لَعلِّي أصِيرُ إلَى خيـرٍ، فمعناه أرجـو وأطمع أن أصير إلى خير، واللَّه ـ عز وجل ـ خاطب العباد بما يعقلون.

والمعنى عنـد سيبويـه فيه: إذْهَبَـا عَلَى رَجَائِكُمَـا وَطَمَعَكُمَا. والعلم من اللَّه عز وجل قد أتى من وراء ما يكون[3]. وقد علم عزَّ وجل أنه لا يتذكـر ولا يخشى، إلا أن الحجـة إنما تجب عليـه بالإبـانة، وإقـامتها عليـه، والبرهـان.

(١) سورة الفتح من الآية ٢٩.

(٢) سورة القيامة الآية ١١.

(٣) أي يعلم ما لم يحدث، ويعرف المستقبل كما يعرف الماضي.

وإنما تبعَثُ الرسُل وهي لا تعلم الغيب ولا تدري أيقبل منها أم لا، وهم يرجون ويطمعون أن يقبل مِنهم، ومعنى «لعل» متصور في أنفسهم، وعلى تصور ذلك تقوم الحجة، وليس علم الله بما سيكون تجب به الحجة على الآدميين، ولو كان كذلك لم يكن في الرسل فائدة.

فمعنى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.

هو الذي عليه بُعثَ جميعُ الرُسُلِ.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾.

معنى يَفْرطَ علينا يُبادر بعقوبتنا، يقال: قد فرط منه أمرٌ أي قَدْ بَدَرَ منه امرٌ، وقد أفرط في الشيء إذا سَقَط فيه، وقد فرَّط في الشيء أي قَصَّرَ ومعناه كله التقدم في الشَّيْءِ، لأن الفرط في اللغة المتقدم. ومنه قوله ﷺ أنا فَرَطُكُمْ على الحوض.

وقوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾.

ليس يعنى به التحية، وإنما معناه أن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله وسخطه والدليل على أنه ليس بسلام أنه ليس ابتداء لقاء وخطاب.

ومعنى ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾.

ولم يقل فَأَتَيَاهُ فقَالاَ لـه إنا رَسُولا ربِّكَ، لأن الكلام قد دل على ذلك فاستغنى عنه أن يقال فيه فأتياهُ فَقَالاَ، لأن قوله: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ فيه دليل على أنهما أتَياهُ فَقَالاَ لَهُ:

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

معناه خلق كلَّ شيء على الهيئة التي بها ينْتَفِعُ، والتي هي أصلح الخلق له، ثم هَدَاهُ لمعيشته، وقد قيل ثم هداه لموضع مَا يكون منه الولد.

والأول أبين في التفسير، وهـذا[1] جائز، لأنا نرى الذَّكَرَ مِنَ الحيوان يأتي الأنثى ولم ير ذكراً قد أتى أنثى قبله فألْهَمه اللَّه - عز وجل - ذلك وهداه إلى المَأتَى. والقول الأول ينتظم هذا المعنى، لأنَّه إذا هَداه لمصْلَحَتِه فهذا دَاخِلٌ في المصْلحةِ، واللَّه أعلم.

وقوله تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ القُرونِ الأُولَى﴾.

قال له موسى عليه السلام:

﴿عِلْمُهَاعِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾.

معناه لا يُضِلها ولا ينساها، ولا يضله ربي ولا ينساه، يعنى به الكتاب، ومعنى ضَلَلْتُ الشَّيءَ وضَلِلْتُ بكسر اللام وفتحِهَا أَضِلُّه وَأَضَلُّه، إذا جعلته في مكان لم تدر أين هو، ويُضِلُّ من أضلَلْتُه، ومعنى أضْلَلْتُه أضَعْتُه، قال أبو إسحاق من قرأ بالفتح فمعناه لا يَضَلُّ أيْ لا يَضَلُّ عن رَبِّي. وإذا ضممت الياء[2] فمعناه لا يوجد ربي ضَالاًّ عنها.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولي النُّهَى﴾.

معناه لذَوِي العقول، واحد لنهى نُهْيَة. يقال: فلان ذو نُهيةٍ، ومعناه ذو عقل ينتهي به عن المقابح ويدخل به في المحاسِنِ، وقال بعض أهل اللغة: ذو النُّهْيةِ الذي يُنْتَهَى إلى رأيه وعقله، وهَذا حسنٌ أيضاً.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾.

يعنى به الأرض، لأن اللَّه - عز وجل - خلق آدم من تراب، وَجَرَى الإِضْمَارُ على قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً، وَسَلَكَ لكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾.

وقوله: ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾.

---

(١) هذا الوجه الثاني أي هداية لموضع الولد.

(٢) إذا ضُمَّت الياء مع فتح الضَّاءِ. ببناء الفعل للمجهول.

متعلق بقوله منها نُخرِجُكم، لأن المعنى كمعنى الأول. لأن معنى ومنها نخرجكم بمنزلة منها خلقناكم، فكأنه قال ـ والله أعلم ـ: ومنها نخلقكم تارة أُخْرَى، لأن إخراجَهُم وهم تراب بمنزلة خلق آدم من تراب.

وقوله: ﴿مَكَاناً سِوًى﴾.

وتقرأ سُوًى بالضَّمِّ ومَعْنَاهُ مَنْصَفاً، أي مكاناً يكون النِّصفَ فيما بيننا وبينك، وقد جاء في اللغةَ «سَواءٌ» في هذا المعنى، تقول: هذا مكانٌ سَوَاءٌ، أي مُتَوسِّط بين المكانين، ولكن لم يقرأ إلا بِالْقَصْرِ سِوًى وسُوًى.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾.

وتقرأ يومَ الزينة، فالرفع على خبر الابتداء، والمعنى وقت موعدكم يوم الزينة ومن قرأ يومَ فمنصوبٌ على الظرف، المعنى يقع يوم الزينة.

وقوله: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾.

موضع ﴿أن﴾ رفع، المعنى مَوعِدُكم حَشرُ الناسِ ضُحًى، وتأويله إذا رأيتم الناس قد حُشِروا ضُحًى. وقيل يوم الزينة يومُ عيدٍ كان لهم، وقيل إنه كان يوم عاشوراء.

ويجوز أن يكون في موضع خَفْضٍ عطفاً على الزينة. المعنى موعدكم يوم الزينة ويوم حَشْرِ الناس.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾.

﴿ويلَكُم﴾ منصوبٌ على أن ألزمهم الله ويلاً[1]، ويجوز أن يكون منصوباً عَلَى النداءِ كما قال تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾[2] و ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾[3].

---

(١) أي هو مفعول مطلق. (٢) سورة هود الآية ٧٢. (٣) سورة يس الآية ٥٢.

وقوله: ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾.

ويقرأ فَيُسْحِتَكُمْ - بضم الياء وكسر الحاء، يقال سَحَتَهُ، وأَسْحَتَهُ إذا استأصَلَهُ وأَهْلَكَه، قال الفرزدق:

وعضُّ زمانٍ يا ابن مروان لَمْ يَدَعْ من النَّاس إلا مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ[1]

معنى لم يدع لم يستقر - من الدعة من المال، وأكثر الرواية إلا مُسْحتاً، فهذا على أَسْحَت فهو مُسْحَت.

وقوله عز وجل: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾.

يعنى به السحرة، قالوا بينهم: إنْ غَلَبَنَا موسى آمنا به، وكان الأَمْرُ لَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾.

يَعْنُونَ موسى وهارون. وهذا الحرف من كتاب اللَّه عز وجل مُشْكِلٌ على أهل اللغة، وقد كثر اختلافهم في تفسيره، ونحن نذكر جميع ما قاله النحويون ونخبر بما نظن أنه الصواب واللَّه أعلم، وقبل شرح إعرابه نخبر بقراءة القُرّاءِ فيه.

أما قراءة أهل المدينة والأَكْمَهِ في القراءة فبتشديد إنَّ، والرفع في هذان وكذلك قرأ أَهْلُ العِراق حمزةُ وعاصم - في رواية أبي بكر بن عياش - والمدنيونَ. ورُوِي عَنْ عاصم: إنْ هذان بتخفيف «إنْ»، ويُصَدِّق ما قرأه عاصم في هذه القراءة ما يُرْوَى عَنْ أُبَيٍّ فَإِنَّهُ قرأ: ما هذان إلَّا سَاحِرَانِ، ورُوِيَ أيضاً عنه أنه قرأ: إنْ هَذَان إلَّا سَاحِرانِ، ورويت عن الخليل أيضاً: إنْ هـٰذان لَسَاحِرَان - بالتخفيف -. والإجماع أنه لم يكن أحد بالنحو أعلم من الخليل. وقرأ أبو عمرو وعيسى بن عُمَر: إنَّ هـٰذَيْن لَسَاحرانِ، بتشديد «إنَّ» ونصب هذين.

(١) ديوانه ٥٥٦، واللسان - (جلف - سمت)، والخزانة ٢/٤٧، وشواهد الكشاف ٧٨.

فهذه الرواية فيه.[1]

فأما إحتجاج النحويين فاحتجاج أبي عمرو في مخالفته المصحف في هذا أنَّهُ رُوِيَ أنه من غَلَطِ الكاتب، وأن في الكتاب[2] غَلَطاً سَتُقِيمُه العربُ بألْسِنَتِهَا، يروى ذلك عَنْ عُثْمَانَ بنِ عفَّانٍ وَعَنْ عائشة ـ رحمهما اللّه ـ. وأما الاحتجاج في أنَّ هذان بتشديد أن ورفع هذانِ فحكى أبو عُبَيْدَة عن أبي الخطاب[3] وهو رأس من رؤساء الرواة، أنها لغة لِكنَانَة، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنَّصْبِ والخفض على لفظ واحدٍ، يقولون أتاني الزيدان، ورأيت الزَّيْدَانِ، ومررت بالزَّيْدَانِ، وهؤلاء ينشدون:

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى   مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجاعُ لصَمَّمَا[4]

وهؤلاء أيضاً يقولون: ضَرَبتُه بين أذْناه، ومن يشتري مني الخُفَّانِ وكذلك روى أهل الكوفة أنها لغة لبني الحرث بن كعْبٍ.

قال النحويُّون القُدَمَاءُ: ههنا هاء مضمرة، المعنى إنَّهُ هذانِ لَسَاحِرَانِ،

---

(١) هذا ما روي في هذا الحرف.

(٢) في الكتابة ورسم المصحف.

(٣) أورد أبو عبيدة عدة آراء منها رأي أبي الخطاب ونصه في مجازه: «وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوماً من كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب» اهـ. ويعني بالاثنين المبتدأ والخبر، ـ ثم نقل عن بشر بن هلال رأياً آخر ـ يجعل «إن» حرف جواب، وهذان مبتدأ ـ انظر المجاز حـ٢ ص ٢١ ـ ومن المعروف أن من العرب من يلزم المثنى والأسماء الخمسة الألف، ومن شواهد النحو الشائعة:

يا ليت عيناها لنا وفاها   أن أباها وأبا أباها
قد بلغا في المجد غايتاها

(٤) البيت للمتلمس من القصيدة التي تقدم ذكر سببها وبيت منها في ص ٢٦٢ من هذا الجزء والشجاع ذكر الأفاعي ـ وأطرق وقف متحيراً، وصمم عض من العظم. والبيت في ابن يعيش ١٢٨/٣، واللسان (صمم) والمرتضى ٥/١.

وقـالـوا أيضـاً أن معنى «إنَّ» معنى «نَعَمْ»، المعنى نعم هَـذان لسـاحِـرَانِ، وينشِدون:

ويقلـن شـيب قـد عـلاك وقـد كـبرت فقلـت إنـه[1]

ويَحتجُّون بأن هـذه اللامَ أَصْلُهَـا أن تقع في الابتـداء، وأن وُقُوعَهـا في الخبر جائز، وينشدون في ذلك:

خـالي لأنتَ، ومن جـريـرٌ خَـالُـه ... ينـل الـعـلاء ويكـرم الاخـوانـا

وأنشدوا أيضاً:

أم الـحـليس لـعـجـوز شـهـر بـه ... تـرضى من اللحم بعظم الـرقبـة[2]

قـالوا: المعنى لأنت خـالي، والمعنى لأم الحليس عجوز، وقـال الفراء في هذا: إنهم زادوا فيها النون في التثنية وتـركوا الألف على حـالها في الـرفع والنصب والجر كما فعلوا في الَّذي، فقالوا: الَّذِينَ في الرفع والنصب والجـر، فهذا جميع ما احتج به النحويون.

والذي عندي ـ والله أعلم ـ وكنت عرضته على عالِمَيْنَا ـ محمد بن يزيد وعلى إسماعيل بن إسحق بن حماد بن زيد القاضي فقبلاه وذكـرا أنَّه أجـود ما سمعاه في هذا، وهو «أنَّ» قد وقعت موقع «نعم»، وأن الـلام وقعت مَوْقِعَهَـا، وأن المعنى هذان لَهما ساحِرَانِ.

---

(١) لعبد الله بن قيس الرقيات العامري ـ من أهل الحجاز، مدح مضعب بن الزبير وعبد الملك، وسمي بالرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة كل تسمى رقية وقيل لأنّ له ثلاث جدات كل تسمى رقية ـ كان شعره يمتاز بالرقة ـ، وكان حماد الراوية يقول: إذا أردت أن تقول الشعر فارو شعر ابن قيس الرقيات فإنه أرق الناس حواشي شعر.

انظر شواهد المغني ٤٧، والأغاني..

(٢) الخزانة ٣/ ١٣٠ ـ فقه اللغة للثعالبي ٣٥٧.

والذي يلي هذه في الجودة مذهب بني كنانة في ترك ألف التثنية على هيئة واحدة، لأن حق الألف أنْ تَدُلَّ على الاثنين، وكان حقها ألّا تتغيّر كما لم تتغير ألف رحى وعضى[1]، ولكن كان نقلها إلى الياء في النّصْبِ والخفض أبينُ وأفْضَلُ [للتمييز] بين المرفوع والمنصوب والمجرور. فأما قراءةَ عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء فلا أُجيزها لأنها خلاف المصحف، وكل ما وجدته إلى موافقة المصحف أقرب لم أُجزْ مُخَالفَتَه، لأن اتباعه سنة. وما عليه أكثر القراء، ولكني أسْتَحسِنُ إنّ هذان لساحران بتخفيف «إن» وفيه إمامان: عاصمٌ والخليلُ، وموافقة أُبيّ في المعْنَى وإن خالفه اللفظ، ويستحسن أيضاً إنَّ هذان بالتشديد، لأنه مذهب أكثر القراء، وبه يقرأ وهو قوي في العربية.

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾.

معناه في قول النحويين بجماعتكم الأشراف. والمثلى تأنيث الأمثل، ومعنى الأمثل والمثلى معنى «ذوُ الفضل» الذي يستحق أن يقال [فيه] هذا أمثل قَوْمِه.

وفي التفسير: ﴿بِطَرِيقَتِكُمْ الْمُثْلَى﴾ بأَشْرافكم، والعرب تقول للرجل الفاضل هذا طَرِيقَةُ قوْمِه، وَنَظِيرَة قومِه، ونَظُورَة قومه. كل هذا للرجل الفاضِل. وإنما تأويله هذا الذي ينبغي أن يجعلَهُ قومُه قدوةً وَيَسْلكوا طريقته. والذي قال أيضاً: هذا نظورة قومه ونظيرة قومه، معناه هذا الذي ينبغي أن يَنْظُر إليه قومُه[2] وأن يتبعوه.

والذي عندي ـ والله أعلم ـ أن في الكلام محذوفاً يدل عليه ما بقي، إنما المعنى يذهبا بأهل طَرِيقتكم المثلى، كما قال الله عز وجل: ﴿واسْأَلِ

(١) أي يعامل المثنى معاملة المقصور.

(٢) ينظر إليه قومه يقلدونه.

الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَا فِيهَا﴾(١)، معناه وَاسأل أهل القرية، وكذلك قول العرب: هذا طريقة قومه معناه هذا صاحب طريقة قومه.

وقوله عز وجل: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾.

تأويله اخترتك لإِقَامَةِ حُجَّتِي، وجَعَلْتُكَ بَيْنِي وبين خَلْقِي حتى صرت في الخطاب عني والتبليغ عني بالمنزلة التي أكون بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾.

وقرئتْ فاجمعوا كيدكم، فمن قرأ فأَجمِعُوا بقطع الألف، فمعناه ليكن عزمكم كلكم على الكيد مُجْمَعاً عليه [أي] لا تَختلِفُوا فتخْتَلُّوا. ومن قرأ فاجمعوا فمعناه جيئوا بكل كيد تقدرون عليه، ولا تبقوا مِنْهُ شيئاً.

وقوله: ﴿ثم ائْتُوا صَفًّا﴾.

معناه ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لِعيدِكم وصَلاَتِكِم، يقال: أتيتَ صَفًّا بمعنى أتيت المُصَلَّى، ويجوز أن يكون «ثم ائتوا صَفًّا» ثم ائتوا مصطفين مجتمعين ليكون أنظمَ لأموركم، وأشد لهيئتكم.

﴿[وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى]﴾.

ومعنى ﴿مَنْ اسْتَعْلَى﴾ من علا بالغلبة.

وقوله عزوجل: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾.

ولم يَقُل ههنا «فألقَوْا» فإذا حبالهم، لأنه قد جاء في موضع آخر، ﴿فأَلْقَوْا حِبَالَهم وعِصِيَّهُمْ﴾(٢). ويجوز في عِصِيّ عُصِيّ، والكسر أكثر، والأَصْلُ

---

(١) يوسف الآية ٨٢.

(٢) سورة الشعراء الآية ٤٤.

الضَّمُّ[1] إلا أن الكسر يثقل بعد الضم فلذلك اختير كسر العين.

ويروى في التفسير أنَّ السَّحرةَ كانوا يومئذٍ[2] سبعين ألف ساحِرٍ معهم سبعون ألف حَبْلٍ وَسَبْعون ألف عصا، فأوحى اللّه إلى موسى حين خُيِّلَ إليه من سِحرهم أنها تسعى أنْ يُلْقِيَ عَصَاهُ فإذا هي ثعبانٌ مُبينٌ فَاغِر فَاه فابتلع جَمِيعَ تلك الحبال، وقرئت ﴿فإذا حِبالُهُم وعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾.

وموضع أن على هذه القراءة رفع، المعنى يخيل إليه سَعْيُها، ويقرأ «تُخَيَّلُ» بالتاء، وموضع أَنَّ عَلَى هذه القراءة يجوز أن يكون نصباً، ويجوز أن يكون رفعا، فأما النصب فعلى معنى يخيل إليه أنها ذات سَعْيٍ ويجوز أن يكون مرفوعاً على البدل على معنى يخيل إليه سِعَايتُها، وأبدل أنها تسعى من المضمر في يخيل لاشتماله على المعنى، ويكون إليه الخبر على هذا التقدير..

ومثل ذلك ما حكاه سيبويه يقال: مالي بِهِمْ عِلْمٌ أَمْرُهُم، أي مالي علمٌ بأمْرِهم، ومثل ذلك من الشّعر: [3]

وذكرت تَقْتدَ بَرْدَ مائها

المعنى وذكرت بَرْدَ ماء تَقْتد.

---

(١) لأنه فعول.

(٢) في الأصل يومئذ يومئذ، وهو سهو من الكاتب.

(٣) رجز ينسب لأبي حمزة الفقعسي: يصف إبلا بأنها اشتد ظمؤها وتَخَثَّر دمها وتغير لونه، وظهر ذلك في عروقها، حينئذ تتذكر تقتد، وهي ماء من مياه بني سعد بن بكر بن هوازن - وقبل هذا البيت:

حتى إذا ما تم من إظمائها   وغَشَّكَ البَوْلُ على أَنْسائها

أي تغير لونه بالحمرة، والأنساء عروق في باطن الفخذ واحدها نسا.

انظر ماكتبه محقق كتاب سيبويه، والمراجع التي رجع هو إليها (كتاب سيبويه ١/ ١٥١).

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾.

ويقرأ كيد سِحْـر، ويجوز إنمـا صنعوا كيـدُ سَاحِـرٍ، ويجوزُ كَيْـدَ سَاحِـرٍ بنصب الدال. فمن قرأ «أنما» نصب «أَنَّمَا» على معنى تلقَفْ مَا صَنَعُوا لِأَنَّ مـا صنعوا كيد ساحِر[1]، ولا أعلم أحداً قرأها هنا «أَنَّمَا»، والقراءة بـالكسر، وَهُـوَ أَبْلَغُ في المَعْنَى.

فأما رفع كيد فعلى معنى أن الذي صَنَعُوهُ كَيدُ سَاحِرٍ على خبر إنَّ وَ «مَا» اسم، ومن قرأ كيدَ ساحِرٍ جعلَ «ما» تمنع «إنَّ» العَمَل، وتَسَوّغُ للفِعْل أن يكون بعدها، وينتصبُ «كيْد ساحر» بصَنعوا، كما تقول: إنما ضَرَبْتُ زيداً[2].

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾.

قالوا معنـاه حيث كان، وقيـل معناه حيث كـان الساحـر يجبُ أن يُقْتَلَ، وكذلك مذهب أهل الفقه في السحرة.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً [موسى]﴾.

وأصلها خِوْفَة، ولكن الواو قلبت ياء لانكسار ما قبلها.

﴿[وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا]﴾.

و «تَلْقَفْ» القراءةَ بالجزم جواب الأمر، ويجوز الرفع على معنى الحـال، كأنه قال ألقها مُتَلَقِّفَةً، على حال مَتوقَّعَةٍ، ولم يقرأ بها، ولا ينبغي أن يقـرأ بما لم تتقدم به قراءة.

وقوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾.

﴿سُجَّـداً﴾ منصوب على الحـال، وهي أيضاً حـال مقدرة، لأنهم خـروا وليسوا ساجدين، إنما خروا مقدرين السجود.

---

(١) فتح همزة إنما لأنها مجرورة تقديراً واللام محذوفة.

(٢) اي ما صنعوا إلا كيد ساحر.

وقوله :﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾.

معناه على جذوع النَخِل، ولكنه جاز أن تقع «في» هَهُنَا لأنه في الجذع على جهة الطول، والجذع مُشْتَمِل عليه فقد صار فيه، قال الشاعر: (١)

همو صلبوا العَبْديّ في جذع نَخْلةٍ فلا عطَسَتْ شيبان إلا بأجدعَا

قوله:﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾.

«أيّ» رفعت لأنها وضعت موضع الاستفهام، ولا يعمل ما قبل أيّ فيهَا لأن ما قبلها خبر وهي استفهام، فلو عمل فيها لجاز أن يعمل فيما بعد الألف في قولك: قد عَلِمْتُ أزَيدٌ في الدار أم عمرو.

وقوله:﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والَّذِي فَطَرَنَا﴾.

موضع الذي خفض، المعنى لن نؤثرك على اللّه، ويجوز أن يكون «الّذي» خَفْضاً على القسم، ويكون المعنى لن نؤثرك على ما جاءنا من البَيِّناتِ وَاللَّهِ، أي نحلف باللّه(٢).

قوله: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾.

[أي] اصنع ما أنت صانع، قال أبو ذؤيب:

---

(١) هو سويد بن أبي كاهل اليشكري، صاحب العينية التي كانت في الجاهلية تسمى اليتيمة ـ وأولها:

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

وينسب سويد إلى ذبيان أيضاً ـ قيل إن أمه كانت زوجاً لرجل من ذبيان مات عنها وهي حامل فتزوجها أبوه أبو كاهل وقد هجاه زياد الأعجم بهذا، ، ويقال إنه ولد في بني ذبيان وتزوجت أمه وهو يافع فاستلحقه أبوكاهل وادعاه وقد كان جاراً لبني شيبان فأساءوا جوَاره وله فيهم أهاج، وهذا البيت منها وأخبار سويد بالجزء الثالث عشر من الأغاني ط دار الكتب ص ١٠٢ وما بعدها والبيت في اللسان (عبد) منسوباً له. وفي شواهد المغني ٤٩٧ بيروت والكامل ٤٩٨، والطبري ١٢٧/١٦.

(٢) ويقدر مقسم عليه محذوف، والتقدير وحق الذي فطرنا لن نؤثرك على ما جاءنا.

وعليهما مسرودتانِ قضاهما داود أو صنع السوابغَ تُبَّعُ[1]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّما تَقْضِي هَذِه الحَياةَ الدُّنْيا﴾.

القراءةُ بالنصب ـ الحيَاةَ الدُّنيا ـ ويجوز إنما تقضي هذه الحياة الدنيا بالرفع، تأويله أن الذي تقضيه متاع الحياة الدنيا، ولا أعلم أحداً قرأها بالرفع.

وقوله: ﴿وَمَا أكْرَهْتَنَا عليه مِن السِّحْرِ﴾.

موضع «ما» نصب، المعنى لتغفر لنا خطايانا وإكراهك إيانا على السحر، ويروى أن فرعون أكرههم على تعلم السحر.

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

أي الله خير لنا منك وأبقى عذاباً لأنهم قالوا هذا لَهُ جَوابَ قوله: ﴿ولتعلَمُنَّ أيُّنا أشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً﴾.

ويجوز يابِساً وَيَبْساً، بتسكين الباء، فمن قال يابساً جعله نعتاً للطريق، ومن قال يَبَساً فإنه نعته بالمصدر المعنى طريقاً ذا يَبَسٍ، يقال يبس الشيء يَيْبَس ويَيْبِسُ يَبَساً، ويُبْساً ويَبْساً، ثلاث لغات في المصدر.

وقوله: ﴿لَا تَخافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى﴾.

ويجوز: لا تَخَفْ دَرَكاً وَلَا تَخْشى، فمن قرأ لا تخاف، فالمعنى لست

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي. يصف رجلين يتأهبان للبراز ـ من عينيته التي رثى بها أولاده والمسرودتان درعان، وقضاهما أي صنعهما، وداود هو النبي داود عليه السلام، وتبع من ملوك حمير. وخطأ الأصمعي أبا ذؤيب في هذا لأن تبعاً لم يكن يصنع الدروع وإنما كان يأمر بعملها ـ انظر ديوان الهذليين ١/١٩، والطبري ١١/٥٦ ومجاز أبي عبيدة ١/٢٧٥.

تخاف دَرَكاً، ومن قال لا تخفْ دَرَكاً فهو نهي عن أن يخاف، ومعناه لا تخف أن يدركك فرعونُ ولا تخشى الغرقَ.

﴿فأَتبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾.

ويقرأ فاتَّبَعَهُمْ فرعَونُ بجنوده، فمن قرأ فَـأَتْبَعَهُم ففيه دليل أنه أتبَعَهُم ومعه الجنود، ومن قرأ فاتَّبَعَهُمْ فرعون بجنوده فمعناه أَلْحَقَ جُنُودَهُ بِهِم. وجائز أن يكون معهم على ذا اللفظ وجائز ألَّا يكون إلَّا أنه قد كان معهم.

﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.

اليم البحر، والمعنى فغشيهم من اليم ما غَرَّقَهُمْ

وقوله :﴿وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ [عَلَيْـه غَضَبِي فَقَدْ هَوَى]﴾.

ويقرأ فيَحُلَّ عليكم غضبي، وَمَن يَحْلُلْ عليه غضبي. فمن قرأ فيَحِلَّ عليكم فمعناه فيجب عليكم[1]، ومن قرأ فيحُل عليكم فمعناه فينزل عليكم. والقراءة: ومن يَحْلِلْ بكسر اللام أكثر.

﴿فَقَد هَوَى﴾

أي هَلكَ وصار إلى الهَاوِيَةِ، وهي قَعْرُ نار جَهنَّمَ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَإِنّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

أي تاب من ذنبه، وآمن بربِّه وعمل بطاعتِه، ثم اهْتَدى، أي ثم أقام على إيمانه.

وقوله عزّ وجلّ:﴿قالَ هُمْ أُولاَءِ عَلَى أَثَرِي﴾.

﴿أولاء﴾ مبني على الكسر، ﴿على أثري﴾ من صلة ﴿أولاء﴾، ويجوز ان يكون

---

(١) من حَل يحلُّ له أو عليه بمعنى استحق له أو عليه، اي حق ان يكون كذلك.

خَبراً بَعْدَ خَبرٍ، كأنه قال: هم على أثري هاؤلاء، والأجود أن يكون صلة، ورويت أُولاَيَ على أثري ولا وجه لها، لأن الياء لا تكون بعد الألف آخرةً إلا للإضافة نحو هداي، ولا أعلم أحداً من القراء المشهورين قرأ بها وذكرها الفراء، ولا وجه لها.

قوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾.

أي ألقيناهُمْ في فتنة ومِحْنَةٍ، واختَبَرْنَاهُمْ.

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾.

قال بعض أهل التفسير: السَّامِرِيُّ عِلجٌ مِن أَهْلِ كِرْمَانَ، والأكثر في التفسير أنَّهُ كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسَّامِرَةِ. وهم إلى هذه الغاية في الشام يعرفون بالسامريين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿غَضْبَانَ أَسِفاً﴾.

أَسِفٌ شَدِيدُ الحُزْنِ مع غَضَبِه.

وقوله: ﴿أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

القراءة فيها بالكسر [في حاء يَحِلّ] على معنَى أنه يجب عليكم، فالضمُّ يجوز فيها على معنى أن ينزل عليكم غضب من ربكم.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾.

يجوز الضم والكسر والفتح في الميم. بِمُلْكِنَا، وبِمَلْكِنَا، وبِمِلْكِنَا. فأصل الملك السلطان والقدرة، والمِلْك ما حَوَتْهُ اليَدُ، والملك المصدَرُ. تقول: ملكت الشيء أمْلِكه مَلْكاً. وقيل في بعض التفسير: ما أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بأَنْ مَلَكْنَا الصَّوابَ. وجائز أن يكون ما أخلفنا موعدك بسلطانٍ كان لنا ولا قدرة، ثم أَخْبَرُوا سبب تأخرهم عنه فقالوا:

﴿وَلكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ﴾.

ويقرأ حُمِّلْنَا أوزاراً، بتشديد الميم وكسرها، يعنون بالأوزار حُلِيًّا كانوا أخذوها من آل فرعون حينَ قذفهم البحرُ فألْقَاهُمْ عَلَى سَاحِلِهِ، فأخذوا الذهب والفضة، وسميت أوزاراً لأن معناها الآثام، وجائز أن يكون سُمِّيَتْ أوزاراً يعنون بها أَثْقَالاً، لأنَّ الوِزْرَ في اللغة الحِمْلُ، وسُمِّيَ الإثمُ وِزْراً لأن صاحبه قد حُمِّلَ بها ثقلاً، قال الله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾[1].

فقالوا: حملنا حُلِيًّا فقذفناها في النار، وكذلك فعل السَّامِرِيّ، أي ألقى حَلْياً كان معه.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ﴾.

واختلف في تفسير خُوارِه، فقيل إنه كان يَخُورُ كما يَخُورُ الثورُ من الحيوان، فإذا خار سجدوا له، وإذا عاد الخُوارُ رَفَعُوا من السجود، وقال بعضهم: إنما خَارَ خَوْرَةً واحدةً، وَدَلِيله :﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾.

وقال مجاهدٌ: خُوارُه حَفِيفُ الريح إِذَا دَخَلَتْ جَوْفَهُ. وَيُرْوى أن هارون عليه السلام مَرَّ بالسَّامِرِيّ وهو يصنع العجل فقال له: ما تصنع. قال أصنع ما لا ينفع ولا يَضُرُّ، وقال: أدْعُ، فقال هارون اللَّهُمَّ أَعْطِه ما يَسأَلُ كما يُحِبُّ، فسأل الله عز وجل أن يجعل للعِجْل خُواراً، والذي قاله مجاهِدٌ من أنّ خُوارَهُ حفيفُ الريح فيه، أسرع إلى القبول لأنه شيء ممكن. والتفسير الآخر [وهو] أنه خوار ممكن في محنة الله عزّ وجلّ - أن امْتَحَنَ القَوْمَ بذلك، وليس في خُوارِ صُفْرٍ[2] ما يوجب عبادته لأنهم قد رأوه معمولاً مصنوعاً، فعبادتهم إياه لو خارَ وتكلم كما يتكلم الآدمي لم تجب به عبادته.

فقالوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾.

قيل إن السّامِرِيَّ نسيَ ما كان عليه من الإيمان، لأنه نافق لما عبر

---

(١) سورة الانشراح / ٢ - ٣.

(٢) ذهب أو نحاس.

البحر، المعنى فترك ما كان عليه من الإيمان، وقيل إن السّامِريّ قال لهم إن موسى عليه السلام أراد هذا العجل فنسِيَ وترك الطريق الذي يصل إليه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾.

كما قال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾[١]، ويجوز أنْ لا يَرْجعَ بنصب بأن، والاختيارُ مع رأيت وعلمتَ وَظَنَنْتُ أن لا يفعلُ، في معنى قد علمت أنه لا يفعَلُ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾.

يا ابنَ أمَّ بفتح الميم، وإن شئت يا ابن أمِّ - بكسر الميم - وفتحت أم والموضع موضع جرٍّ لأن «ابن» و«أم» جُعلا اسماً واحداً فبنى ابن وأم على الفتح، ومن قال يا ابن أمِّ أضافه إلى نفسه. وفيها وجه ثالث «يا ابْنَ أُمِّي لَا تَأْخُذْ» ولكنه لا يقرأ بها. ليست ثابتة الياء في المصحف. ومثل هذا من الشعر:

يا ابن أمّي ويا شقيقَ نفسي ... أنت خَلَّيتَنِي لِدَهْرٍ شديدِ[٢]

ولم يجىء هذا إلا في ابن أم، وابن عم، وذلك أنه يقال لمن ليس بأخٍ لأمٍّ. ولا بأخ البتّةَ: يا ابن أمٍّ، وكذلك يقال للأجنبي: يا ابن عم، فلما أزيل عن بابه بني على الفتح، وإن كان قد يقول القائل لأخيه من أمه أيضاً يا ابن أمَّ، فإنما أدخل أخاه في جملة من يقول له يا ابن أمَّ.

وقد قيل في هارون إنّه لم يَكُنْ أَخَا موسى لأمّه - والله أعلم -.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٨.

(٢) لأبي زُبيد الطائي يرثي أخاهُ لأمّه، وشقيق تصغير شقيق - صغره للحنان والرحمة، والبيت من شواهد النحو الشائعة، انظر ابن يعيش ١٢/٢ وكتاب سيبويه ٢١٣/٢، والعيني ٢٢٤/٤، ومجاز أبي عبيدة ٢٥/٢.

قوله :﴿قَالَ فَما خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾.

معنى ما خطبك ما أمرك الذي تخاطب به.

﴿قال بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا به﴾.

يقال: قَدْ بَصُرَ الرَّجُلَ يَبْصُرُ إذا كان عليماً بالشيء، وأبْصَرَ يُبْصِرُ إذا نظر، والتأويل علمتُ بما لم يعلموا به، وكان رأى فرس جبريل عليه السلام فقبض قبضة من تراب حافر الفرَس، يقال: قبضت قبضةً، وقَبَصْتُ قَبْصَةً - بالصاد غير معجمةٍ - فالقبضة بجملة الكف، والقبصة بأطراف الأصَابع. ويقرأ بالصاد والضاد، وفيه وجه آخر لم يقرأ به فيما علمت، يجوز فقبصتُ قَبْصَةً وقُبْصَةً، ولكن لا يجوز القراءة بها - إن كان لم يقرأ بها - فالقبضة قبض الشيء مرةً واحدةً، والقُبْصَةُ مقْدَارُ مَا يقبضُ، ونظير هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿إلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرفَةً [بِيَدِهِ﴾[1]، وغُرْفَةً بِيَدِه.

﴿فنَبَذْتُهَا﴾.

أَلْقَيْتُها في العِجْل لتَخُورَ.

﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.

أي زيَّنَتْ لي نَفْسِي، ومثله :﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وأَمْلَى لَهُمْ﴾[2].

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فإنَّ لَكَ فِي الحَياةِ أَنْ تَقُولَ لاَ مِسَاسَ﴾.

وأنَّ لك، ويجوز لا مَسَاسِ وأنَّ لك - بفتح الميم وكَسْرِ السين الآخرةِ على وزن دَرَاكِ وتَراكِ[3]، والتأويل أن موسى عليه السلام حرم مُخَالَطةِ السامِرِيّ، فالمعنى إنك في الدنيا لا تخالط جزاء لفعلك، فمن قرأ لا

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٤٩.

(٢) سورة القتال الآية ٢٥.

(٣) فتكون علماً مبنياً على الكسر مثل حذام.

مَسـاسَ ـ بفتح السين الأخيـرة فهو منصـوب على البـدء بـه[1]، ومن قـال: لا مَسَاسِ فهو مبني على الكَسْرِ، وهو نفي وقـولك مَسَـاسِ، أي مساس القـوم تأمر بذلك، فـإذا قلت لا مَسَاسِ فهـو نفي ذلك، وبنيت مسَـاسِ على الكسر وأصلها الفتح لمكان الألف، ولكن مساس ودَرَاكِ مؤنث، فاختير الكسر لالتقاء الساكنين لأنك تقول في المؤنث فعَلْتِ يا امرأةُ، وأعطيتك يا امرأةُ.

﴿وإنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ﴾.

ولن تُخْلِفَهُ، فمن قرأ لن تخلفه فالمعنى[2] يكـافئك اللَّه على مـا فعلت في القيـامة واللَّه لا يخلف الميعـادَ، ومن قرأ لن تخلِفَـه فـالمعنى إنـك تبعث وتوافي يوم القيامَةِ، لا تقدر على غير ذلك، ولن تُخْلِفَه.

وقوله عزّ وجلّ :﴿وانْظُر إلَى إلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً﴾.

وظِلْتَ بفتح الظاء وكسرها، فمن فتح فالأصل فيها ظَلِلْتَ، ولكن الـلَّامَ حُـذِفَتْ لثقل التضعيف والكسـر، وبقيت الظاء على فتحهـا، ومن قـرأ ظِلْتَ ـ بـالكسْرِ ـ حَـوَّلَ كَسْرةَ الـلام على الظاء، وقـد يجـوز في غيـر المكسُـور نحـو أحَسْتُ تُرِيدُ أحْسَسْتُ، وقد حُكِيَتْ هَمْتُ بذلِـكَ، تريـد هَمَمْتُ ومعنى عاكف مُقِيمٌ، وعاكف منصوب خبر ظلت، ليس بِمنْصُوبٍ عَلى الحال.

وقوله :﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾.

ويقرأ لَنُحْرِقَنَّهُ أي لَنَحْرِقَنَّه بالنَّارِ، فإذا شَدَّدَ فالمعنى نُحَرِّقُه مرَّة بعد مرَّةٍ، وقرئت لَنحرُقَنَّهُ، وتأويله لَنَبْرُدَنَّه بالمِبْرَدِ، يقال حَرَقْتُ أحْـرُق وأحْرِقُ إذا بـردت الشيء. ولم يقرأ لنحرِقَنَّهُ، ولو قُرِئَتْ كانَتْ جائزة.

---

(١) اسم «لا» مبني على الفتح.

(٢) اللَّه وعدك به ولن يخلفك اللَّه ما وعدك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثم لَنَنْسِفَنَّه فِي اليَمِّ نَسْفاً﴾.

اليمُّ البَحْر، والنسف التذرِيَةُ.

وقوله: ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِمْلاً﴾.

المعنى ساء الوِزْرُ لهم يوم القيامَةِ، و ﴿حِمْلاً﴾ منصوب على التميز.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.

قد جرى تفسيره فيما مَضى. وأكثر ما يذهب إليه أهل اللغة أن الصور جمع صورة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَحْشُر المُجرمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾.

قيل عطاشا وقيل عُمْياً، يخرجون من قبورهم بُصرَاءَ كما خلقوا أول مَرَّةٍ ويعمَوْنَ في المَحْشرِ، وإنما قيل زُرْقاً لأن السَواد[1] يزرق إذا ذهبت نواظِرُهُمْ، ومن قال عطاشا فجيِّدٌ أَيْضاً، لأنهم من شدةِ العَطش يتغير سواد أَعْيُنهم حتى يزرقّ.

وقوله ـ عزّ وجلَّ ـ: ﴿يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ عَشْراً﴾.

أصل الخفوت في اللغة السكون، والتخَافت ههنا السِّرارُ، فالمعنى أنهم يَتَسَارُّونَ بَيْنَهُمْ.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾.

أي أعلمهم عند نفسه بما يقول

﴿إنْ لَبِثْتُم إلاَّ يَوْماً﴾، معناه ما لبثتم إلاّ يوماً

وقوله: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً﴾.

النسف التَّذْرِيَةُ

تصير الجبال كالهباء المنثور، تذرَّى تَذْرِيَةً.

---

(١) سواد أعينهم يتحول إلى زرقة ـ فالمعنى ـ إذن ـ نحشرهم زرق العيون.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً﴾.

القـاع من الأرض المكـان الـذي يعلوه المـاء، ويُقَـالُ المكـانُ الـطَّيب والصَّفْصَفُ، المستوي من الأرض.

﴿لاَ ترى فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً﴾.

العِـوَج في العَصَا والجَبَـلِ ألَّا يكون مسـتـوياً، والأمْتُ أن يغلظ مكـانٌ ويَدِقَّ مَكانٌ.

قوله:﴿يَوْمَئِذٍ يتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَعِوَجَ لَهُ﴾.

المعنى لا عِوَجَ لَـهم عن دُعَائِه، لا يقدرون أنْ لاَ يتَّبِعُوا

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿فَلاَ تَسْمَعُ إلَّا هَمْساً﴾.

الهَمْسُ في اللغـة الشيءُ الخَفِيّ، والهَمْسُ ـ ههنا ـ في التفسيـر صـوت وطء الأقدام.

وقوله:﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ للحَيِّ القَيُّومِ﴾.

مَعنى عَنَتْ في اللغـة خَضَعَتْ، يقـال عنـا يعنـو إذا خضـع، ومنـه قيـلَ أُخِذَتِ البِـلاَدُ عَنْوَةً، إذَا أُخِذَتْ غَلَبَةً، وأُخِذَتْ بخضوعٍ من أهلها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

ما بين أيديهم من أمر القيامة، وجميع ما يكون، ومـا خلفهم ما قـد وقع من أعمالِهِمْ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً﴾.

الهضْمُ النَّقْصُ، يقـال فلان يهضمني حَقِّي أي ينْقُصُني، وكـذلـك هـذا شيء يهْضِمُ الطعام، أي ينقص ثِقْلَته.

وقوله عزّ وجلّ :﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾.

﴿فَنَسِيَ﴾ ههنا معناه فترك، لأن النَّاسِيَ لا يُؤاخَذُ بِنِسْيَانِهِ، وجاء في الحديث: لو وُزِنَ حلم بني آدم مُذْ كان آدم إلى أَنْ تقُومَ السَّاعَةُ ما وَفَى حِلْمُ جَميع من وَلَدَهُ وَحَزْمُهُمْ بحلم آدَمَ وَحَزْمِه ـ ﷺ.

وقال عزّ وجلّ : ﴿ولم نجد له عَزْماً﴾.

وقوله ـ سبحانه ـ :﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾.

يجوز وإنَّك بالكسر، وأنك بالفتح، فإذَا كسرت فعلى الاستئْنَافِ وعطف جملة كلام على جملة، وإذا فتحت فعلى معنى إن لك «أنْ لا» تظمأ فيها، فَتَنْسقُ بأَنَّكَ عَلَى ﴿أَنْ لَا تَجُوعَ﴾. ويكون أنك عَلَى هَذا القَوْل في موضع نصب. ويجوز أن يكون في موضع رفع، والعطف على اسْم إن وأنَّ، لأن معنى إن زيداً قائم زيد قائم فالمعنى ذلك إنك لا تظمأ فيها، ومعنى ﴿لا تظمأ﴾ لَا تَعْطَشُ، يقال ظميء الرجل يظمأ ظمأ فهو ظمآن بمعنى عطشان، ومعنى ﴿لا تَضْحَى﴾ ولا تُصيبُكَ الشمسُ، ولا تبرُز يقال ضحى الرجلُ يَضْحَى إذا بَرزَ إلى الشمس، قال الشَّاعِرُ[1]:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى، وأما بالعشي فَيَخْصَرُ

ومعنى يخصر يُصِيبُه الخَصَرُ وهو شدة البرْد، وبلوغه الأطراف.

وقوله عزّ وجلّ :﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾.

الضَّنْكُ أَصْلُه في اللُّغَةِ الضيق والشدة، ومعناه ـ والله أعلم ـ أن هذه المعيشة الضنك فِي نَارِ جَهَنَّم. وأكثر ما جاء في التفسير أنَّه عذابُ القبر.

---

(١) عمر بن أبي ربيعة ـ من رائيته المعروفة، انظر الأغاني حـ ١ ص ٧٢، ٨٢ ط دار الكتب. وهي في ديوانه ص ٩٤ (ت محيي الدين) ـ وانظر اللسان (صحو).

وقوله: ﴿وَنَحْشُرُه يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

مثل ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً، وقيل أَعْمَى عن حجَّتِه، وتأويله أنه لا حُجَّة له يهتدي إليها، لا أن له حُجَّةً، وأنه يعمى عنها. ما للناس على الله حُجّة بعد الرُّسُلِ(١)، ولله الحجةُ البَالِغةُ وقد بَشَّرَ وأَنْذَرَ، وَوَعَدَ وأَوْعَدَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَعَلَّهُمْ يتَّقُونَ أو يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾.

أي لعل الوعيد يُحْدِثُ لهم تَذَكُّرَ العَذَابِ، فيزجرهم عن المعاصي وقيل: ﴿أو يحدث لهم ذِكْراً﴾ [أي] شَرَفاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بالقرآن من قبلِ أنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾.

أي من قبل أن يُبَيَّنَ لَكَ بَيَانُه، ويقرأ من قبل أَنْ نَقْضِي إليك وحْيَهُ بالنون، ويجوز مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْضِيَ إليك وَحْيَهُ، أي من قبل أن يقضي الله إليكَ وَحْيَهُ، ولم تُقْرأ «تَقْضِي» وقرئت يُقْضَى ونَقْضِي - بالياء والنون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَها وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ أي كذلك تترك في النار كما تركت آيَاتِنَا.

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

قُرِئَتْ بالنُونِ والياء، فمن قرأ بالنُونِ فمعناه أفلم نبين لهم بياناً يهتدون به، ومن قرأ أفلم يَهْدِ - بالياء - فالمعنى أفلم يُبَيَّنْ لَهُم الأمْرُ بإهلاك من قبلهم من القرون، و «كم» في موضع نصب بأهلكنا، وكانت قريش تَتَّجِرُ وترى مساكن عادٍ وثمودَ وبها علامات الإهلاك، فذلك قوله: ﴿يمشون في مَساكِنِهم﴾ ويجوز في مَسْكَنِهِمْ، أي في مَوضِع سُكْنَاهُمْ ولم يقرأ بها، ويقرأ: يُمَشُّوْنَ في مَسَاكِنهم بالتشديد.

---

(١) بعد ان أرسل الله الرسل لم يبق لإنسان ان يحتج لعدم قبوله رسالتهم.

وقوله: ﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ لأُولي النُّهىَ﴾.

أي لذوي العقول والمَعْرِفةِ، يقال: فلان ذو نُهْيةٍ إذا كان لـه عَقْلٌ ينتهي به عن المقابح.

وقوله: ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً﴾.

أي لكان القتلُ الذي نالهم لاَزِماً أبداً، ولكـان العذاب لازمـاً لهـم.

﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾.

معـطوف على ﴿كلمة﴾ المعنى لـولا كلمةٌ سَبَقَتْ وأجـلٌ مسمى [لكـان لزاماً] يُعنَى بالأجل المسمى أن الله وعَدَهُمُ العذابَ يومَ القيامَةِ، وذلك قـوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[1].

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُروبِهَا﴾.

وذلك وقتُ الغداة والعَشِيِّ.

﴿ومِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهارِ﴾.

الآناء الساعات، وواحد الآناء إِنْيٌ - وقد بيناه فيما مَضَى.

﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرافَ النَّهَارِ﴾.

وأطراف النهار الظهرُ والعَصْرِ.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾، ويقرأ تُرْضَى.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾.

أي رِجالاً مِنْهُم.

﴿زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾.

وَزَهَرَة جميعاً - بفتـح الهاء وتسكينهـا - وزهرة منصـوب بمعنى مَتَّعْنَا لأن معناه جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة.

---

(١) سورة القمر ٤٦.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

أي لنجعل ذلك فتنة لهم

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿[وقالوا] لَوْلاَ يَأْتِينَا بآيَةٍ مِنْ رَبِّه﴾.

معناه هلاّ يأتينا بآية [من رَبِّه] وقد أتتهم البينـاتُ والآيـاتُ ولكنَّهُمْ طلبوا أن يقترحوا هم ما يريدون من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أن نَذِلَّ ونَخْزَى﴾. يجوز فيها يُذَل ويُخْزَى.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾.

«مَن» في موضع رفع، ولا يجوز أن يعمل فيها فستعْلَمُونَ، لأن معناه معنى التسوية، المعنى فستعلمون أصحاب الصراط السوي نَحْنُ أم هُمْ، فلم يعْمَلْ فَسَتَعْلَمُونَ لأن لفظ الكلام لفظه لفظ الاستفهام، ومعنى ﴿أصْحَابُ الصراط السوي﴾ أَصْحَابُ الطريق المستقيم، ويَجُوزُ من أصحاب الصراط السُّوَي ومن اهتدى.

﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾.

أي فسيعلمون من أصحاب الطَّريقة السُّوءَى ومن المهتدي.

سُورَةُ الأنبياء
مكيـــة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلَّ: ﴿اقْتَرَبَ للنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾.

معناه اقتربت القيامة، ومثله: ﴿اقْتَرَبَت السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾(١)، والمعنى - واللَّه أعلم - اقترب للناس وقت حسابهم.

وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾.

الخفضُ القراءةُ، ويجوز في غَير القراءة مُحْدَثاً ومُحْدثٌ. النصب على الحال، والرفع بإضمار هو.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾.

معطوف على معنى ﴿إلاَّ اسْتَمَعُوه وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. معناه استمعوه لاعبين لاهيةً قلوبُهم، ويجوز أن يكون ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ منصوباً بقوله ﴿يلعبون﴾.

﴿وأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

في ﴿أَسَرُّوا﴾ قولان أَجْوَدُهمَا أن يكون ﴿الذين ظلموا﴾ في موضع رفع بدلاً من الواو من أَسَرُّوا ومُبَيِّناً عن معنى الواو. والمعنى الا استمعوه وهم يلعبون وأسروا النجوى، ثم بيَّن من هم هؤلاء فكان بدلاً من الواو. ويجوز أن يكون

---

(١) أول سورة القمر.

رفعاً على الذم على معنى هم الذين ظلموا. ويجوز أن يكون في موضع نصبٍ على معنى أعني الذين ظلموا.

وقوله: ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾.

بيَّنَ ما أسروه، والمعنى قالوا سِرًّا هل هذا إلَّا بشرٌ مثلكم، يعنون النبي ﷺ أعلمهم الله عزّ وجلّ أنه يعلم القول في السماء والأرض، وأَطْلَعَ النبيَّ ﷺ عَلَى قِيلِهِمْ، وسِرِّهِمْ.

﴿[قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ]﴾.

وقرئت قُلْ رَبِّي [يعلم القول] وقال رَبِّي

وقوله: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾.

أي قالوا: الذي يأتي به النبي ﷺ أضْغَاثُ أحْلام. وجاء في التفسير أهاوِيل[1] أحْلام، والأضغاثُ في اللغة الأشياء المختلطة.

﴿بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾.

أي أخذوا ينقضون أقوالهم بعضها ببعض، فيقولون مرة: هذه أحلام، ومرة هذا شعر ومرة مفترى.

﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾.

فاقترحوا الآيات التي لا يقع معها إمْهَالٌ إذَا كُذِّبَ بهَا، فقال الله عزّ وجلّ:

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

أي ما آمن أهل قرية أتتهم هذه الآيات حتى أوجب الله استئصالهم وإهلاكهم بالعذاب، والله جعل مَوْعِدَ هذه الأمَّةِ القيامةَ، فقال: ﴿بَلِ السَّاعَةُ

(١) أهاويل وتهاويل: رؤى وصور غير حقيقية.

موعِدُهُمْ والساعة أدْهَى وَأَمَرُّ﴾[1] واللّهُ قد أعطاهم الآيات التي تبيَّنُوا بها نبوة النبي ﷺ من القرآن الذي دُعُوا أنْ يأتوا بسورةٍ مثله، ومن انشقاق القمر، ومن قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ فظهر أهل الإسلام حتى صاروا أكثر من كلّ فرقةٍ فليس أهلُ مِلَّةٍ واحدة لهم كثرة أهْلِ الإسْلَامِ، وأظهره اللّه أيضاً بالحجة القاطعة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾.

أي سَلُوا كل من يقر برسول اللّه ﷺ من أهل التوراة والإنجيل.

﴿إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

أي إن كنتم لَمْ تَعْلَمُوا أنَّ الرسُلَ بَشَرٌ. وهذا السؤال واللّه أعلم لمن كان مؤمناً من أهل هذه الكتب[2]، لأن القبول يكون من أهل الصدق والثقة.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَ يَأْكُلونَ الطَّعَامَ﴾.

﴿جَسَداً﴾ هو واحد ينبىء عن جماعة، أي وما جَعَلْنَاهم ذوي أَجْسَادٍ إلاَّ ليأكُلُوا الطَّعَامَ، وذلك أنهم قَالُوا: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾[3] فأُعْلِمُوا أن الرُّسُلَ أجمعين يأكلون الطعام، وأنهم يَمُوتُونَ وهوَ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾.

وقوله: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.

أي فيه تذْكِرَةٌ لكم بما تلقونه من رحمة أو عذاب، كما قال عزّ وجلّ: ﴿كَلاَّ إِنَّها تَذْكِرَةٌ﴾[4] وقد قيل ﴿فِيه ذِكْرُكُمْ﴾ فيه شَرَفُكُمْ.

وقوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾.

(١) سورة القمر. الآية ٤٦.

(٢) أي أن السؤال يوجه للمؤمنين من أهل الكتاب.

(٣) سورة الفرقان. (٤) سورة المدثر.

«كم» في موضع نصب بقَصَمْنَا، ومعنى قصمنا أهلكنا وأذهبنا، يقالْ قصم اللّه عُمْرَ الكافِرِ أي أذْهَبَهُ

وقوله:﴿فلما أحَسُّوا بَأْسَنَا إذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾.

أي يهربون من العذاب.

﴿لاَ تَرْكُضُوا وارْجِعُوا إلَى مَا أُتْرِفْتُم فِيه ومَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾.

جاء في التفسير أنه قيل لهم ذلك على جهة الاستهزاء بهم، وقيل لعلكم تسألون شيئاً مما أُترفتُم فيه، ويجوز لعلكم تسألون فتجيبون عما تشاهدون إذا رأيتم ما نزل بمساكنكم وَمَا أترفتم فيه.

وقوله:﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

«ويل» كلمة تقال لكل من وقع في هَلَكَةٍ، وكذلك يقولها كل من وقع في هلكة.

وقوله:﴿فَما زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾.

أي ما زالت الكلمةُ التي هي قولُهم: ﴿يَا وَيْلَنَا إنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ دعواهم. يجوز أن تكون ﴿تلك﴾ في موضع رفع اسم زَالتْ و﴿دعواهم﴾ في موضع نصب خبر زالت وجائز أن يكون ﴿دعواهم﴾ الاسم في موضع رفع، و﴿تلك﴾ في موضع نصب على الخبر لا اختلاف بين النحويين في الوجْهَيْن.

وقوله:﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

اللَّهْوُ في لُغَةِ حَضْرَمَوْتَ الولدُ، وقيل اللهوُ المرأةُ، وتأويلُه أنّ الوَلَدَ لَهْوُ الدُّنْيَا، فلو أردنا أن نتخِذَ ذَا لَهْوٍ يُلْهَى بِهِ، ومعنى، ﴿لاتخذناه مِنْ لدُنَّا﴾ أي لاصطفيناه مما نخلق.

﴿إنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

معناه ما كنا فاعلين. وكذلك جاء في التفسير. ويجوز أن يكون للشرط، أي إنْ كُنَّا مِمَّنْ يَفْعَلُ ذلك ولسنا ممن يفعله. والقول الأول قول المفسرين، والقول الثاني قول النحويين، وهم أجمعون يقولون القولَ الأول ويستجيدُونه، لأن «إنْ» تكون في معنى النفي، إلا أن أكثر ما تأتي مع اللام تقول: إن كنت لصالحاً، معناه مَا كُنْتَ إلَّا صَالِحاً(١).

وقوله:﴿بَلْ نَقْذِفُ بالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾.

يعنى بالحق القرآن على باطلهم ﴿فيدمغه﴾ فيذهبُه ذهاب الصغار والإذلال.

﴿فَإذَا هوَ زَاهِقٌ﴾.

أي ذاهب.

﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

أي مِمَّا تَكْذِبُونَ في وصفكم في قولكم إنَّ لِلَّهِ وَلَداً.

وقوله:﴿وَلَهُ مَنْ في السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾.

أي هؤلاء الـذين ذكرتم أنهم أَوْلَادُ اللَّه -عزّ وجلّ- عبادُ اللَّهِ، وهم الملائكة.

وقوله:﴿لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ولاَ يَسْتَحْسِرُونَ﴾.

أي لا يَعْيَوْنَ، يُقَال حَسِرَ واسْتَحْسَرَ إذَا تَعِب وأعْيَا، فالملائكة لا يَعْيَوْنَ.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾.

أي لا يشْغَلُهم عن التسبيح رِسَالةٌ، ومجرى التسبيح منهم كمجرى

---

(١) في هذا المثال ليست أن نافية وإنما هي مخففة من الثقيلة. أما النافية فيكثر مجيء «إلا» بعدها - نحو أن هذا إلاَّ بشرٌ مثلكم.

النفس منا، لا يشغلنا عن النفس شيء، فكذلك تسبيحُهم دائم.

وقوله: ﴿أم اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾.

وَيَنْشُرونَ، فمن قرأ يُنْشِرُونَ فمعناه أم اتخذوا آلهة يُحْيُونَ الموتى، يقال: أَنْشَر اللَّهُ الموْتَىونَشَرُوا هُمْ[1]، ومن قرأ يَنْشُرون بفتح الياء، فمعناه: أم اتخذوا آلهة لا يَمُوتُونَ يَحيَوْنَ أبداً.

وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

﴿فيهما﴾ في السماء والأرض، وَ «إلَّا» في معنى «غير»، المعنى لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتَا، فـ «إلَّا» صفة في معنى غير، فلذلك ارتفع ما بعدها على لفظ الذي قبلها قال الشاعر:

وكل أخ مفارقه أخوه لعَمْرُ أبيك إلاَّ الفَرقَدان[2]

المعنى وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه.

وقوله: ﴿فسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿سبحان اللَّه﴾ معناه تنزيه اللَّه من السوء، وقد فسرنا ذلك. وهذا تفسير عن النبي ﷺ.

وقوله: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

أي لاَ يُسأَلُ في القيامة عن حكمه في عباده، وَيَسْأَلُ عِبادَهُ عن أعمالهم سؤالَ مُوَبِّخٍ لمن يستحق التوبيخ، ومُجَازِياً بالمغفرة لمن استحق ذلك، لأن اللَّه عزَّ وجلَّ قد علم أعمَال العِبَادِ، ولكن يسألهم إيجاباً للحجة عليهم، وهو

(١) أي نشر هو مطاوع أَنْشَرَ.

(٢) لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وقيل لغيره. انظر الخزانة ٥٢/٢، شواهد المغني ٧٨ والانصاف ١٢٣، وهو من الأبيات الشائعة.

قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾[1]. أي سؤال الحجة التي ذكرنا، فأما قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[2] فهذا معناه لا يسأل عن ذنبه ليستعلم منه، لأن اللَّه قد علم أعمالهم قبل وقوعها وحين وقوعها وبعد وقوعها. عَالِمُ الغَيْبِ والشهادة،

وقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾.

قد أَبَانَ اللَّهُ الحجَّةَ عَلَيهم في تثبيت توحيده وأن آلهتهم لا تُغْني عنهم شيئاً، ثم قيل لهم: هاتوا برهانكم بأنَّ رَسُولاً من الرسل أنبأ أُمَّتَهُ بأنَّ لهم إلٰهاً غير اللَّه، فهلْ في ذكرِ مَنْ معيَ وذِكْر مَنْ قبلي إلاَّ توحيدُ اللَّه عزَّ وجلَّ، وقد قُرِئَتْ: هذا ذكرٌ مِنْ مَعِي وذكرٌ مِنْ قَبْلِي، ووجهها جَيِّدٌ، ومَعْنَاهُ هذا ذكرٌ مما أنزل عَلَيَّ مِمَّا هو مَعِي، وذكرٌ مِنْ قبلي.

قال أبو إسحاق: يريد بقوله «مَن مَعِي» أي من الذي عندي، أو من الذي قبلي. ثم بين فقال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحَى إِلَيْهِ﴾.

و ﴿نوحي إليه﴾ ويجوز يُوحِي إليه ﴿أَنَّه لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾.

يعنى الملائكة وعيسى بنَ مَرْيَمَ عليه السلام. والذي في التفسير أنهم الملائكةُ، ولو قرئت بل عباداً مُكْرَمِينَ لم يجز لمخالفة المصحف، وهي في العربية جائزة ويكون المعنى: بل اتَّخَذَ عِباداً مُكْرَمِين، والرفع أَجْود وأَحْسَنُ

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً﴾.

---

(١) سورة والصافات / ٢٤.

(٢) سورة الرحمن الآية ٣٩.

قال «كانتا» لأن السموات يعبر عنها بلفظ الواحِدِ، وأن السموات كانتا سماء واحدة، وكذلك الأرضون كانت أرضاً واحدةً، فالمعنى أن السموات كانتا سماء واحدة مُرْتَتَقَةً ليس فيها ماء، ففتق اللّه السماء فجعلها سَبْعاً وجعل الأرْضَ سَبْعَ أرضين.

وجاء في التفسير أن السَّماء فتقت بالمطر، والأرضَ بالنَّبَاتِ، وَيَدُلُّ على أنه يراد بفتقها كون المطر فيهَا قوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا من الماء كُلَّ شيءٍ حَيٍّ﴾.

وقيل رَتْقاً ولم يَقُلْ رتقَيْن، لأن الرتق مَصْدَرٌ. المعنى كانتا ذَوَاتِيْ رَتْقٍ فَجُعِلَتَا ذواتَيْ فتْقٍ. ودَلَّهم بهذا عَلَى توحِيده ـ جلّ وعزّ ـ ثم بَكَّتَهُمْ فقال:﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقول:﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾.

المعنى كراهة أن تميد بهم، وقال قوم: معناه ألَّا تميدَ بهم، والمعنى كذلك، إلَّا أن «لا» لا تُضْمَرُ والاسم المضاف يحذف[1]، وكراهة أن تميدَ بِهِمْ يؤدي عن معنى ألّا تميد بهم.

ومعنى تميد في اللغة تدور، ويقال للذي يُدَارُ بِهِ إذا رَكِبَ البحرَ مَائِدٌ، ومَيْدَى والرواسي تعني الجبال الثوابت.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلًا﴾.

فِجَاجُ جَمعُ فَجٍّ، وهو كل منخرق بين جبلين، وسُبُلًا طُرقاً.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾.

حَفِظَهُ اللّه من الوُقُوع على الأرْض «إلَّا بإذْنِهِ» وقيل محفوظاً، أيْ

(١) المألوف في اللغة حذف المضاف وهو كثير، ولكن لم يؤلف حذف لا.

محفوظاً بالكواكب كما قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾[1].

﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ﴾.

معناه وهم عن شَمْسِها وقَمرها ونُجُومِها، وقد قرئت عن آيتها، وتأويله أن الآية فيها في نفسها أعظم آيةً لأنها مُمْسَكة بقدرته عزّ وجلّ، وقد يقال للذي ينتظم علامات كثيرةً آية، يراد به أنه بجملته دليل على توحيد الله عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

قيل يسبحون كما يقال لما يعقل، لأنَّ هذه الأشياء وصفت بالفعل كما يوصف مَنْ يعقل[2]، كما قالت العرب - في رواية جميع النحويين - أكلوني البراغيث لما وصفت بالأكل قيل أكلوني، قال الشاعر[3]:

شربت بها والديك يدعو صباحه ... إذا ما بنو نعش دَنَوْا فتَصَوَّبوا

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾.

يُقرأ مُتَّ بضم الميم، ومِتَّ بكسرها، وأكثر القُرَّاء بِالضَّمِّ، وقد فسرنا ما في هذا الباب.

---

(١) سورة والصافات الآيتان ٥، ٦.

(٢) في الأصل «ما يعقل» والمراد أنه أسند إليها أفعال تناسب العقلاء.

(٣) للنابغة الجعدى وقبله:

وصهباء لا تخفى القذى وهي دونه ... تصفق في زاووقها وهي تقطب

يصفها بالصفاء، وتصفق تنقل من كأس لأخرى وتقطب تمزج بالماء وبنو نعش يريد بنات نعش وقال بنو نعش لضرورة الشعر.

انظر اللسان - (نعش) وروايته-تمززتها - وانظر أخبار النابغة الجعدي في الأغاني حـ ٥/ ص ٤ وما بعدها. وذكره ابن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الجاهليين.

والفاء دخلت عَلَى «إنْ» جوابَ الجزاء، كما تدخل في قولك: إنْ زُرْتني فأنا أخوك، ودخلت الفَاءُ على «هم» لأنها جواب «إنْ».

وقوله: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾.

«هذا» على إضمار الحكاية، المعنى وإذا رآك الذين كفروا إنْ يتّخذُونكَ إلا هزُواً يقولون أهذا الذي يَذْكُرُ آلهتكم، والمعنى أهذا الذي يعيب آلهتكم يقال فلان يَذْكُرُ الناس أي يغْتَابُهُمْ ويَذْكُرُهُمْ بالعُيوبِ، ويقال فلان يذكر اللّه، أي يصفه بالعظمة، ويُثْنِي عليه ويُوَحِّدُه. وإنما يحذف مع الذكر ما عُقِلَ معناه، قال الشاعر(١):

لا تذكري فرسي وما أطعمته ... فيكون لَوْنُكِ مثل لون الأَجْرَبِ

المعنى لا تذكري فرسي وإحساني إليه فتعيبيني بإيثاري إيَّاهُ عليك.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

قال أهل اللغة: المعنى خُلِقَتِ العَجَلَةُ مِنَ الإنْسانِ، وحقيقته يدل عليها، ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً﴾(٢)، وإنما خوطبت العرب بما تعقل، والعرب تقول للذي يكثر الشيء خُلِقْتَ منه، كما تقول: أَنْتَ مِنْ لَعِبٍ، وخلقت من لعبٍ، تريد المبالغة بوصفه باللعب.

وقوله: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾.

أي حينَ لا يَدْفَعُونَ عن وُجُوهِهِمُ النارَ، وجَوَابُ «لو» محذوف، المعنى

---

(١) هو عنترة يخاطب زوجه وكانت تلومه على عنايته بفرسه وكان يسقيها لبن الإبل - ومثل جلد الأجرب، كناية عن تهديدها بالضرب حتى يتغير جلدها، أو عن مفارقها وتحاشيها كما يتحاشى الأجرب، ويروى الأشهب، والشهبة حمرة تضرب إلى السواد، والبيت في معاني الفراء. ٢/٢٠٣، واللسان (ذكر).

(٢) سورة الإسراء الآية ١١، وأولها: ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾.

لعلموا صِدْقَ الوعْدِ، لأنهم قالوا ﴿مَتَى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وجعل اللَّه عزّ وجلّ الساعة مَوْعِدَهم ثم قال:

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾.

بغتة فُجَاءَةً وهم غافلون عنها، فتبهتم فتحيرهم.

وقوله عزّ وجلّ:﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ باللَّيْلِ والنَّهارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾.

معناه ـ واللَّه أعلم ـ من يحفظكم من بأس الرحمن، كما قال:﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي من عذاب اللَّه[2].

وقوله: ﴿أَفَهُمُ الغَالِبُونَ﴾.

أي قد تبين لهم أنا ننقص الأرض من أطرافها، ولأن الغلبة لنا، وقد فسرنا نأتي الأرض نَنقصُهَا من أطرافها في سورة الرعد، أي فاللَّه الغالب وهم المغلوبون، أعني حزب الشيطان.

وقوله:﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾.

ويجوز ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ، والصُّمُّ هَهُنا المعرضون عَمَّا يُتْلَى عَلَيْهِمْ من ذكر اللَّه فهم بمنزلة من لا يسمع كما قال الشاعر:

أصم عما ساءه سميع

وقوله تعالى:﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾.

أي إنْ مَسَّهم أدنى شيء من العذاب.

﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

---

(1) الآية التي قبل هذه: ﴿وَيَقولُونَ متى هذا الوعد﴾.

(2) في سورة هود: ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي منَ اللَّه إنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ الآية ٣٠.

والويل ينادَى به، وينادي به كلُّ مَنْ وقع في هلكة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَضَعُ المَوازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ﴾.

﴿القسط﴾ العدل، المعنى ونضع الموازين ذوات القسط، وقِسْط مثل عدل مصدر يوصف به، تقول ميزانٌ قِسْط وميزانان قِسْط، وموازين قِسْطٍ، والميزان في القيامة - جاء في التفسير - أن له لساناً وكفتين، وتُمثَّل الأعمال بما يوزَنُ، وجاء في التفسير أنه يوزن خاتمة العَمَل، فمن كانت خاتمة عَمَله خيراً جوزي بخير، ومن كانت خاتمة عمله شرًّا فجزاؤه الشَّرُّ.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾.

نصب ﴿مثقال﴾ على معنى وإنْ كان العَمَلُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ من خردل، ويقرأ وإن كان مثقالُ حبَّةٍ بالرفع على معنى وإن حصل للعبد مثقال حبة من خردَلٍ أَتَيْنَا بها.

﴿[أتينا بها]﴾ معناه جئنا بها، وقد قرئت آتينا بها على معنى جازينا بها وأعطينا بها، وأَتَيْنَا بها أحسنُ في القراءة وأقْرَبُ في أمل العَفْو.

﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

منصوب على وَجْهَيْن، على التمييز، وعلى الحال، ودخلت الباء في ﴿وكفى بنا﴾، لأنه خبر في معنى الأمر، المعنى اكتفوا باللّه حسيباً.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وهَارُونَ الفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً للمتَّقِينَ﴾.

جاء عن ابن عباس أنه يرى حذف الواو، وقال بعض النحويين معناه ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضِياءً، وعند البَصْرِيِّينَ أن الواو لا تُزَادُ وَلَا تأْتي إلّا بمعنى العطف، وتفسير الفرقان التوراةُ التي فيها الفرق بين الحلال

والحـرام، وَ «ضِيَاءً» ههنـا مثل قـوله: ﴿فِيهِ هُدىً وَنُورٌ﴾[1]. ويجـوز وذكـرى لِلمُتَّقِينَ

وقوله:﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾.

المعنى هذا القرآن ذكر مبارك﴾.

وقوله:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي آتينـاه هداه حَـدَثاً[2]، وهـو مثل قـوله :﴿وَلَوْ شِئْنَـا لَأَتَيْنَـا كُـلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[3].

وقوله:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذه التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾.

«إِذْ» في موضع نصبٍ، المعنى آتينـاه رشـده في ذلـك الـوقت، ومعنى التماثيل ههنا الأصنام، ومعنى العُكوفُ المُقَامُ على الشيء.

وقوله:﴿وتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾.

معنـاه ـ والله أعلم ـ وَوَاللَّهِ لأكيـدَنَّ، ولا تصلح التـاء في القسم إلا في الله، تقول: وحق الله لأَفْعَلَنَّ، ولا يجوز تَحقّ الله لأفعلن، وتقـول وحق زيد لأفعلن، والتاء بدل من الـواو، ويجوز وَبـالله لأكيدَنَّ أصنـامكم، وقراءةُ أهـل الأمصار تالله، ولا نعلم أحـداً من أهل الأمصـار قرأ بـالباء، ومعنـاها صحيـح جيّدٌ.

وقوله:﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً﴾.

وَجِـذَاذاً تقرأ بـالضَّمِ والكسر فمن قـرأ جُذَاذاً فَـإِنَّ[4] بِنْيَةَ كُـلِّ ما كُسِّـر

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٦.

(٢) وهو في سن الشباب.

(٣) سورة السجدة الآية ١٣.

(٤) الكلمة غامضة بالأصل وهذا ما استطعنا فهمه منها.

وقَطْعَ على فُعالٍ نحـو الجُذَاذ والحُـطام والرُّفَـاتُ، ومن قال جِـذَاذ فهو جمـع جذِيذ(١) وجِذَاذٍ نحو ثَقيـل وثِقال وخَفيف وخِفَـاف. ويجوز جَـذاذاً على معنى القَطَاع والحَصَادِ، ويجوز جُذُذٌ على معنى جَـذِيذَ وجُذُذ مثل جَدِيد وجُدُد.

وقوله: ﴿إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ﴾ أي كسَّر هذه الأَصْنَام إلَّا أكبَرَهَا، وجائزٌ أن يكون أكبـرها عنـدهم في تعظيمهم إيـاه، لا في الخلقة، ويجـوز أن يكون أعـظَمَها خلقة.

ومعنى: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

أي لعلّهم باحتجاج إبراهيم عليهم به يَرْجِعُون فيعلمون وجوبَ الحـجَّةِ عليهم

قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَهِيمُ﴾(٢).

أيْ يَذْكُرُهُمْ بالعَيْب، وقالوا للأصنام يَذْكرهم لأنهم جعلوها في عبـادتِهم إياها بمنزله ما يعقل، وإبراهيم يرتفـع على وجهين، أَحَدُهُمـا على معنى يقال لـه هو إبـراهيم، والمعروف بـه إبراهيم، وعلى النـداء على معنى يقال لـه يـا إبراهيم.

﴿قالوافَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾.

أي لعلهم يعرفونه بهذا القول فَيَشْهَدُونَ عَلَيْه، فيكون ما ينزله بِهِ بحُجـةٍ عليه، وجائزأن يكون لَعَلَّهم يَشْهدون عقوبتنا إياه.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾.

يعني الصَّنَم العظيم.

﴿فاسألوهم إنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

---

(١) جذيذ اسم مفعول بمعنى مجذود، أي مقطوع.

(٢) يعرف باسم إبراهيم.

قال بعضهم: إنما المعنى، بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون، وجاء في التفسير أن إبراهيم نطق بثلاث كلمات على غير ما يوجُبُه لفظُها لما في ذلك من الصلاح، وهي[1] قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[2] وقوله فَعَلَه كَبيرهُمْ هَذَا وقوله إنَّ سَارَّة أُخْتي[3]، والثلاث لهن وجه في الصِّدْقِ بيِّنٌ، فسَارَّةُ أخته في الدِّين، وقوله إني سَقِيمٌ فيه غير وجه أحدها إني مُغْتَمٌّ[4] بِضَلاَلتِكُمْ حتى أنا كالسقيم، ووجه آخر إني سقيم عندكم، وجائز أن يكون ناله في هذا الوقت مَرَضٌ.

ووجه الآية ما قلناه في قوله :﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمَ هَـذَا فَاسْأَلُوهُم[5] إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

واحتج قوم بأن قول إبراهيم مثلُ قول يوسف لإخوته: ﴿أَيَّتُها العِيرُ إنكم لَسَارِقُونَ﴾[6] ولَمْ يَسْرِقُوا الصَّاعَ، وهذا تأويله ـ واللَّه أعلم ـ إنكم لسارقون يوسُفَ.

وقوله:﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾.

جاء في التفسير أنه أدْركتِ القومَ حَيْرَةٌ.

ومعنى:﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاَءِ يَنْطِقُونَ﴾.

أي ثم نكسوا على رؤوسهم فقالوا لإبراهيم عليه السلام :﴿لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤلاء يَنْطِقون﴾، فقد اعترفوا بعجز ما يعبدونه عن النطق.

---

(١) في الأصل وهو.

(٢) سورة الصافات الآية ٨٩.

(٣) قال ذلك لفرعون عندما جاء إلى مصر وخشي أن يأخذ فرعون سارة قَسْراً إذا قال أنها زوجه فقال هي أختي وقاله أيضاً لغيره للسبب نفسه. انظر قصته في سفر التكوين والحادثان موضع شك، ويقال انها كانت أخته لأمه.

(٤) محزون.

(٥) أي استعمال ضمير العقلاء للأصنام.

(٦) سورة يوسف آية ٧٠.

وقوله:﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

يقرأ أفٍّ لكم بغير تنوين، وَأُفٌّ بتنوين، ويجوز أفٌّ لكم وأفُّ لكم ـ بالضم والتنوين وبترك التنوين ـ ويجوز أفَّ لكم بالفتح. فأما الكسر بغير تنوين فلالتقاء الساكنين وهما الفاءان في قوله أُفّ، وإنما أصل الكلمة السكون لأنها بمنزلة الأصوات، وحذف التنوين لأنها معرفة لا يَجِبُ إعرابها، وتفسيرها «النَّتْنُ» لكم ولما تعبدون فمن نَوَّنَ جعله نكرة بمنزلة نَتْناً لكم ولما تعبدون من دون اللَّه، وكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسر، ولأن أكثر الأصوات مَبْنيٌّ على الكسر نحو قوله غَاقْ وجَيْرِ وأَمْسِ وإِيهِ[1]، ويجوز الفتح لالتقاء الساكنين لثقل التضعيف والكَسر، ويجوز الضم لضمَّةِ الألفِ كما قالوا: رُدَّ يا هذا ورُدُ، ورُدِ ـ بالكسر، ومن نوَّنَ مع الضَّم فبمنزلة التنوين مع الكسر.

وقوله:﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيها لِلْعَالَمِينَ﴾.

جاء في التفسير أنها من أرض الشام إلى العراق.

قوله:﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسحاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾.

النافلة ههنا وَلَدُ الوَلدِ، يعني به يعقوبُ خاصة

وقوله:﴿إِقَامَ الصَّلاَةِ﴾.

إقام مفرد[2] قليل في اللغة، تقول أقمت إقامَةً، فأما إقام الصلاة فجائز لأن الإضافة عوض من الهاء.

وقوله:﴿وَلُوطاً آتيناهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾.

﴿لوطاً﴾منصوب بفعل مُضْمَرٍ لأن قبله فعلاً، فالمعنى وأوحينا إليهم وآتينا لُوطاً آتيناه حكماً وعِلْماً، والنصب ههنا أحسن من الرفع لأن قبل آتينا فِعْلاً وقد

---

(١) غاق ـ حكاية صوت الغراب.

(٢) بدون تاء.

ذكر بعض النحويين أنه منصوب على «واذْكر لوطاً»، وهذا جائزٌ لأن ذك إبراهيم قد جرى فحمل لوط على معنى واذكر.

وقوله عزّ وجلَّ ﴿ وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾.

منصوب على واذكر، وكذلك قوله:

﴿وَدَاوِدَ وسُلَيمان إِذْ يَحْكُمَانِ في الحَرْثِ﴾.

على مَعْنى واذكر داود وسليمان ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ﴾ النَّفْش بالليل، والهَمَلُ بالنّهار(١).

وجاء في التفسير أن غنماً على عهد داود وسُلَيْمَانَ مَرَّتْ بحَرْثٍ لِقَومٍ فَأفْسدَتْه، ورُوِيَ أن الحَرْثَ كان حنطة، ورُوِيَ أنه كان كرماً، فأفسدت ذلك الحرث فحكم داود بدفع الغنم إلى أصحاب الكرم وحكم سليمان بأن يدفع الغنم إلى أصحاب الكرم فيأخذوا منافعها من ألْبانها وأصوافها وعَوَارِضها إلى أن يعودَ الكرمُ كهيئِتِهِ وقت أُفْسِدَ فإذا عاد الكرم إلى هيئته رُدَّتِ الغنم إلى أرْبابها ويدفع الكرم إلى صاحب الكرم.

قال أبو إسحاق: يجوز أن تكون عوارضُها من أحد وجهين، إما أن يكون جمع عريض وعُرْضَان، وهو اسم للحَمَلِ، وأكثر ذلك في الجدْي، ويجوز أن يكون بما يعرض من منافِعِها حتى يَعُودَ الكَرْمُ كما كان، وهذا ـ والله أعلم ـ يدل على أن سُليمان عَلِمَ أنَّ قيمةَ ما أَفْسَدَتِ الغنمُ من الكرم بمقدار نفع الغنم.

قال الله عزّ وجلَّ: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾.

أي فهمناه القَضِيَّةَ، والحكومةَ، ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾.

---

(١) في القاموس: الهمل محركةً السدى المتروك ليلاً ونهاراً، هملت الإبل تهمل فهي هامل ـ وتهمل. كينصر فاضت وانتشرت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾.

ويجوز والطَّيْرُ، على العطف على ما في يسبحن، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

أي وكنا نقدر على ما نريده، ونصب «الطير» من جهتين إحداهما على معنى وسَخَّرنَا الطير، والأخرى على معنى يسبحن مع الطير[1].

وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ من بَأْسِكُمْ﴾.

وقرئت لنحصنكم من بأسكم بالنون، ويجوز ليُحصِنكُمْ بالياء، فمن قرأ بالياء أراد ليحصنكم هذا اللبوسُ، ويجوز على معنى ليحصنَكُمْ بالياء، فمن قرأ بالياء أراد ليحصنكم هذا اللبوسُ، ويجوز على معنى ليحصنَكُمْ اللَّهُ من بأسكم وهي مثل لِنُحَصِّنَكُمْ - بالنون ومن قرأ بالتاء أراد لتُحْصِنَكُمْ الصنعةُ، فهذه الثلاثة الأوجه قد قرئ بهنَّ، ويجوز فيها ثلاث لم يُقْرأْ بهنَّ، ولا ينبغي أن يُقرأ بهنَّ لأن القراءة سنة.

يجوز لنحصّنَكُمْ بالنون والتشديد، ولتُحصِّنَكُمْ بالتاء والتشديد، وليُحصِّنَكُمْ بالياء مشدَّدَةَ الصَّاد في هذه الثلاث.

وعلَّم اللَّه داوِدَ صنعةَ الدُّرُوع من الزَّرَدِ، ولم تَكُن قبلَ دَاود عليه السلام فجمّعَتِ الخفَّةَ والتَّحْصِينَ، كذا رُوِيَ.

﴿وَلِسليمانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾.

وقرئت الرياح عاصفة، وقرئت الريحُ عاصفةً - برفع الريح. فمن قرأ الريحَ عَاصِفَةً بالنصب فهي عطف على الجبال، والمعنى وسخرنا مع داود الجبال، وسخرنا لسليمان الريح، وعاصفةً منصوب على الحال ومن قرأ الريحُ

---

(١) أي هي مفعول معه.

رفع كما تقول: لزيد المال، وهذا داخل في معنى التسخير، لأنه إذا قال ﴿تجري بأمره إلى الأرض﴾ ففي الكلام دليل على أن اللَّه جلّ ثناؤه ـ سخَّرهَا لَهُ.

وقوله: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾.

يجوز أن يكون موضع «مَنْ» نصباً عطفاً على الريح، ويجوز أن يكون «مَنْ» في موضع رفع من جهتين إحداهما العطف على الريح، المعنى ولسليمان الريح وله من يَغُوصُونَ من الشياطين، ويجوز أن يكون رفعاً بالابتداء، ويكون «له» الخبر.

وقوله: ﴿وَيعملون عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ﴾.

معناه سوى ذلك، أي سوى الغوص.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾.

كان اللَّه يحفظهم مِنْ أَنْ يُفْسِدُوا مَا عَمِلُوا.

وقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّه﴾.

﴿أيوب﴾ منصوب على معنى واذكر أَيُّوبَ.

وقوله: ﴿وآتيناهُ أَهْلَه ومِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾.

أكثر التفاسير أن اللَّه ـ جلّ ثناؤه ـ أحيا من مات من بنيه وَبَنَاتِه ورَزَقَه مِثلهُمْ من الْوَلَدِ، وقيل ﴿آتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ آتيناه في الآخرة.

﴿وإِسْمَاعِيلَ وإِدْرِيسَ وَذَا الكِفْلِ﴾.

هذا كله منصوب على «واذكر». ويقال إن ذا الكفل سمي بهذا الاسم لأنه تكفل بأمر نَبِيٍّ في أُمَّتِهِ فقام بما يجب فيهم وفيه، ويقال إنه تكفل بعمل رجل صالحٍ فقام به، والكِفْلُ في اللغة الكِسَاءُ الذي يُجْعَلُ وراء الرَّحْل على

عجز البعير[1]، وقيل الكفلُ أيْضاً النَّصيبُ، قال الله عـزّ وجلّ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾[2].

وقوله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً﴾.

﴿ذا النون﴾ يونس، والنون السمكة، والمعنى واذكر ذا النون، ويروى أنه ذهب مغاضباً قومه، وقيل إنه ذهب مغاضباً مَلِكاً من الملوك.

﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

أي ظن أن لن نُقَدِّرَ عَليه مـا قَدَّرْنَـاهُ من كونـه في بطن الحـوت، ويقْدِر بمعنى يُقَدِّر. وقد جاء هذا في التفسير، وقد روي عن الحسن أنه قال عَبْدٌ أَبَق مِنْ رَبِّـه، وتأويـل قول الحسن أنـه هرب من عـذاب رَبِّـه، لأن يُـونُسَ ظن أن الهرب ينجيه من اللَّه ـ عزّ وجلَّ ـ وَلَا مِنْ قَدَرِه[3].

وقوله: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ﴾.

﴿في الظلمات﴾ وجهانِ، أحدهمـا يعنى به ظلمـةُ الليـل وظلمـةُ البحـر. وظلمـةُ بطن الحـوت، ويجوز أن يكـون «نادى في الـظلمات» أن يكـون أكثـر دعـائه ونـدائه كـان في ظُلُمَاتِ اللَّيْـلِ. والأجود التفسير الأول لأنـه في بـطن الحوت لا أحسبه كان يفصل بين ظلمة الليل وظلمة غيره ولكنه أَوَّلُ ما صـادف ظلمةُ الليل ثم ظلمة البحر ثم ظلمة بطن الحـوت. وجائـز أنْ يَكُونَ الـظُّلُماتُ اتَّفَقَتْ في وقتٍ واحِدٍ، فتكون ظلمة بطن الحـوت في الليل والبحـرِ نهايَـةً في الشِّدَّةِ.

---

(١) في القاموس: الكفل بالكسر الضعف والنَّصِيبُ والحظ، وخرقة على عنق الثور تحت النير. . . أو شيء مستدير يتخذ من خرق أو غيرها ويوضع على سنام البعير.

(٢) سورة الحديد الآية ٢٨.

(٣) أي ولا منجى من قدره. ـ ونجاته من العذاب تعني نجاته من المسؤولية.

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الـذي في المصحف بنون واحـدة، كُتِبَتْ؛ لأن النون الثـانية تَخْفَى مَـعَ الجيم، فـأمَّا مـا روي عَنْ عَاصمٍ بنـون واحدة فَلَحْنٌ لا وجـه لـه، لأن مـا لا يُسمَّى فـاعِلُه لا يكون بِغَيـر فاعـل. وقد قـال بعضهم: نُجِّي النَّجَاءُ المؤمنين، وهذا خطأ بإجماع النحويين كلهم، لا يجوز ضُرِبَ زيداً، تريد ضرب الضرب زيداً لأنك إذا قلتَ ضرب زيدٌ فقد علم أنَّه الذي ضُربَه ضَرْبٌ[١]، فـلا فائـدة في إضمـاره وإقامتـه مع الفـاعل. وروايـة أبي بكر بن عيـاش في قـولـه نُجِّي المؤمنين[٢] يخالف قراءة أبي عمروٍ نُنْجي بنونين.

وقوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾.

يروى أنها كانت عقيماً فجعلها اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ ولوداً، ويـروى أنه كـان في خُلُقِها سُوءٌ فأصلح اللَّه ذلك وحسَّنَ خُلُقَها.

وقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾.

وقرئتْ رغْباً ورَهْباً، فالرَّغْبُ والرَّهْبُ مَصْدرَانِ، ويجوز رُغْبـاً ورُهْباً، ولا أعلم أحـداً قرأ بهمـا، أعني الرُّغْب والـرُّهْبُ ـ في هـذا المَـوْضِـع. والـرُّغْبُ والرَّغَب مثل البُخْل والبَخَل، والرُّشْد والرَّشَد.

وقوله: ﴿والَّتي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾.

«التي» في موضع نَصْبٍ، المعنى واذكر التي أحصنت فرجها. ويروى في بعض التفسير أنه يعني جيبها[٣].

---

(١) أي الذي وقع عليه ضربٌ.

(٢) قـراءة نجى ليس الفعل فيهـا مبنياً للمجهـول، ولكن أدغمت النون في الجيم فـالفعـل من أنْجى وليس من نجى المضعف.

(٣) وهي كناية عن العفة.

﴿وَجَعَلْنَاهَا وابْنَها آيَةً لِلْعَالِمِينَ﴾.

لو قيل آيتين لصلح، ولكن لمَّا كان شأنهما واحداً، وكانت الآية فيهما جميعاً معناها آية واحدةً، وهي ولادةٌ من غير فحل جاز أن يقول آية.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أمتكم رفع خبر هذه، المعنى أن هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق، فإذا افترقت فليس من خالف الحق داخلاً فيها، ويقرأ أمةٌ واحدة، على أنه خبر بعد خبر، ومعناه إنَّ هذه أمَّةٌ واحِدَةٌ ليست أُمَماً، ويجوز نصب أمتكم على معنى التوكيد، قيل إنّ أمتكم كلها أمة واحدة.

وقوله: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدونِ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾.

المعنى أن اللَّه أعلمهم أن أمر الحجة واحدٌ وأنهم تفرقوا، لأن تقطيعهم أَمْرَهُمْ بينهم تفرقةٌ.

وقوله: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾.

كفران مَصْدَرٌ مثل الغُفْرْان والشُّكْرَان، والعرب تقول: غفرانك لا كُفرانك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾.

قرئت: حِرْمٌ وحَرَامٌ، هاتان أكثر القراءة، وقد قرئت حَرُمَ على قَرْيةٍ، وحَرِم عَلَى قَرْيةٍ. وجاء في التّفسير حِرْمٌ في معنى حَتْمٌ، وجاء أيضاً عن ابن عباس أنه قال حَتْمٌ عليهم ألاّ يرجعوا إلى دنياهم، وجاء عنه وعن قتادةَ أنهم لا يرجعون إلى توبةٍ، وعند أهل اللغة حِرْمٌ وحَرَامٌ في معنى واحد مثل حِلّ وحَلَال. وظاهر «حرام عليهم أنهم لا يرجعون» يحتاج إلى أنْ يُبَيَّن ولا أعلم أحداً من أهل اللغة ولا من أهل التفسير بيّنَهُ.

وهو ـ واللّه أعلم ـ أنه لما قال: ﴿فَلَا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أعلمنا. أن اللّه عزّ وجلّ قَدْ حرَّمَ قُبُولَ أعمال الكافرين وبين ذلك بقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾(١) فالمعنى حَرام عَلَى قَرْيةٍ أهلكناها أن نَتقبل منهم عملاً لإنهم لا يرجعون، أي لا يتوبون، وحَرِمَ وحَرْمَ في معنى حرام، إلا أن حَرَاماً اسم، وحَرِمَ وَحَرُمَ فعل.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾.

بهمزٍ وغير هَمْزٍ، وهما قبيلَتَانِ من خلق اللّه. ويروى أن الناس عشرة أجزاء تسعة منهم يأجوج ومأجوج، وهما اسمان أعجميان، واشتقَاقُ مثلهما من كلام العَرَبِ يخرج من أججت النار، ومن النار الأُجَاجِ وهو أشَدُّ وهو الشديد الملوحة، المحرق من مُلُوحَتِهِ.

وقوله: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾.

ورويت أيضاً من كل جَدَثٍ ينسلون، ـ بالجيم والثاء ـ والأجود في هذا الحرف «حَدَبٍ يَنْسِلُونَ» بالحاء، والحدب كل أُكمةٍ، وينسلون يُسْرِعُونَ.

وقوله: ﴿واقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾.

قال بعضهم: معنى الواو الطرح(٢). والجوابُ عِندَ البَصْرِيِّينَ قوله: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ وههنا قول محذوف، المعنى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوجُ واقترب الوعْدُ الحقُّ قالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِن هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

وجاء في التفسير أن خروجَ يأجوجَ ومأجوجَ من أعْلَامِ الساعة.

---

(١) أول سورة محمد.

(٢) في الأصل لا يجوز تطرح ويكون معناها الطرح ـ وظاهر أنه سهو.

قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

قرئت على ثلاثة أوجه، حَصَبُ جهَنَّم، وحطب جهَنَّم، وحَضَبُ جَهَنَّـم ـ بالضاد معجمة ـ. فمن قرأ حَصَبُ فمعناها كل ما يرمى به في جهنم[1] ومن قال حطب فمعناه ما توقد به جهنم ـ كما قال عزّ وجل: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ﴾[2]، ومن قال: حَضَب ـ بالضَّادِ معجمةً ـ فمعناه ما تَهيجُ به النارُ وتُذْكى به، والحَضْبُ الحيَّةُ.

وقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾.

وللكتاب، ويقرأ السِّجْل بتخفيف اللام، فمن خَفَّفَ أَسْكَنَ الجيم، وجاء في التفسير أن السِّجِلَّ الصَّحِيفةُ التي فيها الكتابُ، وقيل إنَّ السِّجِلَّ مَلَكٌ وقيل إنّ السِّجلَّ بِلُغَةُ الجيْشِ الرَّجُل، وعن أبي الجوزاء أن السِّجِلَّ كاتب كان للنبي ﷺ وتَمَامُ الكلام «للكُتُب»[3].

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾.

مستأنف، المعنى نبعث الخلق كما بدأناهم، أي قدرتنا على الإعادة كَقدرتنا على الابتداء، ويجوز يوم تُطوى السَّمَاءُ كطي السِّجِلّ، ويجوز يوم يَطْوِي السَّمَاءَ كطيِّ السُجِلّ، ولم يقرأ «يَطْوِي»، وقرئت نَطْوِي وتُطْوَى بالنون والتاء.

وقوله: ﴿وَعْداً عَلَيْنَا﴾.

«وعَدْاً» منصوب على المصْدر، لأن قوله «نُعِيدُهُ» بمعنى وَعَدْنَا هَذَا وَعْداً

---

(١) في القاموس: الحصب محركة والحصبة الحجارة ـ واحدتها حصبة نادرٌ. والحطب وما يرمى به في النار حصب، أو لا يكون الحطب حَصَباً حتى يسجر به.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٤، والتحريم الآية ٦.

(٣) للكتابة.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

أي قادرين على فِعْل ما نشاءُ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾.

الزبور جميع(١) الكتب، التوراة، والإنجيل، والفرقان، زبورٌ، لأن الزَّبُورَ والكتاب بمعنىً واحدٍ. ويقال زَبَرْتُ وكتبتُ بمعنىً واحدٍ، والمعنى: ولقد كتبنا في الكتُبِ من بَعْدِ ذِكْرِنَا في السماء ﴿أَنَّ الأَرْضَ يرثها عبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

قيل في التفسير إنها أرْضُ الجنة، ودَليلُ هذا القول قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ﴾(٢). وقيل إن الأرض ههنا يعنى بها أرض الدنيا، وهَذَا القَوْلُ أشْبَهُ - كما قال اللَّه عزّ وجلَّ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّه مَا فِي السَّمواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾(٣) والأَرْضُ إذَا ذُكِرَتْ فهي دليلة(٤) على الأرض التي نعرفها، ودليل هذا القول أيضاً: قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا القَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾(٥).

وهذه الآية من أجل شواهد الفقهاء أن الأرض ليس مجراها مجرى سائرِ مَا يُعْمَرُ(٦).

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

الأجود أنَّما بفتح أن، وهي القراءة، ولو قرئت إنما لجاز، لأن معنى

---

(١) في الأصل جمع.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٠ - ١١.

(٣) أول سورتي الجمعة والتغابن.

(٤) دالَّة.

(٥) سورة الأعراف الآية ١٣٧.

(٦) عبارة غير واضحة، والظاهر أنه يعني أن أجزاءها ليست جميعاً في مستوى واحد من التعمير، لأن بعضها بورك فيه دون بعض.

﴿يُوحَى إليَّ﴾ «يُقالُ لي»[1] ولكن القراءة الفتح لا غير.

وقوله: ﴿فَقُلْ آذَنْتكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾.

﴿آذنتُكُمْ﴾ أعْلَمْتُكُمْ بما يوحى إليَّ لِتَسْتَوُوا في الإيمان به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

أي وما أدري ما آذنتكم به فتنة لكم أي اختبارٌ لَكُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالحَقِّ﴾.

ويقرأ: ﴿قلْ رَبِّ احْكم بالحق﴾، ويجوز وقد قرئ به: قال رَبِّيَ احْكُم بالحقّ، وكان من مضى من الرُّسُل يقولون: ربنا افتح بيننا وبين قومنـا بالحق، ومعناه احكم، فأمر اللَّه ـ عزّ وجلَّ ـ نَبِيَّه أن يقول: ﴿رَبِّ احكُمْ بالحَقِّ﴾.

وقوله: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

أيْ عَلَىٰ مَا تَكْذِبُونَ.

---

(١) أي يوحى مضمنة معنى القول فتكسر إن بعدها.

سُورَةُ الحَجّ
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾.

يا أيها - نداء مبهم مفردٌ، وها للتنبيه، وهو مَبْنيٌّ على الضم، والناس رفعٌ تبع لـ (يا أيها)، والنحويون لا يجيزون إلا رفع الناس ههنا. والمازني أجاز النَّصْبَ في يا أيها الرَّجُلَ أقْبِلْ، كما تقول يا زيدُ الظريفَ والظريفُ، وهذا غلط من المازني، لأن زيداً يجوز الوقف والاقتصار عليه دون الظريف ويا أيها ليس بكلام، وإنما القصد الناسُ، فكأنه بمنزلة - يا ناس اتقوا ربكم.

وجاء في التفسير أن كل شيء جاء في كتاب اللَّه من يا أيها الناس فمكي، وما كان فيه من يا أيها الذين آمنوا فمدني.

وقوله: ﴿إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾.

قيل إن هذه الزلزلة في الدنيا وأن يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها وقيل إنها الزلزلة التي تكون مع الساعة(١).

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾.

ويجوز تُذْهِل كلَّ مُرْضِعَةٍ، ومعنى تُذْهِلُ تحَيِّرُ، وتترك كل مرضعة قد ذَهَلَتْ عَمّا أرْضَعَتْ، ومرضعة جار على المُفْعِل على ما أرضعت، ويقال:

---

(١) نسخة معها الساعة.

امرأة مُرْضِعٌ أي ذات رضاع أرضعت وَلَدَهَا أوْ أرْضعت غيرَهُ والقصْدُ قصد[1] مُلْبِن أي ذات لَبُون وَلَبَنٍ.

وقوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾.

وقرئت: ويُرى الناس سَكْرَى، واسم[2] الفاعل مضمر في ترى. المعنى ترى أنت أيها الإنسان الناسَ، ومن قرأ: ترى الناس سكرى كان بمنزلة وترى أنت الناس سكرى. وفيه وجه آخرُ مَا قُـرِئَ بِهِ [وهـو] وَيُرَى النـاس سكرى، فيكـون الناس اسم يُـرَى[3]، ووجه آخـر لم يقرأ بـه: وَيَرَى النَّـاسَ سَكـرى، المعنى وَيَرَى الإنسانُ الناس سكرى[4].

ويقرأ وتَرَى الناسَ سَكْرَى وما هم بسكرى، وترى الناسَ سُكارى وما هم بسكارى.

ويجـوز وتـرى النـاس سَكـارَى ومـال هم بـسَكـارَى. والـقـراءة الكثيرة: وترى الناس سَكْرَى ومـا هُمْ بسُكْرى، وتـرى الناس سُكـارى وما هم بسُكَارَى أيضاً.

والتفسير أنك تراهم سكارى من العـذاب والخوف، ومـا هم بسكارى من الشَّرابِ ويدل عليه: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّه شديدٌ﴾.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾.

أي يتبع ما يُسَوِلُ له الشيطان، ومَرِيد وَمَارِد معناه أنه قد مَرَدَ في الشَّـرِ.

---

(١) والكلمة جارية مجرى نـاقة ملبن أي ذات لبن أراد بـه لبون، والمرضعة هي التي تبـاشر الارضاع فعلاً أما المرضع فهي التي لها هذه الصفة سواء كانت قائمة أم مقدرة.

(٢) الاسم الذي هو فاعل.

(٣) الاسم المرفوع بها أي نائب الفاعل.

(٤) يُخَيَّل إليه أو تريه الملائكة حالهم.

وتأويل المَرِيد أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصِّنْفُ، وجائز أن يُسْتَعْمل ذلك في غير الشيطان، فتقول قد تمرد هذا السيِّء[1] أي قد جاوز حَدَّ مثله، وأصله في اللغة امْلِسَاسُ الشيء، من ذلك قولك للإنسان أَمْرَدَ إذا لم يكن في وَجْهِهِ شَعْرٌ، ويَقَال للصخرة مرداء إذا كانت ملساء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كُتِبَ عَلَيه أَنَّه مَنْ تَوَلَّاهُ﴾.

﴿أنه﴾ في موضع رفع.

﴿فَأَنَّه يُضِلُّهُ﴾، عطف عليه، وموضعه رفع أيضاً، والفاء الأجود فيها أن تكون في معنى الجزاء، وجائز كسر إنَّ مع الفاء، ويكون جزاء لا غير.

والتأويل: كُتِب عليه أي على الشيطان إضْلَال مُتَولِّيه وهدايتُهم إلى عذاب السعير، وحقيقة «أنَّ» الثانية أنها مكررة مع الأولى على جهة التوكيد، لأن المعنى كُتبَ عليه أنه من تولاه أضله.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ إنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ﴾.

ويقرأ من البَعَثِ بفتح العين، والريب الشك، فأما البَعَث بفتحْ العين - فذكر جميع الكوفيين أن كل ما كان ثانيه حرفاً[2] من حروف الحلق، وكان مُسكَّناً مفتوح الأول جاز فيه فتحُ المسَكَّن نحو نَعْلٌ ونَعَلٌ، وشَعْرٌ وشَعَرٌ، ونَهْر ونَهَرٌ، ونَخْلٌ ونَخَل. فأما البصريون فيزعمونَ أن ما جاء من هذا فيه اللغتان تُكُلِّمَ به على ما جاءَ. وما كان لم يسمع لم يَجُزْ فيه التحريك نحو وَعْد، لأنك لا تقول: لك عَلَيَّ وَعَدٌ، أي عليَّ وِعْدَةٌ، ولا في هذا الأَمْر وَهَنٌ[3] - في

---

(١) نسخة الشقيّ.

(٢) في الأصل حرف.

(٣) في القاموس: الوَهْنُ الضعفُ في العمل ويحرك. والفِعْلُ كوعد وورث وكرُمَ.

معنى وَهْنَ ـ. وهـذا في بـابـه مثـل رَكٍّ، ورَكَـكٍ وقـدْرٍ وقـدَرٍ، وَقَصِّ الشَّـاةِ وقَصَصِهَا فلا فرق في هذا بين حروف الحلق وغيرها.

وقيـل للذين جحدوا البعث وهم المشـركـون: إن كنتم في شَـكٍّ من أنَّ اللَّه يبعث الموتى فتدبـروا أمر خلقكم وابتـدائكم فإنكم لا تجـدون في القدرة فـرقاً بين ابتـداء الخلق وإعادتـه، وإحياء المـوتى. ثم بيَّن لهم ابتـداء خَلْقِهِم فَأعْلَمَهُم أنهم خُلقوا من تراب، وهو خلق آدم عليه السلام، ثم خُلِقَ ولـدُه من نطفة، ثم من عَلَقَةٍ ثم من مُضْغَةٍ. وأعلمهم أحوال خلقهم.

ويُروى أن الإنسانَ يكُونُ في البطن نطفةً أربعين يـوماً ثم مُضْغَـةً أَرْبَعينَ يـوماً، ثم يبعث اللَّهُ مَلَكـاً فينفخ فيـه الروح. ومعنى﴿مُخَلَّقَـةٍ وغَيـر مُخَلَّقَـةٍ﴾ وصفُ الخَلق أو منهم مَن يُتَمِّم مضغته فتخلَقُ لـه الأعضـاءُ التي تكمـل آلات الإِنْسَانِ ومنهم من لا يتمم اللَّه خلقه.

وقوله:﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

أي ذكرنا أحـوال خلق الإنسان. ووجـه آخر [هـو] خلقناكم هـذا الخلق لنبين لكم.

﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾.

لا يجـوز فيها إلا الـرفع، ولا يجـوز أن يكون معنـاه فعلْنَا ذلـك لنُقِرَّ في الأرحـام، وَأَنَّ اللَّه ـ عز وجـل ـ لم يخلق الأنام لمـا يُقَـرُّ في الأرحـام، وإنمـا خلقَهُم ليدُلَّهُمْ عَلَى رُشدهم وَصَلَاحِهِمْ.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ:﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾.

في معنى أطفال، ودل عليه ذكر الجماعـة، وكأنَّ طفـلاً يَدُلُّ على معنى ويُخْرَجُ كلُّ واحدٍ منكم طفلاً.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾.

قد فسرنا الأشدَّ، وتأويله الكَمالُ في القُوّةِ والتمييز، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

وقوله: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ﴾.

أرذل العمر هو الذي يخرف فيه الإنسان من الكِبَر حتَّى لا يَعْقِلَ، وَبيَّنَ ذلك بقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.

ثم دَلَّهُمْ عَلى إِحْيائه الموتى بإحيائه الأرض فقال:

﴿وَتَرى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾.

يعني جافةً ذاتَ تُراب.

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾.

وتقرأ ورَبأتْ. فاهتزازها تحركُها عند وقُوع المَاءِ بها وإنباتها، ومَنْ قرأ: وَرَبَتْ فهو من ربا يربو إذا زاد على أي الجهات[1]، وَمَنْ قَرَأَ وَرَبَأَتْ بالهمز فمعناه ارْتَفَعَتْ.

﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

أي من كل صنف حَسَنٍ من النبات.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى﴾.

المعنى الأمر ذلك، أي الأمر ما وُصف لكم وبُيِّنَ لكُمْ بأنَّ الله هو الحقُّ وأنه يُحيي الموتى، ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

فالأَجْوَدُ أن يكون موضع ﴿ذلك﴾ رفعاً. ويجوز أن يكون نصباً على معنى فعل الله ذلك بأنه هو الحق وأنه يحيي الموتى.

---

(١) في الأصل إذا زاد على أي الجهات زاد.

وقوله: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عن سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ولِيَضِـلَّ عن سبيل اللَّه، وثـاني منصوب على الحـال، ومعنـاه التنـوين، ومعناه ثانياً عِطفَه، وجاء في التفسير أن معناه لَاوِيـاً عُنُقَه، وهـذا يوصف بـه، فالمعنى ومن الناس من يجادل في اللَّه بغير علم مُتَكَبِّراً.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾.

يقـال: هذا العـذاب بما قـدمت يداك، وموضع ﴿ذلك﴾ رفع بـالابتـداء، وخبـره ﴿بما قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾، وموضع «أن» خفض المعنى ذلـك بما قـدمت يداك وبأن اللَّه ليس بظلام للعبيد، ولو قـرئت [إنَّ] بالكسـر لجاز. ويجـوز أن يكون مـوضع ذلـك رفعاً على خبـر الابتداء. المعنى الأمر ﴿ذلك بمـا قدمت يداك﴾، ويكون موضع أن الرفع على معنى ﴿أَنَّ اللَّهَ ليس بظلام للعبيد﴾.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾.

جاء في التفسير على شَكٍّ، وحقيقتُه أنـه يعبدُ اللَّه على حَـرْفِ الطَّرِيقَـةِ في الدينِ، لا يدخل فيه دخول متمكن.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾.

أي إن أصابه خِصْبٌ وكَثُرَ مَالُه وماشِيَتُه اطْمأنَّ بما أصابه ورضي بدينه.

﴿وَإِن أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾.

اختبار بجدْب وقِلَّـةِ مَالٍ.

﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾.

رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان.

وقوله: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾.

يعنى يدعو الوثن الذي لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا ينفعُ ولا يضُرُّ.

وقوله: ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّه أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾.

فقال: ولا يضره، وقال ضَرُّه أقربُ من نفعه، معناه الضَّرَرُ بعبادَتِه أقربُ من النفع، فإن قال قائل: كيف يقال: أقربُ من نفعه ولا نفع من قِبَلِهِ البتَّة، فالعرب تقول لِمَا لاَ يكون: هذا بعيد، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجعٌ بَعِيدٌ﴾[1].

وقد اختلف الناس في تفسير هذه اللاَّم[2]، وفي ﴿يدعو﴾ بأي شيء هي معلَّقَةٌ ونحن نفسر جميع ما قالوه وما أغفلوه مما هو بيِّن من جميع ما قالوا إن شاء اللّه.

قال البصريون والكوفيون: اللام معناها التأخير، المعنى يدعو من لَضَرِّه أقربُ من نَفْعِهِ ولم يُشْبِعُوا الشرحَ، ولا قالوا من أين جاز أن تَكُونَ اللاَّمُ فِي غير مَوْضِعِها. وشرح ذلك أن اللام لليمين والتوكيد فحقها أن تكون في أول الكلام فقدمت لِتُجْعَلَ في حقها[3]، وإن كان أصلُها أنْ تكون في «لَضَرُّهُ» كما أن لام «إنَّ» حَقُّها أن تكون في الابتداء، فلما لم يجز أَنْ تَلِيَ «إنَّ» جُعِلَت في الخَبر في مثل قولك: إن زيداً لقائِمٌ، ولا يَجُوزُ «إنَّ لَزَيْداً قائِمٌ»، فإذا أمكن[4] أن يكون ذلك في الاسم كان ذلك أجود الكلام، تقول إن في ذلك لآية، فهذا قول.

وقالوا أيضاً: أن يَدعُو مَعَها هاءٌ مُضْمَرةٌ، وأنَّ ﴿ذلِك﴾[5] في موضع رفع ويدعو في موضع الحال، المعنى ذلك هو الضلال البعيد يَدْعُوه، المعنى في

(١) سورة ق آية ٣.

(٢) لام لَمَنْ ضَرُّهُ.

(٣) في موضعها المناسب وهو صدر الجملة، لأنها يمين وقسم.

(٤) في الأصل أمكنك.

(٥) من ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾. والتقدير: ذلك هو الخسران يدعوه.

حال دُعَائِهِ إيَّاهُ، ويكون ﴿لَمَنْ ضَرُّه أقربُ من نَفْعِه﴾ مستأنفاً مرفوعاً بالابتداء، وخبره ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾.

وفيه وجه آخرُ ثالثٌ، يكون يدعو في معنى يقول، يكون من في موضع رفع وخَبرُه محذوف، ويكون المعنى: يقول لمن ضره أقرب من نفعه هو مولاي[1]، ومثله يدعو في معنى يقول في قول عنترة[2].

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

ويجوز أن يكون «يَدْعو» في معنى «يُسَمّى» كما قال ابن أحْمَر[3]:

أهوى لها مِشقصاً حَشْراً فشبرقها وكنتُ أدعُو قذاها الأثمد القَرِدَا

ووجه هذا القول الذي قبله.

وفيها وجه رابع وهو الذي أغفله الناس، أن «ذلك» في موضع نصب بوقوع يدعو عليه، ويكون «ذلك» في تأويل الذي، ويكون المعنى الذي هو الضلال البعيد يدعو، ويكون لمن ضرُّه أقرب من نفعه مستأنفاً، وهذا مثل قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾[4]، على معنى وما الَّتِي بيَمِينِك يَا مُوسَى، ومثله قول الشاعر: [5]

---

(١) ويكون ذلك إنكاراً على نفسه أي أبَلَغَ مني أن فعلت ذلك.

(٢) من معلقته انظر شرح الزوزني «٥٤»ط. صبيح البيت ٦٩.
ويدعون ينادون باسم عنترة، والأشطان الحبال ولبان الأدهم صدره يريد أن الأبطال يهتفون باسمه والرماح الطويلة - تدق في صدر جواده.

(٣) البيت في الطبري ١٦/٨٧، وروايته قذاها، وكذلك في مجاز أبي عبيدة ٢/١٣ - والمشقص مقص كبير، وحشرا أي لطيفاً، وشبرقها مزقها، والأثمد حجر يتخذ منه الكحل - والقرد ما تلبد من الصوف وغيره.

(٤) الآية في سورة طه والشاهد أن تلك استعملت بمعنى الذي فقاس عليها هنا جعل ذلك بمعنى الذي.

(٥) تقدم. - ويروى «أمنت» بدل عتقت.

عَـدَسْ مــا لعبــاد عـليـك إمــارة   عَـتقْـتِ، وهــذا تحـمـلـين طـلـيق

وقوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

هذه الهاء لمحمد ﷺ، أي من كان يظن أن لن ينصر الله مُحمـداً حتى يـظهره على الـدين كله فليمت غيظاً، وهـو تفسيـر قـولـه: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾.

السبب الحبل، والسماء السقف، أي فليشدُدْ حَبْلاً في سَقْفِهِ.

﴿ثُمَّ لِيَقْـطَعْ﴾.

أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً.

﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.

أي هل يذهبن كيده غيظه. وقُرِئت ثم لِيَقْطع، وثم لْيَقْطَعْ، بكسر الـلام وجزمها.

وقـوله: ﴿إِنَّ الَّـذِينَ آمَنُوا والَّـذِينَ هَادُوا وَالصَّـابِئِينَ والنَّصَارَى والمَجُـوسَ والذين أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

يَفْصِل الله بين هذه الفرق الخَمْس وبين المؤمنين.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَـابٌ مِنْ نَارٍ﴾، والمؤمنون يدخلون الجنـة وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّـذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَارُ﴾.

وخبر إن الأُولى جملة الكلام مع إنَّ الثانية. وقَدْ زعم قوم أن قولك: إنَّ زَيداً إنه قائم رديء وأنَّ هذه الآية إنما صلحت في الذي. ولا فرق بين الـذي وغيره في باب إن، إن قلت إن زيداً إنه قائم كان جيداً ومثله قول الشاعر[1]:

---

(١) هو جرير يمدح أحد الخلفاء المروانيين، والبيت في معاني القرآن للفراء ص ٢١٨ حـ٢. والشطر الثاني:

إنَّ الـخليـفَـةَ إنَّ اللَّـه سَـربَـلَهُ

وليس بين البصريين خلاف في أن «إنَّ» تدخل على كل ابتداء وخبر، تقول إن زيداً هو قائم وإن زيداً إنه قائم.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ إلى قوله وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ﴾.

والسجود ههنا الخضوع لله عزّ وجلّ، وهي طاعة ممن خلق الله من الحيوان والموات. والدليل على أنه سجودُ طَاعَةٍ قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ﴾. هذا أجود الوجوه أنْ يكونَ تَسْجُدُ مُطِيعةً، لله عز وجل، كما قال الله تعالى: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أَتَيْنا طَائِعِينَ﴾، وكما قال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾ يعني الحجارة ﴿لما يهبط من خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. فالخشية لا تكون إلاَّ لما أعْطاه الله مِمَّا يَخْتَبِرُ به خشيته. وقال قومٌ: السجود من هذه الأشياء التي هي موات ومن الحيوان الذي لا يعقل إنما هو أثَرُ الصَّنْعَةِ فيها والخضوع الذي يدل على أنها مخلوقة، واحتجوا في ذلك بقول الشاعر:[1]:

بجَيْشٍ يَضِلُّ البلق في حَجَراتِه تُرى الأُكْمُ فيه سُجَّداً للحوافر

أي قد خشعت من وطء الحوافِرِ عَلَيْهَا، وذلك القول الذي قالوه لأن السجود الذي هو طاعة عندهم إنَّما يكونُ ممن يَعْقِلُ، والذي يكسر[2] هذا ما وصف الله عز وجل مِنْ أن مِن الحجارةِ لما يهبطُ من خشية الله. والخشية والخوفُ ما عقلناه إلا للآدميين، وقد أعلمنا الله - عزّ وجلّ - ان من الحجارة

= سربال ملك به ترجى الخواتيم

ويروى: يكفي الخليفة أن الله سربله. - هذا، «وإن» تعاد عند طول الكلام والفصل البعيد بين اسمها وخبرها.

(١) هو الراعي.

(٢) الذي ينقض أن الخشوع إنما يكون ممن يعقل.

ما يخشاه، وأعلمنا أنه سَخَّر معَ داودَ الجبالَ والطيرَ تسبح معه، فلو كان تسبيح الجبال والطير أثرَ الصنعة ما قيل سخرنا ولا قيل مع داود الجبال لأن أثر الصنعة يتبين معَ دَاوُدَ وَغيره، فَهُوَ سُجودُ طاعةٍ لا محالة، وكذلك التسبيح في الجبال والطير، ولكنا لا نعلم تسبيحها إلاّ أن يجيئنا في الحديث كيف تسبيح ذلك. وقال اللّه عزّ وجلّ - ﴿وإن من شيء إلاَّ يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ ولٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾.

الخصمان المُؤمِنُونَ والكافِرون - جاء في التفسير أن اليهود قالوا للمسلمين دينا أقْدَمُ من دينكم وكتابنا أقدَمُ من كتابكم، فأجابهم المسلمونَ بأنا آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم وآمنا باللّه وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله، وأنتم كفرتم ببعض الرسل فظهرت حجة المسلمين على الكافرين. وقيل اختصموا وقد قال خَصْمَانِ لأنهما جَمْعانِ.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾.

وجاء في التفسير أنَّ الثِّيَابَ التي من نارٍ هي نُحَاسٌ قَدْ أُذِيبَ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الحَمِيمُ. يُصْهَرُ به مَا فِي بُطُونِهِمْ والجُلُودُ﴾.

يغلي به ما في بطونهم حتّى يَخْرُجَ من أَدْبَارِهم، فهذا لأحد الخصمين، وقال في الخصم الذين هم مؤمنون:

﴿إنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ولُؤْلُؤٍ﴾.

و ﴿لُؤْلُؤاً﴾ يقرأ ان جميعاً، فمن قرأ ﴿ولؤلؤاً﴾ فعلى معنى يحلون فيها أساور من

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤.

ذهب ويُحلَّوْنَ لُؤْلُؤاً، ومن قرأ وَلُؤْلُؤ أراد وَمِنْ لؤلؤ. وجائز أن يكون اسَاوِرَ من ذَهَبٍ وَلُؤْلؤٍ، فيكون ذلك فيها خلطاً مِنَ الصِّنْفَيْن ويقرأ يَحْلَوْنَ فيهـا على معنى قَوْلِك حَلِيَ يَحْلَى إذا صار ذا حَلْيٍ.

وقـوله :﴿إِنَّ الَّـذِينَ كَفَرُوا وَيَصُـدُّونَ عَنْ سَبِيـلِ اللَّهِ [والـمَسْجِدِ الـحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ للنَّاسِ سواءً العاكفُ فيه والبادِ، ومَنْ يُرِدْ فيـه بِإلْحَـادٍ بظلم نُـذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ]﴾.

لفظ يَصُدُّونَ لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي، لأن معنى الذين كفـروا الذين هم كـافرون، فكـأنه قـال إنَّ الكَافـرين والصَّادّينَ. وخبـر إن فيه قولان أحدهما أن يكون محـذوفاً فيكـون المعنى إنَّ الذين هـذه صِفَتُهم هلكوا وجائز أن يكون ـ وهو الوجه ـ الخبر﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

فيكون المعنى إن الكافرين والملحدين في المسجـد الحرام نُـذِقْهُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١).

وقوله تعالى:﴿سَوَاءً العَاكِفُ فِيه والبَادِ﴾.

القراءة الرفعُ في سَوَاءٍ، ورفعه من جهتين إحداهما أن يكون وقف التمام [هـو] ﴿الذي جَعَلْنَاهُ للنَّـاسِ﴾، كمـا قَـال:﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِـعَ للنَّاسِ﴾(٢). ويكون ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ على الابتداء والخبر، ويجوز أن يكـون على جعلنـاه سواء العاكف فيه، فيـرتفع سـواء على الابتـداء، ويكـون الخبـر ههنـا العـاكف فيه، أعني خبـر ﴿سواء العـاكف﴾ ويكون خبـر ﴿جَعَلْنَـاهُ﴾ الجملة.

---

(١) هذا لا يستقيم إذا كانت «مَنْ» شرطية، وهي شرطية، إنما يستقيم إذا كانت موصولـة. ونذقـه إذا كان جملة خبرية يجب أن يكونَ مرفوعاً، ولكن يبدو أن الخبر محذوف وجملة الشرط دالة عليه.

(٢) سورة آل عمران الآيـة ٩٦ وهي: ﴿إن أوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاس لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾ وجعل الناس هناك تمام الآية وجه غير جيد.

وتفسير قوله: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ أنه يستوي في سُكنى مكَّةَ المقيم بها والنَّازع(١) إليها من أي بَلَدٍ كانَ، وقيل سواء في تفضيله وإقامة المَنَاسِكِ العاكف المقيم بالحرم والنَّازِعُ إلَيْهِ.

وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾.

قيل الإلحاد فيه الشرك بالله، وقيل كُلُّ ظَالِمٍ فيه مُلْحِدٌ، وجاء عن عُمَر أن احتكار الطعام بمكَّة إلحادٌ. وقال أهل اللغة إن معنى الباء الطرح. المعنى ومن يرد فيه إلحاداً بظلم، وأنشدوا قول الشاعر: (٢)

هُنَّ الحرائرُ لا ربَّاتُ أخمِرَةٍ سودُ المحاجر لا يقرأن بالسُّوَرِ

المعنى عِنْدهم لا يقرأن السُّورَ، وأنشدوا: (٣)

بوادٍ يَمانٍ ينبت البَثُّ صدْرُه وأَسْفَلُهُ بالمرخ والشَّبَهَانِ

أي وينبت أسفلُه المرخَ والشبهان. والذي يذهب إليه أصحابنا أن الباءَ ليست بملغاةٍ، المعنى عندهم ومن إرادته فيه بأن يلحد بظلم وهو مثل قوله:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل(٤)

المعنى أريد، وإرادتي لهذا.

ومعنَى الإلحاد في اللغة العدول عن القَصْد.

---

(١) المتجه إليها والقادم من مكان آخر.

(٢) هو الراعي - والبيت في الخزانة ٦٦٨/٣، واللسان (سور) والقرطبي ١٥٨/١، وشواهد المغنى ١١٦.

(٣) ينسب لامرئ القيس. وللأحول اليشكري واسمه يعلى، والشبهان نبت يشبه الثمام وقيل هو الثمام، والمرخ من شجر النار كثير الورى سريعه. والشث - بالثاء المثلثة شجر طيب الريح مر الطعم يدبغ به، والبيت في اللسان (شث): «ينبت الشث فرعُه»، وفي (شبه) كما هنا.. وهو في الطبري ٩٤/١٧، والقرطبي ٣٦/١٢.

(٤) تقدم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾.

جعلنا مكان البيت مبوأً لإبراهيم، والمبوأ المنزل، فالمعنى أن اللّه أعلم إبراهيم مكان البيت فبنى البيت على أسه القديم، وكان البيت في أيام الطوفان رفع إلى السماء حينَ غرَّقَ اللَّهُ الأرضَ ومَا عليها فَشَرَّفَ بيْتَه بأن أخرجه عن جُملة مَا غرّق. ويروى أن البيت كان من ياقوتة حمراء.

وقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾.

قيل: المعنى طهره من الشرك. والقائمونَ هَهُنا المصَلُّونَ.

وقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾.

رُوي أنَّ أذان إبراهيم بالحَج أن وقف في المقام فقال: أيها الناسُ أجيبوا يا عباد اللّه أطيعوا اللّه يا عباد اللّه اتقوا اللّه، فَوَقَرَتْ في قلب كل مؤمن ومؤمنة وأسمع ما بين السماء والأرض وأجابه من في الأصلاب ممن كتب له الحج، فكل من حج فهو ممن أجاب إبراهيم، ويروى أنَّ أَذانَه بالحج كان يا أيها الناس كتب عليكم الحج.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾.

﴿رجالاً﴾ جمع راجل مثل صَاحِب وصِحَاب، وقائِم وقِيَام: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ﴾، أي يأتوكَ رِجَالاً ورُكْبَاناً. وقال يأتين على معنى الإبل المعنى وعلى كل بعيد ضامر يأتي من كل فج عميق، وعميق بعيد، قال رؤبة[1]:

وَقَاتِـم الأعْمَـاق خـاوي المخـترق

الأعماق الأَقْعَار، ومن هذا قيل: هذه بِئـر «عَمِيقة»، أي بَعِيدَة القَرار.

---

(١) من أرجوزة له طويلة - وهو في الطبري ١٥/٥٩، واللسان (قتم) وبديوانه ١٠٤، وطبقات ابن سلام ص ٧٦١ (ت محمود شاكر).

وقوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

أي ليشهدوا مَا نَدَبَهُم اللَّهُ إليه مما فيه النفع لهم في آخرتهم.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾.

يعنى به يومَ النَّحْر والأيَّامُ التي بعده يُنْحَرُ فِيهَا لأن الذكر ههنا يدل على التسمية على ما يُنْحَر لقوله على ما رَزَقَهُمْ مِن بهِيمةِ الأنعام.

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾.

﴿البائس﴾ الذي قد ناله بؤس، والبؤس شدة الفقر، يقال: قد بؤس، وبأس إذا صار ذا بؤس. وقوله ﴿فَكُلوا مِنْهَا﴾ ليس بأمر لازم، من شاء أكل من أضحيته ومن شاء لم يأكل، وإنما هو إباحة كما قال: ﴿وإذا حَلَلْتُم فَاصْطَادُوا﴾[١]. فإنما قال فاصطادوا، لأنه كان قد حظر عليهم الصيد وهم مُحْرِمون، فأباحَهمُ الصَّيْدَ. وكذلك هذا الأمر ههنا إباحة بعد حظرهم[٢] على أنفسهم أكل الأضاحي، لأن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا لم يستحلوا أن يأكلوا من نساكِهم[٣] شيئاً، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك جائز.

وقوله: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾.

قرئت ثم لِيَقْضُوا بكسر اللام، وكذلك قرأ أبو عَمْرٍو، والقراءة بالتسكين مع ثم كثيرة.

والتفث في التفسير جاء[٤]، وأهل اللغة لا يعرفون إلا من التفسير، قالوا

---

(١) سورة المائدة الآية: / ٢.

(٢) هم الذين حرموا أكل الأضاحي على أنفسهم.

(٣) جمع نسيكة، وهي الحيوان الذي يذبح نسكاً وقرباناً لله.

(٤) لم يأت شرحه إلا في كتب التفسير.

التفث الأخذ من الشارب وتقليم الأظافر ونتف الأبطِ وحَلقُ العَانة والأخْذُ مِنَ الشَّعَرِ، كأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال.

قوله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

قيل في العتيق أقوال، قال الحسن هو البيت القديم، ودليل الحسن على ذلك قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾(١).

وقيل إن البيت العتيق الذي عَتَق من الغرق أيام الطوفانِ، ودليل هذا القول: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾، فهذا دليل أن البيت رفع وبقي مكانه. وأكثر ما جاء في التفسير أنه أُعْتِقَ من الجبابرة، فلم يَغْلِبْ عليه جَبَّارٌ، وقيل إنَّه سُمِّيَ العتيقَ لأنه لم يَدعْهُ أَحَدٌ من الناس. وقيل إنما سمي العتيق لأنه لم يقصده جبار إلا أهلكه اللَّه، يقال أعتقت المملوك فهو مُعْتَقٌ وَعَتِيق. وكل ما مر في تفسير العتيق فجائزٌ حَسنٌ - واللَّه أعلم بحقيقة ذلك - وهذه الآية تدل على أنّ الطواف يوم النحر فرضٌ(٢).

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾.

وحرماتُ اللَّه الحجُّ والعمرةُ وسائر المناسك، وكل ما فرض اللَّه فهو من حرمات اللَّه، والحرمةُ ما وجب القيامُ به وحَرُمَ تركُهُ والتفريطَ فيه. وموضع ﴿ذلك﴾ رفع، المعنى الأمر ذلك.

وقوله: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾.

«ما» في موضع نصب أي إلا ما يتلى عليكم من الميتة والدم والمنخنقة والموقوذَةِ وسائر ما تلي تحريمه.

وقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٦.

(٢) ليس فيها دلالة على تحديد يوم للطواف والواو تقتضي الجمع ولا تقتضي التعقيب.

«مِنْ» ههنا لتخليص جنس من أجناس[1] المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو وَثَن

وقوله:﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.

الزور الكذب، وقيل إنَّه ههنا الشِّرْكُ باللَّهِ، وقيل أيضاً شهادَةُ الزور، وهذا كله جائز. والآية تدل - واللَّه أعلم - على أنهم نُهُوا أن يُحرِّمُوا ما حَرَّم أصحابُ الأوْثانِ نحو قولهم: ما في بطون هذه الأنعام خالصةٌ لذكورِنا ومحرَّمٌ على أزواجنا، ونحو نحرهم البَحيرَةَ والسَّائِبَةَ، فأعلمهم اللَّه أَنَّ الأنْعَامَ مُحَلَّلَةٌ إلاَّ ما حرَّمَ اللَّهُ منها، ونهاهم اللَّه عن قول الزور أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام لِيَفْتَروا على اللَّهِ كَذِباً.

وقوله:﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾.

منصوبٌ على الحال، وتأويله مُسْلِمِين لا يَمِيلُونَ إلى دِينٍ غير الإسلام.

وقوله:﴿غَيرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾.

ويقرأ فَتَخْطَفُهُ الطَّيرُ وفَتَخِطُّفُهُ. وقرأ الحسن فَتِخِطِّفُهُ بكسر التاء والخاء والطاء. فمن قرأ فَتَخْطَفُه بالتخفيف فهو من خَطِفَ يخطَفُ، والخَطْفُ الأخْذُ بسرعة، ومن قرأ فتَخِطِّفُه - بكسر الطاء والتشديد - فالأصل فَتَخْتَطِفُه فأدغم التاء في الطاء وألقى حركة التاء على الخاء ففتحها، ومن قَالَ بكسر الخاء والطاء، كسر الخاء لسكونها وسُكُون الطاء، ومن كسر التاء والخاء والطاء - وهي قراءة الحسن - فهو على أن الأصل تَخْتَطِفُه.

وهذا مثل ضَرْبَةِ اللَّه للكافر في بُعْده عِنَ الحق - فأعلم اللَّه أَنَّ بُعْدَ من أَشْرَكَ به مِنَ الحق كبُعْدِ مَنْ خرَّ من السماء فذهبت به الطير أو هَوَتْ به الريحُ في مكانٍ سحيق - [أي] بَعِيدٍ.

---

(١) بيانيّة.

قوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوب﴾.

شعائر اللَّه المعالم التي نَدَبَ إليها وأَمَر بالقِيام بِها، واحَدتها شعيرة، فالصفا والمروةُ من شعائر اللَّه، والذى يُعْنَى به هنا البُدْنُ.

وقوله: ﴿لَكُمْ فِيهامَنَافِعُ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمّ مَحِلُّهَا إلَى البيتِ العتيقِ﴾، يعنى أن لكم في البدن - قبل أن تُعْلِمُوهَا، وتُسَمُّوها هَدْياً إلى بيتي - مَنافِعَ، فإذا أشْعَرْتُموهَا - والاشعار أن يشق في السنام حتى يَدْمَى ويعلق عليها نَعْلاً ليعلم أنها بدنة[1]، فأكثرُ النَّاسِ لا يرى الانتفاع بها إذا جُعِلَتْ بدنةً، لا بلَبَنِهَا ولا بِوَبَرِهَا وَلَا بِظَهْرِهَا، يقول لا يُعْطَى لبنها ووبرها وظهرها أحَداً لأنها بدنة فلا ينتفع بها غير أهْل اللهِ إلاَّ عند الضرورة المخُوفِ معها الموت، وبعضهم يقول: إنَّ له أنْ ينتفع بها فيركبها المُعْيِي وينتفع بمنافعها إلى وقت محلها - مَكانِ نَحْرها - . والحجة في ذلك أنّ النَبي ﷺ مرَّ برَجُلٍ يسُوقُ بدَنَةً فأمره ﷺ بركوبها، فقال إنَّها بدنة فأمَره الثانية وأمَرهُ الثالثة، وقال له في الثالثة: اركبها ويْحَكَ، فهذا - يجوز أنّ النبي ﷺ رآه مُضْطراً في ركوبها من شدة الاعياء، وجائز على ظاهر الحديث أن يكون ركوبُها جائزاً. ومن أجاز ركوبَها والانتفاع بها يقول: ليس له أنْ يُهْزِلَها وينضِيَها لأنها بدنة.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً﴾.

وتقرأ مَنْسِكاً، والمنسك في هذا الموضع يدل على معنى النحر فكأنه قال جعلنا لكل أمَّةٍ أن تتقرَّبَ بأن تَذْبح الذَّبَائح لِلَّه، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿لِيَذْكُروا اسمَ اللَّهِ على ما رَزَقَهُم من بَهِيمَةِ الأنْعَامِ﴾، المعنى ليذكروا اسم اللَّه على نَحْرِ ما رَزقهم من بهيمة الأنعام، وقال بعضهم: المنْسَكُ الموضِعُ الذي يجب تعهده، وذلك جائز.

---

(١) البدنة من الإبل والبقر - محركة - كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة والبدنة تقال للذكر وللأنثى - ويجمع على بُدُن مثل كُتُب وجملة «قبل أن يعلم أنها بدنه» بمعنى قبل أن يعلم أنها هدي - لأن بدنة بمعنى هدي.

ومن قال مَنْسِك فمعناه مكانُ نُسُكٍ مثل مَجْلِس مكـان جُلوس. ومن قال مَنْسَك فهو بمعنى المصدر نحو النُّسُك والنُّسُوكِ.

وقوله: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

أي لا ينبغي أن تذكروا على ذَبائحكم إلاّ اللَّهَ وحده.

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾.

قيل المخبتون المتواضعون، وقيل المخبتون المطمئنون بالإيمان باللَّه عزّ وجلّ، وقيل المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظُلِمُوا لم ينتصروا. وكل ذلك جائز.

واشتقاقه من الخَبْتِ مِنَ الأَرْضِ وهي المكان المنْخَفِضُ منها، فكل مُخْبِت متواضع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والمُقِيمي الصَّلاةِ﴾.

القراءة الخفضُ واسقاط التَّنْوين، والخفض على الإضافة، ويجوز: والمقيمين الصَّلاةَ، إلا أنه بخلاف المصحف. ويجوز أيضاً على بُعْدٍ والمُقِيمي الصَّلاةَ، على حذف النون ونصب الصلاة لطول الاسم، وأنشد سيبويه:(١)

الحافظو عورةَ العشيرةِ لا ... يأتيهم من ورائِهم نطف

وزعم أنه شاذٌّ.

وقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

النصب أحسن لأن قبله فِعْلاً، المعنى وَجَعَلْنَا البُدْنَ، فنصب بفعل

---

(١) الشاهد ٢٩٨ في الخزانة، وكتاب سيبويه ١/٩٥، والأشموني ٢/٢٤٧. قال ابن السراج: وقد أجازوا «رأيت الضاربي زيداً»، وليس بحسن، وإنما جواز ذلك على أنك أردت التنوين فحذفتها لطول الاسم. والعورة: موطن الضعف، والنطف ـ بفتحتين العيب.

والبيت لعمرو بن امرىء القيس الخزرجي، وهو جاهلي، جد عبد الله بن رواحة ـ وكان لمالك بن العجلان يسمى بُجيرا فخر بسيده مالك الخزرجي بين الأوس، فقتله رجل منهم يقال له سمير، وأصر مالك على قتل سمير أو أخذ دية رجل حر. فوقعت بينهم حرب. ثم احتكموا إلى عمرو فقضى بدية مولى ولم يقبل مالك ـ فقال عمرو هذه القصيدة.

مُضْمَرٍ الذي ظهر يفسره. وإن شئت رفعت على الاستئناف. والبُدْن بتسكين الدَّالِ وَضَمِّها. بَدَنَةٌ وبُدْنٌ، وبُدُنٌ مثل قوله ثَمَرَةٌ وثُمْر وثُمُرٌ. وإنما سميت بَدَنَةً لأنها تَبْدُن، أي تَسْمَنُ.

وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾.

﴿صَوَافَّ﴾ منصوبة على الحال، ولكنها لا تنون لأنها لا تنصرف، أي قَدْ صَفَّتْ قَوَائِمَها، أي فاذكروا اسم اللَّه عليها في حال نحرها. والبَعِيرُ ينحر قائماً، وهذه الآية تدل على ذلك، وتقرأ صَوَافِنَ، والصافن الذي يقوم على ثَلَاثٍ، فَالبَعِيرُ إذا أرادوا نَحْره تعقل إحدى يديه فَهُو صَافِنٌ، والجمع صَوافِنُ يا هذا، وقرئت صَوافِيَ بالياء وبالفتح بِغَيْر تَنْوِينِ وتفسيره خَوَالص - أي خالصة للَّه عزّ وجلَّ، لا تُشْرِكوا في التَّسْمِيةِ على نحرها أَحَداً.

وقوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾.

أي إذا سقطت إلى الأرض.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾.

بتشديد الراء، ويجوز والمُعْتَرِي بالياء، ويقال: وجب الحائط يَجِبُ وَجْبَةً إِذَا سَقَط، ووجب القلب يجب وَجْباً وَوَجيبا إِذَا تَحَرَّكَ من فَزَعٍ، ووجب البَيْعُ يجب وجُوباً وجِبَةً، والمستقبل في ذلك كله يجبُ، وقيل في القَانِع الذي يَقْنَعُ بما تُعْطِيهِ، وقيل الذي يَقنع باليسير. وقيل وهو مذهب أَهْل اللُّغَةِ السائل، يقال قَنَعَ الرجل قُنُوعاً إِذَا سأَلَ، فهو قانع، وأَنْشَدُوا للشَّماخِ (١).

كمالُ المرء يُصْلِحُهُ فيُغْنِي مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ من القُنُوعِ

أي أعَفُّ من السؤال، وقنِعَ قناعةً إذا رَضِيَ فهو قَنِعٌ، والمُعْتَرُّ: الذي

---

(١) انظر الطبري ١٧/ ١١٠، والقرطبي ١٢/ ٦٤ واللسان (قنع - فقر) ومجاز أبي عبيدة ط/ ٢٥١ - والمفاقر وجوه الفقر، وقيل جمع فقر على غير قياس مثل مشابه وملامح والقنوع السؤال.

يعتريك فيطلب مَا عِنْدَكَ، سألك إذ سئلِتَ عن السؤال وكذلك المعتري.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلاَ دِمَاؤُهَا﴾.

وقرئت: ﴿لَن تَنَالَ اللَّهَ لحُومُها﴾ بالتاء، فمن قرأ بالياء فَلِجَمْعِ اللحوم، ومن قرأ بالتاء فلجماعة اللحوم - وكانوا إذا ذَبَحُوا لَطَّخوا البيت بالدَّمِ، فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أنَّ الَّذي يَصِلُ إليهِ تَقْواهُ وطَاعَتُه فيما يَأْمُر بِهِ.

﴿وَلَكِنْ يَنَالُه التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾.

وتناله التقوى منكم - بالياء والتاء - فمن أَنَّثَ فللفظ التقوى، ومَنْ ذَكَّرَ فلأن معنى التقوى والتقى واحِدٌ

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

ويدْفَعُ [عن الذين آمنوا]. هذا يدل على النَّصْرِ مِنْ عِنْده، أي فَإذَا دَفَعْتُم، أي فإذا فَعَلْتُم هذا، وخَالَفْتُم الجَاهِلِيّةَ فيما تفعلونَهُ فِي نَحْرِهِمْ، وإشراكهم باللَّه، فإنَّ اللَّه يدْفَعُ عن حِزْبِه.

وقوله: ﴿كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾.

﴿خَوَّان﴾ فعَّال من الخِيَانَةِ، أي من ذكر اسم غير اللَّه وتَقَرَّبَ إلى الأصنام بِذَبِيحَتِه فهو خَوَّانٌ كَفُورٌ.

والبُدْنُ قيل إنها الإِبِلُ خاصَّةً، وقيل إنها الإبل والبَقَرُ، وَلاَ أَعْلَمُ أَحَداً قال: إن الشاء داخلة فيها، فأما من قال إنَّها الإِبِلُ والبَقَرُ فَهُمْ أكبر فقهاء الأمْصَارِ، ولكن الاستعمال في السِّيَاقةِ إلَى البَيْتِ الإبل فلذلك قال من قال إنها الإبِلُ[1].

(١) أي من قال إن البدن هي الإبل فقط وليست البقر داخلة فيها قال ذلك مستنداً إلى أن الاستعمال فيما يساق للبيت هو الإبل.

وقوله: ﴿أُذِنَ للذين يُقَاتَلونَ﴾.

ويقرأ أُذِن للذين يُقَاتَلون، ويُقـرأ أَذِن للذين يُقَاتِلون ويُقَـاتَلونَ. والمعنى أذن للذين يقاتلون أن يقاتِلُوا. ويُرْوَى أَنَّها أول آيَةٍ نزلت في القِتَالِ.

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾.

أي أُذِنَ لهم أن يقاتلوا بسبب ما ظلموا

وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

وعدهم اللَّه النَّصْرَ، ولا يجوز أن يقرأ و«أَنَّ» اللَّـه ـ بفتـح أَنَّ، ولا بَيْنَ أهـل اللغة خِـلاَفٌ في أن هذا لا يجـوز لأن «أَنَّ» إذا كانت معهـا الـلام[1] لم تفتح أَبَداً.

وقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾.

﴿الذين﴾ في موضع جَرٍّ، المعنى «أُذِنَ للذين أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغير حق إلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ».

«أَنْ» في مَوْضِع جَرٍّ، المعنى أُخرِجُوا بلا حَقٍّ، إلَّا بِقَوْلِهم ربُّنَا اللَّهُ أي لم يخرجوا إلا بأن وَحَّدُوا اللَّه، فأخرَجَتْهُمْ عَبَدَةُ الأوثان لتوحيدهم.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ [صَوَامِعُ]﴾.

المعنى: ولولا أن دفع اللَّه بعض الناس ببعضٍ لَهُدِّمَتْ صوامع، وتقـرأ لَهُدِمَتْ، وهي صوامع الرُّهْبَانِ.

﴿وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾.

والبِيَعُ بِيَعُ النصارى، والصَّلَوَاتُ كَنَائِسُ اليَهود، وهي بالعبرانيَّة صَلُوتَـا،

(١) أن المفتوحة لا تأتي لام التوكيد في خبرها.

وقرئت صَلاَةٌ وَمَسَاجِدُ، وقيل إنها مَوْضعُ صَلَواتِ الصَّابِئِين، وتأويل هذا: لولا أن اللَّه ـ عزّ وجلَّ ـ دَفَع بعض الناس بَبَعْض لهُدِّمَ في شريعة كُلِّ نَبِيٍّ المَكَانَ الَّذِي كان يُصَلِّي فيه، فَكَانَ لولاَ الدَّفعُ لَهُدِمَ في زَمن مُوسى عليه السلام الكنائس التي كان يصلي فيها في شريعته، وفي زَمَنِ عيسى الصوامع والبِيَعُ، وفي زمن محمد ﷺ[1] المساجِدُ.

وقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُه﴾.

أي من أقام شريعة مِن شرائعه، نصر على إقامة ذلك، إلاَّ أنَّهُ لاَ يُقَام في شريعة نَبِيّ إلاَّ ما أُتِيَ به ذلك النبيّ ويُنْتَهى عما نَهى عَنْهُ.

وقوله: ﴿الَّذِينَ إنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾.

﴿الذين﴾ في موضع نصب على تفسير مَنْ، المعنى ولَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ ينصُرُه ثم بيَّن صِفَةَ ناصِريه فقال:

﴿الَّذِينَ إنْ مَكَّنَّاهُمْ في الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ﴾.

فَصِفةُ حِزْبِ اللَّه الذينَ يُوحِّدونَه، إقَامةُ الصلاة، وإيتاءُ الزّكاة والأمْرُ بالمَعْرُوف والنهيِ عن المنكر، وهما واجبان كوجوب الصلاة والزّكاة أَعْني الأمرَ بالمعروف والنّهيَ عَنِ المُنْكَر.

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

ويقرأ أَهْلكتُها، المعنى فكيف كانَ نِكير أيْ ثم أخَذْتُهُم فأبْلَغْتُ أبلغ الإنكار. فأَهْلكت قُرًى كثيرةً، لأن معنى فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيةٍ معنى فكم مِنْ قَرْيةٍ، ومعنى كم من قريةٍ عدد كثير من القُرَى.

---

(١) نسخة عليه السلام.

ويجوز كأيِّن بتشديد الياء، ويجوز كائِن مِنْ قَرْيَةٍ، وهو عند البَصْرِيين في معنى العدد الكبير، تقول: وكائن مِنْ رَجُلٍ جَاءَنِي معناه العدد الكثيرُ مِنَ الرِّجَالِ.

﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾.

والعُروش السُّقوفُ، فالمعنى أنها قَدْ خَرِبَتْ وخَلَتْ فصارت على سُقُوفِها كما قال في مَوْضِعٍ آخر: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾[1]، يقال خوتِ الدَّارُ والمدينةُ خَواءً، ممدودٌ، فهي خاوِيةٌ، وخَوِيَتِ المرأةُ وخوِيَ الإِنْسَانُ إذا خَلاَ مِنَ الطَّعَامِ خَوًى، مَقْصورٌ فهو خَوٍ.

وقوله: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾.

أكثر ما جاء في مَشِيدٍ من التَّفْسِير مُجَصَّصٌ، والشِّيدُ الجصُّ والكَلْسُ أيضاً شِيدٌ، وَقِيلَ مَشِيدٌ مُحَصَّنٌ مُرْتَفِعٌ، والمُشَيَّد إذَا قيل مُجَصَّصٌ فهو مُرْتفعٌ في قَدْرِهِ وَإن لَمْ يرتفع في سُمكِهِ، وأصل الشِّيدِ الجصُّ والنُّورَةُ، وكل ما بُنِيَ بِهِمَا أو بِأحَدِهِمَا فهو مُشَيَّدٌ.

وقوله: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

القلبُ لا يكون إلاَّ في الصَّدْرِ - ولكن جَرَى عَلَى التَّوكِيدِ كما قال عزَّ وَجَلَّ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[2]، وكما قال: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[3]، وكما قرأ بعضهم: ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةٌ﴾[4]. فالتوكيد جار في الكلام مبالغٌ في الإِفْهَامِ.

---

(١) سورة الحجر الآية ٧٤.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٦٧.

(٣) سورة الأنعام الآية ٣٨.

(٤) سورة ص الآية ٢٣.

وقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

قيل إنَّ يوْماً من أيَّامِ عَذَابِهم كألف سَنَةٍ، ويدل على ذلك الحديث الذي يُرْوَى أن الفقراء يُدْخُلونَ الجنةَ قَبْلَ الأَغْنِياءِ بِنِصفِ يومٍ.

وجاء في حديث آخر تفسير هذا القول بخمسمائةِ عَامٍ. فهذا يدل على أنَّ اليومَ مِن أيَّامِ القِيامة ألفُ سَنَةٍ، والذي تدل عليه الآية - واللَّـهُ أعلَمُ - أنهم اسْتَعجَلُوا فأعلم اللَّه عزّ وَجَلَّ أنه لا يَفُوتُه شيءٌ، وأنَّ يوماً عنده وألف سنةٍ في قُدْرَتِه وَاحدٌ، وأن الاستعجال في ميعادهم لا فرق [فيه] بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره في القدرة إلَّا أنَّ اللَّهَ - جلّ ثناؤه - تفضل بالإمهال، وغَفَر بالتوبَةِ، فالتأخير الفرق بينه وبين التقديمَ تفَضُّل اللَّه عزّ وَجَلَّ بالنَّظِرَةِ. ثم أعلم - عزّ وَجَلَّ - أنَّه قد أخذ قَوْماً بعد الإملاءِ والتأخير عُقوبةً منه ليزدادوا إثماً فقال بعد قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعَذَابِ﴾، وبعد تمام الآية ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وَإِليَّ المَصِيرُ﴾.

المعنى ثم أخَذْتها بالعَذَابِ، واستُغنِيَ عن ذكر العذاب لِتقَدُّمِ ذكره في قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعَذَابِ﴾.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾.

أي ظانِّينَ أنَّهم يعجزونَنَا لأنهم ظَنُّوا أنهم لا يُبْعَثُونَ، وأنَّهُ لَا جنَّةَ ولا نار. وقيل في التفسير معاجزين معاندين، وليس بخارج من القول الأول، وقُرِئت معَجِّزِين، وتأويلها أنهم كانوا يُعَجِّزُونَ من اتبع النبي ﷺ ويُثَبِّطُونَهُمْ عنه.

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إلاَّ إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشيطان فِي أُمْنِيتِهِ﴾.

معنى إذَا تَمَنَّى إذَا تَلاَ، ألقى الشيطان في تِلاَوَتِهِ، فذلك

محنةٌ من اللّه ، ـ عزّ وَجَلَّ ـ وله أنْ يمْتحن بما شاء، فألقى الشيطان على لسان النبي ﷺ شيئاً من صفة الأصنام فافتتن بذلك أهلُ الشقاق والنفاقِ ومن في قلبه مرض فقال اللّهُ عزّ وَجَلَّ:

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والقَاسِيةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ثم أعلم أنهم ظالِمُونَ، وأنَّهُمّ في شِقاقٍ دَائِمٍ ، والشّقاق غاية العداوةِ فقال:

﴿وإنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ .

ثم أعلم أن هؤلاَءِ لا يَتُوبُونَ فقال:

﴿ولاَيَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا في مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ أي في شك مِنه .

﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي مفاجأة .

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ .

أصل العُقم، العقمُ في الولادة، يقال: هَـٰذِهِ امرأةٌ عقيمٌ، كما قال اللّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ:﴿وَقَالَتْ عجُوزٌ عقيم﴾[1]، وكذلك رجل عقيم إذا كان لا يُولدُ

قال الشاعر[2]:

عَقِيمَ النِّسَاءُ فَلاَ يَلِدْنَ شَبِيهَه ... إن النساء بمثله عقمُ

والريح العقيمُ التي لا تأتي بسحاب يُمْطِر، وإنما تأتي بالعذاب، واليوم العقيمُ هُوَ الَّذِي لا يَأْتي فيه خيرٌ، فيوم القيامةِ عقيمٌ على الكفار كما قال اللّه

---

(١) في سورة والذاريات الآية ٢٩ وهي: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ .

(٢) في اللسان (عقم) وقبله:

نذر الكلام من الحياء تخاله ... ضمناً وليس بجسمه سُقْمُ

متهلل بنَعمْ، بلا متباعدٌ ... سيان منه الوفر والعدم

والضمن السقيم. والأفصح في عقم أن يقال: عَقِم اللّه رحمها، بالتشديد وعقِمَتْ هي ، ومن قال عقَمت أو عقِمت ـ بفتح العين أو كسرها قال أعقمها اللّه وهي عقيم .

ـعزّ وجلّ ـ: ﴿عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[1]. وليس هو على المؤمنين الذين أُدْخِلوا في رحمة الله كذلك.

وأنشد بعض أهل اللغة في قوله تمنى في معنى تلا قول الشاعر[2]:

تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الكتاب علَى رِسْلِ

أي تلا كتاب الله مترسِّلاً فيه كما تلا داود الزبور مترسِّلاً فيه

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾.

﴿ذلك﴾ في موضع رفع، المعنى الأمر ذلك، أي الأمر ما قصصنا عليكم.

قوله: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾.

الأول لم يكن عقوبةً، وإنما العقوبة الجزاء[3]، ولكنَّه سُمي عقوبةً لأن الفِعلَ الذي هو عقوبة كان جزاء فسمي الأول الذي جوزي عليه عقوبة لاستواء الفعلين في جنس المكروه. كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[4]، فالأول سيئة والمجازاة عليها حسنةٌ من حسنات المُجَازِي عليها إلا أنها سُمِيَتْ سيِّئَةً بأنها وقَعَتْ إساءة بالمفعول به، لأنه فُعِلَ بِهِ مَا يَسُوءهُ وكذلك قوله ﴿مُسْتَهزِئُونَ. اللَّه يَسْتَهْزِئ بِهِمْ﴾[5]، جعل مجازاتهم باستهزائهم مسمًّى بلفظ فِعْلِهِمْ لأنه جَزَاءُ فعلهم.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾.

وقرئت مَخْضَرَةً.

---

(١) سورة المدّثر الآية ١٠

(٢) هو حسان بن ثابت رضي الله عنه يرثي عثمان بن عفان ـ وأول ليلةٍ أو أول لَيْلِهِ ـ أي قرأ القرآن كله أول الليل. (انظر شواهد الكشاف).

(٣) الأول اعتداء والثاني عقوبة لأنه رد عل الاعتداء.

(٤) سورة الشورى الآية / ٤٠.

(٥) سورة البقرة الآية ١٤ ـ ١٥.

ذكر اللّه جلّ ثناؤه ـ ما يدل على توحيده من إيلاج الليل في النّهارِ والنهار في الليل، وذكر إنزاله الماء يُنْبِتُ وذكر تسخير الفلك في البحر وإمساك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، فدل أنه الواحدُ الذي خلق الخلق وأتى بما لا يمكن الْبَشَرَ أن يأتُوا بمثله، ثم ذكر جهل المشركين في عِبَادَتِهِمْ الأصنام فقال عزّ وَجَلَّ:

﴿وَيَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللَّه مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾.

أي ما لم يُنْزِلْ بِهِ حُجةً وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ.

ثم ضرب لهم مَثَلَ مَا يَعْبُدون، وأنه لا ينفع ولا يضر.

وأما القراءة: «فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً لا غَيرُ» قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّه أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ فقال هذا واجبٌ ومعناه التنبيه كأنه قال: أَتَسْمَعُ؟ أَنْزَلَ اللّه من السماء ماء، فكان كذا وكذا، وقال غيره مثل قوله. قال مجاز هذا الكلام مجاز الخبر كأنه قال: اللّه ينزل من السماء ماء، فتصبح الأرضِ مخضرَّةً، وأنشدوا[(١)].

ألم تَسْأَلِ الرَّبْعَ القواءَ فينطقُ وهل يُخْبِرَنْكَ اليومَ بيداء سملقُ

قال الخليل: المعنى فهو مما ينطق، وأما من قرأ مَخْضَرَةً فهو على معنى ذات مَخْضَرة مثل مَبْقَلة ذات بقل، ومَشْبَعة ذات شِبَع، ولا يجوز مَخَضَرَّة ـ بفتح الميم وتشديد الراء ـ لأن مفعلّة ليس في الكلام ولا معنى له.

وقوله عزّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّه سَخَّر لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ والفُلْكَ تَجْري﴾.

---

(١) البيت لجميل بن معمر ـ والربع القواء المُقْفِر ـ والسملق الذي لا شجر فيه وينطق خبر المبتدأ أي فهو ينطق، ولهذا رفع الفعل بعد فاء السببية. والبيت في شواهد المغني ٢١٦٢ ومعاني الفراء ٢/٢٢٩، والعيني ٤/٤٠٣ ـ ومن شواهد النحو الشائعة.

[الفُلْكَ] بـالنَّصْب نَسقٌ على «مـا» المعنى وسخـر لكم الفلك! ويكـون تجري حالاً، أي وسخر لكم الفلك في حَالِ جـريها، ويقـرأ: ﴿والفلكُ تجري في البحر بأمْره﴾، فيكون الفلكُ مرفوعاً بالابتـداء، وتجْري هـو الخبر، والمعنى معنى التسخير لأن جريها بأمره هو التسخير.

وقوله: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

على معنى كـراهة أن تقـع على الأرض، وموضع «أن» نَصبٌ بيُمْسِـكُ، وهي مفعول. المعنى لكراهة أن تقع.

وقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسِكاً﴾.

ومَنْسَكاً، وقد تقدم الشرح في هذا

وقوله: ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾.

أي لا يجـادِلُنَّكَ فيـه، ومعناه لا تُنَـازِعَنَّهُمْ، والدليـل على أن المعنى لا يُجَادِلنَّك وَلَا تُجَادِلَنَّهُمْ قوله: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

هذا قبل القتال، فإن قال قائل: فهم قد جَادَلُوه فَلِمَ قيل فلا يُنَازِعُنَّكَ في الأمـر وهـم قد نـازعوه، فـالمعنى أنه نَهْيٌ لـه ﷺ عن منازعَتِهِمْ كمـا يقول: لا يَخَاصِمَنَّكَ فُـلَانٌ في هذا أبـداً، وهذا جـائز في الفعـل الذي لا يَكـونُ إلا من اثنين لأن المجادلة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا قلت لا يُجَـادِلَنَّكَ فُـلانٌ فهو بمنزلة لا تجادِلَنَّهُ، ولا يجوز هذا في قوله: لا يَضْرِبَنَّكَ فُلَانٌ، وأنت تـريد لا تضربْهُ. ولكن لو قلت لا يُضَارِبنَّـكَ فلانٌ لكـان كقولـك لا تُضَارِبَنَّ فـلاناً. ويقرأ: «فَلَا يَنْزِعُنَّكَ فِي الأمر»: معناه لا يغلبُنَّك في المنازعـة فيه، يقـال: نَازَعَنِي فُلَانٌ فنزعتُه وَعَازَّنِي فَعَزَزْتُه[1]، أنزعه وأَغْلِبُه، المعنى فلا يَغْلِبُنَّكَ في الأمْرِ.

وقوله: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عليهِمْ آيَاتِنَا﴾.

(١) عازّني أي غالبني، وعزّني غلبني.

أي يكـادون يبطشـونَ بسطوةٍ على النبي ﷺ وأصحـابـه، والـذين يتلون عليهم القرآن.

وقوله: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾.

القـراءة بـالـرفـع وهي أثبت في النحـو مِنَ الجـرِّ والنَّصْبِ والخفض، والنَّصْبُ جائز، فأما من رفع فعلى معنى هو النار، وهي النار، كأنهم قالوا: مَا هَذَا الَّذي هُوَ شَرٌّ فقِيلَ النَّارُ. ومن قال النَّار بالجرِّ، فعلى البَدَلِ مِنْ شَرٍّ، ومَنْ قَـالَ النَارَ بـالنَصْبِ، فهو على معنى أعْني النـار، وعلى معنى أُنَبِّئُكُمْ بشَـرٍّ من ذلكم كأنه قال أُعَرِّفُكُم شَرًّا من ذلكم النار.

وقوله: ﴿يا أَيُّها النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا له﴾.

لأنهم عبدوا من دون اللَّه ما لا يَسْمَـع ولا يُبْصِرُ ومـا لم يُنَزِّلْ بـه حجةً، فَأَعْلَمَهُم اللَّهِ عزّ وَجَلَّ الجواب فيما جعلوه للَّه مثلاً، وجعلوه له نِدًّا، فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمعُوا له﴾.

يعنى الأصنام، وكل من دُعِيَ مِن دُونِ اللَّهِ إلهاً لَا إلهَ إلا اللَّهُ وحْدَه.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهِمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْه﴾.

أعلم اللَّه - جلّ ثناؤه - أنه الخالق، ودل على وحـدانيته بجميـع ما خلق ثم أعلم أن الَّذِين عَبَدُوا مِنْ دُونِهِ لا يَقْدِرون على خَلقِ وَاحِدٍ قَلِيلٍ ضعيفٍ مِنْ خَلْقِه، ولا على اسْتِنْقَاذِ تَافِهٍ حقيرٍ منه. ثم قال:

﴿مَاقَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

أي مـا عظمـوه حقَّ عَظمتِـه، ثم أَعْلَمَ بَعْدَ ذِكـره ضعْفَ قوة المَعْبُـودِينَ قُوَّتَهُ[1] فقال: ﴿إِنّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

---

(١) أعلم قوته بعد ذكر ما بالمعبودين من ضعف.

وقوله: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطْلُوبُ﴾.

يجوز ضَعُفَ، وضُعِفَ الطالب والمطلوب، أي فهم يضعفون عن أن يخلقوا ذُبَاباً، وعن أن يستنقذوا من الذباب شيئاً مع ضعف الذباب.

وقوله عزّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾.

اصطفى اللَّه من الملائكة جبريل ومكائيل واسرافيل ومَلَكَ الموتِ واصطفى من الناسِ النبيينَ والمرسلين، صلّى اللَّه عليهم أجمعين.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدوا واعْبُدوا رَبَّكُمْ﴾.

أي اقصدوا بركوعكم وسُجُودِكم اللَّه وحدَهُ.

﴿وافْعَلُوا الخَيْرَ﴾.

والخير كلُّ مَا أمرَ اللَّهُ بِهِ.

وقوله: ﴿لَعلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

هذا ليس بشكٍّ، ولكن معناه لتَرْجُوا أَنْ تكونوا على فلاح، كما قال لموسى وهارون: ﴿اذْهَبَا إلى فِرعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولاَ له قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[1]، أي اذهبا على رجائِكُمَا، كما يرجو النبي ممَّنْ يُبْعَثُ إليه، واللَّه عزّ وَجَلَّ من وراء العلم بما يؤول إليه أَمْرُ فرعونَ إلا أن الحجَّةَ لا تَقُوم إلَّا بَعدَ الإِبَانَةِ.

وقوله عزّ وَجَلَّ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾.

قيل إنه بمنزلة قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، وَأن نسخها قوله: ﴿فاتقوا اللَّه ما استطعتم﴾.

وقوله: ﴿هو اجْتَبَاكُمْ﴾: معناه اخْتَارَكُمْ.

---

(١) سورة طه الآية ٤٤.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عليْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

أي مِنْ ضِيقٍ، جعل اللّه على من لم يستطع الشيء الذي يثقل في وَقْتٍ، ما هُو أخف منه، فجعل للصائم الافطار في السفر. وبقَصْر الصلاة للمُصَلِّي إذا لم يُطِقِ القِيام أن يُصَلِّي قَاعِداً[1]، وإن لم يطق القُعودَ أنْ يُومِيء إيماءً، وجعل للرجل أن يتزوج أَرْبعاً، وجعل له جميع ما ملكتْهُ يمينُهُ. فوسَّع اللّه ـ عزّ وَجَلَّ ـ عَلَى خلقِه.

وقوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.

معناه اتّبعوا مِلّةَ أبيكم إبراهيم. وجائز أن يكون مَنْصُوباً بقوله: اعبدوا ربكم وافعلوا الخير فعْلَ أبيكم إبراهيم.

وقوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾.

«هُوَ» رَاجِعَةٌ إلى اللّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ المعنى: اللّه سَمَّاكُم المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزِّلَ القرآن، وفي هذا القرآن سَمَّاكم المُسْلِمِينَ. وجائز أنْ يكون إبراهيمُ عليه السلام سمَّاكُم المُسلِمِينَ من قبل، وفي هذا، أي حكم إبراهيم أن كل من آمن بمحمد مُوَحِّداً للّه فقد سماه إبراهيم مُسْلِماً.

وقوله: ﴿وتكونوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ﴾.

يروى أن اللّه سبحانه أعطى هذه الأمة ثلاثة أشياء لم يُعْطَها إلاّ الانبياء، جُعِلَتْ شَهِيدَةً على سائر الأُمَمِ، والشهادة لكل نبي على أُمَّتِه. وأن يقال للنبي عليه السلام: اذهب ولا حرج عليك، وقال [اللّه] لهذه الأمَّة: ﴿وما جعل عليكُمْ في الدّينِ مِنْ حَرجٍ﴾، وأنه قال لكل نَبِيٍّ سَلْ تُعْطَه، وقال لهذه الأمّةِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

---

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في الأصل والمقصود منها واضح ولكنها غاية في سوء التركيب.

تخريجات الجزء الثالث

(*) جاء فى صحيح مسلم جـ١/٩١ باب اثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة - ربهم - حديث رقم ٢٩٧، وفى سنن الترمذى جـ٤/٩٢ - كتاب صفة الجنة، باب رقم ١٦، وابن ماجه جـ١/٦٣ المقدمة باب رقم ١٣ . ص ١٥

(*) فى البخارى كتاب التعبير جـ٩/ ٣٩: الرؤيا الحسنه من الرجل جزء من ستة واربعين جزءاً ، - وفى مسلم جـ ٢/٣٠٥ كتاب الرؤيا بلفظ رؤيا المسلم جزء من خمس واربعين جزءاً من النبوه وله روايات أخرى - انظر أحاديث رقم ٦، ٧، ٨، ٩ - وأخرجه أبو داود جـ ٤/ ٣٠٤ كتاب الأدب باب رقم ٨٨ ، بلفظ رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين... من رواية عباده بن الصامت - وفى الترمذى من رواية ابى هريرة ، وله رواية أخرى لعباده جـ ٣/ ٣٦٣، كتاب الرؤيا باب رقم (١) وأخرجه ابن ماجه بروايات مختلفه فيها : رؤيا الرجل المسلم الصالح جزء من سبعين جزءاً من النبوة - من رواية أبى سعيد الخدرى ، قال فى الزوائد : فى اسناده عطيه بن سعيد البجلى وهو ضعيف.

انظر جـ ٢/ ١٢٨٢ كتاب تعبير الرؤيا باب رقم ١ - وأخرجه أحمد فى مسنده جـ ٢/ ١٨، ٥٠٢ . ص ١١٠

(*) الحديث فى البخارى جـ ٩/ ٤٢ كتاب تعبير الرؤيا ، باب رقم ٧ - من رواية أبى هريرة بلفظ : لو لبثت فى السجن ما لبث يوسف ثم أتانى الداعى لأجبته وفى صحيح مسلم جـ ٢/ ٣٤٢، كتاب الفضائل حديث رقم ٣٥٢، من رواية أبى هريرة - وفى الترمذى جـ ٤/ ٣٥٦ كتاب التفسير رقم ١٢ من رواية أبى هريرة أيضاً ، وفى مسند أحمد جـ ٦/ ٣٢٦، ٣٣٢ . ص ١١٥

(*) أخرجه أبو داود جـ ٤/ ٢٣٥ كتاب السنه ، باب رقم (٢٠) من رواية ابن عباس بلفظ : كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يعوذ الحسن والحسين ، اعيذكما بكلمات الله التامه ، من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامّة ، ثم يقول : كان أبوكم ابراهيم يعوذ بهما اسماعيل واسحاق - وفى الترمذى فى كتاب الطب باب رقم ١٧ جـ ٣/ ٢٦٧، من رواية ابن عباس ، بلفظ أبى داود ، - وفى ابن ماجه جـ ٢/ ١١٦٥ كتاب الطب باب ٣٦ ، من رواية ابن عباس. ص ١١٩

(*) سبق تخريج الحديث فى الجزء الثانى ص ٦ . ص ١٢٦

(*) اخرجه أبو يعلى الموصولى ، من رواية أنس بن مالك ، وليس فيه اسم الرجل السائل ، وفى مسنده ابو على بن أبى يسار ، وأخرجه أيضاً ابن جرير من حديث أبى =

= على بن أبى يسار ، (تفسير ابن كثير جـ ٢/ ٢٠٥ . قلت : على بن ابى يسار الشيبانى اسمه على ابن أبى سارة) ويقال على بن محمد بن سارة - ضعيف . - تقريب التهذيب جـ ٢/ ٣٧ قال أبو حاتم : شيخ ضعيف ، وقال البخارى : فى حديثه نظر ، وقال أبو حيان : غالب على روايته المناكير ، فاستحق الترك ، تهذيب التهذيب جـ ٧/ ٢٨٥ ، ٢٨٦ واخرجه البزار عن عبده بن عبدالله - عن يزيد بن هرون عن ديلم غزوان ، عن ثابت عن أنس ، فذكر نحوه (تفسير ابن كثير جـ ٢/ ٥٠٥، ٥٠٦) وقال : البزار : ثقات . ص ١٤٣

(*) فى مسند احمد جـ ٣/ ٧١ - من رواية أبى سعيد الخدرى ، وهو جزء من حديث طويل . ص ١٤٨

(*) أخرجه ابن سعد وابن عساكر من رواية ابن عباس وقال السيوطى : حديث صحيح فى [الجامع الصغير جـ ٢/ ٩٥] . ص ١٥٦

(*) أخرجه النسائى فى سننه جـ ٨/ ٣٢١ كتاب الأشربه باب رقم ٤٨١ ، موقوف على ابن عباس . ص ١٩٢

(*) انظر قصة الأسراء والمعراج فى سيرة ابن هشام . وأنظر البداية والنهاية جـ ٣/ ١١٠ . ص ٢٢٦

(*) وأنظر تفسير القرطبى جـ ٥/ ٣٨٤٢ . ص ٢٢٩

(*) جاء الحديث فى اللسان (أبر) خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة ، والسكة الطريقة المصطفة من النخل ، ومأبورة بمعنى ملقحة - يقال أبر وأبرّ - بالتخفيف والتشديد - وقيل السكة سكة الحرث ، والمأبورة المصلحة لأجله ، والمأمورة الكثيرة النتائج والنسل ، يقولون أمر الله المهرة أى كثر ولدها ، وأمِرَ القوم أى كثروا ، وأمرهم الله فأمروا ، ومنه حديث أبى سفيان : إمِر أمر ابن أبى كبشة وارتفع شأنه - والحديث يصف خيراً قال بأنه من الحرث أو من النتاج ، وهو فى مسند أحمد جـ ٤٦٨/٣ من رواية سويد بن هبيرة . بلفظ : خير مال المرء له مهرة مأمورة أو سكة مابورة . ص ٢٣٢

(*) جاء هذا فى تفسير القرطبى جـ ٥/ ٣٨٦٥، وليس بحديث ، وإنما هو من أقوال ابن عباس ومجاهد وعكرمة . ص ٢٣٦

(*) وانظر تفسير القرطبى جـ ٥/ ٣٩١٥ - من اقوال سعيد ابن جبير . ص ٢٥٣

(*) أى لو ركنت إليهم ركوناً قليلاً وانظر الجزء الثانى من هذا الكتاب ص ٢٥١ . ص ٢٥٤

(*) المقام المحمود هو الشفاعة - انظر مسند أحمد جـ ٢/ ٤٤١ من رواية أبى هريرة ، قال : هو المقام الذى اشفع لأمتى فيه وله رواية أخرى لأبى هريرة أيضاً جـ ٢/ ٥٢٨ . ص ٢٥٦

(*) جاء في تفسير القرطبى : يروى ان كفار قريش قالوا حين سمعوا قوله « هل كنت الا بشراً رسولاً فمن يشهد لك أنك رسول الله » ؟ فنزل « قل كفى بالله شهيداً » جـ ٥/ ٣٩٤٨ . ص ٢٦١

(*) انظر تفسير ابن كثير جـ ٣/ ٧١ – والقصة متداولة فى كتاب السير . ص ٢٧٠

(*) الحديث فى البخارى جـ ٤/ ٩٦ ، ٩٧، ٩٨ كتاب فرض الخمس ، باب رقم (١) من رواية السيده عائشة وغيرها – وهو فى مسلم جـ ٢/ ٨١ كتاب الجهاد رقم ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ – وفى سنن أبى داود جـ ٢/ ١٣٩ كتاب الأمارة ، وفى الترمذى جـ ٣/ ٨١ كتاب السير . من رواية أبى هريرة وفى النسائى جـ ٧/ ١٣٦ ، كتاب قسم الطىء ، ومسند احمد جـ ١/ ٤ ، ٦ ، ٩ وله روايات اخرى . ص ٣٢٠

(*) يقتضى هذا أنه كان لمريم أخ سموه هارون – وهذا غير معروف فى الأناجيل ، والحديث فى صحيح مسلم جـ ٢/ ٢٥٧ .

كتاب الآداب حديث رقم ٩ / من رواية المغيره ابن شعبه وفى مسند أحمد جـ ٤/ ٢٥٢ . ص ٣٢٧

(*) فى صحيح البخارى جـ ٦/ ١١٨ – كتاب تفسير القرآن – سورة مريم من رواية ابن عباس ، قال : رسول الله (ص) لجبريل : ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ، فنزلت : « وما نتنزل الا بأمر ربك » وانظر تفسير ابن كثير جـ ٣/ ١٣٠ . ص ٣٣٧

(*) جاء ذلك فى تفسير ابن كثير جـ ٢/ ١٤١ ونقل سنداً له عن القاضى عياض فى الشفاء – وفى آخر سنده الربيع بن أنس ، وهو ليس له صحبة ، واسمه الربيع بن أنس البكرى ، ويقال الحنفى – وانظر تقريب التهذيب جـ ١/ ٢٤٣ وتهذيب التهذيب جـ ٣/ ٢٠٧ – والذى رواه عن الربيع ليس ابن جعفر – كما فى ابن كثير – بل هو ابو جعفر الرازى وهو مختلف فيه ، قال النسائى ليس بالقوى .

وقال ابن حيان : كان ينفرد عن المشاهير بالمناكير ، لا يعجبنى الاحتجاج بحديثه الا فيما وافق الثقات .

(تقريب التهذيب جـ ٢/ ٤٠٦ ، تهذيب التهذيب جـ ٢/ ٥٩ ، ٦٠) . ص ٣٤٩

(*) الحديث في صحيح البخاري ، كتاب الدعوات جـ٨/ ١٠٩ من رواية أبي هريرة بلفظ « لله تسعه وتسعون اسماً ، مائة الا واحداً ، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنه ، وهو وتر يحب الوتر ، - وذكره البخاري موقوفاً على أبي هريرة ولم يرفعه ، وهو في مسلم باب الذكر رقم ٥ ، ٦ وفي ابن ماجه جـ ٢/ ١٢٦٩ ، باب رقم ١٠ من رواية أبي هريرة . ص ٣٥٠

(*) أخرجه البزار من رواية أبي سعيد الخدري بلفظ : « من قال لا إله الا الله مخلصاً دخل الجنه ، وهو في الجامع الصغير جـ٢ وقال السيوطي : حديث صحيح . ص ٣٥١

(*) الحديث في البخاري جـ٩/ ٥٨ كتاب الفتن من رواية عبد الله بن مسعود ، وفي مسلم جـ ١/ ١٢٣ كتاب الطهارة - من رواية أبي هريرة أو في سنن ابن ماجه كتاب الفتن ، وفي مسند أحمد جـ ١/ ٢٥٧ . ص ٣٥٨

(*) لأبي زُبيد الطائي يرثي أخاهُ لأمه ، وشقيق تصغير شقيق - صغره للحنان والرحمة ، والبيت من شواهد النحو الشائعة ، انظر ابن يعيش ٢/ ١٢ وكتاب سيبويه ٢/ ٢١٣ والعيني ٤/ ٢٢٤ ، ومجاز أبي عبيدة ٢/ ٢٥ . ويروى أنت خلفتني . ص ٣٧٣

(*) لم أجد هذا الحديث . ص ٣٧٨

(*) أخرجه البخاري في كتاب الحج ، جـ ٢/ ٢٠٨ من رواية أبي هريرة بلفظ أن نبي الله (ص) رأى رجلاً يسوق بدنة ، قال اركبها قال إنها بدنة قال اركبها ، قال : فلقد رأيته راكبها يساير النبي (ص) والنعل في عنقها . وهو في سنن أبي داود كتاب المناسك وفي النسائي ، كتاب مناسك الحج من رواية أنس بن مالك ، وفي ابن ماجه كتاب المناسك من رواية أبي هريرة وأنس وفي مسند أحمد جـ٣/ ٩٩ . ص ٤٢٦

(*) الحديث في سنن الترمذي جـ ٤/ ٨ - كتاب الزهد من رواية أبي هريرة بلفظ يدخل الفقراء الجنه قبل الأغنياء بخمسمائة عام ، نصف يوم - قال : حديث حسن صحيح وله روايات أخرى بالفاظ مغايرة ، وهو في ابن ماجه جـ ٢/ ١٣٨٠ كتاب الزهد من رواية أبي هريرة بالفاظ : يدخل فقراء المؤمنين الجنه قبل الاغنياء بنصف يوم خمسمائة عام وله روايات أخرى لأبي سعيد وعبدالله بن عمر ، وهو في مسند أحمد جـ ٢/ ٢٩٦ من رواية أبي هريرة ، وله رواية أخرى لغيره ص ٤٣٣

الفهارس

البحوث اللغوية

الأبيات الشعرية

أنصاف الأبيات

فهــرس الكتاب